

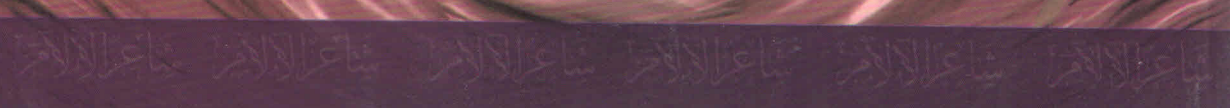
خالد بن عبد العزيز الدخيل

حَسْبُكَ الْحَي

شاعر الألام



فيا زورقي قد طواني المساء
ولم يبد لي شاطئ طيب



ح) خالد بن عبدالعزيز عبدالمحسن الدخيل، ١٤٢٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الدخيل، خالد عبدالعزيز عبدالمحسن

حمد الحجري شاعر الآلام. / خالد عبدالعزيز عبدالمحسن الدخيل. - الرياض،

١٤٢٧هـ

٤٩٦ ص؛ ٢٤×١٧ سم

ردمك: X - ٦٠٣ - ٥٦ - ٩٩٦٠

١- الشعر العربي - نقد - السعودية ٢- الحجري، حمد أ- العنوان

١٤٢٧/٥٦٣٣

ديوي ٨١١, ٩٥٣١٠٠٩

رقم الإيداع: ١٤٢٧/٥٦٣٣

ردمك: X - ٦٠٣ - ٥٦ - ٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ... وبعد

فلقد استقر في أذهان الباحثين والمبدعين أن حمد بن سعد الحجري كان في المقدمة من الشعراء المحسنين ، في الوقت ما بين ١٣٧٣هـ / ١٩٥٣م إلى سنة ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م ، وهذه السنوات العشر قصيرة جداً في زمن الإبداع ، إلى كون الحجري - رحمه الله - لم يكد يبلغ الخامسة والعشرين تقريبا حتى سيطر عليه المرض ؛ فاحتجبت موهبته الشعرية ، تلك التي كانت تمده بالروائع من الإبداع الشعري على نحو قصيدته (يا بدر) ، وقصيدته (ثورة نفس) ، وقصيدته (يا عيد) ، وتلك نماذج من روائع شعره رحمه الله ؛ أولاها أيام كان صحيحا معافي وطالبا في الكلية ، والأخيرتان في أثناء مرضه وهو في لبنان .

ولقد كتب لي مزاملة ذلك الشاعر مزاملة نسبية ؛ فلقد كان في السنة الثانية من كلية اللغة العربية ، وكنت إذ ذاك في السنة الرابعة من الكلية نفسها .

ولأني أعجبت بإبداع ذلك الشاعر إعجابا ملك علي كل مشاعري فإني قدمت عنه محاضرتين في المواسم الثقافية للرياسة العامة للكليات والمعاهد ؛ نواة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ثم ضمنت شيئا من ذلك في

المحاضرات التي جمعتها في كتابي (الأدب الحديث في نجد) ، وراقني بعد ذلك أن أكتب عنه كتابا فكان ذلك في عام ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، وفي عام ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م صدرت بالحديث عنه كتابي من شعراء البؤس ؛ وذلك في سبع وثلاثين ومئة صفحة من القطع المتوسط مستعينا في ذلك بديوانه المطبوع (عذاب السنين) ، وبما عثرت عليه من شعره في مجلة اليمامة التي أعارني مجلداتها الشيخ حمد الجاسر رحمه الله .

وفي عام ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٢م تقدم الابن خالد بن عبد العزيز الدخيل إلى قسم الأدب بكلية اللغة العربية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بخطة شجعت عليها عن حمد الحجبي لإعداد أطروحة الماجستير .

ولجلاء ما في الأذهان من أني قد استوفيت الحديث عن الحجبي فيما كتبت عنه، لجلاء ذلك أيدته في القسم وذكرت أني لم أقل كل ما يمكن قوله عن هذا الشاعر هذه ناحية ، والناحية الأخرى أن الابن خالد سوف يدرس شعر الحجبي من الوجهة النفسية أولا وقبل كل شيء وهذا منحى حري بالتقدير والتشجيع ؛ لما كان يحيط بالشاعر من متاعب نفسية .

ونتيجة لذلك أقر الموضوع فشرع الابن خالد في البحث عن مزيد من الخبر والشعر ، لم يدع منفذا إلا وسلكه في ذلك ، ومنه رحلاته المتكررة إلى بلدة الشاعر

(مرات) والاتصال بمن بقي من أفراد أسرته ، وبذل في هذا البحث كثيرا من الجهد والجهد حتى استطاع أن يضيف من الخبر ما لم يصل إليّ ، أو بعبارة أخرى ما لم أبحث عنه .

ومن هنا وجدناه ينتهي إلى كتابة هذه الأطروحة العلمية التي حصل بها على درجة الماجستير بتقدير ممتاز ، درس فيها أحوال الشاعر ، وتطورات حياته وشعره وما جرّ إليه من مناسبات ربما كان جلها نفسي .

وقد كتب لي أن أكون أحد أعضاء مناقشة الباحث في تلك الأطروحة فاستطاع الباحث الاستفادة من آراء المناقشين ، وتلك طبيعة الباحثين الجادين ، والابن خالد منهم .

لقد استطاع الابن خالد ببحثه الجاد أن يحصل على كثير من الخبر ، وشيء يسير من النصوص ؛ وذلك ما جعل أطروحته متميزة لا يجد الباحث في حياة الحجي وشعره شيئا بعد ما بذل الابن خالد في ذلك ما بذل .

ولقد أعجبتني في الابن خالد مبادرته في نشر هذه الأطروحة ذلك أنه لو توانى في نشرها فسوف يطويها النسيان شأن كل كتاب يتوانى مؤلفه في نشره ، وذلك ما تجربته سلفا ، ثم إنه بهذا يسهم في خدمة الفكر في هذه البلاد إلى كون عمله فيها متميزاً .

فهنيئاً للابن خالد على هذا الكتاب ، ودعواتي له بأن يوفقه الله في مستقبل
حياته العلمية والعملية .

وصلى الله على محمد ،،،

كتب هذا في حي النخيل الشمالي

الرياض

في غرة شعبان ١٤٢٧هـ / ٢٥ / ٨ / ٢٠٠٦م

أ.د. محمد بن سعد بن محمد آل حسين

مقدمة

أبدأ بحمدِ الله كثير على نعم أسداها ، ومنن تفضل بها وأولاها ، فباسمه
يبتدئ كل مؤمن ، وبعونه وتوفيقه يتم كل عمل نبيل ، ويستفاد من كل علم
جميل ، والصلاة والسلام على المعلم الأول ، وعلى آله وصحبه البررة الأطهار
وسلم تسليما كثيرا أما بعد :

فكل إنسان في هذه الدنيا يعاني ، وكل حي على هذه الأرض يتألم ، ذلك
لأن الألم في الإنسان شر لا بد منه ، وطريق يلزم المرور عليه ، فقد طبعت الدنيا
على كدر كما قيل ، وظني أن الاختلاف بين الناس يكون في مقدار الألم ،
ومواقفهم منه ، ثم في كيفية مواجهته ، فمنهم من يسقط ضحيته ، ومنهم من
يعبره - بسلام آمننا مطمئنا - إلى السعادة والأفراح .

والوسائل التي يستخدمها الناس في الوصول إلى شاطئ النجاة كثيرة ،
والطرق التي يتخذونها للتخلص من نار الأحزان وفيرة ، كلُّها يناسبه وبحسب
قدراته ، فالفنان - مثلا وهو الذي يهمننا هنا - يقوم بالتنفيس عن حزنه بواسطة
الفن بأنواعه - والشعر على رأسها - لأن الشاعر عندما يعبر عن آلامه فإنه يطرح
ما سكن في جوفه من أشجان ، وينفث ما استقر في قلبه من أحزان ، فتتخفف
حدة التوتر ، ويسلي نفسه بما أبدعه ، وبهذا يكون قد استخدم فنه في علاج سقمه
فأصبح إبداع الشعر - في نظري - وسيلة من وسائل علاج كثير من آلام

الشعراء ، ولكنه ليس علاجاً مضموناً في كل الأحوال .

كانت رحلة عمر حمد الحجي عناء ، لم يجد له على امتدادها دواء ، وكان شعره - في إحدى حقب حياته - أنيساً له ، وصورة دقيقة لما مرَّ به ، إلا أن الشاعر لم يصمد طويلاً بل سقط ضحية المرض النفسي المؤلم ، ولكن شعره لم يسقط ، بل وقف صامداً متحدثاً عن حياة الشاعر المبدع ، ليؤكد فعلاً أن الشعر مرآة عاكسة لأحاسيس الصادقين من الشعراء ، وصورة ناصعة واضحة لنفسية المبدعين منهم .

لقد سخر حمد الحجي شعره في التعبير عن آلامه ، لم يكن يؤدي به دوراً خارجاً عن إحساسه ، ولم يجعله وسيلة لتحصيل المال ، والسعي خلف لقمة العيش ، فقد أفصح شعره عن هذا الأمر أداءً ، ومن ثم تأكيداً إذ يقول :

أنا الشاعر الخصب ما خنت فني ولا بعتته بسخي الهبات

إن شاعراً مرَّ بتجارب مثيرة في حياته حقيق بالدراسة ؛ لأن الشعر في حالة كهذه الحالة يصل إلى قمة توهجه ، ويؤدي - بحق - الوظيفة المنوطة به ؛ لأنه - والحالة تلك - لا يقف عند أسماع المتلقين فحسب ، بل يتجاوزها فيؤثر في النفوس ، ويستقر في القلوب ، وشعر حمد الحجي خير مثال ؛ ذلك لأنه أضفى على الساحة الأدبية والإعلامية في المملكة العربية السعودية الشيء الكثير .

لقد أثار الشاعر حمد الحجي في فترة من الفترات ضجة كبرى في أوساط

الأدب في المملكة العربية السعودية ، تؤججها الأحداث الملتهبة التي مرَّ بها الشاعر في حياته ، وتقويها قدرته البيانية والإبداعية ، ويشهد لها إبداعه الشعري الذي نشر في صحف المملكة ولبنان ، واختلف النقاد في تقييم إبداعه ؛ فمنهم الذي يؤكد سبقه وشاعريته ، ومنهم الذي يرى أنه دفع إلى مكانة لا يستحقها ، وأن هناك من يبالغ في الحكم بشاعريته ، وكون حمد الحجي قد أثار هذه الضجة ، وجعل النقاد ينظرون إلى شعره بنظرة متفاوتة فإن ذلك يدل على قدرته ووصوله إلى مرتبة عالية من الإبداع شأنه في ذلك شأن كبار الشعراء كالمثني وأبي تمام وغيرهما .

لأجل ذلك ، ولأنه أحد الشعراء السعوديين ، وانطلاقاً من رغبتني الشديدة في خدمة الأدب في هذه البلاد الكريمة ، مصطحباً معي تأثيري الشديد بما قرأت عن حمد الحجي ، وما قرأت من إبداعه الشعري ، وبتشجيع من أهل الفضل أساتذتي الكرام عزمت على اختيار هذا الشاعر موضوعاً لرسالة (الماجستير) في الأدب العربي ، ثم بدالي أن أطبعها في كتاب عنوانه : حمد الحجي شاعر الآلام .

ولأن حمد الحجي حالة خاصة بين شعراء المملكة ناسب أن أفيد من الدراسات النفسية لمعرفة آلام نفسه ، ثم أثرها في شعره ؛ وذلك لأنه أصيب بانفصام في الشخصية سبقتها أعراض الإصابة بهذا المرض ؛ مما يجعلني أتساءل : هل صور شعره إرهاصات الفصام؟ وستبين الإجابة عن ذلك في هذا الكتاب .

لقد توقفت عند العوامل المساعدة لتكوين الشاعر حمد الحجي في الفصل الأول وذلك من خلال الإشارة إلى العوامل المؤثرة في شعره ، كطفولته ، وعلاقاته الاجتماعية ، وتعليمه وثقافته ، والمرض الذي أخذ منه كل مأخذ ، ورحلاته المتكررة ، ثم نظرت إلى صفاته التي يتسم بها ، وأثر كل منها في نفسه ، ومن ثم في شعره .

إن تلك العوامل - في نظري - هي التي أسهمت في عذاب الإنسان حمد الحجي ، ثم في قيام الشاعر حمد الحجي ، ولهذا فإن تسليط الضوء عليها في غاية الأهمية ؛ لمعرفة أسرار الإبداع عند هذا الشاعر .

ورأيت بعد ذلك أن ألحق بالكتاب أهم القصائد المستشهد بها في دراسة شعر حمد الحجي حتى يتسنى للقارئ الكريم العودة إليها بسهولة ويسر .

لم يتبق إلا أن أتقدم بالشكر الوفير بعد شكر الله عز وجل لكل من ساندني في بحثي هذا ، وأخص بذلك أستاذي الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الهليل ؛ فقد كان الموجه والدافع لي أثناء بحثي ، ثم أشكر مناقشي رسالتي اللذين أفاداني بتوجيهاتهما ، وأخص بالشكر الأستاذ الدكتور محمد بن سعد بن حسين الذي أفادني من علمه ، وتفضل بقبول طلبي لتقديم هذا الكتاب ، ولا أنسى فضل الأستاذ أحمد الشدي الذي أمدني بكل ما عرفه عن الشاعر ، وقدم لي بعض القصائد التي لم تنشر ، ولأخت الشاعر هيلة بنت سعد الحجي وابنها دعيج وافر

الشكر والتقدير ، فقد وافقت على مقابلي والإجابة عن أسئلي ، وأمدتني بالمعلومات على الرغم من كبر سنها حفظها الله وبارك فيها ، وأشكر بعد ذلك كل من بذل جهده ووقته في سبيل إنجاز هذا الكتاب .

وأخيراً فعلى الرغم من الجهد الذي بذلته في إظهار هذا الكتاب فإنه عمل بشري ، لا يخلو من النقص ، وعلى من يرى فيه ذلك أن يتفضل بتوجيهي إليه ، وله خالص الدعاء ووافر الشكر والثناء .

خالد بن عبد العزيز الدخيل

Khal_d_1@hotmail.com

التمهيد

بين الألم النفسي والإبداع

بين الأله النفسي والإبداع

تعددت نماذج لأدباء ومبدعين بلغت شهرتهم الشرق والغرب ، وتداول الناس نتائجهم وأعجبوا بها ، وتناولها النقاد مبينين أسرار الإبداع ، وأسباب التآلق ؛ إلا أن بعض هؤلاء المبدعين أصيبوا في عقولهم فعانوا الكثير من الألم والعذاب ؛ مما كان سبباً في التعجيل بآجالهم ، وانقضاء أعمارهم .

ولهذا فقد أثارت هذه النماذج تساؤلاً عند علماء النفس ، وبعض الباحثين المهتمين في تفسير الظاهرة الأدبية من أجل التوصل إلى فهم دقيق وكشف عن العلاقة بين المرض النفسي وعملية الإبداع ، وتأكيد أمر شغل النقاد وهو تفسير الظاهرة الإبداعية.

وقد وجد بعض الباحثين أن المرض النفسي يسهم إسهاماً مباشراً في عملية الإبداع ، وأن بينهما ارتباطاً وثيقاً، فكان من الأولى الإلماحُ إلى هذه القضية بعرض تلك الآراء ومناقشتها ومعرفة أثر المرض النفسي على الإبداع قبل الدخول إلى موضوع البحث .

وقبل عرض تلك الآراء تحسن البداية ببيان مفهوم الإبداع ثم بيان مفهوم المرض النفسي.

الإبداع في اللغة هو : "إنشاء أمر خارج عما اعتيد ..."^(١) ، وجاء في مختار

(١) لسان العرب لابن منظور . مؤسسة التاريخ العربي ودار إحياء التراث العربي . بيروت . الطبعة

الصحاح: (أبداع) الشيء اخترعه لا على مثال^(١).

ومن هذه النظرة اللغوية نظر بعض علماء النفس إلى الإبداع؛ فعده بعضهم أنه القدرة على إيجاد شيء جديد لم يكن موجوداً من قبل^(٢)، وهذه النظرة تُعرّفُ الإبداعَ بشكل عام فتدخل فيه جميع المعارف والفنون، وعند الاتجاه إلى المادة الأدبية، نجد أن مفهوم الإبداع الأدبي يعني: "مهارة استحداث مادة أدبية أو فنية جديدة ولها قيمة"^(٣) والمقصود بالمادة الأدبية هنا هو الأجناس الأدبية المعروفة ومن أمثلتها: القصيدة، والمسرحية، والرواية، والمقالة الأدبية، والخاطرة، وغيرها من فنون الأدب.

وفي نظرة أكثر تخصيصاً يجد المتفحص في التراث النقدي عند العرب أن الشعراء نوعان: أحدهما ناظم والمقصود به الذي ينقل السابق وينظمه بحيث يدرك إدراكاً يقوم على العيان والمباشرة ولكنه موزون بأوزان الشعر ملتزم بقوافيه، وثانيهما: هو المبدع وهو الذي يوجد العلاقات الخفية بين الألفاظ والمعاني وهذه العلاقات لا تدرك مباشرة بل تحتاج إلى البصيرة والروية والمقدرة لمعرفة أسرار تلك العلاقات^(٤)، وقد وردت هذه الدلالة في كثير من

(١) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القاهر الرازي، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، (مادة: بدع)، الطبعة الأولى، ص ١٣.

(٢) علم نفس الإبداع، د. شاكر عبد الحميد، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥ م، القاهرة، ص ١٣.

(٣) علم نفس الأدب، د. مصري عبد الحميد حنورة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥ م، القاهرة، ص ٢٧.

(٤) انظر مفهوم الإبداع في الفكر النقدي عند العرب، د. محمد طه عصر، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٢ م، ص ٣٤.

كتب التراث النقدي ، ومن هنا تبيّن الشاعر المبدع من الناظم الذي لا يصح أن يطلق عليه إسم المبدع ؛ لأنه لا يحس بما يحس به الفنان على وجه الحقيقة ، فالأديب المبدع يحس بالجمال ويستطيع أن يكون الجمال عن طريق ما ينتجه من أعمال إبداعية فنية ^(١) ، والمبدع بهذه الصفة هو المقصود في هذا الموضوع .

وقبل أن أتناول مفهوم المرض النفسي يحسن معرفة المعنى الطبي لكلمة مرض لتكون مدخلاً لإدراك مفهوم المرض النفسي ، والمعنى الطبي لها هو حالة تمتلك شخصاً فتحوله إلى شخص مختلف جذرياً عن حالته السوية ^(٢) ولكن عند وصفه بالنفسي فإن المريض لا يختلف عن السوي إلا بمقدار ظهور السلوك الذي يعد شاذاً أو مريضاً ^(٣) ؛ ولذلك فإنه لا ينظر إلى المريض النفسي بمثل النظرة إلى المريض العادي ؛ ولا يمكن الوقوف على مفهوم معين للمرض النفسي ؛ لأن الأمراض النفسية غاية في الاتساع ، وهناك أكثر من طريقة لتصنيفها ، وسأستعرض التصنيف الملائم لموضوع البحث وهو الذي يقسم الأمراض النفسية إلى خمسة أقسام يهتم موضوع البحث بأربعة منها هي :

١ - مرض نفسي (عصاب)

٢ - مرض عقلي (ذهان)

(١) انظر العبقرية والجنتون ، يوسف ميخائيل أسعد ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠١م ، ص ١٥٢ .

(٢) الحكمة الضائعة : الإبداع والاضطراب النفسي والمجتمع ، د. عبد الستار إبراهيم ، سلسلة عالم المعرفة ، الرقم : ٢٨٠ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ص ٣٣ .

(٣) انظر السابق ، ص ٣٣ .

٣ - اضطرابات شخصية .

٤ - اضطرابات عضوية ذات منشأ نفسي .

١- العصاب :

وهو إصابة نفسية المنشأ تكون فيها الأعراض تعبيراً رمزياً عن صراع نفسي يستمد جذوره من التاريخ الطفلي للشخص^(١)، وتشمل الاضطرابات العصبية أكثر من نوع مثل عصاب القلق النفسي ، وعصاب الرهاب المرضي، وعصاب الحزن وعصاب الرحام (الهستيريا) ، وعصاب المراق (توهم المرض)، وغيرها^(٢)، ومع تعدد أنواع العصاب إلا أنه يمكن أخذ تعريف له من مجموعها فهو : مجموعة من الاضطرابات النفسية تنشأ عن صراع قوى مختلفة داخلية أو خارجية ، وتشارك في صفات عامة تؤدي إلى معاناة المصاب، وتحديد كفاءته الشخصية وتذبذب علاقته الاجتماعية^(٣) .

ويعد القلق النفسي من أكثر الأمراض العصبية الشائعة ، وسمة رئيسة في معظم الاضطرابات العصبية والنفسية الأخرى ، والمقصود بالقلق هو ذلك الانفعال الشديد بالمواقف التي لا تستدعي بالضرورة هذا الانفعال ، مما يؤدي

(١) معجم مصطلحات التحليل النفسي ، جان لابانش و ج . ب . بو نتاليس ، ترجمة د. مصطفى حجازي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م ، ص ٣٢٩ .

(٢) انظر العصاب ، قاسم هادي العوادي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٢م ، وعرض هذه الأنواع بالتفصيل ، من ص ٣٩ إلى ص ١٢٧ .

(٣) انظر العصاب ، ص ٣٨ .

إلى شل حركة التفكير السليم ، والتفاعل الاجتماعي ، ويسلك بالمصاب سبيل التمزق والخوف ، وقد يصاحب هذا القلق تغيرات عضوية ، وقريب من القلق توهم المرض بل يعده بعض الأطباء النفسيين جزءاً من القلق ، أما الاكتئاب فهو مرض عصابي تسببه أزمة خارجية كفقْدان قريب أو صديق^(١) .
وتعد الانفعالات العصابية أكثر شيوعاً ، كما أنها مربكة للأفراد والجماعات في المجتمعات المتحضرة بخاصة ؛ بسبب التنافس المادي ، وازدياد المسؤوليات وتعقيد الحياة ، والتفكك الأسري^(٢) .

٢. الذهان :

ويشمل سلسلة الأمراض العقلية سواء أكانت ذات منشأ عضوي صريح.. أم بقيت سببها النهائية إشكالية كالفصام^(٣) حيث يعد الفصاميون أكثر مرضى الذهان^(٤) .

والفصامي يفقد صلته بالواقع ، وكثيراً ما يكره الاتصالات الاجتماعية ، ويستخدم أساليب شاذة في تواصله الفكري مع الآخرين ؛ إذ يغطي الغموض كلماته ، ويعد الفصامي متبلاً في انفعالاته بسبب معتقداته الزائفة وهو اجسه الكثيرة والمؤثرة ، إذ تتخذ صوراً عدة مثل الشك والغيرة والتوجس ، ومحس

(١) انظر احكمة الضائعة : الإبداع والاضطراب النفسي والمجتمع . من (ص٣٧ - ص٤٠) .

(٢) انظر العصاب ، ص ١٠ .

(٣) معجم مصطلحات التحليل النفسي ، ص ٢٥٢ .

(٤) انظر الحكمة الضائعة : الإبداع والاضطراب النفسي والمجتمع ، ص ٤١ .

غالباً بالعظمة والاضطهاد ، ويظهر للمتأمل التناقض بينهما إلا أنهما يتلازمان عند الفصامي ، وتملك الفصامي حالات من الهلاوس الذهانية حيث يصر على أنه يسمع أصواتاً حقيقية لا يسمعاها الناس حوله ، ويحس أنه يرى خيالات ، ويكلمها بصوت مسموع دون أن يراها من يحيطون به ، وتتخذ هذه الرؤية عند الفصامي شكل يقين لا شك فيه^(١).

٢. اضطرابات الشخصية :

وهي الشخصية التي لا تتفاعل مع الواقع أو المجتمع ولا تظهر عليها أعراض جسمية أو نفسية أو عقلية ، وتضم أنواعاً من الاضطراب تجمعها خصائص مشتركة مثل : سوء التوافق ، والشعور بالمعاناة ، وعدم الاستقرار ، وتوتر العلاقات الخارجية^(٢) ، ولعل من المناسب الإشارة السريعة إلى نوعين من أنواع هذا الاضطراب حيث إنهما متصلان بما يمكن أن يُوجد صلةً لهما بما يظهر على المبدعين ومن ثمَّ فلا بد من التفريق بين السلوك المرضي الذي يظهر على المريض والسلوك الصحي الذي يظهر على المبدع ، فمن أبرز اضطرابات الشخصية :

(أ) الشخصية النرجسية :

النرجسية "الحب الموجه إلى صورة الذات"^(٣) إذ لا تتعاطف هذه

(١) انظر الحكمة الضائعة الإبداع والاضطراب النفسي والمجتمع ، ص ٤١ .

(٢) انظر السابق ، ص ٤٢ .

(٣) معجم مصطلحات التحليل النفسي ، ص ٥١٢ .

الشخصية مع الآخرين ، بل تتسم بالتعاطف المبالغ فيه والترفع ، وثمة فرق بين ذلك السلوك وسلوك الاعتداد بالنفس الذي يظهر عند بعض العباقرة والمبدعين ، فالثاني سلوك صحي سليم ، يرتبط بإنجازات فعلية ومواقف لها علاقة بنوعية عمل المبدع وقيمه ، أما السلوك النرجسي فلا يرتبط بموقف بل هو اعتداد مطلق بالنفس وهذا هو السلوك المرضي^(١) .

(ب) الشخصية الانطوائية :

وهي تلك الشخصية التي تنفصل عن الواقع وتنسحب إلى عالم الشخص الداخلي^(٢) ، وقد يكون الخوف من النقد سبب ذلك ، ويظهر هذا السلوك في المبدعين ولكن يظهر فرق بينه وبين السلوك المرضي ، إذ إن الأول يقصد به تحقيق هدف إبداعي معين يحتاج فيه المبدع إلى العزلة والتفرغ لإنهائه ، مع وجود الثقة بالنفس والقدرة الداخلية على المواجهة ، أما السلوك المرضي فليس ذلك هدفه وتنقصه الثقة بالنفس^(٣) .

وتضم اضطرابات الشخصية الاضطراب الاضطهادي حيث تمتلك الشخصية المصابة الشك المستمر وضعف الثقة بالآخرين ؛ ولذلك تميل هذه الشخصية إلى التهجم والعدوان ، كما تضم الشخصية المضادة للمجتمع وتكون عدوانية ، لا تشعر بالذنب ، وتلجأ إلى سلوك الجريمة والعنف والقسوة .

(١) انظر الحكمة الضائعة الإبداع والاضطراب النفسي والمجتمع ، ص ٤٢ .

(٢) انظر معجم مصطلحات التحليل النفسي ، ص ١٢٧ .

(٣) انظر الحكمة الضائعة الإبداع والاضطراب النفسي والمجتمع ، ص ٤٣ .

٤. اضطرابات عضوية ذات منشأ نفسي :

ويقصد بها ما تسبب به ضغوط الحياة حيث تثير قلقاً أو توتراً في الشخصية ، ونتيجة لذلك تصاب وظائف الجسم بالخلل من مثل ارتفاع ضغط الدم أو القرحة وغيرهما^(١) ، وسيأتي الحديث عن أثر ضغوط الحياة على الأدب في الصفحات الآتية .

وعند تتبع ما قيل عن المبدعين وخصوصاً الشعراء نجد القول بجنون المبدع بارزاً في التراث العربي ، وجذوره ثابتة عند الأوائل وبخاصة عند المبدعين منهم ؛ حيث رُمي المبدع بالجنون ويدعم هذه النظرية ما قيل بأن لكل شاعر تابعاً يملي عليه الشعر ، وترسخت في أذهان الشعراء مما دعا أحد الشعراء إلى أن يعتقد أثر الشياطين الفاعل في عملية الإبداع عند الشعراء حيث يقول :

إني وكلُّ شاعرٍ من البشر
شيطانه أنثى وشيطاني ذكر^(٢)

وازداد ترسخ هذه الفكرة عند الأدباء حتى بنى ابنُ شهيد الأندلسي^(٣) أحداث رسالته (التوابع والزوابع) على هذا الأساس حيث يقول: "وكنت أبا

(١) انظر السابق ، ص ٤٦ .

(٢) ديوان أبي النجم العجلي . صنعه وشرحه علاء الدين آغا ، النادي الأدبي بالرياض ، رمضان ١٤٠١هـ - يوليو ١٩٨١م ، ص ١٣٠ .

(٣) هو أحمد بن عبد الملك بن شهيد ولد وتوفي بقرطبة (٣٨٢- ٤٢٦ هـ) من بني الوضاح من قيس عيلان ، من كبار الأندلسيين أدبا وعلماء وله ديوان شعر مطبوع .

بكر ، متى أرتج عليّ ، أو انقطع بي مسلك العلم ، أو خانني أسلوبٌ أنشدُ
الآبيات فيمئلاً لي صاحبي ، فأسير إلى ما أرغب ، وأدرك بقريحتي ما أطلب .
وتأكدت صحبتنا وجرت قصص لولا أن يطول الكتاب لذكرت أكثرها ،
لكني ذاكر بعضها^(١) ويقصد بصاحبه هنا التابع من الجن وقد أسماه زهير بن
نمير .

وقد وصف العرب الشاعر بالمجنون ولم يكن مقصدهم معاناته المرضية ،
بقدر ما هو تعبيرٌ عن عجبهم الشديد من قدرة الشاعر الفذة التي يرون أنها لا
تكون لبشر^(٢) .

وكان أفلاطون قد سبق العرب إلى هذه النظرة حيث جعل شخصية
العبقري شخصية مغايرة للطبيعة السوية حيث يقول : "إن كلاً من العبقرية
والجنون نوع من الاضطراب العقلي"^(٣) .

وذهب بعض الباحثين المهتمين بعملية دراسة ظاهرة الإبداع والعبقرية
إلى تلازم ظاهرتي الإبداع والمرض العقلي ، وشاعت الفكرة التي ترى أن
الفنان مريض نفسيّ ، ومصاب بالعصاب وأنه مختل الاتزان ، وترى هذه

(١) رسالة التوابع والزوابع ، ابن شهيد الأندلسي ، تصحيح وتحقيق وشرح وتبويب بطرس البستاني ،
دار صادر ، بيروت ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م ، ص ٩٠ .

(٢) انظر التفسير النفسي للأدب ، د. عز الدين إسماعيل ، مكتبة غريب ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ،
ص ١٩ .

(٣) انظر العبقرية والجنون ، يوسف ميخائيل أسعد ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ،
٢٠٠١م ، ص ٨١ .

الفكرة أن الفن ما هو إلا نتاج جانبي لهذا المرض والاختلال^(١)، ومن هؤلاء فرويد^(٢) الذي يعد الفن تعبيراً مرضياً وأنه نتاج مرحلة نرجسية من مراحل التطور بمعنى أنه - أي الفن - تحقيق وهمي لل رغبات^(٣).

وحجتهم في ذلك أنهم لحظوا ذلك التلازم لدى المشاهير من المعاصرين لهم^(٤)؛ إذ كان للاضطرابات التي تظهر في حياة المبدعين، والنهايات البائسة التي تنتهي بها حياتهم أثر بيّن في محاولة وسم أولئك بالاضطراب النفسي، ومن ذلك أن أحد الباحثين^(٥) في علم النفس ربط بين العبقرية والمرض النفسي من خلال ظهور ذلك على عَيِّنَةٍ أجراها على ثمانية وسبعين عبقرياً من أبناء عصره، وتبين له من هذه العينة إحصائياً أن ٨٣٪ من هؤلاء العباقرة يعانون من بعض الاضطرابات سواءً أكانت نفسية أم عقلية^(٦)، مما يجعل

(١) انظر مناهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق، ديفيد ديتشيش، ترجمة د. محمد يوسف نجم، مراجعة د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٧م، ص ٥٢٧.

(٢) فرويد Sigmund Freud (١٩٣٩ - ١٨٥٦م) طبيب نمساوي وهو مؤسس علم النفس التحليلي، سنة ١٩٢٠م نشر كتابه 'ما وراء مبدأ اللذة' وفيه فسر الجهاز النفسي الذي تتدخل فيه الأنا والآخر وما فوق الأنا.

من كتاب، Larousse. ed. Paris, Larousse 1980, P 1235 "ترجمة الدكتور الصادق قسومة"

(٣) انظر النقد الأدبي ومدارسه الحديثة، ستانلي هايمن، ترجمة د. إحسان عباس ود. محمد يوسف نجم، دار الفكر العربي، القاهرة، ج: ١، ص ٢٤٨.

(٤) انظر الأدب والجنون، د. شاعر عبد الحميد، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ١٤٤.

(٥) وهو لانج إيكباوم.

(٦) انظر الأدب والجنون، ص ٤٠.

القول بتلازمهما مقنعا لدى الكثير ، وقد ذكر بيرتون^(١) أن كل الشعراء مجانين^(٢)، ويؤكد لمبروزو^(٣) تصريحاً أن العبقرية ذهان و مرض عقلي^(٤) ولا يزال هذا الخط سائراً في هذا العصر بأن الرجل العبقرى مثل العفاريت قادر على أن يفعل الأشياء الخارقة^(٥) وبهذا لا يوجد - في رأيهم - انفصال بين العبقرية والجنون.

والأمثلة التي يأخذون بها كثيرة منها الشاعر شيللي^(٦) حيث إن حياته كانت عبارة عن فترات متعاقبة من النوم والقراءة وكان يبلغ به الإعياء من فرط السهر أن النعاس كان يغلبه في النهار فينام فجأة في أي مكان كالطفل^(٧). وقد اشتهرت مقولة جوته^(٨) في أخريات حياته حيث يقول بصورة

(١) بيرتون Robert Burton كاتب انجليزى ولد في لندلاي سنة ١٥٧٧م وتوفي سنة ١٦٤٠م وهو قسّ

ذو نزعة إنسانية كتب تحليل الشجن. Larousse, P 1098.

(٢) انظر الحكمة الضائعة الإبداع والاضطراب النفسى والمجتمع ، ص ٥٦ .

(٣) لمبروزو Cesare Lombroso طبيب ايطالى ولد في فيرون سنة ١٨٣٥م وتوفي سنة ١٩٠٩م ، اهتم

بمن يولدون مع استعداد كبير مسبق للجريمة على أساس حتمية الوراثة. Larousse, P 1366.

(٤) انظر الحكمة الضائعة الإبداع والاضطراب النفسى والمجتمع ، ص ٥٦ .

(٥) انظر السابق ، ص ٥٦ .

(٦) هو (بيرسي بيش شللي) ، شاعر إنجليزى ، ولد في فيلدبلاس بضاحية سيسكس عام ١٧٩٢م من

أهم أعماله : قصيدة الملك ماب ، وروح العزلة ، مات غريفا عام ١٨٢٢م .

(٧) العبقرية والجنون ، ص ١٣٧ .

(٨) يوهان فولفكانك فون جوته Johann Wolfgang von Goethe كاتب وسياسى وعالم أمانى ولد =

مأساوية عن حياته: لم تكن إلا المأ وعبثاً وأني أؤكد أنني خلال الخمس والسبعين سنة من العمر التي عشتها حتى الآن لم أختبر الصحة الطيبة ولو لأربعة أسابيع متصلة^(١).

ولست في مجال تعداد الأدباء أو المبدعين الذين أصيبوا بالاضطراب النفسي إذ إن الأمثلة على ذلك كثيرة ومشهورة تؤكد إصابة كثير من المبدعين بالأمراض النفسية المختلفة الأمر الذي يجعلها سناً مهماً لمن ارتأى ارتباط الإبداع بالمرض النفسي ارتباطاً وثيقاً.

وأمر آخر ساعد على بروز اتجاه من يرى التلازم بين ظاهرتي الإبداع والمرض النفسي وهو "الشعور بأن كلاً من المبدعين والمرضى العقليين تكون لديهم خبرات عقلية يجد الفرد العادي أنه غير قادر على فهمها أو المشاركة فيها"^(٢)، ولعدم قدرة الفرد العادي على تفسير تلك الظواهر البارزة في سلوك المبدع فإنه يحاول أن يربطها بالمرض النفسي أو العقلي لأنه يرى تقارب السلوك بينهما، وستتضح فروق بين السلوكين مما يمايز بين المبدع والمريض.

تلك هي أهم الأمور التي ساعدت على سيادة الاتجاه الرائي تلازم ظاهرتي الإبداع والمرض النفسي أو العقلي، وقد رُدَّ على هذا الادعاء في

= في فرانكفورت سنة ١٧٤٩م وتوفي سنة ١٨٣٢م، أحد أبرز قادة حركة التجديد المعروفة

بأنعاصفة والاندفاع من أشهر ما كتب أوجاع الشاب فارتز^{١٧٧٤}م. Larousse, P 1252.

(١) الحكمة الضائعة الإبداع والاضطراب النفسي والمجتمع ص ٢٢.

(٢) الأدب والجنون، ص ١٤٤.

مقال بعنوان (الفن والعصاب)^(١) اتضح فيه أن الأدباء أكثر عرضة للتفسير النفسي لأنهم أكثر إفساحاً عن أنفسهم من غيرهم ، وإذا كانت المادة التي يقدمها الأدباء تبرهن أنهم مرضى فالواجب منطقياً أن يفترض ذلك لغيرهم من المفكرين .

ويؤكد هذا المقال على أن النجاح الفكري ليس هو الذي ينسب للعصاب فقط ، بل إن عدم وجود ذلك النجاح يؤكد وجود العصاب وما دام الأمر كذلك " فإن معظم أفراد المجتمع يعانون من ذلك ، وقد يصح أن يكون المجتمع مشمولاً بهذا الاعتبار ، ولكن إن كان العصاب هو كل العلة في ذلك فلا يمكن أن يقتصر على كونه علة في القوة الأدبية عند فرد من الناس^(٢) .

وعند التأمل في الظاهرتين تظهر مجموعة من الفوارق بين التفكير الإبداعي والتفكير المرضي ومن أهم تلك الفوارق :

١- تظهر لدى المبدع قوة الأنا القائمة على أساس الوعي والاستبصار مع إمكانية التطوير النفسي ، والشعور بالذات لدى المبدع يتزايد من غير عيب فيه ، بل هو أحد الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها لتكون سلوكاً إيجابياً لا مرضياً ، وتغيب هذه الأمور في حال المرض حيث الوعي المشوش ، وضعف الاعتماد على الذات والشعور بالنقص وغير ذلك^(٣) .

٢ - يتصف المبدع بإحساس يستطيع أن يميز ما يمر به فهو يحس بوجود

(١) انظر مناهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق ، ص ٥٢٨ ، والذي رد على ذلك هو (ليونل ترلنج).

(٢) انظر السابق . ص ٥٢٩ .

(٣) انظر الأدب والجنون ، ص ١٤٨ - ١٤٩ .

مشكلة تهدده وتتطلب حلاً^(١)، فيشخص المبدع تلك المشكلة ويحددها ويوجد حلاً لها ، ويمكن بعد ذلك للمبدع أن يحول تلك المشكلة أو الموقف السلبي الذي يهدده إلى موقف إيجابي يساعده ويخدمه في القضاء على تلك المشكلة سواء كان خطرها مهدداً له أم لمجتمعهم .

وربما استعان المبدع بذلك الموقف السلبي ليهرب به من أزماته النفسية والعقلية ويحوّلها إلى قوى دافعة بناءة وإيجابية^(٢)، وبهذا يستطيع المبدع تجاوز المواقف السلبية بما أوتي من قدرة عقلية ونفسية عن طريق تشخيصها وتحويلها إلى عناصر إيجابية تورث له التقدم في حياته ، ومعالجة سلبيات مجتمعهم .

بينما لا تجد تلك القدرة الإيجابية لدى المضطرب نفسياً أو عقلياً ، فإنه لا يحس بوجود المشكلة أصلاً فضلاً عن محاولة حلها أو تحويلها إلى عنصر إيجابي يخدمه في حياته أو يساعد مجتمعهم على النهوض منها .

٣- يمر المبدع كغيره بمشتتات عقلية تتعلق بما يتطلبه العمل نفسه من جهد ، أو تركيز على نقطة دون أخرى ، أو تقديم نقطة وتأجيل أخرى ، كما يمر بمشتتات وجدانية من قلق أو اكتئاب فيستطيع متابعة الجهد العقلي وأداء العمل المطلوب منه عبر تلك المشتتات^(٣) .

فإذا مرت به انفعالات وجدانية فإنه يستطيع أن يتحكم بها بالزيادة أو

(١) انظر الحكمة الضائعة الإبداع والاضطراب النفسي والمجتمع ، ص ٥٨ .

(٢) انظر الأدب والجنون ، ص ١٥٠ .

(٣) انظر الحكمة الضائعة الإبداع والاضطراب النفسي والمجتمع ، ص ٥٩ .

التقصان ، فيبحث عن الإثارة العقلية والانفعالية والتجديد ، ويهرب من الملل^(١) ، المفضي إلى الكسل وكره العمل ، ثم إنه يوجد الوسائل المناسبة للتخفيف من كم المثيرات ، والإثارة الحسية والانفعالية.

وإذا مرت بالمبدع مشتتات عقلية فإنه قادر على التنظيم وصياغة الأفكار بشكل متقن من خلال الحذف والتعديل والإضافة ، بعيداً عن الفوضى والعشوائية .

إن تلك الأمور التي يتميز بها المبدع لا توجد عند المريض النفسي فلا هو قادر على تنظيم الانفعالات الوجدانية ، ولا هو قادر على الخروج من مأزق المشاكل العملية التي تمر به أثناء قيامه بعمل من الأعمال .

٤- ومن أوجه المفارقة بين المبدع والمريض هو قدرة المبدع على التواصل مع الآخرين^(٢) ، وهدف المبدع هو عملية التواصل وتحقيق النتائج الإيجابية إذ إن الإبداع لا يتوقف على المبدع فقط بل لا بد من أن يمر على طرق الاتصال التي من شأنها تثبيت التواصل في العمل الإبداعي ، وهي (المرسل والرسالة والمرسل إليه) وهذه العناصر توحى بعملية تفاعلية مع الآخر لا يقوم المبدع وحده بها ، بل لا بد من تفاعله مع المجتمع ليعرف صدى ما يقدمه من إنتاج ، ويكون عمله الإبداعي فاعلاً ومؤثراً ، ولكن هذه العملية غير حاضرة بالنسبة للمريض الذي يفتقد إلى عملية التواصل مع الآخرين بسبب حالات الانعزال المرضي والانفصال الاجتماعي .

(١) انظر الأدب والجنون ، ص ١٤٩ .

(٢) انظر السابق ، ص ١٥٠ .

٥ - وقد جاءت دراسات مخالفة للقائلين بتوافق المرض النفسي مع الإبداع ؛ بذكر وجه مهم يتشابه فيه المريض مع المبدع من جهة ويختلفان من جهة أخرى ؛ حيث يتشابهان في أنهما يهربان من الواقع ولكن المبدعين يهربون منه ؛ لأنهم يسعون إلى أن يكون الواقع " أكثر جمالاً ، وأكثر عقلانية ، وأكثر أمناً ، وأكثر قابلية للفهم ؛ عن طريق أعمالهم الفنية والعلمية والأدبية والفلسفية"^(١) ، أما المرضى فيكونون أسرى التفكير المشوش والهواجس المريضة والمعتقدات الضلالية ؛ بحيث لا يتخطون تلك الهواجس ولا يقدمون عملاً مفيداً^(٢) .

٦- ومسألة مهمة في التفريق بين المرض النفسي والإبداع وهو عنصر الخيال ، حيث يعده البعض^(٣) " مستودع حماقة ومستقر الجنون"^(٤) ، ولذلك يُرى الأديب مريضاً نفسياً ؛ لوجود الخيال بما فيه من وهم يقضي على عقل الإنسان .

ولكن الخيال - عند الشاعر مثلاً - متحكم فيه ، بينما تجده يتسلط على المريض^(٥) ، وبهذا يكون الخيال عند المريض خيلاً سلبياً لا يرقى إلى الإنتاجية والإبداع ، أما هو عند المبدع فخيال خصب منتج يبرز الجمال ويسعى إلى

(١) الحكمة الضائعة للإبداع والاضطراب النفسي والمجتمع ، ص ٧١ .

(٢) انظر السابق . ص ٧١ .

(٣) وهو رأي الفيلسوف الفرنسي رنيه ديكارت (١٥٩٦ - ١٦٥٠ م) في الخيال .

(٤) الأدب والجنون ، ص ١٥١ .

(٥) انظر التفسير النفسي للأدب ، ص ٢٣ .

الفائدة ، وبهذا الفرق يكون خيال المبدع تقيض الخيال عند من أصيب بالمرض النفسي ووجهاً من وجوه التفريق بين المرض النفسي والإبداع لا وجهاً من أوجه العلاقة بينهما.

ومسألة مهمة سبق الإشارة إليها في مفهوم المرض النفسي^(١) ولكن الحاجة إلى بسطها ملحة هنا ؛ ذلك أن اتهام الشاعر بالترجسية مرجعه إلى أنه يبدو للناس مفرطاً من حب ذاته شديد الاعتزاز بها ، وقد أظهرت الدواوين الشعرية للشعراء قديماً وحديثاً ذلك الإعجاب الموجه إلى الذات ، فهي سمة بارزة عند الشعراء المرموقين ، يقول المتنبي^(٢):

أجزني إذا أنشِدتَ شعراً فإنما بشعري أتاك المادحون مردداً
ودع كل صوت غير صوتي فإنني أنا الصائح المحكي والآخر الصدى^(٣)

ويظهر في هذين البيتين إعجاب الشاعر بشعره ، ورفع من مستوى إبداعه ، الأمر الذي يجعل كثيراً من المحللين يتهمون الشاعر بالترجسية . ولكن الفنان - وبخاصة الشاعر - ليس نرجسياً بالمعنى المألوف^(٤) ، لأن

(١) انظر ص ١٨ من هذا البحث .

(٢) أحمد بن الحسين بن الحسن الجعفي الكوفي الكندي (٣٠٣ - ٣٥٤هـ) أبو الطيب المتنبي ولد في الكوفة ونشأ بالشام ولازم سيف الدولة الحمداني ثم تركه إلى كافور الإخشيدي بمصر له ديوان شعر مطبوع وله عدة شروح .

(٣) شرح ديوان المتنبي ، عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م ، المجلد الأول ، ج: ٢ ، ص ١٤-١٥ .

(٤) انظر التفسير النفسي للأدب ، ص ٢٨ .

هناك فرقاً بين ما يصنعه الفنان وما يصنعه الحالم باليقظة ؛ فصاحب حلم اليقظة يصنع من نفسه بطلاً وهو بمعزل عن المجتمع^(١) فهو يجعل من خياله وسيلة للحصول على إرضاء نرجسي لشخصه الخاص ، أما الفنان فإنه يقدم عمله للناس وأساس اهتمامه أن يكسب إعجاب المتلقي بما يقدمه من إبداع ، ولذلك فلا بد من فهم الفنان غير منفصل عن متلقيه^(٢) ، والفنان الذي يجد نفسه لا يجد أي تقدير من المتلقي .

وقد يجد القارئ إشكالاً فيما يقرأه في دواوين الشعراء ومنها البيتان اللذان سبق ذكرهما ؛ حيث إن النرجسية تبدو ظاهرة ولكن الإشكال يزول عندما يدرك أن رضى الفنان عن نفسه لا يُستمدُّ من إعجاب خاص بذاته نتيجة حلم يقظة ، بل يُستمدُّ ذلك الإعجاب من بطولة عمله ، ولذلك فإن الفنان يجب أن يتوارى خلف عمله الفني لأنه يريد من المتلقي أن يرى الإبداع لا المبدع ، وهو يدل على إخلاصه العاطفي لعمله الإبداعي^(٣) .

وبذكر تلك الفوارق يتضح عدم التقارب بين المرض النفسي والإبداع فضلاً عن جعل العمل الإبداعي نتيجة له ، فالتباعد بينهما ظاهر بينته الفروق التي دُكرت في السابق وأكّدت عدم وجود صلة تربط الإبداع بالمرض ، إلا أن هذه الفروق لا تنفي إمكانية كون العمل الإبداعي نتيجة معاناة نفسية تصيب المبدع وتؤثر فيه لكونه مرهف الإحساس ، قادراً على وصف أثر هذه المعاناة

(١) انظر السابق ، ص ٢٤ .

(٢) التفسير النفسي للأدب ، ص ٢٤ .

(٣) انظر السابق ، ص ٢٦ .

في نفسه ، لكنها - أعني المعاناة - لا تصل إلى حد المرض أو الاضطراب الذي يشل قدرة الإنسان على التركيز ، أو مقدرته على التفكير .

والمعاناة لها دور بارز في خروج العمل الأدبي ، كما أن لها أثراً كبيراً في تأثير العمل الأدبي على متلقيه ؛ والمقصود بالمعاناة هي ما يصيب الإنسان من مؤثرات خارجية يكون لها أثرٌ سلبيٌّ على نفسه فتورث فيه القلق أو التوتر أو الخوف أو الحب أو الكره أو غير ذلك من الاستجابات النفسية .

ولذلك فإن المتأمل في كتب النقد الأدبي وخاصة نقد الشعر يجد التركيز على عاطفة الشاعر وعلى التجربة الشعورية التي قادت المبدع إلى إبداع القصيدة المؤثرة إذا ظهر فيها التأثير ، وربما يعاب الشعر بسبب ضعف تجربة الشاعر أو ضعف عاطفته إذا لم يخرج العمل الشعري بصورة مؤثرة ، الأمر الذي جعل بعض النقاد يخرج شعر المناسبات من دائرة الشعر الصادق ؛ لأنه لا يعتمد على صدق المشاعر ، بل يكونُ المشاعر لمجاراة شعور الآخرين ، وذلك لا يكشف أغوار القلب الإنساني فلا بد أن تصدر القصائد عن تجارب عاش لها أصحابها وغاصوا في أعماق أنفسهم يتأملون ، ويسجلون المشاعر والحقائق^(١)؛ فتأتي صوراً نفسية عميقة ، وتلك هي المعاناة التي تخرج العمل الإبداعي بصورة مرضية .

وتلك النظرة لم تكن وليدة هذا العصر بل كانت سائدة في العصور الأدبية القديمة إذ نجد فكرة قديمة متأصلة تقول : "إن الحصول على المقدرة لا

(١) النقد الأدبي الحديث ، د. محمد غنيمي هلال ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ،

يكون إلا بالمعاناة^(١)، فهي التي تستثير النفس لبث الإبداع وتحفزها على ذلك، وهي التي توجد الحالة المناسبة التي ينبغي أن يكون عليها المبدع فينفث من صدره ذلك الألم ليخرج الجمال بالعمل الإبداعي، وتأكيداً لهذه النظرة قال الفرزدق^(٢): "أنا أشعرُ الناس عند اليأس، وقد يأتي علي الحين وقلع ضررس أهون من قول بيت شعر"^(٣) فهو يؤكد الحالة النفسية - وهي اليأس هنا - التي تحركه لإخراج الإبداع الذي يجعله أشعر الشعراء كافة، وإذا عدت تلك الحالة التي تحركه فإن الشعر يستعصي عليه ولا يستطيع أن يبدع بيتاً واحداً، وتلك شهادة من مبدع يؤكد فيها أن المعاناة النفسية تؤثر في قول الشعر وبث الإبداع.

والمبدع لا يعيش في كوكب خاص به، ولم يُخلَقْ على حالة خاصة به، بل هو إنسان يعيش في مجتمعه يناله ما ينال أفراد ذلك المجتمع؛ فيتعرض للمشكلات الأسرية والاقتصادية والنفسية وغيرها، وطبعي أن يتأثر بما يمر عليه من منغصات وأزمات، ولكنه أوتي القدرة على الإفصاح والإبانة عن طريق الإبداع، وإلى ذلك أشار أحد علماء النفس^(٤) في حديثه عن سبب الإبداع الفني حيث ذكر أن سببه هو "تقلقل اللاشعور الجمعي في فترات

(١) التفسير النفسي للأدب، ص ٢١.

(٢) همام بن غالب التميمي، شاعر، من أهل البصرة، توفي ١١٠هـ في البصرة، اشتهر بمهاجاته مع جرير والأخطل.

(٣) العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي، شرح وضبط وترتيب أحمد أمين، إبراهيم الإياري عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي، بيروت، ج ٥، ص ٣١٥.

(٤) وهو العالم النفسي المشهور (يونج).

الأزمات الاجتماعية مما يقلل اتزان الحياة النفسية للفنان ويدفعه إلى محاولة الحصول على اتزان جديد^(١) عن طريق الإبداع ، وليس الأمر متوقفاً عند الأزمات الاجتماعية بل إن الأزمات النفسية التي تمر بالأديب تعمل على هز استقراره واتزانه النفسي فيبحث في الإبداع عن اتزان جديد^(٢) .

ولكي تزداد الفكرة جلاءً فإنه من المناسب أن أعرض لمبدع مرت به أزمة أثرت في حياته وكان لها الأثر الفاعل في إبداعه ، فقد كان لهجرة الشاعر نسيب عريضة^(٣) عن وطنه وابتعاده عن مجتمعه الذي ألفه وأحبه تأثيراً كبيراً في حياته ، وجلبت تلك العزلة أزمات كثيرةً عانى منها ، فعبر عن حنينه إلى الوطن منذ أن ترك بلاده شعراً يذوب رقةً وعذوبةً ، والماضي يتصارع في نفسه مع الحاضر دون هوادة والمراد بالماضي هو الوطن الذي عاش فيه والمجتمع الذي ألفه^(٤) ، وبهذا أخرجت الأزمة التي أثرت على ذلك المبدع الإبداع الذي يعجب به المتلقي ولا يملك إلا أن يشارك الشاعر مشاركة وجدانية في هذه المشاعر المؤلمة ، ويتأثر أشد التأثر ؛ لأن الشاعر استطاع بإبداعه أن يصل

(١) الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة ، د . مصطفى سويف ، منشورات جماعة علم النفس التكاملية ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثالثة ، ص ٢٠ .

(٢) انظر دراسات نفسية في التذوق الفني ، د . شاعر عبد الحميد و د . معتز سيد عبد الله و د . جمعة سيد يوسف ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ص ٨٣ .

(٣) هو نسيب بن أسعد عريضة ، شاعر أديب ، من مؤسسي الرابطة القلمية في المهجر ولد في حمص وتعلم بها ، هاجر إلى نيويورك سنة ١٩٠٥ م وأنشأ مجلة الفنون ١٩١٣ م .

(٤) انظر أزمات النفس في الأدب المعاصر ، نوري يوسف سلامة ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٦ م ، ص ١٦٥ .

إلى قلب المتلقي .

ويؤكد الشاعر بسبب هذه الأزمة التي تغلغلت إلى أعماق نفسه أنه عاش حياته مرتين : مرة بوجوده ومرة بوجدانه ، وأنه عاش حياتين متوازيتين^(١) : الحياة التي عاش فيها جسده في الغرب وهي الحياة التي لا طعم فيها ولا راحة فهو بعيد عن وطنه وعن الناس الذين يالفهم ، والحياة التي انطلقت فيها روحه سعيدة إلى وطنه الذي تربى في ربوعه وعرف فيه طعم السعادة وكل شيء يمر عليه من سمات الطبيعة في الغرب يذكره بوطنه المحبوب بل يجعله يعيش في أجوائه ، ويستنشق عليل هوائه ، ولذلك أصبح «نسيب» حائراً يلح بالأسئلة التي لم يعرف لها جواباً هل هو في بلده أم هو في ذلك المهجر الكئيب؟! :

أحاضر أنت أم باد؟ أمهتجرٌ في الغرب أم هائم في بيد قحطان؟
أكلما هبت الأرياح خافقة تجر في ذيلها أنفاس ريجان؟
حسبتها سمات الشيخ فانطلقت من أسرها زفرات العاجز الواني
من أنت؟ ما أنت؟ قد وزعت روحك في عهدين من شاسع ماض ومن دان^(٢)

وفي هذا التوزيع للذات والانقسام للنفس وهذه البعثرة للخاطر في أرجاء الزمان ومطارح المكان كانت محنة الشاعر وأزمته^(٣) ، وكانت باعثاً على

(١) انظر السابق ، ص ١٦٦ .

(٢) الأرواح الخائفة ، ديوان شعر ، نسيب عريضة ، تقديم حبيب إبراهيم كاتبه ، مطبعة جريدة الأخلاق ، نيويورك ، ١٩٤٦ ، ص ٢٤٥ .

(٣) أزمت النفس في الأدب المعاصر ، ص ١٧٦ .

إخراج ذلك الإبداع المؤثر الذي يؤكد أن للمعاناة أثرها البارز في تشكيل العمل الإبداعي وخروجه بالصورة التي تنال إعجاب المتلقي. وبذلك يتضح أن المبدع ليس مريضاً نفسياً ، وأنه متبصر مدرك لما يمر به، وإن كانت تعترضه بعض المشكلات الاجتماعية أو الاقتصادية أو النفسية شأنه بذلك شأن أي فرد من أفراد المجتمع لكنه أوتي القدرة على الإفصاح عنها بالإبداع بينما لم يؤتها غيره من الأفراد العاديين فأخرج ما في نفسه ونفت ما بفؤاده من هذه الآلام .

ويناسب في هذا المقام الإشارة إلى الدراسة التي أجريت على شعر إبراهيم ناجي^(١)، وانتهت إلى أن النفس التي تبدع الجمال لا بد أن تكون في غاية الصحة و السواء ، ثم أكدت على أن الشاعر بشر يعتوره ما يعتور أي إنسان من العلل التي تصيب نفسه كما تصيب جسده^(٢)، وأكدت على أن خوف الشاعر من بيئة داخلية كانت أم خارجية هو حجر الزاوية في قلق لديه بدا بسيطاً ، ثم تضخم فكاد يفضي إلى اكتتابه ، وهنا تصبح شاعريته قناعاً لذاته ، أو تفریغاً لباطنه ، وآلية دفاعية تحصنه ضد اكتتابه فتسقطه شعراً قبل أن يسقط هو ضحيته^(٣) .

(١) إبراهيم ناجي بن أحمد ناجي بن إبراهيم القصبجي (١٣١٦ - ١٣٧٢هـ) ولد وتوفي بالقاهرة ، طبيب وشاعر له ديوان شعر مجموع .

(٢) انظر سيكولوجية الشعر العصاب والصحة النفسية ، د . محمد طه عصر ، عالم الكتب ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م ، ص ١٩٢ .

(٣) السابق ، ص ١٩٢ - ١٩٣ .

وبذكر الفروق التي تفصل بين الفن والمرض النفسي وذكر الدراسة التي أجريت على إبراهيم ناجي وهو من الشعراء الذين اتضح الألم في شعرهم تبين عدم إمكانية ارتباط المرض النفسي بالإبداع الأدبي الذي روجه كثير من المحللين النفسيين ، وجعلوا بعض الإصابات التي أصيب بها بعض المبدعين دليلاً ومستنداً لهم في تأكيد ذلك الادعاء ، وقد أكدت بحوث الإبداع المنشورة عالمياً حتى سنة ١٩٦٨م وقد بلغت ستة وأربعين ومائة وألف بحث العلاقة العكسية بين المرض النفسي والإبداع بذكر النتائج التي توصلت إليها هذه البحوث ومن تلك النتائج أن علاقة التفكير الإبداعي بالمرض العقلي علاقة عكسية^(١)، كما تبين أن نسبة عالية من أولئك المبدعين الذين أصيبوا بالمرض النفسي قد جاءوا من أسر اتصفت حياتهم بالاضطراب ، مما يؤكد أثر العامل الوراثي في تلك الإصابات ومن أمثلة ذلك^(٢) بيتهوفن^(٣) فقد كان أبوه مدمناً على تعاطي الخمر ، وحاول ابن أخيه الانتحار ، وأما إدلر^(٤) الذي أصيب بمرض عقلي فقد تبين أن أبويه كانا مصابين بالذهان .

وبالنظر إلى أسباب هذه الظاهرة - أعني المرض النفسي - فإنها نتيجة

(١) انظر دراسات نفسية في الإبداع والتلقي ، د. مصطفى سويف ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، رمضان ، ١٤٢٠هـ ، يناير ٢٠٠٠م ، ص ٩٠ .

(٢) انظر الحكمة الضائعة الإبداع والاضطراب النفسي والمجتمع ص ١٨٩ .

(٣) بيتهوفن Ludwig von Beethoven هو لودويج فان بيتهوفن موسيقي ألماني ولد في مدينة بون سنة ١٧٧٠م وتوفي سنة ١٨٢٧م . Larousse, P 1289 .

(٤) أدلر Alfred Adler عالم نفس وطبيب نمساوي ولد بفينا سنة ١٨٧٠م وتوفي سنة ١٩٣٧م وهو صاحب نظرية في علم النفس أساسها الإحساس بالنقص . Larousse, P 997 .

لأحد سببين: إما الاستعداد الوراثي أو المناخ الأسري؛ وذلك بأن يكون متسماً بالتوتر والضغط الشديدة التي من شأنها أن تزيد من الاضطراب والتوتر^(١)، وكلا السببين يؤكدان عدم وجود علاقة بين الإبداع والمريض النفسي، بل هي عوامل يمكن أن تدخل حياة الإنسان سواء كان مبدعاً أم غير ذلك.

* * *

(١) انظر الحكمة الضائعة الإبداع والاضطراب النفسي والمجتمع، ص ١٨٩.

الفصل الأول

العوامل المؤثرة في شعر الحبيبي

المبحث الأول: طفولته

المبحث الثاني: تعليمه وثقافته

المبحث الثالث: علاقته بالمجتمع

المبحث الرابع: مرضه

المبحث الخامس: رحلاته

المبحث السادس: صفاته

طفولته

يمرُّ الإنسان - أيُّ إنسان - بمراحل في حياته ، وتشكل تلك المراحل المتراكمة - بما يمرُّ بها من أحداث - نفسيته ، كما أن هذه الأحداث تؤثر سلباً أو إيجاباً على المسيرة التي يقطعها الإنسان في حياته .

وأول فترة ينطلق منها هي فترة الطفولة ، ويكون لهذه المرحلة الأثر الفاعل في حياة الفرد ؛ هذه الفترة شديدة الحساسية فهي تحتاج إلى جهد عظيم من والدي الطفل لاحتوائه وعدم إيصال المنغصات إليه ، تلك التي لا يتقبلها القلب البريء ، وينوء بحملها ، ولذلك فهو - أعني الطفل - بحاجة إلى القلب الحاني الذي يمن إليه ، ويعطف عليه .

ولا يمكن أن يجرد الإنسان من تأثير أي مرحلة من المراحل التي يمر عليها في حياته ، إذ إنها تكسبه خبرات تؤثر في نفسه ، ومن أهم المراحل التي يمر بها هي مرحلة الطفولة إذ يؤكد الكثيرون بأنها " تبرز نواتج هذه الخبرات في إبداعات الفنانين والأدباء ، ويكون اكتشاف صور هذه الخبرات التي تظهر رموزها في العمل الإبداعي واسطة لتحليل العمل وفهمه"^(١)

(١) التجربة الإبداعية : دراسة في سيكولوجية الاتصال والإبداع ، إسماعيل الملحم ، اتحاد الكتاب العرب .

والأديب فرد في منظومة المجتمع ، يتأثر بالمواقف التي تمر عليه ، ويشعر بالمنغصات التي تكدر صفو الحياة ، والجو الذي يعيش فيه الأديب سيؤثر - بلا شك - في نفسيته ، وسيظهر هذا الأثر فيما يقدمه من عمل إبداعي . ومن الطبيعي أن الشاعر حمد الحجي مرّ بتلك المرحلة ، وكان له مواقف ظهر أثرها بارزا في شعره كما ظهر تأثيرها في حياته ، وقبل تناول هذه المواقف يحسن التعريف بالشاعر ليكون مدخلا مناسباً لمعرفة حياة الطفولة التي عاشها الشاعر .

هو " حمد بن سعد بن محمد الحجي"^(١) ، ولد في بلدة (مرات) من إقليم الوشم عام ١٣٥٨هـ^(٢)، وينتمي الشاعر إلى أسرة الحجي وهي من حاضرة هذيل^(٣) ، "وقد كانت محط أنظار طلاب اللغة ومن أشهر من أخذ عنهم الإمام الشافعي - رحمه الله -"^(٤) .

ولد الشاعر في هذا البلد الصغير لأب كان يجيد كتابة الشعر العامي ، بل

دمشق ، د.ط ، ٢٠٠٣م ، ص ١٠٤ .

(١) من مقابلة أجريت مع الشاعر في جريدة اليوم ، العدد (٥٢٠١) ، بتاريخ ١٨ / ١ / ١٤٠٨هـ .

(٢) انظر عذاب السنين ، حمد الحجي ، جمع وتقديم محمد بن أحمد الشدي ، دار الوطن للنشر بالرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ ، صفحة الغلاف .

(٣) انظر كنز الأنساب وجمع الآداب ، حمد بن إبراهيم الحقييل ، مطابع الفرزدق التجارية ، ط : ١١ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، ص ١٩٧ .

(٤) السابق ، ص ١٩٥ .

يعدده سكان مرات أبرز شعرائها^(٥)؛ ومنه يفهم سبب الموهبة الشعرية التي تميز بها حمد الحجي ، وقد عاش في هذا البلد طفولته ، وقد ظهرت عليه بوادر النبوغ وعلامات الذكاء منذ أن كان يدرس في الكتاتيب على يد الشيخ ناصر بن دايل والشيخ عبد الله بن مشرف ، كما ظهرت علامات النبوغ جلية - أيضاً - في المدرسة الابتدائية التي بدأ فيها تعليمه النظامي ، حيث كان يحقق الدرجات الكبرى في مواد الدراسة ، بل إنه حصل على المركز التاسع في ترتيب الطلاب الناجحين في امتحان الشهادة الابتدائية في المملكة العربية السعودية عام ١٣٧٣هـ^(٦).

وقد مرت به ظروف عصيبة في تلك المرحلة المهمة من حياته؛ فأثرت على حياته وكشفت جانبا مهما من نفسيته ومن أهم الأحداث التي تعرض لها الشاعر في هذا السن وفاة أمه.

وليس من شيء أشد على الطفل من أن يفقد والدته التي يحس معها بالدفء والحنان ، ذلك الحرمان جعل الشاعر ينشأ في ظروف قاسية شكلت لديه نفسية حزينة ، وألبسته لباس الألم والضيق.

وتؤكد عدة من الدراسات الأثر السلبي الذي يتركه الحرمان من الأم

(٥) من مقابلة أجريتها مع أخت الشاعر هيلة بنت سعد الحجي في منزل ابنها دعيح بن محمد الدعيح يوم الاثنين ١٣/٨/١٤٢٥هـ.

(٦) من سجل عام الناجحين في امتحان الشهادة الابتدائية لعام ١٣٧٢ - ١٣٧٣هـ مدرسة مرات.

فيشمل كافة جوانب شخصية الطفل ، ويصل إلى درجة عالية من الاضطراب الانفعالي ؛ فيصاب بالاكتئاب ، ومن تلك الدراسات الدراسة التي أجراها (شبيتز) و (وولف) عن الاكتئاب الكفلي لدى الأطفال ؛ وقد وصلت هذه الدراسة إلى عدد من النتائج التي أظهرها سلوك عينة الدراسة من الأطفال البعيدين عن أمهاتهم فقد " ظهر عليهم سلوك البكاء ، ثم الانسحاب من المواقف ورفض المحيطين بهم ، كما أن البعض منهم قد فقد الكثير من الوزن خلال فترة الانفصال وأصبحوا يعانون من الأرق ... ثم أصبحت عيونهم غير معبرة ووجوههم ثابتة خالية من الانفعالات وكان الأطفال الذكور أكثر اكتئاباً من الإناث"^(١) .

وأما الأطفال الأذكىء فإن ذكاءهم " غالباً ما يكون مصدراً لحساسية مرهفة تدفعهم إلى مواجهة مشكلات لا يواجهها عادة الأطفال العاديون"^(٢) ؛ ولهذا فإن تأثير فقدان الأم على الطفل الذكي سيكون أوضح ، وعظم الفجوة تكون عليه أظهر ؛ لأنه يتمتع بذهن ذكي يقذف المصيبة إلى نفسه ، ثم إن نفسه لا تحتمل هذه الفاجعة ؛ لأن جسمه لم يتحمل بعد مثل هذه المصائب ، وحمد الحجي " لم يكن

(١) أطفال بلا أسر، د. أنسي محمد أحمد قاسم، مركز الإسكندرية للكتاب، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م ص ١٢٥ .

(٢) الطفل الموهوب في المدرسة العادية ، مريان شيفيل ، ترجمة عزيز حنا وعهاد الدين سلطان ، مكتبة النهضة المصرية ، د.ت ، ص ٥٦ .

ككل الأطفال بل كان نبته خاصة تجمع بين الذكاء وموهبة الشعر واللتين في كثير من الأحيان تزيدان رهافة الحس^(١) .

ويؤكد حمد الحجبي نفسه عظمَ الفاجعة التي حلت به بعد أن فقد الأم الحانية التي تعطف عليه ويحس معها بالأمان ، فكان هذا الفقد بمثابة فقدان السعادة التي لم يعد لها وجود بعد ذلك في نفسه ، بل خيم عليه الحزن ، فصار نبرة معروفة في شعره ، فهو يقول في لقاء أجري معه عندما سئل عن طفولته :
" توفيت والدتي وأنا صغير السن ولم أكن أتجاوز العاشرة من عمري وبفقدتها - رحمها الله - فقدت حياة الهناء والسرور^(٢) " .

وقد أكدت هيلة الحجبي^(٣) أخت الشاعر مدى الحزن الشديد الذي تركه فقدان الطفل حمد الحجبي لوالدته بعد أن دهمه خبر وفاتها - رحمها الله - حيث ذكرت قصة الشاعر عندما استقبل هذا الخبر المفجع إذ إنه لم يجد أجدى من البكاء

(١) حمد الحجبي الرحيل ومأزق الانتكاس ، خالد البيان ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٩٠١ ، وتاريخ ١٥ / ٤ / ١٤٠٩ هـ .

(٢) من مقابلة أجريت مع الشاعر في جريدة اليوم ، أجرى المقابلة عبد الله الحسين ، العدد ٥٢٠١ ، التاريخ ١٥ / ٤ / ١٤٠٩ هـ .

(٣) هي هيلة بنت سعد الحجبي ، أخت الشاعر حمد الحجبي ، زوجة الشيخ محمد بن علي الدعيج ، وهي التي كفلت الشاعر بعد وفاة والدته في منزل زوجها حتى تخرج من المرحلة الابتدائية وتسكن الآن في مرآت .

الشديد^(٤) كي ينفث عن نفسه ، ويخرج ما امتلأ به قلبه من ألم الفراق الذي لا عودة بعده إلى الاجتماع في هذه الحياة ، وطبيعي هذا التعبير ولكنه يؤكد حقيقة مهمة وهي نكد الشاعر بعد فراق أمه .

إن وفاة والدة الشاعر في هذه الفترة الحساسة يعد مفصلاً مهماً في حياة الشاعر ، ونقله نوعية في تشكيل نفسية خاصة ، وتغير طبعي في تصرفات الطفل المفجوع ، فحدث كهذا الحدث يمكن أن يقلب كيان الطفل رأساً على عقب ويصيبه بالاكتئاب ؛ يؤكد ذلك بحث أجراه بعض الباحثين قارنوا فيه بين مجموعة من المرضى النفسيين الذين مروا في خبرة وفاة أحد الوالدين في الطفولة بمجموعة أكبر من المرضى النفسيين الذين لم يمروا بتلك الخبرة ، وكانت النتيجة أن الذي فقد أحد والديه في وقت مبكر كانت فجيعة مؤثرة في شدة المرض العقلي بعد فترة من العمر ، وكانوا يشكون من مشاعر مزمنة بالفراغ العقلي والضعف^(٥) .

وبهذا يتضح أن فقدان أمه له أكبر الأثر في حياته فقد ظل يتذكر هذا الموقف طيلة حياته ، ولم يتوقف حزن الشاعر عند هذا الحد ؛ بل ظلت أسباب الحزن

(٤) من المقابلة التي أجريتها مع أخت الشاعر .

(١) انظر الاعتكاف عودة إلى الذات ، أنطوني ستور ، ترجمة : يوسف ميخائيل أسعد ، نهضة مصر للطباعة

والنشر والتوزيع ، ص ١٣٣ .

تطارده ، ودواعي الألم تلاحقه ؛ ففي السنة التي توفيت فيها أمه فقد الشاعر أخاه إبراهيم ، وقد كان عمره عند وفاة أمه سنة واحدة ، وتبعه أخوه عبد العزيز ، وذلك بعد وفاة والدته بحوالي سنتين ، وكان عمره تسع سنين، وقد لحظت أخته أنه حزن لوفاة أخيه إبراهيم حزناً شديداً^(١)، والملاحظ توالي هذه الفجائع خلال فترة يسيرة من طفولة حمد الحجبي مما يدل على عظم تأثيرها .

وطبيعي أن تؤثر تلك الأحداث الحزينة المتوالية في نفس الشاعر ، وهو الأمر الذي جعل هذه الذكرى معه حتى أثناء مرضه ، عندما كان لا يعترف بشعره ويرفض كل شيء يُقرَأُ عليه منه^(٢)، فقد كتب في هذه الفترة - أعني فترة مرضه - أبياتاً منها رثاءً والديه فأخويه ، ونصَّ على مناسبة هذه الأبيات التي كتبها بعد أن فقد والديه وأخويه بفترة طويلة ؛ مما يدل على أن هذه الذكرى الحزينة ظلت عالقة في ذهنه .

والذي يدل على أن الشاعر قال هذه الأبيات بعد وفاة والديه وأخويه بفترة

(١) من المقابلة التي أجريتها مع أخت الشاعر .

(٢) انظر المقابلة التي أجريت مع الشاعر في جريدة اليوم ، أجرى المقابلة : عبد الله الحسين ، العدد ٥٢٠١ ، التاريخ ١٥ / ٤ / ١٤٠٩ هـ .

وانظر مقال الشاعر حمد الحجبي نجم النادي الأدبي قبل ثلاثين عاماً، د. محمد بن سعد بن حسين ، مجلة الحرس الوطني ، ربيع الأول، ١٤٠٦ هـ، ص ٦٦ .

طويلة هو التباعد الزمني بين وفاة والدته وأخويه ، ووفاة والده ، وعلى الرغم من هذا البعد الزمني إلا أن الذكرى استمرت مع الشاعر حتى أثناء مرضه ، وانشغاله عن شعره ، يقول " ومما قلته عندما توفي والدي ووالدتي وأخوتي :

وَأَنَا الَّذِي أَخَذَ الزَّمَانَ حَبَائِبِي وَبَقِيْتُ فِي الدُّنْيَا بِغَيْرِ حَبِيبِ
أَحْيَا مَعَ الْأَيَّامِ صَبَابًا هَائِلًا الشَّوْكَ وَالْأَحْجَارُ مِلءُ دُرُوبِي
يَا لَيْتَنِي أَلْقَى كَرِيمًا مُخْلِصًا إِنَّ الْكَرِيمَ أَخٌ لِكُلِّ غَرِيبٍ^(١)

وطبعي أن تؤثر هذه الأحداث في شعره بعد أن بان تأثيرها المباشر في نفسه ، فلم تكن أحداثا سهلة تمر على الشاعر كغيرها من أحداث هذه الحياة ، ولم يكن الشاعر طفلا عاديا يمكن أن تنسيه الأيام فقد والدته ؛ فظل الحزن صديقا للشاعر في حياته ، وظل الشاعر يتذكر هذا الموقف المحزن الذي فارقه فيه الفرح والسرور .

ومن المؤثرات التي أثرت في نفسية الشاعر في زمن الطفولة هو عامل الفقر ، فقد تفتحت عينا الشاعر على حياة الكفاف ، فكان الفقر ندياً لوالده ؛ ولذلك لم يتزوج ثانية بعد وفاة والده الشاعر إلا بعد زمن طويل ، الأمر الذي دفع أبناءه ومنهم حمد إلى النفار من البيت^(٢) ، وإن كان لوالده متجراً صغيراً يبيع فيه البن

(١) مقال هل من أمل في شفاء هذا الشاعر ، د. محمد بن سعد بن حسين ، مجلة الحرس الوطني ، جمادى

الأولى ، ١٤٠٨ هـ ، ص ٩٤ .

(٢) انظر الشاعر حمد الحجي ، أ . د . محمد بن سعد بن حسين ، مطابع الفرزدق التجارية ، الطبعة الأولى ،

والهيل فإن ذلك لم يكن كافياً ليكون ثرياً^(١) خاصة إذا عُرِفَ أن والده لم يورث شيئاً بعد وفاته - رحمه الله -^(٢) فاتجه إلى بيت محمد الدعيح زوج أخته ، بعد أن رفض والده ذلك في البداية إلا إنه وتحت إصرار أخته ، ورغبة حمد لشعوره بالوحدة وافق على ذلك^(٣).

إن المركز المالي للأسرة من أهم المستلزمات الضرورية التي تحقق للطفل التكيف الاجتماعي ومن ثم الاستقرار النفسي ، فبدونه لا تستطيع الأسرة مواجهة الحد الأدنى من حاجاتها ؛ لإعداد الطفل وإشباع مواهبه ، ومنه إذا أخفق الطفل في تحقيق أمنية يسعى إليها فإن ذكرى الإخفاق تظل ملازمة له مهما بلغ من استقرار بعد ذلك^(٤).

ويرى بعض الباحثين أن عامل الفقر والبؤس والحرمان الذي عاشه الشاعر هو الذي فجر فيه النبوغ الشعري^(٥)، كما أنه من الأسباب التي صبغت شعره بنبرة

١٤٠٧هـ ، ص ٩ .

(١) انظر من شعراء البؤس ، أ.د. محمد بن سعد بن حسين ، دار عبد العزيز آل حسين للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ ، ص ٦١ .

(٢) من المقابلة التي أجريتها مع أخت الشاعر .

(٣) السابق .

(٤) انظر التكيف الاجتماعي للأطفال ، بول هـ . لانديس و جون هاير ، ترجمة السيد محمد عثمان ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٢ م .

(٥) انظر مقالة حمد الحججي الشاعر البائس ، عبد الله إدريس ، جريدة الرياض ، العدد ٧٤٥٠ ، بتاريخ

تشاؤمية قائمة ، وجللت قصائده بالآلام والأحزان ، وألبسته لباس الضيق والبرم .
 إن تلك العوامل أفقدت الطفل حمد الحجبي الاستقرار الاجتماعي بما
 يتضمنه من استقرار نفسي ؛ فبعد أن كان يعيش في كنف والديه فترة الطفولة
 الأولى إذا بالأمور تتغير ، والمصائب تتوالى بعد سن العاشرة بداية بفقدان الأم
 الحنون ثم انتقاله إلى بيت جديد لم يعتد عليه .

وعند التأمل في حياة الطفل حمد الحجبي يمكن القول بأنه عاش
 مرحلتين في طفولته :

الأولى : كانت في كنف والديه ، وبوجود أخوته في بيت واحد واستقرار
 اجتماعي ويمكن أن تكون هذه المرحلة هي مقصد الشاعر بقوله : " وقد عشت
 طفولتي في بلدتي (مرات) ولن أنسى تلك الفترة التي عشت فيها أحلى وأجمل
 مراحل حياتي " ، وربما كانت الذكرى السعيدة التي كلما مرت في خياله أو تذكر
 ما فيها من سعادة أحس أنه يتذكر النعيم الذي لا يزول كما يقول :

ذُكِرَى الطُّفُولَةَ مَا تَمَّرُ بِخَاطِرِي إِلا ذَكَرْتُ بِهَذَا نَعِيمَ الْجَنَّةِ (١)

الثانية : كانت في منزل الشيخ محمد بن علي الدعيج وبرعاية أخته هيلة

١٤٠٩/٤/٦ هـ .

(١) من مقابلة أجريت مع الشاعر في جريدة اليوم ، أجرى المقابلة عبد الله الحسين ، العدد ٥٢٠١ ، التاريخ

١٤٠٩ / ٤ / ١٥ هـ .

(٢) عذاب السنين ، ص ٣٠ .

بعد وفاة والدته وتلك المرحلة بداية أحزان الشاعر وفقدان الاستقرار النفسي بعد أن تغيرت عليه حياته الأولى ، وقد قال الشاعر عن هذه المرحلة : " فقد توفيت والدتي وأنا صغير السن ، ولم أكن أتجاوز العاشرة من عمري ، بفقدائها - رحمها الله - فقدت حياة الهناء والسرور^(١)".

وهكذا يتضح أن عوامل اليتيم والفقر ووفاة الإخوة وعدم الاستقرار الاجتماعي والشعور بالوحدة بعد وفاة والدته ثم أخويه قد تعاونت على الطفل حمد الحججي ، فسلبته السعادة وكانت مؤثرة أشد التأثير في نفسه ، وقد استمر تأثيرها حتى بعد أن أصبح شاباً مثقفاً .

(١) من مقابلة أجريت مع الشاعر في جريدة اليوم ، أجرى المقابلة عبد الله الحسين ، العدد ٥٢٠١ ، التاريخ

تعليمه وثقافته

يعد تعليم الأديب وكذا ثقافته من أهم العوامل المؤثرة في أدبه ، بل هو المحرك الرئيس لإبداعه ؛ لأن الشاعر يحتاج لصقل موهبته إلى الاطلاع والمعرفة ليتكوّن من خلالها نهجُه وأسلوبُه الذي يتلاءم وطبيعته ، ومن هنا فلا بد من دراسة تعليم حمد الحجي وثقافته بصفتها رافدين مهمين في صقل شاعريته ، وتهذيب شعره .

وقبل الخوض في دراسة رحلة حمد الحجي العلمية ، ومكونات ثقافته تجدر الإشارة إلى أن التركيز فيها سيكون على الحقبة التي سبقت إصابته بالمرض النفسي ؛ لأنه بعد إصابته بهذا المرض قد توقف عن كثير من نشاطاته الثقافية بعامة والإبداعية بخاصة إلا على نطاق ضيق .

وأول ما يطالع المتأمل في نشأة حمد الحجي يلحظ تلك النهضة التعليمية والثقافية التي اتسعت شيئاً فشيئاً حتى عمت مناطق المملكة العربية السعودية ؛ حيث بدأت في الحجاز ثم إلى مدن نجد وقراها .

ويرى بعض الباحثين أن بداية النهضة العامة في نجد كانت عام

١٣٤٦هـ، ويؤرخ لبداية نهضة الأدب فيها عام ١٣٥٥هـ^(١)، أي قبل ولادة الشاعر حمد الحجري بستين تقريباً؛ وهو يعطي مؤشراً لمواكبة حمد الحجري لركب الثقافة في المملكة العربية السعودية، وتحقيق الفائدة منها.

وكان التعليم من أهم مظاهر النهضة؛ حيث أنشئت المدارس والمعاهد والجامعات، والتحق الطلاب فيها بجميع التخصصات، واستمر التعليم في التطور حتى بلغ القمة في الكم والكيف^(٢)، وخرَّج أجيالاً من المثقفين والأدباء. وأما حركة الطباعة فقد بدأت أولاً في الحجاز، ثم دعا الشيخ حمد الجاسر - رحمه الله - إلى إنشائها في نجد، فأنشئت "شركة الطباعة والنشر الوطنية" في الرياض عام ١٣٧٤هـ^(٣).

وكان للطباعة إسهامٌ مباشرٌ في التثقيف، عن طريق طباعة الصحف والمجلات بدايةً بالصحافة الفردية في الحجاز التي قدمت صحيفة أم القرى،

(١) انظر الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية خلال نصف قرن (١٣٤٥ - ١٣٩٥هـ)، د. عبد الله

الحامد، دار الكتاب السعودي، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ، ص ٢٨.

(٢) انظر الأدب الحديث تاريخ ودراسات، أ.د. محمد بن سعد بن حسين، مطابع الفرزدق التجارية، الطبعة الخامسة، ١٤١١هـ، ص ٢٣.

(٣) انظر الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية، د. بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٦م، ص ١٦٥.

ومجلة الإصلاح ، وصوت الحجاز التي تحولت إلى البلاد فيما بعد^(١)، وفي نجد التي بدأت بمجلة اليمامة وقد أصدرها الشيخ حمد الجاسر عام ١٣٧٣ هـ، وفي طياتها عناية خاصة بأمور الأدب، وصدرت بعدها مجلة الرياض الشهرية^(٢)، ثم استمر تدفق الصحف والمجلات التي تعنى بالأدب والأدباء .

وطبعي أن يتأثر حمد الحجي بتلك النهضة التعليمية الشاملة، فقد تبين في المبحث السابق أنه درس المرحلة الابتدائية في مدرسة (مرات) بعد اجتيازه بنجاح اختبارا أجري لمعرفة مستواه بعد الكتابيب، فألحق بالصف الثالث الابتدائي مباشرة^(٣).

وكان حمد الحجي من الطلاب النابهين في المرحلة الابتدائية ؛ فقد حقق الدرجات الكبرى في امتحان الشهادة الابتدائية ، خولته لأن يحقق المركز الثاني على طلاب مدرسته ، والمركز التاسع على طلاب المملكة العربية السعودية، وتلك النتيجة لها مدلولها الواضح ؛ فعلى الرغم مما عاناه في طفولته من انتكاسات، فإنه يبقى صامدا تجاهها ، ويبدل جهدا شاقا من أجل تجاوزها ، ليؤكد

(١) انظر السابق، ص ١١١ - ١١٦ .

(٢) انظر السابق، ص ١١٧ .

(٣) من مقابلة أجريتها مع دعيج بن محمد الدعيج ابن أخت الشاعر في منزله بمرات يوم الاثنين

١٤٢٥/٨/١٣ هـ .

استعداده الفطري لتقبل العلم ، ورغبته الجارحة في اكتساب المعرفة .
وبعد أن تكوّن للشاعر رصيد علمي جيد من الدراسة النظامية في المدرسة
الابتدائية في مرات ، وتخرج فيها سنة (١٣٧١هـ) ، التحق بالمعهد العلمي في
الرياض سنة (١٣٧٢هـ)^(١) ودرس فيه مرحلتي المتوسطة والثانوية ، وقد أشرف
على تدريسه عدد من الأساتذة الكرام^(٢) .

ويصف الشاعر هذه المرحلة بأنها مرحلة النبوغ الشعري ، وبروز الموهبة
الأدبية ، فقد كتب في هذه المرحلة عددا من قصائده^(٣) ، ومن تلك القصائد قصيدة
(تحية الطباعة) التي أقيمت في حفل افتتاح المطبعة التي أنشئت في الرياض عام
(١٣٧٤هـ)^(٤) ، وكذلك قصيدة (الحسن في الطائف) التي أبدعها سنة
(١٣٧٦هـ)^(٥) .

وعند التأمل في هذه المرحلة المهمة من حياة الشاعر يُلمحُ السبب في بروز
موهبة الشاعر وهو اجتماع تلك الموهبة الفطرية التي جبل عليها وأذكتها الظروف
النفسية العصبية التي توالى عليه في حياته مع المهارة الفنية والأدبية المكتسبة من

(١) انظر الشاعر حمد الحجي ، ص ٩ .

(٢) من المقابلة التي أجريت مع الشاعر في جريدة اليوم .

(٣) من المقابلة التي أجريت مع الشاعر في جريدة اليوم .

(٤) انظر الأدب الحديث تاريخ ودراسات ، ص ٢٣ .

(٥) انظر الشاعر حمد الحجي حاشية ، ص ٧١ .

الدراسة والتعلم ؛ مما يجعله ملماً بتفاصيل دقيقة في فن كتابة الشعر^(١)، فكان اجتماع هاتين من الأمور التي أكسبت شعره تأثيراً ورواجاً في أوساط الناس .
 وواصل الشاعر طلب العلم ، والاستزادة منه في مظلانه بعد أن نال شهادة المعهد العلمي في الرياض ، فقد التحق بكلية الشريعة في الرياض أيضاً سنة (١٣٧٧هـ) ، ودرس فيها سنتين ، وعرف عنه كثرة قراءته لكتب الأدب ، وحفظه لكثير من القصائد ؛ مما يدل على شغف بهذا التخصص ، فأثر حبّه للغة العربية ، وعشقه لعلومها على عدم إتمام مسيرته في كلية الشريعة ، فطلب التحويل إلى كلية اللغة العربية فالتحق بها^(٢).

ولم يكن التحاقه بكلية اللغة العربية إجراءً اعتيادياً ، بل حسبته له الستتان اللتان درَسَهُمَا بكلية الشريعة ، فبدأ دراسته من السنة الثالثة ، وذلك تقديراً لموهبته الشعرية ، ورغبته الشديدة في دراسة علوم اللغة^(٣).

بينما يذكر الأستاذ محمد بن أحمد الشدي جامع ديوانه أنه التحق بكلية اللغة العربية دون أن يترك الدراسة في كلية الشريعة ؛ ولهذا فقد كان يؤدي الامتحان في

(١) انظر دراسات في علم النفس الأدبي ، حامد عبد القادر ، المطبعة النموذجية ، د.ت ، د.ط ، ص ١٢٩ .

(٢) انظر الشاعر حمد الحجي ، ص ١٠ .

(٣) انظر السابق ، ص ١٠ .

الكليتين معا؛ وهو الأمر الذي يدل على ذكائه المتوقد، وجدته في طلب العلم^(١). ولكن الشاعر لم يكمل دراسته الجامعية، فقبيل "تخرجه وبالتحديد في العام الجامعي ١٣٨١/٨٠ هـ أصيب في قواه العقلية، وأفاد الكثير من الأطباء بأن لديه انفصاما حادا في الشخصية"^(٢) منعه من إكمال دراسته، كما منعه من الشدو بالشعر، ليكون هذا المرض العقلي مؤذنا بتوقف إبداع الشاعر، وحوائله دون تقديم نتاجاته للمتلقين.

وقد تبين مما سبق عرضه أن الشاعر قبل إصابته بالمرض النفسي كان متصلا بدراسته دون انقطاع، بل كان جادا في طلب العلم، ومتميزا في تحصيله، ولا شك أن ذلك مما يثري شاعريته، ويسبغ عليها قوة التأثير؛ لأنه من خلال تعليمه يطلع على أعمال من سبقوه في إبداع الشعر عن طريق الدراسة والتلقي من الأساتذة، ويستفيد من إبداعهم بما لا يلغي شخصيته، وذلك شرط مهم للإبداع^(٣).

ولم يكن التعليمُ المكونَ الوحيدَ لثقافة حمد الحججي، بل تعددت مكونات

(١) انظر عذاب السنين، صفحة الغلاف، بالإضافة إلى المقابلة الذي أجريتها مع الأستاذ محمد الشدي بجمعية الثقافة والفنون بتاريخ ٢٦/٣/١٤٢٥ هـ.

(٢) عذاب السنين، صفحة الغلاف.

(٣) انظر الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة، د. مصطفى سويف، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة، ١٩٦٩م، ص ١٧٢.

ثقافته ، وأسهمت إسهاما مباشرا في تنميتها ، وهي التي صقلت شاعريته ، وأثرت لغته ؛ ومن أهم تلك المكونات الاطلاع والقراءة ، فقد عرف الشاعر بحبه الشديد للقراءة والاطلاع الذاتي ، هذا بالإضافة إلى اطلاعه على الكتب التعليمية^(١).

وكان الشاعر معروفا بكثرة اطلاعه على أعمال من سبقوه منذ أن تخرج في المرحلة الابتدائية وانتقل إلى الرياض ؛ حيث الثورة الثقافية والتعليمية والأدبية ، وكان يسكن مع بعض زملائه ثم لا يلبث إلا أن يصعد إلى سطح السكن وينهمك - وحيدا - في القراءة لمدة طويلة^(٢).

ومما يدخل في هذا الجانب متابعته للصحف والمجلات ، والإفادة مما تحويه من إبداعات ومقالات نقدية تثري ثقافته ، ويدل على تلك المتابعة نشر قصائده في بعضها ، وتلك " إحدى منابع ثقافة الشاعر ، وإثراء محصوله اللغوي من خلال اتصاله بالدوريات السعودية والعربية"^(٣).

(١) انظر من شعراء البؤس ، أ.د. محمد بن سعد بن حسين ، دار عبد العزيز آل حسين للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ ، ص ٦٥ .

(٢) من المقابلة التي أجريتها مع الشيخ إبراهيم الناصر في منزله بالرياض يوم الجمعة ٢٤ / ١٢ / ١٤٢٥ هـ ، وهو زميل الشاعر في جميع مراحل تعليمه .

(٣) من شعراء البؤس ، ص ٦٥ .

وقد أثرت قراءة الصحف والمجلات العربية على ثقافة الشاعر ، ذلك لأن الفترة التي وصلت فيها الصحف العربية إلى المملكة العربية السعودية كانت غنية بإبداع شعراء المدارس الأدبية المختلفة ، إضافة إلى ما تحفل به تلك الصحف من معارك أدبية^(١) كان لها مردودها الإيجابي على الفكر بعامه ، وثقافة حمد الحجي بخاصة .

وبعد أن تبينت الموهبة التي يتحلّى بها الشاعر ، ظهر جلياً توافر الإطار الشعري لدى حمد الحجي ، فمن خلاله يستطيع الشاعر أن يبدع ؛ ذلك لأن عدم وجود الإطار الشعري لدى الشاعر لا يُمكنه من الإبداع ؛ فكثيراً ما تمر بغير الشعراء " لحظات تحمل موضوعات وآراء كان من الممكن أن تستحيل إلى قصيدة رائعة ، لكن هذه اللحظة لا تلبث أن تتلاشى ، لأنها لا تكون ذات دلالة"^(٢) لمن لا يتوفر لديه الإطار الشعري .

وقد وجد هذا الإطار عند شاعرنا الموهوب ، واستطاع أن يضيف إليه من خلال اطلاعه المكثف على أعمال السابقين له في مجال الشعر ، ويؤكد ذلك فهد التويجري عندما سئل عن الشيء الذي يحبه حمد الحجي عندما كان نزيلاً دار

(١) انظر الأدب العربي عصوره وفنونه وقضاياها ومختارات مدرّوسة من نصوصه " في الأدب العربي السعودي وفنونه واتجاهاته ونهاذج منه " ، د . محمد صالح الشنطي ، دار الأندلس للنشر والتوزيع ، حائل ، الطبعة الثانية ، ١٤١٨ هـ ، ص ٢٠ .

(٢) الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة ، ص ١٧٣ .

الرعاية الاجتماعية بالرياض ، فقال : " يحب جدا المتنبي .. وفي أحيان كثيرة عندما يكون في حالة نفسية غير جيدة ، ولا يريد الحديث مع أحد ، يكون المتنبي مفتاح الحديث معه ، وبالذات إذا قلل أحد من قيمة المتنبي أمامه ، أو شكك في قدراته الشعرية ، فهو محبٌ للمتنبي إلى أقصى حد ، بل إنه قد يتقبل الإساءة إليه ، ولكنه لا يقبل من أحد الإساءة إلى المتنبي ^(١) " .

ولأجل هذا كان يحفظ الكثير من شعر أبي الطيب المتنبي حتى في فترة مرضه ، إذ يعتمد فهد التويجري تغيير بعض الكلمات في شعر المتنبي ، فينبهه حمد الحجي إلى هذه الأخطاء ^(٢)؛ مما يدل على حفظ الشاعر لجل شعر المتنبي ، والقراءة في الشعر للمتنبي أو غيره هو الإطار الذي كوَّنه الشاعر لكي يجعله يصل إلى الإبداع الشعري .

ولكن قراءة المبدع للإبداع ليست كقراءة القراء غير المبدعين ، فالإطار الذي يتلقى به المبدع يختلف عن الأطر التي يلتقي بها غيره ؛ لأن قراءته موجهة توجيهها خاصا ، مما يجعل للإطار الذي يتلقى فيه هذا الإبداع أثره الفعال على إبداعه ^(٣) ، ولهذا أصبح لثقافة حمد الحجي وقراءته المنظمة للأعمال الإبداعية التي

(١) مقابلة أجريت مع فهد التويجري مدير دار الرعاية الاجتماعية بالرياض ، أجرى المقابلة محمد الوعيل ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٤٨٢ ، ٩/٢/١٤٠٨ هـ . زاوية ضيف الجزيرة .

(٢) السابق .

(٣) انظر الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة ، ص ١٨٢ .

تخص مجال إبداعه أثر في عملية الإبداع الشعري؛ ويدل على ذلك ثبات تلك القراءات في ذهنه، وعدم تلاشيها عندما كان نزيلا دار الرعاية.

ومما أثرى ثقافة حمد الحجبي، وزاده اطلاعا ومعرفة، رحلاته الكثيرة خارج المملكة العربية السعودية، وعلى الرغم من أفراد مبحث خاص برحلاته إلا إن الإلماح إليها هنا مهم؛ لما لها من أثر واضح في تكوين ثقافته، وإثراء فكره، واطلاعه على أمور لم يعرفها في بيئته.

ويؤكد الشاعر نفسه هذا الأثر، مفصحا عن الدول التي رحل إليها، ذاكراً أسباب هذه الرحلات؛ "فمنها ما كان لقصد العلاج والاستشفاء، ومنها ما كان للسياحة والاطلاع"^(١)، وذلك يعني أن الشاعر كان غرضه في بعض رحلاته الاطلاع على آداب الأمم الأخرى.

وغير خاف ما تقدمه الرحلة للمرئح من فوائد جمة، المهم منها هنا الثقافة الواسعة بالاطلاع على ما لدى الآخر والاستفادة منه، وقراءة مظاهر حضارات الأمم قراءة واعية، تتيح للأديب أن يعي مظاهر الخلل والقصور في مجتمعه"^(٢)، وينقدها نقداً إيجابياً بناءً.

(١) المقابلة التي أجريت مع الشاعر وعنوانها: "رحلة في عقل الشاعر حمد الحجبي"، جريدة اليوم، العدد (٥٢٠١)، وتاريخ ١٨/١/١٤٠٨هـ.

(٢) انظر أدب الرحلة في المملكة العربية السعودية، عبد الله حامد، نادي أهب الأديب، د. ط. ١٤٢١هـ. ص ٢٠٠٠، ص ١.

ومما سبق تبين تعدد المكونات التي أسهمت في إثراء ثقافة حمد الحجري ،
يعضدها طموحه الدائم قبل مرضه إلى الوصول إلى المعرفة ، والانكباب على
الكتب العلمية المفيدة ، وذلك جعله يتهلل بشرا كلما افتتح معلم من معالم الثقافة ،
أو صرح من صروح العلم في هذه البلاد ؛ فقد كان من السباقين إلى التعبير عن
مشاعرهم السعيدة بافتتاح أول مطبعة في الرياض بقصيدة فيها :

تَلْكَ الطَّبَاعَةُ وَإِفْهَآ يَا صَاحِبِي بِتَجِيَّةِ نَفَاحَةِ مِعْطَارِ
حَيِّ الطَّبَاعَةِ فِي الْبِلَادِ فَإِنَّهَا رَمَزُ الْفِتَاءِ بِنَهْرِهَا السِّيَّارِ
وَاطْلُعِ عَلَيْهَا فِي الرَّيَاضِ لِكَيْ تَرَى عَجَبًا مِنَ الْإِبْدَاعِ وَالْإِكْبَارِ^(١)

ولما افتتحت جامعة الرياض (جامعة الملك سعود حاليا) كان حمد الحجري
في مقدمة المشاركين معبرا عن فرحته لافتتاح صروح العلم ، ورفع مشعله في
المملكة العربية السعودية ، ومن قصيدته قوله :

فَقَدْ رَأَيْتُ بِأَرْضِ الْعُرْبِ جَامِعَةً قَدْ شَيْدُوهَا عَلَى الْإِيمَانِ تَشِيدًا
تُلَقِّنُ الْعِلْمَ ، تَبْغِي رَفْعَ مِشْعَلِهِ لَتَبْعَثَ الْفِكْرَ إِجْبَادًا وَتَجْوِيدًا
وَتَدْفَعُ الْجِيلَ مُنْسَاقًا بِعَزْمَتِهِ كَيْمَا يُسَايِرَ رُكْبَ الْعِلْمِ مَجْدُودًا^(٢)

وقد ظهر أثر ثقافته فيما يشارك به من مقالات نقدية تدل على امتلاكه

(١) عذاب السنين ، ص ٨٥ .

(٢) السابق ، ص ٦٥ .

أدوات النقد وبخاصة وهو في أول حياته العلمية أيام كان طالبا ، حيث " كان يملك نظرا ثاقبا جعله يكتب في أدب أهل عصره مقالة الخبير بمواطن القول ومنافذ الكلام"^(١).

فقد نشر في عدد من أعداد مجلة اليمامة نقدا لكتاب حسن القرشي (شوك وورد) ، ظهر من خلالها مقدرته النقدية ، بالإضافة إلى اطلاعه الواسع على القديم والجديد وذلك عن طريق إشاراتة الموفقة واللطيفة إلى معاني أبيات للمتنبى وشوقي وغيرهم استفاد منها الشاعر السوداني حسن عزت في بعض معاني شعره الذي أورده القرشي في كتابه^(٢).

وبهذا يتضح أن الشاعر قد واكب النهضة التعليمية في بداياته ، وأيام شدوه بالشعر ، كما عرف عنه صفات طالب العلم الباحث عن المعرفة بحبه للقراءة والمداومة عليها ، وظهرت مظاهر ثقافته بما قدمه من نقد للأعمال الأدبية التي صدرت في عصره نقدا واعيا مبنيا على ذوق سليم ، وتعليل مقنع ؛ هذا على رغم حداثة سنه إذ لم يكن تجاوز المرحلة الجامعية في دراسته إذا عرف أنه لم يتخلف سنة واحدة حتى أصيب بالمرض .

(١) من شعراء البؤس ، ص ١٥١ .

(٢) انظر السابق ، ص ١٥٢ .

علاقته بالمجتمع

الشاعر فرد في منظومة متكاملة ، يعيش في المجتمع ، ويحسُّ بما يحس به أفراده من آلام وأفراح ، وهو بحاجة إلى التواصل معهم لإشباع حاجاته المختلفة ، ونتيجة لهذا التماس فإنه قد يتعرض لبعض المنغصات التي تكدر صفو حياته ، وقد يتحقق له السرور بما يقدمه له المجتمع من أمور تكسوه بلباس السعادة .

إن التواصل مع المجتمع يحدث في نفس الإنسان بشكل عام أثراً إيجابياً ، أو أثراً سلبياً ، وهكذا يكون للشاعر ، ونتيجة هذين الأثرين ينبثق إبداعه ، فيتلقاه المجتمع ؛ ويتلقي المجتمع إبداعه الشعري تكتمل تجربته الإبداعية^(١).

ولأن المبدع قد يشعر ببعض النقص في بيئته ، ومن قبل مجتمعه ، يذهب كثيرون من علماء النفس إلى أن الخطوة الأولى نحو تفسير الإبداع هي توضيح ما شهده المبدع من نقص في بيئته ، وإيضاح كيفية شعور المبدع بهذا النقص ؛ ولهذا فقد جعلوا الإبداع نشاطاً اجتماعياً من بعض نواحيه^(٢).

ولأهمية علاقة المبدع بمجتمعه ، وما يترتب عليها من نتائج مهمة من شأنها

(١) انظر الاغتراب والإبداع الفني . د. محمد عباس يوسف ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، د. ط ، ٢٠٠٤م ، ص ١٢٠ .

(٢) انظر الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة ، ص ١١٩ - ١٢٠ .

تفسير عبقرية المبدع كانت " الخطوة الأولى في الكشف عن عبقرية الشاعر ، وعن العبقرية بوجه عام ، هي الكشف عن علاقة العبقرى بمجتمعه"^(١) ، وتعليل تلك العلاقة تعليلاً علمياً .

وقد ربط بعض علماء النفس نشأة العبقرية الفنية – ومنها الشعر – بعلاقة التنافر بين المبدع والمجتمع ، إذ إن الفرد العادي يرجع إلى التكامل الاجتماعي عندما يحصل تصدع في "نحن" ؛ لحاجته إلى تحقيق التكامل ، فالفرد المتكامل اجتماعياً لا يقول "أنا" بل يقول "نحن" ، وأما في حالة المبدعين فإن الصراع بين متطلبات الفرد ومتطلبات الجماعة نتيجة تصدع العلاقة بين "الأنا" والآخرين ؛ ومن هنا تتجه محاولات المبدع إلى الإبداع لكي يحقق التطابق مع الجماعة ، وبذلك يواجه العقبات بالشكل الإبداعي الذي يراه رسالة موجهة إلى المجتمع"^(٢).

وعلاقة أي فرد من الأفراد مع مجتمعه تأخذ شكلين رئيسيين ؛ علاقته بأسرته ، وعلاقته بالمجتمع المحيط ، وقد تأكد في المبحث الأول أن الشاعر حمد الحجي قد مرَّ بأحداث شديدة الصعوبة ، وفجائع متوالية ، من شأنها أن تفقد الطفل توازنه ، وتسقطه صريعاً للأمراض النفسية ؛ إذ إن المحيط الأسري الذي عاش فيه الشاعر لم يكن طبيعياً ؛ ففقدان الأم والإخوة ، ثم الابتعاد عن الأب

(١) الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة ، ص ١٢٠-١٢١ .

(٢) انظر آفاق جديدة في دراسة الإبداع ، د. عبد الستار إبراهيم ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، د.ط ، د.ت ،

لابد أن يحدث أثراً في نفسية الشاعر .

ورغم الأثر الشديد على نفسيته الذي ظهر تفسيره في المبحث الأول ، إلا أن ذلك لم يفقده التواصل الجيد مع مجتمعه ؛ بعد أن وفقه الله بأخت حنون عوضته شيئاً مما فقد ، وأعدت له بعضاً من توازنه ؛ فقد كانت تعامله معاملة أحد أبنائها^(١).

وليس لي بحق أن أبالغ في القول : إن أخته عوضته غياب أمه ، فقد كان وقع غياب الأم مؤثراً تأثيراً شديداً في نفسيته ، وقد بينت - في المبحث الأول - ملاحظه ؛ حيث بقي تأثير فقدان الأم جرحاً ينزف في قلب حمد الحجي ، ولكنه استطاع أن يتواصل مع مجتمعه فترة طفولته تواصله السوي ، فتجاوز هذه الأزمة ؛ ولا أدل على ذلك من اجتهاده في دراسته ، وجده في طلب العلم .

وقد ظهرت مظاهر التفاعل مع المجتمع في سلوكه فترة طفولته ؛ إذ كان يسهم في تقديم القهوة والقرى للضيوف في منزل الشيخ محمد الدعيج (زوج أخته) ، ويستعين به غالباً بحكم معرفته الكتابة فيكتب ما يحتاج إلى مكاتبة كاللدين والرسائل وغيرهما^(٢)، وهذا يقدم مؤشراً على التفاعل الجيد مع من حوله ؛

(١) من المقابلة التي أجريتها مع أخت الشاعر هيلة بنت سعد الحجي في منزل ابنها محمد في (مرات) .

(٢) من المقابلة التي أجريتها مع ابن أخت الشاعر دعيج الدعيج في منزله بمرات يوم الاثنين

وينفي عنه شدة الانطواء أو الانزواء .

وأما تفاعله مع أفراد المجتمع فقد كان يلهو مع أترابه في بلده الصغير (مرات) ؛ إذ يؤكد زميله الشيخ إبراهيم الناصر بأنه وزملاءه كانوا يعيشون حياة صافية ، ولم يلحظ على حمد الحجبي الانطواء فترة طفولته ؛ فكانوا يخرجون كثيراً لممارسة رياضة السباحة ، في أماكن تجمع الماء بعد الأمطار ، ويأنس الشاعر بهذه الرياضة^(١) ؛ وهو ما يعطي لمحة عن تفسير حبه الشديد لبلده الصغير ، وأهل هذه القرية ، على رغم ما فيها من آلام ومرارات .

بقيت ذكرى الطفولة حيّة في قلبه — دالة على أنس اجتماعي — حتى بعد أن غادر الشاعر قريته الصغيرة إلى الرياض للدراسة ، وقد تعددت الأدلة التي تعضد تلك الذكرى السعيدة رغم قساوة المرحلة الثانية منها ، ومن مظاهر احتفاظ الشاعر بتلك الذكرى ما يلي :

أولاً : التردّد على بلده الصغير (مرات) في إجازاته ، حيث يقضي فيها وقتاً طويلاً ، ويأتي وهو محمّل بالهدايا ؛ يقدمها إلى أخته وأبنائها^(٢)؛ مما يدل على المكانة التي تحتلها هذه الأسرة في قلبه ، وعرفانا لهم بما قدموه له .

ثانياً : تصرّحه في كثير من اللقاءات الصحفية بأن أجمل مراحل عمره هي

(١) من المقابلة التي أجريتها مع إبراهيم الناصر في منزله بالرياض .

(٢) من المقابلة التي أجريتها مع أخت الشاعر في منزل ابنها في مرات .

مرحلة الطفولة^(١)؛ وهو الأمر الذي يدل على حبه لأهل هذا البلد الصغير ،
واندماجه معهم .

ثالثاً : حينه المتواصل لهذا البلد الصغير بعد مرضه ، مما يدل على ذكرى
جميلة يحفظها له ولأهله ؛ فقد كان الأستاذ محمد الشدي يعرف — عندما يُفقدُ
الشاعر — أنه في (مرات) ، يقول الشدي : " يهرب من الرياض لينزوي في ذلك
البيت الضيق المتهدم ، ويهرب من الطائف فلا يتوقف إلا في (مرات) ، يجوع
ويعيش على فتات الخبز ... المهم يبقى في (مرات)"^(٢) ، وعندما سئل الشاعر في
أحد اللقاءات عن المكان الذي يتمنى أن يذهب إليه قال : " إلى مرات " ، ثم
أردف : " المهم أن أخرج وأذهب إلى معشوقتي (مرات)"^(٣) .

ولا يعني سوق هذه الأدلة أن الشاعر قد عاش فترة الطفولة مع أسباب
السعادة ، وامتدات الاستقرار فترة طفولته ، ولكن مأساوية العناء التي عاشها قد
زالت ، وأصبحت ماضيا ، وبقيت في ذهنه ذكريات السعادة التي عاشها في

(١) انظر المقابلة التي أجريت مع الشاعر في جريدة اليوم بعنوان رحلة في عقل الشاعر حمد الحججي العدد :

٥٢٠١ وتاريخ ١٨ / ١ / ١٤٠٨ ، والمقابلة التي أجريت مع الشاعر في جريدة الجزيرة العدد (٥٤٨٢)

وتاريخ ٩ / ٢ / ١٤٠٨ هـ .

(٢) من المقابلة التي أجريتها مع الأستاذ محمد الشدي .

(٣) من المقابلة التي أجريت مع الشاعر في جريدة الجزيرة العدد (٥٤٨٢) وتاريخ ٩ / ٢ / ١٤٠٨ هـ .

طفولته^(١) .

ومما يتصل بالجانب الأسري يلحظ أمر مهم في شباب حمد الحجي ، ذلك أنه علاوة على فقدان الأم فإنه بقي عَزَبًا ، وذلك مؤثر اجتماعي مهم ؛ فالمرأة لها الأثر الكبير على الرجل ؛ فهي شريكة حياته ومؤنسته المحببة إليه ؛ لما تحققه له من الراحة والاطمئنان ، إنها سكنه بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى ، وقد افتقد الشاعر هذا السكن الذي يطمئن إليه ، ويرتاح إلى جنبه ، ويشكو إليه ما يصيبه من هموم ، فاجتمع فقدان المرأة من جانبيها المهمين : المرأة الأم ، والمرأة الزوجة ، ولهما ما لهما من تأثير في حياته .

وقد كشفت العديد من الدراسات أثر التفاعل الاجتماعي ، وما يتصل بالعلاقات الاجتماعية على سعادة الإنسان وسروره في هذه الحياة ، ومن أهم مجالات العلاقات الاجتماعية المؤثرة الزواج ؛ إذ تشير النتائج إلى أن المتزوجين بوجه عام من النساء والرجال أكثر سعادة من العزاب أو الأرامل أو المطلقين ، وتخصص بعض الدراسات التي أجرت عينات الدراسة بأهمية الزواج من جانبه الروحي للرجال أكثر من النساء ؛ إذ يلحظ أن الرجال غير المتزوجين أقل سعادة

(١) انظر الفصام دراسة في اضطرابات الشخصية والتفكير والسلوك ، د. سعيد حافظ يعقوب ، دار الحدائنة ،

من النساء غير المتزوجات^(١).

وقد أبانت تلك الدراسات أن العلاقات الاجتماعية - بما فيها الزواج - تسهم "في التخفيف من العناء بأشكاله المختلفة كسوء المزاج ، والقلق ، والشعور بالوحدة ، والمرض العقلي"^(٢).

وقد لحظ الأستاذ فهد التويجري تعطش حمد الحجبي إلى المرأة ، وحاجته إليها عندما كان نزيلاً دار الرعاية الاجتماعية ، وذلك من خلال ردود فعله تجاه بعض المواقف ، إذ غالباً ما يغرق حمد في تفكير طويل ؛ فينشد الأستاذ فهد بعض الأبيات التي فيها وصف لجمال المرأة ، فيتنبه الشاعر ويتسمم ، ويكون لها وقع على نفسه ، كما يلحظ أنه يركز النظر عند مرور فتاة على الدار^(٣) ؛ وتلك التصرفات تدل على حاجة نفسية إلى المرأة التي حُرِمَ منها طول حياته .

وقد فطن الشاعر حمد الحجبي في شعره إلى هذه المعضلة التي تؤرقه ، وتقض من مضجعه تجدر الإشارة إليها ، عندما تلمس أسباب أحزانه في دنيائه ، وبحث عما يقلقه ويملاً حياته بالهموم قائلاً :

(١) انظر الدوافع والانفعالات ، د. عبد اللطيف محمد خليفة ، ود. معتز سيد عبد الله ، مكتبة المنار الإسلامية ، الكويت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م ، ص ٢٢٤ .

(٢) الدوافع والانفعالات ، ص ٢٢٤ .

(٣) من المقابلة التي أجريتها مع الأستاذ فهد بن عبد الله التويجري ، مدير أحد فروع وزارة الشؤون الاجتماعية ، ومدير دار الرعاية الاجتماعية سابقاً ، في مكتبه يوم السبت ٩ / ٢ / ١٤٢٦هـ .

لَسْتُ أَذْرِي لِمَ الدُّنَا حَمَلْتَنِي مَا أَرَى الغَيْرَ مِنْهُ خِلْوَ الوِطَابِ^(١)
 ومن جملة ما ذكره من أسباب هو افتقاد المرأة الزوجة التي تقوم معه
 وتساعده على اجتياز هموم الدنيا وأوجاعها ، حيث يقول :

أُمٌّ لِأَنَّ الحَيِّبَ قَدْ فَرَّ مِنِّْي أُمٌّ لِأَنِّي مِنْ جُمَّلَةِ العُزَابِ^(٢)
 وبعد انتقال الشاعر إلى الرياض تعرف على أصدقاء جدد ، واختلط بفئات
 مختلفة جديدة عليه ، وقد كان لهذا التمازج الجديد أثرٌ واضح في نفسيته ، ومن ثم
 في شعره ، وكان الأثر النفسي إيجابياً وسلبياً .

ويمكن القول : إن من أهم المظاهر الإيجابية للمجتمع الجديد هو التعرف
 على الأساتذة والعلماء والتواصل معهم ، وذلك يشري عقل الإنسان ، ويكسبه
 مهارة المناقشة ، والاستفادة من الآخر ، وكذلك تواصله مع زملائه في المعهد
 العلمي ، ثم في بداية دراسته في كلية الشريعة ، فلم يلحظ عليه أي مظهر من
 مظاهر المرض النفسي^(٣) ، بل كان متفاعلاً " يشارك ببعض القصائد في المنتدى

(١) عذاب السنين ، ص ٣٢ .

(٢) السابق ، ص ٣٣ .

(٣) من المقابلة التي أجريتها مع الشاعر إبراهيم بن محمد الدماغ في منزله بالقصيم ، يوم الخميس

الأدبي لكليتي الشريعة واللغة العربية والمعهد العلمي^(١) .

ومن المشاركات الاجتماعية الفعالة تلك اللقاءات التي تجمعها بزملائه في الفسح ، حيث يجتمع زملاء الدراسة في فناء المعهد والكلية ويتبادلون الآراء ، وتحصل بينهم النقاشات في بعض الموضوعات وعلى رأسها الموضوعات الأدبية ؛ وكان حمد الحججي من أهم أعضاء هذه الاجتماعات لما يملكه من موهبة إلقاء القصائد ، ولما يتميز به من معلومات أفادها من قراءته المتواصلة^(٢) .

ومشاركة الأدباء في الفعاليات الأدبية بحد ذاتها مظهر إيجابي ؛ فهي تنمي عنده المقدرة الإبداعية ، والاستماع إلى نقد الآخر ، والاستماع إلى آراء أساتذته وزملائه فيما يليق به من قصائد ، يقدم له الحوافز التشجيعية التي تنمي الإبداع وتدفعه دفعة قوية إلى الأمام .

والمبدع بشكل عام بحاجة ماسة إلى تقدير الجمهور ، واعترافهم بعمله الإبداعي ، وهذا الاعتراف له جانبان رئيسان : جانب التقدير الملائم من جانب الجمهور ، وجانب الاحتضان للمبدعين بصفتهم كفاءات نادرة^(٣) ، فذلك

(١) حمد الحججي الشاعر البائس ، عبد الله بن ادريس ، جريدة الرياض ، العدد ٧٤٥٠ وتاريخ :

١٤٠٩/٤/٦ هـ .

(٢) من المقابلة التي أجريتها مع الأستاذ محمد الطيار رئيس تحرير مجلة المسافر وأحد المزمانيين للشاعر ومن

الذين يحضرون هذه اللقاءات ، أجريت المقابلة في مكتبته في المجلة يوم الأربعاء ٦/٢/١٤٢٦ هـ .

(٣) انظر الإبداع والاعتراب الفني ، ص ١٢٠-١٢١ .

الاستحسان يدفعه لتقديم أعماله الإبداعية ، ويعزز ثقته بنفسه من خلال تعزيز ثقة الجمهور بإبداعه .

وقد ظهرت مظاهر الاعتراف بالفضل على حمد الحجي لأولئك الذين قدموا إبداعه للجمهور ، إذ جعله من الوفاء عندما قال معلقا على ما كتبه عنه الدكتور محمد بن سعد بن حسين : " ما قاله ابن حسين عني وعن شعري فيه الكثير من الوفاء"^(١) ، وكان الدكتور محمد بن سعد بن حسين قد أصدر كتابه (الشاعر حمد الحجي) قبل وفاة الشاعر بستتين ، وعندما سئل عن الشاعر عبدالله بن ادريس قال : " أحد الأدباء السعوديين ، والشعراء البارزين ، كتب عني وعن شعري في كتابه شعراء نجد المعاصرون"^(٢) .

إن هذين النصين من كلام الشاعر ليؤكدان حاجته النفسية إلى التشجيع ، وفرحته به ؛ فقد كان السؤال عاما عندما طلب منه رأيه بهذين الرجلين ، وكانت إجابته مركزة على حظ شعره من عنايتها واهتمامها بدراسته ، وهو ما يظهر من ثنائه على الناقلين ؛ مما يؤكد حاجة نفسه الماسة إلى تقدير النقاد والجمهور لإبداعاته الأدبية .

(١) من المقابلة التي أجريت مع الشاعر في جريدة الجزيرة العدد (٥٤٨٢) وتاريخ ١٤٠٨/٢/٩هـ .

(٢) من المقابلة التي أجريت مع الشاعر حمد الحجي في جريدة اليوم ، العدد : ٥٢٠١ ، وتاريخ :

وعلى النقيض من ذلك فإن عدم تقدير الجمهور لأعمال الأديب ، أو التصريح أمامه بعدم الاكتراث قد يؤثر سلباً في نفسيته ، ويصيبه بالاكتئاب الذي يفضي إلى الانعزال ، واتخاذ موقف سلبي من المجتمع ؛ وبخاصة إذا كانت حالته محطمة كما هو ظاهر في حياة الشاعر حمد الحججي ؛ فقد تعرض حمد الحججي لبعض المواقف التي تفسر طبيعة علاقة بعض أفراد المجتمع معه ، ثم أثرها البارز في نفسه ؛ سواء ظهرت في شعره ، أو أبانت عنها مواقفه .

ومن المواقف ما يرويهِ الأستاذ فهد الراشد حيث كان مع زملائه يتناولون القهوة في مقهى صغير ، ويمرُّ حمد الحججي بهم وفي يده مجلة الورود اللبنانية فيقرأ عليهم شعره المنشور فيها ، أو يخرج دفترًا صغيرًا من جيبه فيقرأ من شعره ، فيقوم بعض زملائه بالاستخفاف به ، والسخرية من شعره ، ويظهرون له عدم الاكتراث ؛ مما يثير اكتئابًا في وجهه ، فينكس رأسه ثم ينهض ويمضي^(١).

وربما كان هذا التصرف وأمثاله من أسباب ضيقه بالناس وبرمه من الحياة ، إذ لم يكن هذا هو الموقف الوحيد ، بل إن هذا المشهد يتكرر ، ويتكرر كذلك رد فعل الشاعر ، فلا يجد التقدير إلا من القليل من زملائه ، وقد ربط " العديد من علماء النفس بين الشعور بالاغتراب وبين مفهوم الذات ؛ بمعنى أنه كلما شعر الفرد بأن مفهومه عن ذاته متضائل وأن الذات محتقرة أو مقدرة تقديرا سلبيا ، أو

(١) انظر من شعراء البؤس ، ص ٥٦ .

أنه لا يستطيع تحقيق ذاته شاع لديه الشعور بالاغتراب والحزن والقلق والعزلة^(١).

وقد أبان شعره عن مواقف البعض من أدبه ، ورفضهم له ، مع أنه يحمل المعاني السامية التي تحتاج إلى تقدير الآخر ، والاعتراف بما يقدمه من عمل إبداعي جميل ، وأن عدم تقدير الجمهور لإبداعه هو السبب الرئيس في شقاوته في هذه الحياة :

إِذَا مَا شِئْتَ أَنْ تَشْقَى بِأَرْضٍ كَأَرْضِي فَلْتَكُنْ فِيهَا أَدِيبًا
سَتُرْمَى بِالِدَّوَاهِي مِنْ بَيْنِهَا وَتَقْضِي الْعُمَرَ مَنْبُودًا غَرِيبًا
ويقول في القصيدة نفسها :

وَإِنْ نَكَ بُلْبُلًا غَنَى حُونًا تُرْقُّو بِإِنْطِلَاقِهَا الْقُلُوبَا
تَكُنْ فِي فَرْعِ دَوْحَتِهِمْ غَرَابًا وَيُصْبِحُ شَدُوكَ السَّامِي نَعِيبًا^(٢)

وربما فسرت تلك السخرية التي يعاني منها كثيرا من علاقاته الاجتماعية ، واستعجاله بإطلاق الأحكام على من يقابلهم ؛ فقد مرّ مع زميله الشاعر إبراهيم الدامغ على مجموعة من الطلاب في الكلية ، فسأله : "أترى هؤلاء ؟" فقال

(١) الاغتراب وبعض متغيرات الشخصية "دراسة مقارنة" ، د. رشاد صالح دمنهوري ، سلسلة البحوث التربوية ، جامعة أم القرى ، د. ط ، ١٤١٧هـ ، ص ١٠ .

(٢) من قصيدة (أديب اليوم) ، مخطوط ديوان عذاب السنين ، ولم تنشر في الديوان المطبوع ، وقد تسلمتها مباشرة من الأستاذ محمد بن أحمد الشدي جامع ديوانه .

إبراهيم : " نعم . ما بهم يا حمد ؟" فقال : "كلهم حشرات"^(١)، وهذا الحكم المتعجل على تلك المجموعة التي مرَّ بها يقدم تفسيراً دقيقاً لموقفه من المجتمع خاصة قبل أن يصاب بالمرض النفسي بفترة يسيرة ، وما يحسه تجاههم من ضيق لأسباب نفسية أحس بها ، أو رد فعل لمواقفهم تجاهه ، وأياً كان السبب فإن ذلك يؤكد حساسيته المفرطة ، وضيقه من الناس .

ويفسر حمد الحججي نفسه التشاؤم الذي اصطبغ به شعره ، والضيق من الناس وعدم التواصل معهم عندما سئل هذا السؤال "لماذا يغلب طابع الحزن والأسى على شعرك؟" فأجاب بذكر عدد من التفسيرات المنطقية ، والذي يهم هنا هو قوله : " وقد يكون لمن حولي من الأصدقاء وغيرهم تأثير في ذلك"^(٢).

وأما بعد أن أصيب بالمرض فقد كان منزويًا عن الناس ، ولا يرغب بمجالسهم إلا في القليل النادر ، ولا يتكلم كثيرا معهم ، بل يأتي في مكتب الإحصائي الاجتماعي في دار الرعاية الاجتماعية ويقرأ الصحف ثم يخرج ، وإذا كلمه أحد ففي الغالب أنه لا يرد عليهم وإذا رد فإن رده مقتضب جدا^(٣).

(١) من المقابلة التي أجريتها مع إبراهيم الداغ في منزله بالقصيم يوم الخميس ٢٣/٨/١٤٢٥ هـ .

(٢) من المقابلة التي أجريت مع الشاعر في جريدة اليوم العدد ٥٢٠١ وتاريخ ١٨/١/١٤٠٨ هـ .

(٣) من المقابلة التي أجريتها مع سعد بن ناصر الجريان ، أخصائي نفسي ، وكان يعمل في دار الرعاية الاجتماعية عندما كان حمد الحججي نزلياً فيها ، أجريت المقابلة في مكتبه بمركز التأهيل الشامل للإناث

بالملز ، يوم الثلاثاء ١٢/٢/١٤٢٦ هـ .

كما أنه لا يشارك في الرحلات الأسبوعية التي تنظمها الدار ، بل يجلس وحيدا في مهجعه يتأمل ويفكر ، ولم يكن هناك قصور في عقله تلك الفترة ؛ بل إن جميع موظفي الدار يعرفون ما يتمتع به من قدرة عقلية ، وثقافة عالية ؛ فقد استطاع أن يجيب على فوازير رمضان للكبار من حفظه للقرآن الكريم دون الرجوع إلى المصحف ، وقد تابعه في ذلك الأخصائي النفسي سعد الجريان^(١).
وبذلك بدت مظاهر حياة الشاعر الاجتماعية مؤثرة في شعره ، وبخاصة الفترة التي سبقت مرضه ؛ لأنه بعد أن أصيب بالمرض توقف عن الإبداع ، وقد أثرت تلك الأحداث في نفسيته ، مما يجعلها تؤثر في شعره .

تواصل الشاعر في طفولته مع المجتمع تواصل السوي ولم تظهر عليه مظاهر العزلة أو الانطواء ، على الرغم مما فيها من آلام ، ولهذا بقيت حياة الطفولة حية في قلبه صورها شعره ، وأبانتها تصرفاته .

وافتقد الشاعر في حياته الاجتماعية المرأة من جانبيها المؤثرين ؛ المرأة الأم ، والمرأة الزوجة ، وبعد انتقاله إلى الرياض حاملا أحزانه اصطدم بالمتناقضات التي لم يعهدها في بلده الصغير ؛ فعلى رغم تقدير النقاد لشعره ، وسروره لهذا التقدير ، إلا أن بعض أصدقائه لم يقدرُوا موهبته فكان تأثير ذلك بارزا في نفسه ، وهو ما جعله يتخذ موقفا سلبيا من المجتمع بوجه عام ، ومن الأصدقاء بوجه خاص .

(١) من المقابلة التي أجريتها مع سعد الجريان.

مرضه

لا شك أن للمرض أثراً فاعلاً في العملية الإبداعية ، بما يحمله من تأثير نفسي على الإنسان بوجه عام ، وعلى المبدع بوجه خاص ، فقد يجعله أسيراً للقلق المتواصل فيما يهدد صحته وحياته ، ويكون المرض مُلهِمًا لبعض الشعراء ، وأرضيةً خصبةً لبروز الإبداع ، والتراث العربي شاهد على ذلك ؛ بما يحفل به من رثاء النفس أو رثاء بعض الأعضاء وذلك أثناء مرض المبدع وشعوره بدنو أجله ، وقرب منيته ، أو إحساسه بفقد عضو مهم منه .

والمرض المؤثر على نفس الإنسان نوعان : المرض العضوي : وهو الذي يصيب أعضاء الإنسان ويكون علاجه بالمؤثرات المباشرة على أصل المرض ، والمرض النفسي : وهو الذي يصيب عواطف الإنسان أو عقله ، ويكون علاجه بالعقاقير المهدئة ، والجلسات النفسية .

وقد كانت معاناة حمد الحجي مع المرض طويلة ، بل يصح ما قيل : إنها "رحلة أقرب في سياقها وصيغتها إلى الدراما بمفهومها المأساوي"^(١) ، ففي العام الجامعي ١٣٨٠ / ١٣٨١ هـ وعندما كان في المستوى الثالث بكلية اللغة العربية

(١) الحجي .. لم يبق منه غير الشعر ، عبد القادر حميدة ، مجلة الحرس الوطني ، جمادى الأولى ، ١٤٠٩ هـ /

بالرياض أصيب في قواد العقلية ، وأفاد الأطباء الذين شخصوا حالته بأن لديه انفصاما حادا في الشخصية^(١) ، واستمر المرض معه حتى توفاه الله سنة ١٤٠٩ هـ . وقد أصيب الشاعر بهذا المرض وهو في الربيع الرابع والعشرين من عمره ، وأكثر ما يصيب هذا المرض في هذا العمر بالذات ، فقد ثبت أن مرض الفصام يكثر في المراهقة وسن الشباب الأول ، من خمسة عشر إلى خمسة وعشرين عاما^(٢) . وعند التأمل في أسباب مرض الفصام يلحظ أن السبب الوراثي لازم لحدوثه ، لكنه لا يقوم وحده بهذا المرض ، ولم يتم اكتشاف قانون وراثي للفصام^(٣) ، ولم يُعرَف من أقارب الشاعر من جهة أعمامه أو أخواله من أصيب بهذا المرض^(٤) ، وعلى ذلك فإن إصابته به لهذا السبب لا يدعمها دليل .

ومن أهم أسباب حدوث الفصام ما يتصف به المريض من "حساسية خاصة ، أو تهيئة بيولوجية خاصة تجعله يستجيب بقوة لا تتناسب مع شدة

(١) انظر عذاب السنين ، حمد الحجري ، صفحة الغلاف .

(٢) انظر الفصام دراسة في اضطرابات الشخصية والتفكير والسلوك ، ص ٣٨ - ٣٩ .

(٣) انظر الفصامي كيف نفهمه ونساعده ، سيلفانو أرتي ، ترجمة د. عاطف أحمد ، سلسلة عالم المعرفة .

الكويت ، الكتاب : ١٥٦ ، جمادى الأولى ، ١٤١٢ هـ ، ديسمبر ١٩٩١ م ، ص ٩٧ .

(٤) من المقابلة التي أجريتها مع أخت الشاعر وابنها في منزله في مرات .

وانظر : حمد الحجري الرحيل ومأزق الانتكاس ، خالد البنيان ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٩٠١ ، وتاريخ

المؤثرات وبخاصة المؤلمة منها^(١)، ومن أهم صفات حمد الحجي التي عرف بها ويؤكددها أكثر من عرفه هي حساسيته الشديدة تجاه المواقف التي يمرُّ بها^(٢).

ويكون للأسباب النفسية أثرٌ كبيرٌ في حدوث المرض ، ويحدد كثيرون من الباحثين أن من أهم الأسباب النفسية هي الظروف المحيطة بطفولة المريض ، واختلال التكوين الأسري^(٣)، ولم تكن طفولة الشاعر في جو أسري عاديٍّ ؛ فقد عاش المرحلة الثانية منها في شتات بعد أن فقد أمه ، ثم ابتعد عن بيت والده مفتقداً أهم أسس الصحة النفسية : الوجدان ومعناه الحب الثابت ، والأمن والاستقرار بوجود الوالدين ، والنظام ومتابعة نظم وتقاليد خاصة ، ولذلك فإن مرض الفصام يكثر في الأسر المفككة ، وعدم توافر الجو السليم للطفل^(٤).

ويؤكد بعض علماء النفس أن ما عاشه الشاعر بالذات قد يكون سبباً في التهيئة للإصابة بمرض الفصام ؛ ذلك أن عائلات مرضى الفصام تتميز بالاكتماب استجابة لفقد عزيز أثناء طفولة المصاب بهذا المرض ، وهو ما يسمى

(١) الفصامي كيف نفهمه ونساعده ، ص ١٠٠ .

(٢) ذكر ذلك كلُّ من سألتُ ممن يعرف حمد الحجي ومنهم : الدكتور محمد بن سعد بن حسين ، والشاعر عبدالله ابن ادريس ، والأستاذ محمد الشدي ، والشاعر إبراهيم الدامغ ، والشيخ إبراهيم الناصر ، والأستاذ محمد الظيار وغيرهم .

(٣) انظر الفصامي كيف نفهمه ونساعده ، ص ٩٨ .

(٤) انظر الفصام دراسة في اضطرابات الشخصية والتفكير والسلوك ، ص ٣٨ - ٣٩ .

بالفصام الوجداني^(١) .

ومن الأسباب التي تدفع المريض إلى الفصام الأسباب الاجتماعية ، وهي التي تتعلق بالمجتمع الذي يتعامل معه المريض^(٢) ، وما يمرُّ به من ضغوط ، ولكن هذه الأحداث لا تكون مؤثرا مباشرا في حدوث المرض ، بل لابد أن تسبقها الأسباب التي ذُكرتُ آنفا ؛ لأن كلَّ إنسان مُعرَّضٌ للإصابة بضغوط الحياة وأحداثها المؤلمة ؛ لكن بعضهم غيرُ مهينين للإصابة بهذا المرض^(٣) .

ومن الظروف الصعبة التي مرت على حمد الحجري انتقاله من البلد الصغير (مرات) وابتعاده عنه ؛ فقد ازداد بذلك غربة على غربته النفسية ، بسبب ما واجهه من المجتمع من ضغوط سبق ذكرها في المبحث السابق^(٤) .

وبذلك تبين أن بعض أسباب الإصابة بمرض الفصام موجودة لدى الشاعر ، كما تبين قابلية حالته - قبل أن يداهم المرض - للإصابة به ، وقد ظهرت بعض إرهاصاته في الفترة التي سبقت إصابته ، ويمكن تناولها من جانبين يسهman في إيضاح حالة الشاعر قبل أن يداهم المرض ويتمكن منه :

(١) انظر الأمراض العصابية والذهانية والاضطرابات السلوكية ، د. فيصل محمد خير الزراد ، دار القلم ،

بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٤م ، ص ٢٦ .

(٢) انظر الفصامي كيف نفهمه ونساعده ، ص ٩١ .

(٣) انظر الفصام ، د. وليد سرحان ، مكتبة مجدلاوي ، د. ط ، د. ت ، ص ٣٨ .

(٤) انظر ص ٦٨ من هذا البحث .

الجانب الأول : مواقف من أقرانه ، وحساسيته الشديدة بسبب تصرفاتهم التي لا تعجبه ؛ ومثال ذلك تأثره لما يقومون به من سخرية منه ، وعدم اكتراث به وهو ينشد شعره المنشور في إحدى المجلات ، وقد تنبه لتأثره الأستاذ فهد الراشد وهو يجلس مع هؤلاء ، مما جعله يفضل العزلة ، فيتعد عن مجالس الناس ، ثم يحاول أن يعود إليهم " ويميل حياة الوحدة ... فيصمم أن ينزل إلى الناس ويسهم في أحلامهم ، ثم يصطدم بعدم مبالاة الناس فيقتنع ألا جدوى منهم فيعاود عزلته ووحده^(١) "، ولهذا فقد كانت ردود فعله ضدهم فيها نوع من العجلة لشدة التأثير ، بل ربما صدر منه حكم عليهم دون سبب كما حصل له مع إبراهيم الدامغ^(٢).

الجانب الثاني : ما صورته شعره في الفترة التي سبقت مرضه من برم بالناس وضيق منهم ، وتأمل في الخلق والوجود ، وتلك التأملات من أهم إرهاصات الفصام الوجداني إذ هو دائم التبرم والشكوى ، وكثيرا ما يندب حظه ، ويحس أنه لم يصل إلى المكان الذي يستحقه ، ويغطيه جو الكآبة والحزن^(٣) ، وسيكون لهذا الجانب دراسة مفصلة في الفصل الثاني إن شاء الله .

(١) انظر الفصام دراسة في اضطرابات الشخصية والتفكير والسلوك ، ص ٣٣ .

(٢) انظر ص ٦٩ من هذا البحث .

(٣) انظر الفصام دراسة في اضطرابات الشخصية والتفكير والسلوك ، ص ٣٤ .

ثم أصيب الشاعر بانفصام الشخصية ، وهو يظهر من طريقتين رئيسين :
الأول : انسحاب نفسي يعكس موقف المريض من العالم ؛ فيشعر تجاهه
بالخوف ، وافتقاد الثقة بالناس ، والرغبة في الهروب من كل شيء .
الثاني : تستحوذ عليه منظومة من المعتقدات الزائفة ؛ فيعتقد أن هناك
أخطارا تحيط به ، وهناك من يضطهده ، ويحيك له المؤامرات ، ويشعر المريض
بذلك شعورا قويا وكأن ذلك حقيقة لا خيال^(١).

وكان الشاعر فترة إصابته بالمرض ميالا إلى الانزواء منكفئاً على ذاته ، لا
يجب الضوضاء والإزعاج ، وقد عرفه من التقوا به بعد إصابته بالمرض ، ومنهم
الأستاذ محمد الشدي الذي سافر معه إلى مصر لعلاجه ويقول عنه : " تجده ساهما
لا يتحدث كثيرا ، بل يصعب التحدث معه ، لأنه يسرح كثيرا ، ويكتفي بإرسال
النظرات الحزينة^(٢) ."

وعرف بهذه الصفات — أيضا — عندما كان نزيفا دار الرعاية الاجتماعية ،
إذ كان منطويا كثير التفكير ، لا يجلس طويلا في المجلس الذي يوجد فيه الناس ،
وإذا جلس فإنه يستغرق غالبا في تفكير طويل ، ثم يملُّ ويخرج^(٣) ، ويرفض غالبا
اللقاءات الصحفية ، ولا يحب أن ينشد شعره ، وعندما سئل مدير دار الرعاية

(١) انظر الفصامي كيف نفهمه ونساعده ، ص ٤٧ .

(٢) من المقابلة التي أجريتها مع الأستاذ محمد الشدي .

(٣) من المقابلة التي أجريتها مع الأستاذ فهد التويجري في مكتبه يوم السبت ١٤٢٦/٢/٩ هـ .

الاجتماعية عن سبب هذا التصرف قال : "السبب نفسي في الغالب .. ومن خلال معاشتي له أستطيع أن أؤكد أنه مازال يتمتع بذاكرة قوية ، وما زال يعيش ماضيه، ويعيش قصائده ، إلى درجة أنه يصدق ببعض قصائده التي جمعها الدكتور محمد بن سعد بن حسين في الكتاب الذي ألفه عنه ، وهو يذكر تماما هذه القصائد ومناسبة كل قصيدة ، وأعتقد أن عنده الكثير ولكن حالته النفسية لا تساعده وجعلته ميالا إلى الانطواء"^(١) .

وربما تسيطر على الشاعر بعض الأوهام التي هي من أعراض مرض الفصام" حيث يسمع المريض أصواتا تتحدث إليه ، أو تذكر اسمه دون أن يكون هناك من يتحدث إليه"^(٢) كما ظهر ذلك في لقائه مع الدكتور محمد بن سعد بن حسين سنة ١٣٨٢ هـ ، أي بعد إصابته بالمرض حيث سلّم حمدُ الحجي عليه ، وعرفه بنفسه ، فدعاه الدكتور إلى منزله ثم بدءا بالحديث ، وكان مما قاله حمد الحجي : (أنا مجرم .. هكذا تقول لي أصوات أسمعها .. فلماذا يصفونني بالإجرام؟!) وأطال الشاعر الحديث عن خيالات يراها"^(٣) .

(١) من المقابلة التي أجريت مع الأستاذ فهد التويجري ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٤٨٢ . الجمعة

١٤٠٨/٢/٩ هـ . زاوية ضيف الجزيرة .

(٢) الفصامي كيف نفهمه ونساعده ، ص ٥١ .

(٣) من مقابلة أجريتها مع الأستاذ الدكتور محمد بن سعد بن حسين في منزله بالرياض بتاريخ

١٤٢٥/٣/١٣ هـ .

كما يؤكد الأستاذ فهد التويجري ذلك حيث يأتي الشاعر إلى مكتبه في دار الرعاية الاجتماعية ، ثم يبدأ يصف له شيئاً غير موجود ، ويتعجب من جماله ، ولما أن أَلح عليه بمعرفة ذلك الشيء ، يتنبه الشاعر ثم يقول : لم يعد هنالك شيء ، ويقوم من مكانه ويخرج^(١).

وأما الأخصائي النفسي سعد الجريان فيقول : إنني أتابعه أثناء جلوسه منزويًا عن الناس ، يُطْرُقُ أذنه وكأنه يستمع إلى أحد يتحدث إليه ، وبيتسم وحدَه، ثم يهز رأسه ، وعندما يسأله عن سبب ذلك فإن الحجي لا يرد عليه بل يبقى صامتاً^(٢).

هاهو الشاعر يعاني من المرض ، ويشكو وطأته ، ويحس به ، ويؤكد أن من أسباب كَلْفِهِ وعدم رغبته بالجلوس مع الناس هو هذا المرض ، ويكون ذلك من مبرراته التي جعلته يلتمس أسباب اصطبغ شعره بهذه النظرة التشاؤمية الحادة . وتحسن العودة إلى السؤال الذي طُرِحَ على الشاعر عندما كان نزلياً دار الرعاية الاجتماعية فقيل له : "لماذا يغلب طابع الحزن والأسى على شعرك؟" وكان من إجابته قوله : " ... المرض الذي أخذ مني مأخذه ؛ فتشاءمت من الحياة ،

(١) المقابلة التي أجريتها مع الأستاذ فهد التويجري في مكتبه يوم السبت ٩/٢/١٤٢٦ هـ .

(٢) من المقابلة التي أجريتها مع سعد الجريان .

وكان عندي يأس كبير من الشفاء من المرض...^(١).

وبهذا يتضح أن لمرض الشاعر النفسي أثرا كبيرا في شعره ، ويبرز هذا الأثر

من جانبين مهمين :

الأول : ظهور إرهاصات هذا المرض في شعره قبل أن يتمكن منه المرض ؛

فقد صرح في كثير من قصائده بما يشغل نفسه ، ويؤرق فؤاده ، معبرا عن موقف

رافض للمجتمع نتيجة مواقفهم منه الذي صرح بأكثرها ، وربما لم يكن لأكثر

تلك المواقف وجود على وجه الحقيقة ، ولكن حساسيته الشديدة هي التي جعلته

يفسر بعض التفسيرات التي تتهم الناس ببعض مما يصيبه نتيجة هذا المرض المؤلم .

ولكن لا يعني هذا أن كل ما حصل له مجرد أوهام ، بل إن الشاعر عانى كما

ظهر من بداية حياته وانتهاء بمعاملة بعض أصدقائه الذين لم يرعوا حالته ولم

يقدرها موهبته ، وقد ختموا ذلك بعدم زيارته ، والاطمئنان عليه عندما كان

طريحا في دار الرعاية الاجتماعية ، وكان كثيرا ما يسأل عنهم ، ويرغب في

رؤيتهم^(٢) ، ولم يزره إلا القليل منهم .

(١) من المقابلة التي أجريت مع الشاعر في جريدة اليوم العدد ٥٢٠١ وتاريخ ١٨ / ١ / ١٤٠٨ هـ . وهذا

التشاؤم ، أو اليأس والقنوط الذي كثيرا ما يتردد في حديث الشاعر عن نفسه ، أو حديث الآخرين عنه

مما لا يتفق مع تعاليم ديننا الحنيف الذي يرتكز على الإيمان بالله وبقضائه وقدره ، ويدعو إلى التفاؤل .

(٢) انظر المقابلتين الصحفتين التاليتين :

مقابلة بعنوان رحلة في عقل الشاعر حمد الحجي ، جريدة اليوم ، العدد ٥٢٠١ وتاريخ ٨ / ١ / ١٤٠٨ هـ . =

الثاني :توقف الشاعر عن الإبداع - وهو مؤثر سلبي - ، وقد بدأ هذا التصرف في بداية إصابته بمرض انفصام الشخصية ، وفي هذه الفترة كان يكره الاستماع إلى شعره - وإن كان يكتبه في دفتر صغير يحمله معه أينما اتجه - فقد يمرُّ على بعض زملائه السابقين في الدراسة بعد أن توقف عنها وهم يستذكرون دروسهم ، وإذا استقر بينهم يقوم بعضهم بترديد بعض أبياته ، فيخفض رأسه إلى الأرض ، ويترك مجلسهم مطرق الرأس مضطرب الحركات^(١) .

وقد تطور هذا التصرف مع تطور المرض فلم يعد يكتب شعره الذي يبده بين الفينة والفينة خاصة عندما كان في دار الرعاية الاجتماعية، بل يرفض أن يدونه أحد ، فقد حاول الأخصائي النفسي كتابة بعض الأبيات التي أنشأها الشاعر في الدار ولما رآه يدون شعره توقف الحجي عن الإنشاد^(٢) .

وفي بعض الأحيان يطلب منه سعد الجريان أن ينشد شيئاً مما كتب قديماً أو حديثاً ، ولكن حمد الحجي ينصحه بأن لا يستمع إلى الشعر ، ولا يجلس مع

مقابلة بعنوان : شاعر مناجاة العقل ، ومرافقة البؤس ، ومصاحبة الشقاء ، ورحلة عمرها ١٢ سنة في

البحث عن علاج ، جريدة الجزيرة العدد ٥٤٨٢ وتاريخ ١٤٠٨/٢/٩ هـ .

(١) انظر الشاعر حمد الحجي ، ص ٥٥ .

(٢) من المقابلة التي أجريتها مع الأخصائي النفسي سعد الجريان .

الشعراء ، ثم يستشهد له بقوله تعالى : ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾^(١) [سورة الشعراء، الآية : ٢٢٤].

وربما كان في حالة نفسية جيدة فيسمح بتدوين شيء من أبياته ، لكن تلك الحالة الجيدة لا تأتي إلا في القليل النادر ، وقد استطاع سعد الجريان أن يدون بعضاً من الأبيات التي أبدعها في الدار^(٢).

ثم جاء شكل آخر من أشكال رفض شعره عندما صرح بالتوبة عن كل ما قال من شعر من خلال لقاءاته مع بعض المؤلفين فإذا سئل عن شعره قال : " ذلك أمر أستغفر الله منه"^(٣) ، ويصرح بهذا أيضا في لقاءاته الصحفية فقد سئل : هل تقول الشعر حاليا ؟ وكانت إجابته : " لا .. فقد تبت عن قول الشعر"^(٤).

ثم تطور شكل الرفض حيث رجع إلى شعر قديم قاله وأتلفه ؛ مما يدل على ذكرى حزينة يحملها شعره القديم ، وربما كان لديه شعرٌ كثيرٌ وصلت إليه يدُ التمزيق فأوقفته عن التقدم نحو أسماع المتلقين ، ويؤكد الشاعر هذا عندما سئل عن شعره فقال : " أحرقت القصائد التي لدي ، ولن أعود مرة أخرى لقول

(١) السابق .

(٢) السابق .

(٣) من شعراء البؤس ، ص ٥٦ .

(٤) من المقابلة التي أجريت مع الشاعر في جريدة اليوم العدد ٥٢٠١ ، وتاريخ ١٨ / ١ / ١٤٠٨ هـ .

الشعر ، ولا أحفظ مما قلت سوى أبيات قليلة^(١) .

وبهذا يتضح الأثر الكبير الذي أحدثه المرض على نفسية الشاعر ، وكان

تأثيره في شعره ظاهرا ، ثم تأثيره على شعره عندما توقف عن قول الشعر ،

وأحرق كل ما لديه من قصائد ، وتعهد بعدم العودة إليه مرة أخرى .

رحلاته

لاشك أن للرحلة أثرها الفاعل والمجدي في حياة المرتحل ، وفي نفسيته ، وربما كان لها إسهامٌ في تصحيح بعض المفاهيم التي يفهمها المرتحل بشكل مغاير قبل رحلته ، وذلك من خلال الاطلاع على ما عند الآخر ، واكتساب الخبرات مما تمارسه الشعوب البعيدة عن موئله ، هذا بالإضافة إلى المعرفة التي تتكون من رؤية أحوال الشعوب ، وتأمل أوجه الاختلاف بين مجتمعه والمجتمعات الأخرى؛ سعياً إلى تصحيح بعض الجوانب السلبية التي يراها في مجتمعه ، وتثبيت الجوانب الإيجابية.

وتتنوع أهداف الرحلات بتنوع حاجات المرتحل ؛ فمنها ما يكون هدفه المعرفة والاطلاع ، ومنها ما يكون الهدف منه السياحة والترويح ، ومنها ما يهدف إلى التجارة ، ومنها ما يهدف إلى العبادة ، ومنها ما يهدف إلى الكشف أو الاستشفاء^(١) ، وأياً كان الدافع الأصلي إلى الرحلة فإن المعرفة تظل الأوفر حظاً ؛ ذلك لأنها لا تتخلف حتى وإن كان الدافع الأساس غيرها .

ويظهر الجانب النفسي على المرتحل في رحلته ، ويقوم بأثر ملموس

(١) انظر الرحلة والرحالة دراسة إنسانية ، د. حسين محمد فهميم ، ندوة الثقافة والعلوم ، دبي ، الطبعة الأولى ،

- وبخاصة إذا طال السفر - فقد يغلبه الشوق إلى بلاده ، وتستهو به رؤية الأهل والأقارب والأصحاب ، وإذا كان المرتحل أدبيا فإنه - لا شك - سيسكب مشاعره ، وينثر أحاسيسه بأي شكل من الأشكال الأدبية ، فتظهر موضوعات جميلة تستحق القراءة ، ويتسابق إلى دراستها الدارسون .

وكان حمد الحجي كثيرَ الارتحال ، وصل إلى بلاد بعيدة ، ومكث في تلك البلدان مددا طويلة ، وكان لزياراته هذه البلدان أثر كبير في ثقافته وعلى نفسيته ، كما ظهر تأثيرها في شعره .

وقد اتخذت رحلات حمد الحجي شكلين رئيسين ؛ فكانت في البداية من أجل السياحة والاطلاع على ما عند الآخر ، وعندما أصيب بالمرض النفسي غادر بلاده أكثر من مرة من أجل العلاج والاستشفاء ، بعد أن بذل جهدا في العلاج داخل المملكة العربية السعودية^(١) ، ومهما كان سبب الرحلة فإن تأثيرها عليه بارز ، وقد أضاف لثقافته شيئا كثيرا ، ولكن ظل تأثير الشكل الأول - أعني رحلاته قبل المرض - أكثر بروزا في شعره ؛ لأن هذا الأثر ظهر بشكل مباشر في شعره ، ولأنه قد توقف عن كتابة الشعر بعد المرض إلا في أحيان نادرة .

ومن أهم الدول التي سافر حمد الحجي إليها لبنان ، فقد زارها أكثر من مرة ، فابتعد عن بلاده وعن أقاربه ، وأثر ذلك البعد في نفسيته ، ولكنها مع

(١) من المقابلة التي أجريت مع الشاعر في جريدة اليوم ، العدد ٥٢٠١ ، وتاريخ : ١٨ / ١ / ١٤٠٨ هـ . ومن

ملف متابعته في مركز الرعاية الاجتماعية .

ذلك طبعت ذكرى جيدة في نفسه كما لم تطبعها دولة غيرها ، ولا غرابة في ذلك فلبنان تعد وجهها حضاريا ماثلا ؛ لما تتميز به من تطور معرفي وثقافي ، وما فيها من جمال الطبيعية ، الأمر الذي أكسبها إعجاب زائريها .

فأما من جانب التطور المعرفي والثقافي ؛ فقد تميزت بلاد الشام بوجه عام بتيقظ الشخصية العربية ، مع الاستفادة من الحضارة الغربية ، وكانت لبنان بحكم موقعها الجغرافي تتصل بالغرب منذ القرن السابع عشر بطرق الاتصال المتعددة ، فكان التأثير كبيراً على ثقافتها^(١)، ولهذا صارت لبنان من الدول العربية السبابة إلى العلم والحضارة ، " فقد كان اللبنانيون بحق أركان الصحافة العربية ؛ باثروا مسؤولياتها في لبنان ، وحملوا أعباءها في مصر^(٢)" ، ولا يخفى أثر الصحافة في الحياة الثقافية بوجه عام ، والأدب بوجه خاص ، وانطلاقاً من هذا الأثر يمكن أن يلتمس تأثير حمد الحجي بما شاهده من ثورة معرفية وثقافية هناك .

كما كانت المكتبات في لبنان عاملاً فاعلاً في الحياة الفكرية ، وعرفت لبنان بكثرة دور النشر والمكتبات العامة ، مثل مكتبة الجامعة الأمريكية ، والمكتبة

(١) انظر لمحات من الثقافة في سوريا ولبنان ، علي المصري ، مجلة المنهل ، العدد ٤٤٥ ، السنة ٥٢ ، المجلد ٤٧ ، شهرا شعبان ورمضان ، عام ١٤٠٦هـ / ١٩٦٨م ، ص ١٥٠ .

(٢) لبنان والنهضة العربية الحديثة ، جبران مسعود ، بيت الحكمة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٧م .

الشرقية في بيروت^(١)، وإطلاع حمد الحجبي على هذه الكتب، وقراءته للصحافة اللبنانية له أثر كبير في شعره؛ يدل على ذلك أنه كان ينشر بعض إبداعاته في مجلة الورود اللبنانية، وكان يصطحب معه تلك المجلة عندما كان في المملكة العربية السعودية، ويتابعها، ويقرأ شعره المنشور فيها على زملائه^(٢).

وأما جمال الطبيعة؛ ففي لبنان جمال الطبيعة البديع الذي يأسر القلب، ويسر العين؛ فحيثما اتجهت العين ترى بساتين الليمون والزيتون والتفاح والكرز، وأنواعاً جميلة من الصنوبر والسنديان والأرز، وكلها مجللة بخضرة دائمة، وشمس دافئة، كما ترى الأنهار ومجاري المياه تحملها إلى المدن والقرى والبساتين، في مناظر بديعة ترتاح لها النفوس، وتطمئن بها القلوب، وهواء لبنان منعش تنقيه أغصان أشجار الصنوبر والزيتون والسنديان، وتعطره بأريجها الزكي^(٣).

إن هذا الجمال الأخاذ ليدخل السرور إلى الإنسان، ويصلح أن يكون موضوعاً للتأمل، سواء عن طريق الحواس أو عن طريق الذهن ذاته^(٤)، والشاعر

(١) انظر لبنان والنهضة العربية الحديثة، ص ٥٩.

(٢) انظر من شعراء البؤس، ص ٥٦. وانظر مقدمة عذاب السنين، محمد بن أحمد الشدي، ص ٥.

(٣) انظر وجه لبنان في معالمه الحضارية والثقافية والسياحية والاقتصادية والاجتماعية، للمهندس بولس فارس بولس، مكتبة القرية، بيروت، د. ط، ١٩٨٦م، من ص ٨٨ - ٩٥.

(٤) انظر الجمالية، ر. ف. جونسن، ترجمة د. عبد الواحد لؤلؤة، موسوعة المصطلح النقدي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م، المجلد الأول، ص ٢٧٢.

هو خير من يتأمل ذلك ويبرزه لمتذوقي شعره ، وقد أحسن حمد الحججي التأمل حينما أبرز وجه لبنان الجميل ، وطبيعته الساحرة ؛ وذلك يقدم مستندا نفسيا مهما ألا وهو إحساس الشاعر حمد الحججي بالجمال ، وإعجابه بما يحفل به هذا البلد من روعة الطبيعة ، وجمالها المبهر .

وقد كان لحمد الحججي أسلوبه وطابعه الخاص ، ورؤيته الشخصية التي جمعت بين الجمالين : جمال الطبيعة ، الذي أوجده الخالق جل وعلا ، وأحسن صنعه ، وجمال الفن^(١) الذي أتقنه الشاعر بما أوتي من قدرة فنية على الإفصاح عن جمال الطبيعة المتناهي ، وإبرازه بشكل آخر غير شكله المعروف عندما تراه العين ؛ إذ يرى بعض دارسي علم الجمال "أن الطبيعة ليس لها قيمة جمالية إلا عندما يُنظر إليها من خلال فن من الفنون عندما تكون قد ترجمت إلى لغة الأعمال الفنية التي صنعتها عقلية الفنان وإحساسه ، وشكلها بتقنية خاصة به"^(٢).

ويمكن أن يستنتج - أيضاً - إعجاب الحججي بهذا البلد من أحاديثه المتكررة عنها ، وصياغة جمل الإعجاب والثناء ، أو من خلال ما صوره شعره من وصف لطبيعتها ، أو تصوير لحياته السعيدة التي عاشها في بساتين لبنان الجميلة ،

(١) انظر علم الجمال نظرية وتطبيق في الموسيقى والمسرح والفنون التشكيلية ، د. غازي الخالدي ، منشورات

وزارة الثقافة ، دمشق ، د. ط ، ١٩٩٩م ، ص ٧٦ .

(٢) السابق ، ص ٧٧ .

وحداتها الغناء البديعة ؛ فهو يقول : "... وقد تكون بيروت – عاصمة لبنان – هي الأقرب إلى نفسي ، وقد أعجبتني الطبيعة الخلابة فيها ، وجمال وروعة التنظيم"^(١) ، فقد كان تركيزه في إجابته على جانبيين من الجمال يهمان حمد الحجبي كثيرا ، ويمثلان ما تطمح له نفسيته ، وهما : جانب الجمال المعرفي ؛ ويتمثل في قوله (جمال وروعة التنظيم) ، وجانب جمال الطبيعة ؛ ويتمثل في قوله : (الطبيعة الخلابة). ويظل الشاعر يكرر ما شاهده في لبنان أثناء مرضه ، مما يدل على احتفاظه بذكرات السعادة فيها ، إذ غالبا ما كان يصف لبنان ، ويتكلم عنها مع سعد الجريان عندما كان نزيفا دار الرعاية الاجتماعية على الرغم من أنه قد زار بلدانا كثيرة غيرها قبل حديثه مع الأخصائي النفسي ، ولكنه لم يكن يظهر إعجابه إلا بلبنان"^(٢) ، وتلك دلالة نفسية تقود إلى حبه هذا البلد ، وتأثره به .

وقد أبان شعره عن هذا الجمال المتناهي ، وصورت عاطفته حجم الإعجاب بلبنان وما يحويه من جمال ، وكان له فيها ذكريات جميلة أفصح حمد الحجبي عن بعضها عندما وصل إلى نجد"^(٣) ليكون جمال هذا البلد واحداً من أبرز المؤثرات التي أثرت في شعره ، فهو يقول عن بلاد لبنان :

لُبْنَانُ يَا بَلَدَ الطَّبِيعَةِ وَالْهَوَىٰ وَالشَّعْرِ فِي أَدْنَاهُ أَوْ أَقْصَاهُ

(١) من المقابلة التي أجريت مع الشاعر في جريدة اليوم ، العدد ٥٢٠١ ، وتاريخ : ١٨ / ١ / ١٤٠٨ هـ .

(٢) من المقابلة التي أجريتها مع الأخصائي النفسي سعد الجريان .

(٣) انظر الشاعر حمد الحجبي ، ص ٢٣ .

أَهْوَى الْجَدَاوِلَ وَالصُّخُورَ إِذَا جَرَتْ عِنْدَ الْأَصِيلِ عَلَى الصُّخُورِ مِيَاهُ^(١)
 ولم يكن جمال لبنان في رحلاته إليها هو المؤثر الوحيد في شعر حمد الحجي ،
 ذلك لأن في شعره جانباً نفسياً مؤثراً أشد التأثير ؛ وذلك الجانب هو غربة الشاعر
 وابتعاده عن وطنه ؛ فمهما كانت سعادة الإنسان في رحلته ، ومهما بلغ أنسه بما
 ينعم به من رؤية مظاهر الجمال ، والتلذذ بتقليب النظر في أفيائه ، فإن ذلك كله لا
 ينسيه البلد الذي نهل من خيراته ، وتربى في أحضانه .

وقد جعل بعض المتخصصين في علم النفس الغربية وابتعاد الإنسان عن
 وطنه وأهله من أسباب الإصابة بمرض الفصام - وهو المرض النفسي الذي
 أصيب به حمد الحجي كما تقدم - نتيجة المتاعب التي قد تمر عليه في غربته ، لكن
 الغربية لا يمكن أن تكون السبب المباشر للإصابة بهذا المرض ، ولكن قد يكون
 المريض مهيناً للإصابة به نتيجة أسباب كثيرة تجتمع عليه وتكون الغربية أحد هذه
 الأسباب^(٢).

وقد كان حمد الحجي شديد الحساسية ، ولذلك فإن الغربية تؤثر في نفسيته ،
 وتكشف جانبا مهماً فيها ؛ يسافر إلى لبنان ويأنس بما فيها من ملذات ومسليات ،
 وحين يتذكر بلده يحزن على بعدها ، ويتمنى لقاء أحبائه وأهله ، فيشتعل الحنين في

(١) عذاب السنين . ص ١٠٠ .

(٢) انظر الفصام . ص ٣٨ . وانظر كذلك الفصام دراسة في اضطرابات الشخصية والتفكير والسلوك ،

قلبه إلى بلده لتعلقه الشديد بها ، وولمه عليها ، فإذا عاد إلى نجد وقابل أهله ، ورأى أصحابه ، فإنه يتبرم من مصاحبتهم أو الجلوس معهم ؛ فيغلبه الحنين إلى لبنان ويتذكر ما فيها من جمال ، ويشتاق إلى العودة إليها من جديد^(١).

لقد سئل الشاعر في أحد اللقاءات الصحفية هذا السؤال : ما مناسبة قصيدتك (يا عيد) ؟ فأجاب : " قلت هذه القصيدة وأنا خلال تلك الفترة في بيروت ، وسبب نظمي تلك القصيدة شدة الحنين إلى الأهل والوطن ، وقساوة ومرارة الغربة ، والعيش بعيدا عن الأهل والوطن والأصحاب والأحباب ، فجاءت هذه القصيدة تعبر عن شدة شوقي إلى أهلي وإلى نجد وإلى تراب الوطن ، وإلى الأحباب عامة^(٢)".

وهكذا تكشف تلك التعبيرات - التي تتناقض مع موقفه من مجتمعه إذا كان قريبا منه - أن للشاعر عاطفتين متناقضتين تجاه أهل بلده ، كما أن لمجتمعه الذي يعيش فيه صورتين مختلفتين ، وهاتان العاطفتان مرتبطتان بالصورتين المختلفتين اللتين يتصور بهما أهل بلده ، وقد أظهرت رحلاته خارج المملكة - وخصوصا لبنان - تلك الصورتين المختلفتين .

تظهر عاطفة الحب والشوق حين يبتعد عن أهله فيشتاق إليهم ، ويرغب بالجلوس مع أصحابه وأحبابه لأنه بعيد عنهم ، ولكن تلك الصورة ما تلبث أن

(١) انظر الشاعر حمد الحجي ، ص ٢٣ .

(٢) من المقابلة التي أجريت مع الشاعر في جريدة اليوم ، العدد ٥٢٠١ ، وتاريخ : ١٨ / ١ / ١٤٠٨ هـ .

تختفي فتظهر عاطفة أخرى مغايرة عندما يصل إلى بلده ويقترّب من أصحابه ، فتظهر عاطفة التبرّم منهم ، والملل من مصاحبتهم أو الجلوس معهم . وتُظهِرُ هذه العواطفُ أنه يحتزن في نفسه وعقله صورتين لمجتمعه ، تظهر الصورة الأولى إذا ابتعد عنهم ، والبعد هنا يظهر في نفسه مجتمعا خاليا من العيوب ، مليئاً بالمزايا والحسنات ، بينما تختفي هذه المزايا وتلك الحسنات عندما يقترّب من أفراد مجتمعه ، ويتواصل معهم ، فيبدو مجتمعا خالياً من المزايا ، ويفيض بالعيوب والمتناقضات ، وهكذا تكشف رحلته خارج المملكة العربية السعودية تلك النفسية الغريبة والمعقدة ، ويكون لشعره نصيبٌ منها .

إن ظهور هاتين العاطفتين من أهم الأعراض التي تتسم بها الشخصية الفصامية ، وربما صح القول إن هذه المواقف تدل على أعراض غير صحية لشخصية الشاعر ؛ ذلك أن من سمات الشخصية شبه الفصامية استرجاع الماضي ، وكثرة الحنين إليه ، لأنه يمدّه بمواضيع لتأملاته^(١).

وقد أكد أحد الباحثين في مرض الفصام هذا العرض الذي يتتاب الشخصية شبه الفصامية مبيّناً أن حنين الشخصية شبه الفصامية للماضي يكون مستمرا حتى وإن كانت الذكريات الماضية غير جميلة ؛ لأنها " أصبحت ماضيا وزالت عنها مأساويتها ، ولم يبق منها إلا الذكرى"^(٢) ، ويؤكد ذلك بمثال ينطبق

(١) انظر الفصام دراسة في اضطرابات الشخصية والتفكير والسلوك ، ص ٣٣ .

(٢) السابق ، ص ٣٣ .

على الفكرة التي تقدم الحديث عنها في مواقف حمد الحجري أثناء سفره ، وبعد عودته فيقول : "يسافر إلى مكان ما ، أو يتسلم عملا ما ، وبعد فترة يضيق به ذرعا، فيبدله بمكان آخر أو عمل آخر ، ثم يعاوده الحنين للمكان الأول ، ولا يتذكر منه إلا حسانه ، فإن عاد إليه عاد إليه ضجره وتبرمه ، وهكذا تسير به الأيام يقضي حياته بين شوق إلى آت ، وتحسر على ماضٍ"^(١) .

وكانت لبنان هي المحطة الأولى في ترتيب رحلاته ، وبدأت رحلته تلك بغرض السياحة والاطلاع^(٢) ، وأما ما يعقبها من محطات فكان الغرض منها العلاج والاستشفاء ، فبعد أن أصيب الشاعر بالمرض النفسي وحاول أهله البحث عن علاج له داخل المملكة عن طريق الطب الشعبي بداية ، ثم بالعلاج في مستشفى الصحة النفسية في الطائف^(٣) ، ولكن تلك المحاولات باءت بالفشل ، فسافر إلى خارج المملكة طلبا للعلاج من هذا المرض الذي أثقل عقله ، وأرهق نفسه .

وتبعت رحلته إلى لبنان رحلة أخرى للعلاج وكانت وجهتها الكويت ، مكث فيها ما يقارب العام ، وقد تحسنت حالته قليلا بعد عودته من الكويت ، ولكن هاتين الرحلتين لم تقدا له الجديد ، فعاوده المرض بعد ذلك ، وظل على

(١) الفصام دراسة في اضطرابات الشخصية والتفكير والسلوك ، ص ٣٣ .

(٢) من المقابلة التي أجريتها مع أخت الشاعر في منزل ابنها في مرات .

(٣) من ملف حمد الحجري عندما كان نزيلاً دار الرعاية الاجتماعية في الرياض .

حالته المرهقة من تعب النفس ، و حيرة الفكر والعقل^(١)، وعاد بعد هاتين الرحلتين إلى الرياض حاملاً مرضه وأحزانه .

وكانت عودته مؤثرة في نفوس المجتمع السعودي ، فأقامت مجلة اليمامة دعوة للتبرع لعلاج الشاعر حمد الحججي من هذا المرض عبر صفحاتها^(٢)، فبدأت رحلة علاجية جديدة.

وقد بدأت رحلته إلى لندن ، فقد سافر إليها ومكث فيها شهرين ، وقد كانت هذه الرحلة مؤثرة تأثيراً إيجابياً على الشاعر فقد تماثل إلى الشفاء في لندن ، وبعد عودته ذهب إلى بلدته الصغيرة مرات ، وحضر الشاعر حفلاً في إحدى مدارسها ، وشارك في مساجلة شعرية مع الأستاذ سعد الحسن ، وقد فرح كثيرون من أهل بلدته واستبشروا ؛ لأنهم رأوا رجلاً مختلفاً عن الرجل الذي غادر بلدهم قبل شهور قليلة ، فقد لاحظوا أن حالته تحسنت ، وربما كان هذا نتيجة المهدئات التي كان يأخذها ، ولكن هذه الحالة لم تطل فقد كر عليه المرض من جديد^(٣).

ومن محطات السفر التي ركبها الشاعر رحلته إلى مصر ، والغرض من هذه الرحلة علاجي أيضاً ، فقد سافر مع الأستاذ محمد الشدي إلى مصر للبحث عن

(١) انظر الشاعر حمد الحججي ، ص ١٠ .

(٢) من المقابلة التي أجريتها مع الأستاذ محمد بن أحمد الشدي ، مدير جمعية الثقافة والفنون ، وكان رئيس تحرير مجلة اليمامة آنذاك بتاريخ ٢٦ / ٣ / ١٤٢٥ هـ.

(٣) من المقابلة التي أجريتها مع ابن أخت الشاعر دعيج بن حمد الدعيج في منزله في مرات .

علاج لهذا المرض النفسي المرهق ، ووجد عناية في بعض المصححات النفسية في مصر ، وبدأ يستجيب للعلاج أثناء إقامته هناك ، وقد لحظ رفيقه هذا الأمر ؛ فقد كان الشاعر " متجاوباً مع رفقته في السفر ، ومجالسه مشوقة جدا ، وكلامه موزون ، وينم عن ثقافة واسعة وأكثر ما يتحدث عن الثقافة والشعر بوجه عام"^(١).

وبهذا يتبين النوع المؤثر في شعر حمد الحجي من أنواع رحلاته ، فقد كانت رحلته الأولى إلى لبنان قبل أن يصاب بالمرض النفسي مؤثرة في شعره أشد التأثير كما أثرت في نفسه من خلال كلماته عنها ، أما رحلاته بعد المرض فلم بين تأثيرها في شعره نتيجة توقفه عن الإبداع بعده ، وإن كان لها تأثيرٌ يسيرٌ في حالته الصحية حيث تتحسن حالته بعد كل رحلة لكنه ما يلبث قليلا حتى يهاجمه مرضه من جديد. كما يتبين أثر الرحلة الأولى في شعر حمد الحجي ، فقد تأثر شعره بلبنان من جانبين :

الجانب الإيجابي : حيث استفاد مما تحفل به من علم وثقافة ، وراعه جمالها فصوره أجمل تصوير ، وأبرزه في لوحة شعرية جميلة.

الجانب السلبي : حيث تأثر أشد الأثر بالبعد عن وطنه ، ومفارقة أحبائه وأصحابه ، وقد صور شعره هذا الجانب بعاطفة مليئة بالحزن ، مؤثرة أشد التأثير.

(١) من المقابلة التي أجريتها مع الأستاذ محمد بن أحمد الشدي ، مدير جمعية الثقافة والفنون.

صفاته

تناولت المباحث السابقة الصفات المكتسبة مما مرَّ على الشاعر في مراحل حياته المختلفة ، ولكنَّ الشخصية لا تقوم على العناصر المكتسبة فحسب ؛ بحيث يكون المؤثر فيها هو ما يمر بها من أحداث في مختلف مراحل الحياة ، بل إن فيها صفات أصيلةً ، ومواهب متعددة يمكن أن تؤثر على نفسية الإنسان ، ويكون لها الأثر الواضح في رسم معالم شخصيته .

والأمر ذاته يكون بالنسبة لشخصية الشاعر أو المبدع ، فقد يؤثر في شعر الشاعر ما يتمتع به من موهبة^(١) ، أو ما يتصف به من صفات ، ويكون - بتلك الصفات - شاعرا متميزا عن بقية الشعراء ، وينعكس ذلك التميز على ما يقدمه في إبداعه فيكون إبداعا مميزا ، ولا أعني بالتميز هنا التفوق على المنافس ، بل المقصود به ما يميز شخصية المبدع عن غيرها من شخصيات الآخرين ، بحيث يتسم إبداعه بالأصالة .

وقد أبرزت المباحث السابقة لمحاتٍ من بعض الصفات التي تميز بها حمد الحجي ، وكان لها تأثير واضح فيما يقدمه من إبداع ، ولكن أفرادها بمبحث

(١) انظر الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي أصوله وقضاياه ، د. سعد أبو الرضا ، مكتبة المعارف ،

خاص مستقل مهم لسببين رئيسين :

أولاً : أن تأثير تلك الصفات في شعره بارزٌ ، بل ربما أسهمت في التعريف بها تتميز به نفسه من صفات أصيلة تقوده إلى الإبداع ، ويكون لهذه الصفات أثر كبير في توجيه الشاعر إلى الموضوعات التي تجلج شعره وتغلب سمتها عليه ، كما أنها قد تحدد اتجاهه بين الشعراء .

ثانياً : أن الإشارة إلى تلك الصفات في المباحث السابقة لم تكن كافية لمعرفة أثرها المباشر في شعره ، فهي لا تعدو كونها إيحاءاتٍ سريعةً جاءت ضمن المؤثرات المكتسبة ؛ لذا كان من المهم تخصيص مبحث خاص لمناقشة أثر الصفات الأصيلة في شعره .

وقد سبقت الإشارة في المباحث السابقة إلى ما يتمتع به حمد الحجي من ملكة الذكاء ، فالتأمل فيما يمر به الشاعر من مواقف وأحداث في حياته قبل المرض يستدل على هذه الملكة بدون جهد أو تعب ، وقد عرفه أصدقاؤه وزملاؤه بالذكاء والفتنة ، وتلك من أهم السمات والمؤثرات المباشرة التي أثرت في إبداعه .

لقد عرّف الشاعر بهذه الصفة منذ طفولته ؛ تمرُّ بهذا الطفل الصغير المأسى المؤلمة ، والأحداث العظام ؛ فيَغَيَّبُ الموت أمّه التي تحنو عليه ، ثم يخطف أخويه ، ثم ينأى عن بيت والده الذي اعتاد عليه ، ويعيش في بيت أخته ؛ لكن تلك الرزايا لا تعيقه عن دراسته ، بل يتجاوزها كلّها ، ويصبح أحد الطلاب الناجحين في

المرحلة الابتدائية ، بل المتفوقين على أقرانه ، محققا الدرجات العليا في جميع مواد الدراسة^(١).

إن ذلك يدل على ذكائه المتوقد ، وعلى فطنته وقدرته على استيعاب ما يلقي عليه من دروس ، كما أنها تدل على الإحساس الداخلي بوجود حاجة إلى المعرفة ، ولأجل هذه الحاجة يتجاوز كل الظروف التي يمكن أن تعيقه عن تحقيق هدفه ، أو توقفه عن بلوغ ما يصبو إليه ، وذلك الإحساس هو من أهم ما يميز المبدعين عن غيرهم من الناس^(٢)؛ فبمجرد ما تعترض طريقهم تلك المشكلة التي قد تعيقهم عن بلوغ أهدافهم أيا كان شكلها ، ومهما كان حجمها فإن لديهم قدرة على الإحساس بتلك المشكلة ، وبذلك الإحساس يحصل الانفراج ؛ لأنها تحرك عقولهم لإيجاد حل لها ، وبعده يستطيع المبدع إيجاد الحلول التي تتناسب مع حجم هذه المشكلة.

وقد عدَّ بعض الباحثين^(٣) الاستدلال على المشكلة ، ومن ثم حلها من أهم الجوانب في الذكاء ، ولهذا كان هذان الجانبان حاضرين كعنصرين من عناصر تعريف الذكاء سواء كان بشكل مباشر أو غير مباشر^(٤)، وهو الأمر الذي جعل

(١) انظر ص ٤٠ من هذا البحث .

(٢) انظر الحكمة الضائعة : الإبداع والاضطراب النفسي والمجتمع . ص ٥٨ .

(٣) هو (روبرت سترنبرج) . وله إسهامات مهمة في نظريات الذكاء .

(٤) انظر علم نفس الإبداع ، ص ٢٥٥ - ٢٥٦ .

البعض يعرف الذكاء بالنظر إلى هذه الجهة بالذات ؛ فيقول : إنه "القدرة على أن يقوم المرء بالتكيف بكفاءة مع المواقف الجديدة في الحياة"^(١)

وقد عَرَفَ الحَجِّيُّ أساتذته وزملاؤه في المعهد العلمي وكليتي الشريعة واللغة العربية بهذه الصفة ، (أعني صفة الذكاء والفطنة) ، وأكد ذلك المهتمون به؛ إذ يؤكد الأستاذ محمد الشدي هذه الصفة ؛ حيث ظنَّ أن من أسباب إصابته بهذا المرض ذكائه الشديد مما يُسبَّبُ له الحسد الذي يملأ قلوب بعض الناس لرؤيتهم إياه بهذا الحجم من النبوغ والفطنة ؛ فهو يقول: " منذ شبابه عرف بالذكاء ... وربما أن تفوقه ونبوغه سبب له شيئا من الحسد ، وهذا أمر وارد ونسبته كبيرة"^(٢).

ويحسن بعد ذلك التوقف عند مسألة تخص ذكاء الشاعر حمد الحججي في غاية الأهمية تؤكد ما يتمتع به من يقظة ذهنية ، وذكاء متوقد ؛ إذ يذكر الأستاذ محمد الشدي أنه عندما رغب الشاعر بدراسة اللغة العربية في كليتها ، وكان يدرس في كلية الشريعة فإنه استطاع أن يجمع الدراسة في الكليتين وصار يؤدي اختبار مناهج الكليتين في آن واحد"^(٣)؛ إن هذا الحدث يعد فريدا ، بل يؤكد ما

(١) السابق ، ص ٢٥٦ .

(٢) من اللقاء الذي أجرته مع الأستاذ محمد الشدي في مكتبه بجمعية الثقافة والفنون .

(٣) انظر عذاب السنين ، صفحة الغلاف ، كما أكد لي ذلك الأستاذ محمد الشدي في اللقاء الذي أجرته معه بمكتبه بجمعية الثقافة والفنون ، ولكن الأستاذ الدكتور محمد بن سعد بن حسين يرى غير هذا الرأي ، =

يتمتع به من قدرة عقلية فائقة فلم يكن أكثر زملائه يستطيعون الجمع بين تلك الأعباء الكثيرة والكبيرة ؛ لأنها تحتاج إلى ذهن صاف ، وذكاء متوقد ، كما يؤكد هذا الحدث الفروق الفردية الكبيرة التي تميزه عن زملائه الآخرين في الدراسة .

وبما أن الشاعر يتمتع بعقلية مميزة ، وذكاء حاد ، فإن كثيرا من علماء النفس قد أكدوا عن طريق التجارب والاختبارات النفسية المختلفة أن الذكاء أحد المكونات المهمة للعبقرية ، وانتهت كثير من هذه الدراسات إلى أن من مكونات العبقرية في الإبداع هو الذكاء المتفوق^(١)، وإن كان هذا التفسير لا يجعل الذكاء وحده هو الذي ينهض بهذا الدور الإبداعي، وليس هو التفسير الوحيد للإبداع الشعري .

وإذا كانت تلك الدراسات قد أكدت على أهمية الذكاء بالنسبة للإبداع ، فإن هذا الاتجاه لم يكن متفقا عليه ؛ بل منها ما يرى استقلالية الذكاء عن التفكير الإبداعي^(٢) ، ولكن القول بالعلاقة الارتباطية بينهما تدعمه كثير من الدراسات والتجارب .

ومما يدعم القول بأن نسبة الذكاء لدى شخصية المبدع مؤثرة تأثيرا إيجابيا

=

انظر ص ٥٢ من هذا البحث .

(١) انظر الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي أصوله وقضاياها ، ص ٤٥ - وانظر كذلك التفسير النفسي للأدب ٤١ .

(٢) انظر علم نفس الإبداع ، ص ٢٢٦ .

على قدرته الإبداعية هو ما توصلت إليه بعض الدراسات النفسية من خلال دراسة العلاقة بين الإبداع والذكاء ؛ فقد أشارت بعض الدراسات^(١) إلى مسألة العلاقة بين الإبداع والذكاء من خلال التعرف على المقياس الذي يقاس به الجانبان ، وقد وصلت تلك الدراسات إلى أن القدرة العقلية التي تقيسها اختبارات الذكاء والتي تقيسها اختبارات الإبداع تكاد تكون واحدة^(٢) ، كما أن هناك دراسات أخرى^(٣) تعرضت لتلك القضية وقد أكدت "على أن هناك ارتباطا عبر المدى الكلي للعلاقة بين الإبداع والذكاء ، ولكن حجم هذا الارتباط يختلف إلى حد كبير عند المستويات المختلفة من الذكاء"^(٤).

ومن الصفات التي عرف بها الشاعر حمد الحجي الطلاقة ، وجريان الشعر على لسانه ؛ وهذه الصفة لها أثر واضح ومباشر في شعره ، وسيتبين هذا الأثر من طريقته في كتابة بعض إبداعاته الجميلة ، كما تدل هذه الصفة على تمكن في كتابة الشعر ، وعلى شاعرية متأصلة ، وعند التحقيق والعودة إلى ما ورد مما يدل على هذه الصفة يلحظ أمر في غاية الأهمية ؛ وهو أن الشاعر إذا كتب قصيدة في فترة وجيزة فإن القصيدة تخرج محكمة ، وليست من النظم ، أو رصف الأوزان دون

(١) قام بتلك الدراسة (جيتزلز) و(جاكسون) و(تورانس).

(٢) انظر علم نفس الإبداع ، ص ٢٥٦ .

(٣) قام بتلك الدراسة (مير) و(شتاين رباون) و(ماكينون).

(٤) علم نفس الإبداع ، ص ٢٥٦ .

تمكن في صياغة الشعر وتأثير على المتلقين ، ويشهد لها النقاد بالقوة والسبق .
وتتجلى هذه الصفة في عدد من المواقف التي يؤكدها الشاعر نفسه ، أو من
عرف الشاعر من زملائه وهم يرونه يكتب القصيدة أمامهم دون حاجة إلى عزلة
اللهم إلا العزلة التأملية ؛ وذلك أنه يكون بين زملائه وهم منهمكون في الحديث ،
فيتناول ورقة وقلما ، ويبدأ بالتفكير ، وما هي إلا دقائق معدودة حتى يخرج من
هذه العزلة التأملية بقصيدة تتجاوز الخمسة عشر بيتا ، يكتبها وكأنها تملى عليه
إملاء^(١) .

والقصيدة التي يكتبها الشاعر في تلك الظروف لا تخرج قصيدة عادية ،
وإنما تحمل فكرا ورؤية ، وتتضمن طابع الشاعر ، وتلقى الرضا والإعجاب من
النقاد والمتلقين ؛ فقد أبدع الشاعرُ قصيدةً حَيَّ بها الدكتور أحمد زكريا نيس تحرير
مجلة العربي " لما علم أنه سيزور كليتي الشريعة و اللغة العربية قبل ساعة من قيامه
بالزيارة .. وألقى القصيدة التي حظيت منه ومن الحاضرين بالتقدير والإعجاب
بسرعة بديهته ، وخصوبة قريحته"^(٢) ، وقد نشرت هذه القصيدة بعنوان (يا بدر) في
مجلة اليمامة^(٣) .

(١) انظر من شعراء البؤس ، ص ١٧٨ .

(٢) حمد الحجي الشاعر البائس . عبد الله بن ادريس ، جريدة الرياض ، العدد ٧٤٥٠ ، تاريخ
١٤٠٩/٤/٦ هـ .

(٣) انظر زاوية مع الشعراء ، مجلة اليمامة ، العدد ١٩٩ ، وتاريخ ١٣٧٩/٦/٦ هـ .

وإبداع الشاعر لهذه القصيدة في فترة زمنية قصيرة ، ومن ثمَّ خروجها بشكل فني بديع — كما يشهد بذلك متلقوها — يجعل القارئ يتساءل عن السرِّ الذي يختفي خلف هذا الإبداع ، كما يتساءل عن القوة التي تدفعه إليه ؛ ذلك السر الذي أرجعه النقاد القدماء إلى الإلهام ؛ حيث يعتقدون بوجود قوى خارجية تدفع الشاعر إلى قول الشعر ، بل إنها التي تملي عليه الشعر^(١).

ولكن هذا الاتجاه يلغي دور العقل في العملية الإبداعية ، ويذهب إلى أن أجود الشعر وأعدبه " يهبط على أصحابه من قوى خفية ، وهو اجس سحرية تتجسد في شياطين الشعر الذين ليسوا سوى شخصيات متحللة من نسج الخيال المستمد من العقل الباطن"^(٢)، كما أنه يعني إرجاع ما يبدعه الشاعر إلى أشياء خارجية عنه ، مع أنها — بحق — ناتجة من صفات أصلية ملازمة له^(٣).

إن الدراسات النفسية الحديثة ألغت فكرة الإلهام بدراسة إبداع المبدعين ، وإبراز الخصائص الإبداعية لهم عن طريق الدراسات القائمة على الاختبارات والتجارب ، ومن ثم الوصول من خلالها إلى نتائج علمية ؛ إذ يلحظ المتأمل في كيفية إبداع حمد الحجي للقصيدة الأنف ذكرها أن الشاعر يتمتع بالطلاقة التي

(١) انظر مقدمة لعلم النفس الأدبي ، ص ٣٦ .

(٢) الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي (دراسة) ، د. عبد القادر فيدوح ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، الطبعة

الأولى ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م ، ص ٥٢ .

(٣) انظر علم نفس الأدب ، ص ٩٥ .

هي من الخصائص الإبداعية التي توصل إليها (جيلفورد)^(١).

والطلاقة هي الجذر الدلالي لكثير من الأحكام التي تدل على صفات " القدرة الفائقة على استدعاء الكلمات والصور ، والسرعة في نظمها وأدائها حتى لتبدو وكأنها انسياب تلقائي فاض به الطبع دون كبد أو معاناة"^(٢) .

وتراث الأدب العربي حافل بنماذج كثيرة تدل على تقدم المتصنفين بالطلاقة بين الشعراء من مثل أبي تمام أنشد بيتين^(٣) في فترة وجيزة رداً على الفيلسوف العربي الكندي ، فشهد له الكندي بالذكاء الحاد الذي يجعله يأكل من عمره ، فقد كان تعليق الكندي على هذا قوله : " هذا الفتى قليل العمر لأنه ينحت من قلبه وسيموت قريباً"^(٤) ؛ ويعكس هذا الموقف ما يتسم به أبو تمام من الطلاقة إذ إن الذي يتسم بها هو " الشخص القادر على إنتاج عدد كبير من الأفكار في وحدة

(١) انظر السابق ، ص ٩٥ .

(٢) مفهوم الإبداع في الفكر النقدي عند العرب ، ص ٤٣ . وانظر كذلك الإبداع وتنميته من منظور تكاملي ،

د.مصري عبد الحميد حنورة ، سلسلة علم النفس الإبداعي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، الطبعة

الثالثة ، ٢٠٠٢ م ، ص ٥٨ .

(٣) انظر العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ابن رشيح القيرواني ، حققه وفصله وعلق حواشيه محمد

محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠١ هـ

/ ١٩٨١ م ، ص ١٩٢ .

(٤) السابق ، ص ١٩٢ .

زمنية معينة^(١).

ومن ذلك يتبين أن حمد الحجي يتسم بالطلاقة ، التي تنبئ عن موهبة محتبئة ، وذكاء متوقد ، كان لها أبرز الأثر في شعره ، وقد تعددت المصادر التي دلت على ما يتمتع به الشاعر من قدرة مذهلة على كتابة القصيدة في زمن وجيز ؛ فبالإضافة إلى ما سبق الإشارة إليه من مواقف تؤكدها يشير الشاعر إبراهيم الدامغلي الطلاقة ، مشيدا بما يتمتع به حمد الحجي من قدرة عجيبة على كتابة الشعر بسرعة فقد جلس مع الشاعر في المقهى القريب من الكلية ، وتعاوننا على كتابة قصيدة ؛ فكان حمد الحجي يكتب البيت بسرعة عجيبة ، ويخرج بصورة جيدة^(٢) .

ومن الصفات التي عرف بها الشاعر حمد الحجي وكان لها أثرها البارز على شعره الحساسية الشديدة ، والإحساس المرفف ؛ فهي صفة تكاد لا تنفصل عن شخصيته كما تبيّن بعض معالمها في المبحث الثالث ، بل إن تلك الصفة حددت رؤية الشاعر إلى كل ما يراه ، ومَن يراه ؛ عكست موقفه من الذين يحيطون به من الأنام ، وأثرت في نظرتة إلى معالم الكون العظام ، ولم تكن تلك الصفة وليدة موقف معين ، بل عرف بها منذ طفولته ، ونشأت معه من أوائل حياته .

وتلك الصفة تتجلى في الشخصية الانفعالية ؛ تلك الشخصية التي لديها

(١) دراسات نفسية في الإبداع والتلقي . ص ٦١ .

(٢) من اللقاء الذي أجرته مع الشاعر إبراهيم الدامغ في منزله في عنيزة .

الاستعداد الطبيعي "للتأثر بشدة بأحداث ليست ذات أهمية كبيرة"^(١)، إذ إن انفعالها ليس كانفعال الشخصية العادية، بل تكون تلك الشخصية مليئة بالانفعالات العميقة، وربما حرك جمال الطبيعة تلك الشخصية^(٢)، كما حرك هذا الجمال الشاعر حمد الحجي فانبعثت منه قصائد مُعجبة في وصف طبيعة لبنان وهو يرى ذلك الجمال الأخاذ، أو طبيعة نجد عندما تلبس الأرض ثوب الربيع الفاتن، في اخضرار يأسر القلوب، ويستولي على الأبصار^(٣)، وربما حركت الطبيعة أشجانه كما ظهر ذلك في عدد من قصائده^(٤).

وعلى الرغم من تلك السمة البارزة في شخصية الشاعر التي ساعدت في إبراز ذلك الشعر الجميل، إلا أنها أسهمت في تمكن المرض منه، لأن الفصام يكثر عند الشخصية ذات الطبيعة الحساسة، التي تجعله أقل كفاءة في مواجهة بعض الظروف^(٥)، الأمر الذي يجعل هذه الصفة بالذات تؤكد القول الشائع (يسعد

(١) قراءات متعددة للشخصية علم نفس الطباع والأنماط دراسة تطبيقية على شخصيات نجيب محفوظ، د.روز ماري شاهين، قدم له: د. محمد أحمد النابلسي، دار ومكتبة الهلال، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م، ص ٥٠.

(٢) انظر قراءات متعددة للشخصية علم نفس الطباع والأنماط، ص ٥٠.

(٣) انظر عذاب السنين، قصيدته في وصف مظاهر الطبيعة في لبنان، ص ٩٨، وفي وصف مظاهر الربيع في نجد، ص ٢٣.

(٤) انظر السابق، ص ٦٨.

(٥) انظر الفصامي كيف نفهمه ونساعده؟، ص ٢٧.

الأدب بشقاء الأديب) .

ولقد تعددت المواقف التي أكدت طبيعة الشاعر الحساسة ، وبخاصة في علاقته بمجتمعه ، لأن طبيعة العلاقة بالآخرين ، وردود فعله تجاههم هي التي تحدد هذه الصفة وتؤكدها ، وقد تناولت هذه المواقف بالتفصيل في المبحث الثالث^(١)، ومما يؤكد عمق هذه الصفة لديه ضيقه الشديد من الناس ، وعدم الرغبة في محادثتهم أو الجلوس معهم ، كما أنه لا يرغب أيضا بأن يحدثوه وكان ذلك في بداية إصابته بالمرض^(٢).

وبهذا يلحظ أن الخصائص الإبداعية تعاونت في تقديم هذا المبدع ، وتفاعلت أبعادها في فترة إبداع الشاعر قبل الإصابة بالمرض ، فكانت نفسية قادرة على الإبداع الشعري وتلك الأبعاد هي : البعد العقلي الذهني المعرفي الذي يتضمن القدرات العقلية والعمليات المعرفية ، والبعد الوجداني الذي يتضمن العواطف والانفعالات ... والبعد التشكيلي الإيقاعي الجمالي ... والعوامل الثقافية والاقتصادية والاجتماعية^(٣).

وقد أشرت إلى هذه الأبعاد الأربعة في هذا الفصل ، فقد ظهر البعد العقلي

(١) انظر ص ٦٨ وما بعدها من هذا البحث .

(٢) من تقرير مستشفى الصحة النفسية بالرياض يستعرض فيه حياة الشاعر قبل إصابته بالمرض وبعد إصابته به .

(٣) علم نفس الأدب بتصرف سير ، ص ٣٥ .

بالإشارة إلى ذكاء الشاعر وفطنته ، والدلائل التي دلت على هذه الصفة إلى في الفترة التي سبقت إصابته بالمرض ، وظهر البعد الوجداني في تلك النفس الحساسة المرهفة الإحساس ، المتأثرة بمواقف البشر منها ، ثم ما يراه على وجه الطبيعة فيتأثر به ، ويتفاعل معه ، فينسب إبداعاً يكاد يذوب رقة وعذوبة ، كما ظهر البعد التشكيلي والإيقاعي في طلاقة الشاعر ، وتمكنه من صياغة الشعر بسرعة عجيبة ، وخروجه برغم قصر مدة الإبداع بمظهر مؤثر وجميل ، كما ظهرت العوامل الثقافية والاجتماعية والاقتصادية في المباحث السابقة .

الفصل الثاني

صدى المؤثرات النفسية في شعره

المبحث الأول : الغربة والعزلة

المبحث الثاني : الشعور بالظلم

المبحث الثالث : رؤيته للوجود

المبحث الرابع : علاقته بأقرانه

المبحث الخامس : تأمله في الواقع

المبحث السادس : مؤثرات نفسية أخرى

الغربة والعزلة

تعددت المصطلحات التي تؤدي إلى إفادة معنى الغربة ، ومن أشهر مصطلحات هذا المعنى الاغتراب ، ومن ثم تعددت المفاهيم التي تشرح هذا المصطلح قديما وحديثا ، ولهذا كان لزاما أن أبدأ بالتعريف بهذا المصطلح ؛ لكي تتضح تفصيلاته .

الغربة لغة : " النزوح عن الوطن والاعتراب"^(١) ، وتلك الدلالة اللغوية تقدم خطوة لفهم مفهومها عند المهتمين بدراسة هذا السلوك الإنساني ؛ إذ يستخدم الاغتراب ليفيد الغربة بين البشر ، وفقدان الألفة والعلاقات الودية بينهم^(٢) .

وتتفق الاستخدامات المعاصرة لمصطلح الاغتراب على أنه التباعد أو التنافر أو الانفصال عن واحد من شيئين اثنين :

الأول : الانفصال عن الذات : بأن يصطنع الفرد ذاتا زائفة ، نتيجة الضغوط التي تثقله من قبل المجتمع ، فالمجتمع قد يمتلئ بنظم وأعراف وتقاليد وتناقضات تؤدي إلى طمس الذات الحقيقية للفرد ؛ والمقصود بالذات الحقيقية

(١) لسان العرب ، مادة غرب ، ج ، ١٠ ، ص ٣٢ .

(٢) انظر الاغتراب والإبداع الفني ، ص ٢٢ .

هي التي يريد لها الفرد لنفسه .

الثاني : الانفصال عن المجتمع : وذلك بأن يرفض قيم المجتمع وأعرافه وتقاليده ويبرز سلبياته وتناقضاته ، فلا يميل الفرد بعد ذلك الرفض إلى إقامة الصلات الاجتماعية ، ويلجأ إلى العزلة عن المجتمع ؛ ولهذا كانت العزلة من أهم مظاهر الغربة التي يعيشها الفرد^(١).

وقد ظهرت مظاهر الغربة لهذا النوع في شعر حمد الحجي ، ولكنها ليست الوحيدة بل ظهر نوع آخر من الغربة كان من أشد المؤثرات النفسية عليه ، وكان صداه واضحا في شعره ؛ إذ إن القارئ لشعر حمد الحجي يلحظ تأثير الغربة المكانية على نفسيته ؛ لأنها " من أشد أعراض التمزق النفسي التي تتعرض لها الشخصية العربية المحاطة غالبا بالالتفاف الأسري والترابط الودي الشديد بين أفرادها"^(٢).

والتأمل في شعر حمد الحجي يلحظ لأول وهلة أن الشاعر يعيش غربة نفسية وروحية أكثر من كونه يعيش غربة مكانية ، بل إن الشاعر يدرك غربته ويصرح بها في شعره ؛ فهو لا يشتكي مفارقة الوطن ، والبعد عن الأهل بقدر ما

(١) انظر الاغتراب والإبداع الفني ، ص ٢٢-٢٣ .

(٢) الاغتراب في الشعر الأموي . د. فاطمة حميد السويدي ، مكتبة مدبولي . الطبعة الأولى ١٩٧٩ م .

يشتكى غربة الروح ، وهاهو يؤكد هذا المعنى وهو يخاطب وطنه قائلاً :

وطني الحبيب أنت مَعْبُدُ نجوا ي وإن عشتُ منك في تجريح
أنا لم أشكُ عنكَ غُربةً جسمي إنَّما قد شكوتُ غُربةً رُوحِي^(١)

إن هذين البيتين يصلحان مدخلاً لدراسة الغربة في شعر حمد الحجي ، لما لهما من دلالة واضحة في كشف معاناة حمد الحجي ؛ لأن الشاعر فيها يشخص حالته المرضية ، ويقدم للقارئ أسباب سقمه ، مما يدل على أنه متبصر بما يثقله ، وواع بمشاعره وأحاسيسه المضطربة جداً^(٢).

والغربة النفسية لها عدد من المظاهر ، وقد ظهر أغلبها في شعر حمد الحجي ، مما يدعم القول بأن الشاعر استطاع أن يشخص حالته في شعره ، وأن شعره يشف بكل صدق عما يحس به من ألم نفسي .

وأول مظهر من مظاهر الغربة النفسية يبرز لمتأمل شعر حمد الحجي هو مظهر العزلة^(٣)؛ فالشاعر يعيش في عزلة ملفتة ، غير راغب بالاختلاط بالناس ، ولا مشتاقاً للجلوس معهم ، لا تحلوه الحياة إلا بالبعد عنهم ، بل ربما اعتقد الشاعر أنها هي بلسم أدوائه ، وجلاء أسقامه التي ملأت حياته بالنواح :

(١) عذاب السنين ، ص ٧٤ .

(٢) انظر هل الغربة النفسية قرين الإبداع ؟ د. جواهر بنت عبد العزيز آل الشيخ ، المجلة العربية ، العدد

١٨٥ ، جمادى الآخرة ١٤١٣ هـ ، ص ٣٢ .

(٣) انظر الاغتراب والإبداع الفني ، ص ٢٣ .

آه لو أنك أبصر
ت مَدَى عُمقِ جِرَاحِي
واعْتَزَلِي عَالَمَ النَّاسِ
سِ لَكِي يَجْلُو نَوَاحِي
ما بروحي^(١)

وعلى الرغم من إحساس الشاعر بأن العزلة هي الدواء الذي قد يخلصه من آلامه ، إلا أنه يعود ويجعلها داءً يثقل كاهله ، ويتعب فؤاده ، ولهذا فهو يلجأ إلى مولاه ، كاشف الكروب ، ويشكو إليه الخلوة التي يعيشها ، وبعده عن الناس واعتزالهم :

يا إلهي إليك أشكو انقباضي
اعتزالي وخلوتي وانتحابي^(٢)
ويجد الشاعر مبررات كثيرة لاعتزاله الناس ، مما يجعل معنى العزلة لافتاً في شعره ، فالناس لا يتصفون بصفات محببة حتى يقابلهم ، ولا يرى فيهم إلا الغل والحسد الذي يملأ قلوبهم ، ومن أجل ذلك فهو لا يستطيع أن يجالس أناساً هذه صفاتهم ، ولا أن يقترب إليه من حمل معاني الخسة والدناءة :

أم لَأَنِي أَرَى الْأَنْسَامَ بِأَجْسَا
مِ تَوَارَتْ فِيهَا نَفْسُ الدُّنَابِ
بَيْنَ نَذْلِ وَخِثَانٍ وَعَدْوٍ
وَحَسُودٍ وَصَاحِبِ ذِي كِذَابِ^(٣)
والناس كما يصورهم حمد الحجي لا يشفقون على المسكين ، ولا يرحمون

(١) عذاب السنين ، ص ١٨ .

(٢) عذاب السنين ، ص ٣٣ .

(٣) السابق ، ص ٣٣ .

الضعيف والمحتاج ، ولا يدركون حقيقة شكواه ، ولا يستمعون إليه وهو يبث أحزانه ؛ وما دامت تلك هي صفاتهم فإنه يلجأ إلى غيرهم ليبت إليه الشكوى ، ويقاسمه مرارة الحياة ؛ والبديل للشاعر هو البدر :

يا بدرُ قاسمني المَرارةَ والأسى فلأنتَ للمُلتاعِ خيرُ نصيرِ
في مسبح الأفلاكِ جرْمُكَ دائرٌ يبدو صغيراً وهو جدُّ كبيرِ
وكذاك في قلبي الجراحُ تضاءلتُ للناس وهي عَميقةٌ بضميري^(١)

وأما المظهر الثاني من مظاهر الغربة النفسية فهو فقدان المعنى ؛ إذ يصور شعر حمد الحجي إحساسه بأن الحياة "تافهة وتبعث على الضيق والملل ، وأن أحداثها تسير بشكل غير منطقي وغير معقول ، ولا يرى الجدوى من استمرارها"^(٢) ، وقد أدى شعر حمد الحجي هذا المعنى ؛ مما يدل على فقدان معنى الحياة لديه ، وظهرت أشكال فقدان المعنى في شعره ، وذلك من مظاهر الغربة التي يعيشها .

ويتخذ فقدان المعنى في شعر حمد الحجي أشكالاً من أهمها ؛ إحساس الشاعر بالخواء الداخلي ومن ثم فقدان الحيوية^(٣) ، ولهذا فإنه يفقد متعة الحياة ، ويظل متمنيا الموت ؛ وتمني الموت نهج درج عليه شعراء التشاؤم كأبي العلاء

(١) عذاب السنين ، ص ٧١ .

(٢) الاغتراب والإبداع الفني ، ص ٢٧ .

(٣) انظر السابق ، ص ٢٦ .

المعري؛ إذ يتمنون الموت لأنهم يكرهون هذه الحياة^(١)، وأما حمد الحجي فإنه يتمنى الموت لأنه يراه الحل الأمثل لما يحس به من غربة نفسية وروحية:

لا تعرضوا لي بِأَثْوَابِ الْفُنُونِ فَكَمْ أَرَى الْبَقَاءَ قَبِيحاً وَالْفَنَاءَ حَسَناً^(٢)

والشاعر عندما يكره هذه الحياة، ويرى أن الموت هو الأفضل له، يوجد لذلك أسباباً؛ فالحياة كما يحسها كدر وضيق، وألم متواصل، وذلك يجعله يرى أن استمرار المعيشة بها لا يطاق؛ فيستفهم متعجباً عن الذي يرضى بهذا العيش المنعص، لأنه لا يرضى بأن يعيش بهذه الحياة المملة:

قَدْ رَنَّقَتْ صَفْوِي الْحَيَاةُ فَمَنْ يَرْضَى بِعَيْشٍ كُـلُّهُ كَدْرٌ؟^(٣)

ويكرس الشاعر معنى الحاجة إلى الموت، وأن الحياة لا طعم لها حتى تكاد تكون سمة بارزة في شعره؛ إذ يتساءل عن الأمر الذي يغريه بالبقاء في هذه الحياة، أو الشيء الذي يبهج نفسه فيها؛ فالحياة عند ذلك لم تعد مجدية، ولم يعد الشاعر يريد استمرار عمره، بل سيطوي صفحة عمره من الحياة إذ يقول:

يَا حَيَاتِي مَا الَّذِي فِيكَ يُرَى يُبْهِجُ النَّفْسَ وَيُغْرِي بِالْبَقَا؟^(٤)

(١) انظر أصول علم النفس في الأدب العربي القديم، د. زهدي جار الله، بيروت، ١٩٧٨م، ص ٤٤.

(٢) عذاب السنين، ص ٥٣.

(٣) عذاب السنين، ص ٩٣.

(٤) السابق، ص ٤٢.

ويقول كذلك :

سَوْفَ أَطْوِي صَفْحَةَ الْعُمُرِ فَمَا أَسْتَطِيعُ الْعَيْشَ عَبْدًا مُوثِقًا"^(١)
ومن أشكال فقدان المعنى في شعر حمد الحجي ؛ هو عجزه عن فهم ذاته ،
بل وإحساسه أن كل شيء في الحياة معقد ويدعو إلى التساؤل ، ويحتاج إلى حل
رموزه ، كما يحس حمد الحجي الذي يعيش في الغربة النفسية أن الحياة تسير بشكل
غير منطقي لذلك فهو غير قادر على حل تناقضاتها ، ولا معرفة أسرارها"^(٢)، وذلك
الأمر قد يفضي به إلى اليأس ، أو الحيرة الشديدة .

إن القارئ ليشفق على الشاعر وهو يتأمل كيف أنه يجهل حقيقته ، ويزداد
إشفاقاً عليه وهو يطالعه متسائلاً عن حياته كلها ؛ فلم تعد مفهومة بالنسبة إليه ،
ثم مفضلاً تلك التساؤلات عن نفسه ، ثم عن والديه وإخوته بأداة استفهام لغير
العاقل إمعاناً في الحيرة ، ثم يتساءل أيضاً عن الشمس كيف تطلع في الصباح؟!
وكيف تغرب في المساء؟! مما يؤدي به إلى مزالقة لا ينبغي أن يقع فيها المسلم ؛ لأن
المسلم يعلم هذه الأمور كلها فهو يقول :

وَلَقَدْ جَهِلْتُ سَفِينَتِي ، وَسَفِينَتِي أَنَا ، غَيْرَ أَنِي قَدْ جَهِلْتُ حَقِيقَتِي
وَأَتَيْتُ أَسْأَلَ عَنْ حَيَاتِي كُلِّهَا أَنَا مَا أَنَا؟ مَا وَالِدِي وَإِخْوَتِي؟

(١) السابق ، ص ٤٢ .

(٢) انظر الاغتراب والإبداع الفني ، ص ٢٦ .

مَا الشَّمْسُ تَطْلُعُ فِي الصَّبَاحِ مُنِيرَةً وَإِذَا آتَى وَقْتُ الغُرُوبِ تَوَلَّتِ^(١)
 ومن أشكال فقدان المعنى عند الشاعر حمد الحجي نظرته إلى الحياة بأنها
 تافهة ، ولا تستحق أن يعيشها^(٢) ، لما يراه من أحزان في قلبه ، وهذا بالطبع يوصله
 إلى اليأس المرعب ، وتلك أيضا من المزالق التي ينبغي للمسلم عدم الوقوع فيها ؛
 لأن حياته قدرها الله سبحانه وتعالى ولا اعتراض على أقداره - جل وعلا - يقول
 حمد الحجي :

يَا إلهي أَظْلَمَ الكُـوْنُ وَلَمْ تَرَ عَيْنِي فِي دُجَاهُ أَلَقَا
 فِي حَيَاتِي مَا الَّذِي أَعْدَدْتَ لِي؟ كَأَنَّ أَوْلَى لِي أَلَا أُخْلَقَا^(٣)

وأما المظهر الثالث من مظاهر غربة الشاعر فهو غياب الهدف الذي ينشطه
 لأداء الجوانب الإيجابية في حياته^(٤) ؛ ففي شعر حمد الحجي ما يكشف عن شخصية
 تعيش حياة من غير هدف معين تسعى إليه ، وتراكت أسباب غياب الهدف وهو
 الذي يحددها في شعره ؛ وقد أفضى به ذلك إلى الحيرة ؛ لا يعلم من جاء ، ولا
 يدري إلى أين سيذهب ، وعند هذه الحيرة المقلقة يغيب الهدف :

(١) عذاب السنين ، ص ٢٩ .

(٢) انظر الإبداع والاعتراب الفني ، ص ٢٦ .

(٣) عذاب السنين ، ص ٤٠ .

(٤) انظر الاعتراب والإبداع الفني ، ص ٢٧ .

من أين جئت؟ وأين أذهب؟ إنني في هذه الدنيا أعاني حيرتي^(١)
 وربما وُجِدَ هدفٌ لدى الشاعر، ولكنَّ هدفه هذا يزيد من إشعال الآلام،
 ويعمق الجراح والأسقام، فما الغاية التي يرنو إليها إلا مزيدٌ من البكاء والحنين،
 لا تفاؤل يدفعه إلى حياة أفضل، ولكنه التشاؤم المؤلم:

هَذَا أَنَا قَدْ هَدَّ جِسْمِي الْأَسَى وَالْقَلْبُ بِأَكْ مِنْ عَذَابِ السَّيْنِ
 مَاذَا تَبَقَّى لِي؟ سِوَى غَايَةٍ تُضِيءُ أَيَّامِي بِنَارِ الْحَنِينِ^(٢)
 وغياب الهدف عند الشاعر أفضى به إلى عدم الإنجاز؛ إذ تطوي الأيام
 عمره، ويتعاقب الليل والنهار دون أن يحقق لنفسه شيئاً، ودون أن يصل إلى أمر
 يعود عليه بالفائدة، أو محاولة تجعله - على الأقل - راضياً عن نفسه:

نَهَارِي مِثْلُ لَيْلِي لَا جَدِيدٌ سِوَى الْأَوْصَابِ جَائِمَةٌ عَلَيَّ^(٣)
 وطبعي أن تغيب حلاوة الحياة وجمالها لدى إنسان ليس لديه هدف، فلا
 دافع يدفعه إلى الحياة الجميلة؛ ولهذا يكرس الشاعر في شعره معاني اليأس،
 فالحياة سوداء، وقد نضبت بعد أن كانت ناضرة تسر عينيه:

نَضَبْتُ حَيَاتِي بَعْدَ نُضْرَتِهَا وَرَأَى الْفَنَاءَ خَطْبِي فَنَادَانِي^(٤)

(١) عذاب السنين، ص ٣٠.

(٢) عذاب السنين، ص ١٠.

(٣) السابق، ص ٤٣.

(٤) السابق، ص ١٤.

وأما المظهر الرابع من مظاهر الغربة النفسية عند الشاعر حمد الحجي فهو التمرد ورفض بعض صفات المجتمع وقيمه وأعرافه وتقاليده^(١) ؛ فقد يُحْمَلُ المجتمع كثيرا من أنواع التخلف عن ركب الحضارة ، وتوقف المبدعين عن الإبداع ؛ فمن الأمور التي تثير امتعاض الشاعر هي الرقابة الاجتماعية التي تكتم أفواه المبدعين :

إِذَا حَمَلَ الْمَعْنَى كُلَّ غَمٍّ فَأَوْلَى لِلجَّوَانِحِ أَنْ تَذُوبَا
عَلَى فَمِهِ قُيُودٌ مِنْ حَدِيدٍ تَسُدُّ أَمَامَ مَنْطِقِهِ الدُّرُوبَا^(٢)

والمبدع حمد الحجي يلقي الأمرين من اتهامات المجتمع له ؛ إذ جعل تقاليده السخيفة - كما يزعم الشاعر - هي التي تحكم ، وأن المبدع لا بد أن يراعيها حتى لا يأخذ عليه المجتمع عدم مراعاتها ، وإذا لم يراع المبدع تلك التقاليد فإنه سيعاب بأخلاقه وصفاته :

وَيَا وَيْحَ الْفَتَى الْمُسْكِينِ مِمَّا يُلَاقِيهِ إِذَا أَضْحَى غَضُوبَا
يُرَاعِي كُلَّ تَقْلِيدٍ سَخِيفٍ لَكَيْلَا يُصْبِحَ الرَّجُلَ الْمَعِيْبَا
يُحَارِبُ إِنْ شَدَا لِحْنًا طُرُوبَا فَقَدْ شَاءَ وَالَهُ اللَّحْنَ الْكَيْبَا^(٣)

إن تلك المثالب التي يظنها الشاعر في مجتمعه يجعلها ذريعة للتخلص منه ،

(١) الاغتراب والإبداع الفني ، ص ٢٥ .

(٢) من مخطوط الديوان ، ص ١٢٨ .

(٣) مخطوط الديوان ، ص ١٢٩ .

وعدم الاندماج معه ، كما أن المجتمع في نظر الشاعر غير رحيم به ، ولا عطوف عليه ، فإن رآه يئن خلف الأوجاع هرب أفراده منه ، وتولوا عنه ، وتمنوا موته ومفارقتة ؛ ولأن هذه صفات أفراد هذا المجتمع ؛ فإنه لا يظهر لهم سرّ أحزانه بل إنه يظهر لهم انشراحه وسروره ؛ حتى لا يتمنوا له الشرور التي يتمنونها - في نظره - لكل سقيم كما يقول :

لَوْ دَرَوَا أَنَّنِي سَقِيٌّ حَزِينٌ ضَاقٌ فِي عَيْنِهِ فَسِيحُ الرَّحَابِ
لَتَوَلَّوْا عَنِّي وَلَمْ يَنْظُرُونِي ثُمَّ زَادُوا نُفُورَهُمْ بَاغْتِيَابِي
فَكَأَنِّي آتٍ بِأَعْظَمِ جُرْمٍ لَوْ تَبَدَّتْ تَعَاسَاتِي لِلصَّحَابِ
هَكَذَا النَّاسُ يَطْلُبُونَ الْمَنَايَا لِلَّذِي بَيْنَهُمْ جَلِيلُ الْمَصَابِ
لَمْ يَرْفَقُوا بِهِ حِينَ أَمْسَى فِي عَنَاءٍ، وَالدهْرُ حِذْنُ انْقِلَابِ^(١)

ويكرس الشاعر عدم إشفاق المجتمع عليه لتكون حازبا بينه وبين المجتمع، فقد ملّ العيش في مجتمع امتلأ بصفات اللؤم — كما يزعم — ، وابتعد عن الخلق الفاضل الذي يجب أن يتحلى به ، الخلق الفاضل الذي يريده من هذا المجتمع ما هو إلا الإشفاق عليه ورحمته :

يَا دَهْرُ إِنِّي سَأَمْتُ العَيْشَ فِي مَلَأِ عَافُوا اتِّلَاقَ الضُّحَى وَاسْتَمَرَّ أَوَا الوَسْنَآ
سَبُّوْا بَذَا الكَوْنِ ، وَاقْتَاتُوا الظَّلَامَ بِهِ فَلَسْتُ أَعْرِفُ فِيهِمْ مُشْفَقًا فَطِنًا^(٢)

(١) عذاب السنين ، ص ٣٢ .

(٢) السابق ، ص ٥٣ .

وإذا كان المجتمع يتسم بهذه السمات السيئة فإن حمد الحجي لا يرغب مخالطته ، ويلجأ للتخلص منه بالنكوص إلى مرحلة الطفولة ، أو الارتداد الطفولي إذ إن هذا النكوص هو من أسباب الغربة والتشرد النفسي^(١) "لأن الناكص في الغالب غير متكيف مع أنماط حياته الحاضرة ، فهو لأسباب ما لا يستطيع إشباع حاجاته من خلال هذه الأنماط ، لذا فهو يتوق إلى الماضي"^(٢) ، ويحن بشدة إلى ألعابها وتعبيراتها العاطفية ، ويحن إلى هذا الزمن حنين الشيخ إلى زمن الشباب كما يقول :

زَمَنْ بِه نَفْسِي تَفِيضُ وَدَاعَةً أَنْعَمُ بَعِيشٍ فِي ظِلَالٍ وَدَاعَتِي^(٣)

ثم يقول عن هذه الفترة :

لَمْ أَدْرِ مَا طَعَمُ الْهَمُومِ وَلَوْئِهَا وَأَرَى الْجَمَالَ فَلَا أَصَابَ بِلَوْعَةٍ
أَغْفُو وَقَلْبِي لَيْسَ فِيهِ صَبَابَةٌ تَدْعُ الْمَنَامَ مُحْرَمًا فِي لَيْلَتِي
وَأَنَامَ مَلَأَ الْجَفْنَ مَا أُمْنِيَّتِي إِلَّا عَسَى فِي الصُّبْحِ أَلْقَى لُعْبَتِي
إِنْ حَنَّ شَيْخٌ لِلشَّبابِ فَإِنَّمَا قَلْبِي يَحْنُ إِلَى زَمَانٍ طُفُولَتِي
أَنَا فِي شَبَابِي بَائِسٌ مَا فِي يَدِي إِلَّا الدَّمُوعُ تَحَدَّرَتْ مِنْ مُقْلَتِي
ذَكَرَى الطُّفُولَةَ مَا تَمَكَّرُ بِخَاطِرِي إِلَّا ذَكَرْتُ بِهَا نَعِيمَ الْجَنَّةِ^(٤)

(١) انظر سيكولوجية الشعر: العصاب والصحة النفسية ، ص ٨٨ .

(٢) مقدمة لعلم النفس الأدبي ، ص ٨٩ .

(٣) عذاب السنين ، ص ٢٩ .

(٤) السابق ، ص ٢٩ / ٣٠ .

لقد أفصح شعر حمد الحجي عن أهم مظاهر الغربة النفسية، بل إنه صورها تصويراً دقيقاً، أبان من خلالها عن مكونات نفسه؛ حتى يخاله قارئ شعره "يخاطب طبيباً للأمراض النفسية"^(١)، وكما أبان شعر حمد الحجي مظاهر غرته النفسية في شعره فإنه أدرك أيضاً بعض أسباب غرته، وأخذ شعره يصور تلك الأسباب التي جعلت الشاعر يعيش هذه الغربة.

فمن أهم أسباب غرته - كما يراها الشاعر نفسه - الحرمان من الحب، والفشل في الوصول إلى الحبيبة، وذلك من أهم أسباب غربة الشعراء في العصر الحديث^(٢)، ويؤكد حمد الحجي أن أهم أسباب تمسكه بالشعر، وتمسك الشعر به؛ هو ذلك الحب الذي يملأ قلبه، وما الشعر إلا تفرغ لباطن الشاعر، وسلاح فعال لتحصينه ضد الاكتئاب^(٣)، يقول حمد الحجي مؤكداً تمسكه بالشعر وتمسك الشعر به:

لم أتركِ الشَّعْرَ لا، والشَّعْرُ لم يَكُنْ يوماً عَلَى كَثْرَةِ الأَهْوَالِ يَتْرُكُنِي

(١) هل الغربة النفسية قرين الإبداع؟ د. جواهر بنت عبد العزيز آل الشيخ، المجلة العربية، العدد ١٨٥،

جمادى الآخرة ١٤١٣هـ، ص ٣٢.

(٢) انظر على سبيل المثال الاغتراب في شعر بدر شاكر السياب، أحمد عودة الله الشقيرات، دار عمار، الطبعة

الأولى، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ص ٩٤.

(٣) انظر سيكولوجية الشعر العصاب والصحة النفسية، ص ١٩٣.

وكيف أتركهُ والحبُّ من سُنتي والقَدْ يَقْتُلُنِي ، والطَّرْفُ يَسْحَرُنِي؟^(١)
 وإذا كان الشاعر صباً متيماً ، فإنه يؤكد في الكثير من شعره أنه غير قادر على
 الوصول إلى الحبيبة التي يريدتها ، ولهذا انعكس هذا الحب الذي أملى عليه الشعر
 إلى آلام متواصلة وغربة دائمة ، أدرك الشاعر كنهها في شعره ، مؤكداً أن سبب
 شكواه هو هذا الحب ، وما تفعله حبيبته به من صدود وعدم اكتراث ، وعلى ذلك
 يقسم الشاعر :

أم لأنَّ الحبيبَ قد بَاتَ لا يرُ عى ذِمَاماً حُرْمَتِي وَائْتِمَانِي
 فَعَدَا الهَمُّ لَازِماً لِفُؤَادِي وَعَغَدَا الشَّوْقُ آخِذاً بِعِنَانِي
 أَيُّ وَرَبِّي فَذَاكَ مَبْعَثُ شَكْوَايَ أُعَانِي مِنْ حَرِّهَا مَا أَعَانِي^(٢)
 وبعُد الحبيبة عنه يجلب له الهم والضيق وسبب مباشر في غربته ، ولهذا فهو
 يتمنى قربها ؛ إذ لو كانت الحبيبة قريبة منه لخفت آلامه ، ولأزالت عنه أحزانه ،
 فعند المرأة يوجد الحب ، وعند وجود الحب يختفي الشعور بالعزلة والغربة ،
 وتكتسب الحياة خصوبة وامتلاء^(٣):

ألا ياليتَ مَنْ أَهْوَى قَرِيبٌ يُحَقِّفُ وَطْءَ آلامِي وَحُزْنِي

(١) عذاب السنين - ص ١٠٨ .

(٢) عذاب السنين ، ص ٧٤ .

(٣) انظر التمرد والغربة في الشعر الجاهلي ، د. عبد القادر عبد الحميد زيدان ، دار الوفاء للطباعة والنشر .

الإسكندرية ، د. ت ، ص ١١٩ .

وَيَغْمُرُنِي بِفَيْضِ النُّورِ مِنْهُ وَيُبْدِلُنِي رَوْيَ خَوْفِي بِأَمْنٍ
وَيَجْعَلُ وَخَشْتِي أَنْسَاءً وَبِرًّا وَيَتْرُكُنِي أَنْامُ بِمَلءِ جَفْنِي^(١)

ويظل بعد الحبيبة مبعثا لشكوى الشاعر ، وسببا مباشرا في غربته ، إذ يصرح بذلك ولا يلمح ، وهو يشكو إلى الله جل وعلا هذه الغربة التي تكاد تمزقه ، فلا يهنا بنوم ، ويقابل الناس مظهرا البشاشة والمرح ، ولكنه يعيش بنفسية أخرى غير التي يراها الناس ظاهرة عليه وهذا من أسباب غربته :

يَا رَبِّ مَنْ لَامِرِي ضَاقَتْ مَسَالِكُهُ وَلَيْسَ يَدْرِي بِمَا فِي نَفْسِهِ أَحَدٌ
يَبْدُو مَعَ النَّاسِ مَمْرَاحًا بِهِ طَرَبٌ وَإِنْ تَوَحَّدَ يَسْتَشْرِي بِهِ الْكَمَدُ
إِذَا سَجَى اللَّيْلُ تَلْقَاهُ غَدَا شَبَحًا قَدَّتْ لَهُ مِنْ دِيَاجِي هَمَّهُ بُرْدُ
يَسْأَلُ النَّجْمَ هَلْ لِلصَّحْرِ مِنْ خَيْرٍ؟ وَهَلْ يَطْوُلُ بَلِيلِ الْعَاشِقِ الْأَمْدُ؟
يَظَلُّ يَطْلُبُ طَعْمَ النَّوْمِ فِي هَفِيفٍ فَمَا يَقْرُؤُ وَلَا تَشْفِي^(٢) لَهُ كَيْدُ
كَمْ وَدَلَّوْكَانَ مَقْرُونًا بِصَاحِبَةٍ وَهَلْ يَنَامُ قَرِيرَ الْعَيْنِ مُنْفَرِدُ؟
لَكِنَّهُ عَاجِزٌ عَنِ نَيْلِ مَآرِبِهِ وَمَالُهُ فِي تَدَابِيرِ الْقَضَاءِ يَدُ^(٣)

إن هذه الأبيات الحزينة لتشف بكل صدق عن معاناة الشاعر المتمثلة

(١) عذاب السنين ، ص ٣٨.

(٢) في عذاب السنين رسمت (يشفى) وأما هذا الرسم - وهو الأقرب في نظري إلى الصواب - ففي مجلة الرائد ، السنة الأولى ، العدد السابع ، جمادى الآخرة ١٣٧٩ هـ ، ص ٦.

(٣) عذاب السنين ، ص ٨٣.

بفقدان المرأة المعينة له على أعباء الحياة وتقلباتها ، ليكون ذلك من أهم أسباب غربته النفسية ، فأصبحت أحزانه المتوالية في شعره مضيئةً وبجلاء هذا الجانب ، حتى إنه ليؤكد في مواضع عديدة من شعره ، وقد أوصله هذا السبب إلى اليأس من الحياة ، وافتقاد الابتسامة التي لخص سببها في فشل صفقته في الحب :

طَغَتْ مَوْجَةَ الْحُزْنِ فِي خَاطِرِي فَأَغْرَقَتِ الْفَرَحَةَ الطَّافِحَةَ
 طَوَى الدَّهْرُ أَيَّامِي الْبَاسِمَاتِ ووَافَى بِأَيَّامِي الْكَوَالِحَةَ
 بَلَوْتُ مَلُوْحَةً هَـذِي الْحَيَاةَ وَلَمْ تَكُ مِنْ قَبْلُ بِالْمَالِحَةِ
 فَلَسْتُ أَعِيشُ بِبَعْضِ الرَّجَاءِ وَلَا صَفَقْتِي فِي الْهَوَى رَابِحَةَ^(١)

وأما السبب الثاني الذي بعث في نفس حمد الحجي الشعور بالغربة كما يصورها شعره فهو وفاة أحبابه ، ولا أشد عليه من أن يفقد من يحس معهم بالأمان ، وأول من رأى في هذه الدنيا، فقد كان الموت — في نظره — قاسيا عليه عندما أخذ أمه الحنون ، ثم أخويه ، ثم اختطف يد المنون أباه ؛ فبقي في هذه الدنيا وحيدا خائفا ، مفتقداً أعز أحبابه ، ولكنه مع ذلك يتمنى أن يجد كريها يعوضه عن المفقود ، ويرأف بحاله الحزينة ، ويخلصه من هذه الوحدة القاتلة ، حيث يقول :

وَأَنَا الَّذِي أَخَذَ الزَّمَانَ حَبَائِي وَبَقِيتُ فِي الدُّنْيَا بَغَيْرِ حَبِيْبِ

أَحْيَا مَعَ الْأَيَّامِ صَبَّأً هَائِلًا الشوكُ والأحجَارُ مَلءُ دُرُوبِي
 يَا لَيْتَنِي أَلْقَى كَرِيماً مُخْلِصًا إِنَّ الْكَرِيمَ أَخٌ لِكُلِّ غَرِيبٍ^(١)

إن افتقاد أحباب حمد الحجبي أصابه بكره سماع اسم الموت ؛ لأنه حائل منيع دائم بينه وبين رؤية أحبابه ، ولأنه يذكره - أيضاً - بمصيره ، فما أن يسمع بموت أحد إلا ويداهمه الأسى ، ويملاً قلبه الحزن ؛ ولهذا فهو يتمنى أن يحصل على منطاد يحمله ويخلق به في الفضاء الرحيب ، يترك هذه الأرض ، وما سبب ذلك إلا لكي لا يرى جنس الإنسان ، ولكي لا يصيبه الألم والأسى عندما يسمع موت أحد من البشر :

مَنْ لِي بِمِنْطَادٍ يُجَنِّحُ بِي عَلَى هَذَا الْجَوَاءِ بَعِيشِي الْمَقْرُورِ
 لَا أَلْمَحَ الْإِنْسَانَ فِي أَرْجَائِهَا أَبَدًا وَلَا آسَى عَلَى مَقْبُورٍ^(٢)

وكما أبان شعر حمد الحجبي عن مظاهر الغربة النفسية وأسبابها فإنه يبين أيضاً عن بعض آثارها على نفسه ، لقد أحدثت غربة الشاعر آثارا واضحة عليه ، وها هو شعره يصور تلك الآثار ، ويصور ما أحدثته الغربة في حياته ، وما أحدثته في تعامله وسلوكه ، وليستمر الحكم بأن شعر حمد الحجبي قد شَفَّ وبجلاء عن كل ما يحيط بالغربة النفسية التي يعيشها الشاعر .

(١) هل من أمل في شفاء هذا الشاعر ؟ د. محمد بن سعد بن حسين ، مجلة الحرس الوطني ، جمادى الأولى

١٤٠٨ هـ / يناير ١٩٩٨ م . ص ٩٤ .

(٢) عذاب السنين ، ص ٧٠ / ٧١ .

وكان من أهم آثار الغربية التشاؤم البالغ ، وقد ظهر في الشواهد السابقة هذا الأثر حيث يعيش الشاعر تشاؤماً رهيباً ، لا يتسرب معه إلى نفسه شيء من التفاؤل ، بل إن مصادر التفاؤل في الحياة تذكره دائماً بمعادها من مصادر التشاؤم ، فالجمال يذكره بمصيره الأسود ، ومقابلة الأحباب تذكره بفراقهم ، وجميع ما في الحياة لا ينظر إليها إلا من الزاوية المظلمة ، بل إنه يوجد لها ما يدعو إلى التشاؤم كما يقول :

يَتَجَلَّى فِي الْمَنْظَرِ الْخِلَابِ	إِنْ نَظَرْتُ الْجَمَالَ غَضًّا طَرِيًّا
دِ اللَّيَالِي مُكَشَّرَ الْأَنْيَابِ	لَاخَ لِي أَسْوَدُ الْمَصِيرِ كَمَسْوَدُ
نِ وَيَبْلَى مَمزَقَ الْأَسْلَابِ	فَرَأَيْتُ الْجَمَالَ يُطْوَى بِأَكْفَا
فَرَحَّتْهُ بِزَوْرَةِ الْأَحْبَابِ	وَإِذَا مَا الْحَيَاةُ قَلْبِي يَوْمًا
وَرَأَيْتُ الْوِصَالَ مِثْلَ السَّرَابِ	أَيَقْنَتُ نَفْسِي الْفِرَاقَ طَوِيلًا

ويقول فيها أيضا :

قَلْتُ يَا دَهْرُ لَيْسَ ذَا مِنْ حِسَابِي	وَإِذَا لَاحَ لِي الْبِهَاءُ وَضِيئًا
بِتُّ مِنْهُ فِي مَوْقِفِ الْمَرَاتِبِ	وَإِذَا أُعْجِبَ الْأَنْسَامُ بِشَيْءٍ
فِي عَنَاءٍ وَلِلشَّقَا ذُو تَصَابِي	هَكَذَا أَصْحَبُ الْحَيَاةَ : فُوَادِي

ومن آثار غربة الشاعر التي صورها شعره هو السهر في الليل ، والبكاء

الشديد والنواح ؛ لأن الليل هو مدعاة البوح في نظر الشاعر ، ولأن الليل لا يخبر أحدا ، فهو متحرز من أن يراه الناس متألماً ؛ لأنهم إذا علموا بآلامه تجنبوه ، وتمنوا موته وفراقه ، والبديل لديه هو أن يسهر الليل يبكي من شدة الآلام التي يحسها ، ويقرأ من كتاب الله ما يخفف عنه ، لأن في كتاب الله ما يجلو هذه الأحزان :

والكُونُ فِي الدَّيْجُورِ مُنْذِعِرُ	الليلُ بِالْإِظْمَامِ مُعْتَكِرُ
قَدْ رَاعَهَا كَالشَّرِّ يَنْتَشِرُ	قَدْ نَامَتِ الأَحْيَاءُ فِيهِ كَأَنَّ
يَا حَبْدَا التَّرْتِيلُ وَالسُّورُ	وَبَقِيَتْ بَعْدُ مَرْتَلَا سُورًا
يَهْوِي كَمَا يَهْوِي بِهِ الزَّهْرُ ^(١)	أَبْكِي بِجَوْفِ اللَّيْلِ لِي أَمَلُ

ولكن الصباح يدعوه إلى التوقف عن البكاء ، ويظل يطالع الناس وهم سائرون كلُّ في طريقه ، أما هو فيبقى مع اليأس الشديد ، لكن هذا الوقت ليس مناسباً للبوح ولأجل ذلك يندفع سائراً مع الناس منتظراً ليلة جديدة يبوح بها ، ويبكي في زواياها:

وَبَدَا الصَّبَاحُ بِنُورِهِ فَغَدَا	عَنْهُ الظُّلَامُ وَكَأَنَّ يَحْتَضِرُ
وَسَرَى الضِّيَاءُ فِي الكُونِ مُنْبَثِقًا	فَإِذَا الحَيَاءُ جَمِيعُهَا صُورُ
وَدَفِنَتْ أَمَّالِي بِمَقْمَرَةٍ	لَكِنَّهَا فِي القَلْبِ تُخْتَفِرُ
وَرَأَيْتُ أَفْوَاجِ الأَنَامِ مَشُوا	كُلُّ لَهُ فِي صَاحِبِهِ وَطَرُ

فَنَسِيْتُهَا وَمَشِيْتُ مُنْدَفِعًا لَكُنْتِي لِلَّيْلِ مُنْتَظِرًا^(١)
 والشاعر يؤكد في كثير من المواضع أن الليل هو الزمن المناسب للبوح
 بأنواعه ، وأنه قد اعتاد أن يردد ما يحس به في هذا الزمن ، ويؤكد ذلك صراحة
 حينها يقول :

أَزْمَعْتُ هَجْرًا وَلَكِنَّ الْهَوَى عَوَدَ اللَّيْلَ عَلَى الْبُوحِ الْأَنْبِقِ^(٢)

ومن الآثار التي أحدثتها الغربة النفسية التي يعيشها الشاعر اللجوء إلى الله
 - جل وعلا - في ما يصيبه من كرب أو ما تحدثه هذه الغربة في نفسه من أحزان
 وآلام وهو أثر جميل ؛ يكشف تعلق الإنسان الفطري بإله السماوات والأرض ،
 القادر على كشف الكروب ، وإبعاد الآلام ، فكثيرا ما يلجأ الشاعر إلى ربه عندما
 تداهمه المصائب ، وما إن يحس بالوحدة حتى يلجأ إلى الله ، ويشكو إليه ما يحس
 به ، وقد ظهرت شواهد ذلك في مواضع متفرقة من هذا المبحث^(٣) ، ومن
 مواضعها التي لم تذكر في هذا البحث قوله :

يَا رَبِّ هَا سُورُ النَّوَابِ حَاطِنِي فَافْتَحْ لِعَبْدِكَ كَوَّةً فِي السُّورِ^(٤)

ويبرز في شعره الرضا بقضاء الله وقدره ، ويرجوه ويتوسل إليه ما يحتاجه في

(١) السابق ، ص ٩٤ .

(٢) عذاب السنين ، ص ١٠٥ .

(٣) انظر على سبيل المثال ص ١١١ و ص ١٢٢ من هذا البحث .

(٤) عذاب السنين ، ص ٧٢ .

حياته:

يــــارــــبــــاً إني راضٍ بما حــــكــــمــــتَ عَلَيْنَا
متى يكونُ لِقُونُنا والحبُّ بينَ يَدَيْنَا؟^(١)

وأما النوع الثاني من أنواع الغربة الذي برز في شعر حمد الحجي ، وصوره الشاعر أجمل تصوير ، وشف هذا الشعر عن لوعة أليمة ، وحزن شديد فهو الغربة المكانية ؛ فقد كان صدى الغربة المكانية ظاهراً في شعر حمد الحجي ، إذ أبان الشاعر عن اشتياقه إلى بلده وحبّه الشديد لأهلها وحنينه الدائم إليها ، ويخص نجدا بالحنين لأنه تربي على ترابها ، واستنشق هواءها .

"والإنسان العربي منذ أقدم العصور ، يخشى فراق الأرض ، وتضنيه الغربة ، ويمس بالشوق والحنين إلى وطنه أينما اتجه"^(٢) ، وقد أحس حمد الحجي بوقع هذه الغربة عندما كان في لبنان ، بعيداً عن أحبائه وأهله ، فاشتاق إلى نجد ، وبكى لبعده عنهم بكاء شديداً ، يمزق القلوب ، ويدر الدموع من العيون .

وظهر هذا الشوق العارم ، والحب المستفيض بتصوير حجم أحزانه ، وعظيم آلامه وأسقامه التي امتلأ بها قلبه ، وفاضت بسببها عيناه ، حتى تعدى أثرها إلى جسمه فقد طرأ عليه التغير نتيجة هذه الغربة المؤثرة ، فقد فعل الشوق

(١) السابق ، ص ١١٦ .

(٢) الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري ، د. سميرة سلامي ، دار الينابيع ، دمشق ، الطبعة

الأولى ، ٢٠٠٠م ، ص ١٢٧ .

فعله به إذا حلت ذكرى أهله إليه ، بسبب هذه الفرقة الطويلة التي وسمته بأثار
الشيخوخة ، وهو لا يزال في ريعان شبابه :

أنا المتيمُّ والأحـداثُ شاهدةٌ من الهمومِ علتُ وجهي نَجاعِيـدُ
إني غلامٌ ولكنْ حـالتي عَجَبُ أرى كأنِّي في السبعينَ مـولودُ
لم أشربِ الكأسَ والأشواقُ تـشربني ولم أُعَرِّدْ ومن حولي الأَغـاريدُ
نعمُ شربتُ كؤوسَ الهـمِّ مُترعةً حتى كَأني مِنَ الأوصـابِ عـريـدُ
كأنني شَبِحُ في الليلِ مُتـصـبُ أرعى النـجومَ وَحِلْمُ النَّفسِ مـوؤودُ

وأما عن سبب أحزانه المتواليه تلك ، فيبين الشاعر أنها فرقة الأهل ،
والبعد عن الأحباب ، حيث وافاه العيد وهو بعيد عنهم ، وقد كان معتادا قضاء
العيد بينهم ، ويدعو أن يلقاهم قريبا حتى تزول أحزانه لأنه عند لقائهم سيفرح
ولاشك :

يا عيدُ وافيتَ فالأشجانُ مُـرخيةٌ سُـدولها ، ونعيمُ النَّفسِ مـفقودُ
لا الأهلُ عندي ولا الأحبابُ جـيرُهم حـولي فـقـلبي رَهِينُ الشـوقِ مـفـؤودُ
ويقول فيها أيضاً :

يا فرحةَ القـلبِ والألامِ تعـصـره لو أَنَّهُ بـلقـاءِ الأهلِ مـوعودُ
يا سـاكـني نجدُ إنا بـعدَ بـينكم كأنها قـد سـوى الأضـلاعِ سـفـودُ

(١) عذاب السنين ، ص ٥٩ .

(٢) عذاب السنين ، ص ٥٨ . و المفؤود: الذي أصيب فؤاده بوجع ، لسان العرب ، ج : ١٠ ، ص ١٦٦ .

فادعوا بحقّ الهوى أن نلتقي بكمُ فإنّ أيامنا من بعدكم سُودٌ"^(١)
ويتذكر الشاعر مظاهر جمال نجد، فيعاوده الحنين إليها ، والرغبة بالعودة
إلى ربوعها وسهولها ، وكل شيء جميل يراه الشاعر في أرض إقامته في لبنان فإنه
يذكره بنجد ، مما يدل على شوق مسيطر ، وحب دفين يقول الحجي :

أحنُّ إلى تلك الرُّبا وَفَضَائِهَا وطائِرِهَا والرَّمْلِ والسَّهْلِ والوَخْدِ"^(٢)
حينئذ لو أنّ الرِّيحَ تَحْمِلُ بَعْضَهُ إلى ساكني نَجْدٍ لَدَابُّوا مِنَ الوَجْدِ
أرى كُلَّ مَا في أرضِ لبنانَ حَالِيَاً وَلَكِنَّهُ رَغَمَ افْتِتانِي لم يُجِدِ
إذا ما رأيتُ النَّخْلَ يَحْتالُ راقِصاً بيروتَ أبدي خَافِياً مِنْ هَوَى عِندي"^(٣)

قد عاش الشاعر حمد الحجي في غربة نفسية وغربة مكانية ، واستطاع شعره
أن يفصح عن مظاهر الغربة النفسية بجلاء ، فأبان مظاهر تلك الغربة ، ثم
ظهرت أسباب الغربة في ثنايا شعره ، وأبان الشعر كذلك النتائج والآثار التي
أحدثتها هذه الغربة على نفسه ، مما يجعل القول بأن شعر حمد الحجي تصوير دقيق
لما يحس به في نفسه .

كما اغترب الشاعر مكانيا ، فسافر خارج بلاده ، وعاش غربة حقيقية أثرت
تأثيرا كبيرا في نفسه ، فتصدى شعره ليشف عن ما يحس به من أثر لهذه الغربة ،

(١) السابق ، ص ٥٨ .

(٢) الوخد هو ضرب من سير الإبل ، وهو سعة الخطو في المشي . لسان العرب ج : ١٥ ، ص ٢٤٢ .

(٣) عذاب السنين ، ص ٦٢ .

وشوق صادق إلى بلده التي عاش فيها ، وإلى أحبائه وأصدقائه الذين تعود على لقيهم ، وعاش بينهم ليكشف شعره - أيضاً - وبوضوح الأثر النفسي لفراق الوطن ، والحل الأمثل في نظره هو العودة إليه.

الشعور بالظلم

إن من أشد ما يؤثر على الإنسان في حياته هو الظلم الواقع عليه ، ويشتد أثره عليه إذا كان لا يستطيع دفع الظلم عن نفسه ، وإذا أحس بأنه مظلوم فإن ذلك الإحساس يدفعه إلى اتخاذ مواقف أكثر فاعلية ، وسواء أكان الإنسان مظلوما حقيقة أم كان الظلم مجرد وهم فإن شعوره بالظلم كاف ليصبغ نفسه بمشاعر مؤلمة ، تؤثر أشد الأثر على نفسيته ، وتمد سلوكه بأمر ما كانت لتوجد لولا هذا الإحساس .

والشعور بالظلم أشد وقعا ، وأعظم خطرا من الظلم نفسه ؛ فهو "شيء مرير بغيض يتسبب في حالة من الغليان الداخلي ، وهو قلق داخلي لا يمكن أن يهدأ طالما استمرت هذه المشاعر السلبية نتيجة الشعور بالظلم"^(١)

ولقد حمل شعر حمد الحجي صدى الشعور بالظلم ، وصوره بصور متعددة ؛ إذ صور الظلم الواقع عليه بالذات ، أو الظلم الواقع على أمته ، كما صور الشعور الطبيعي بالظلم ، والشعور المذموم ، وسأحاول في هذا المبحث أن أسلط الضوء على هذه الأنواع من الصور بشواهدها ، متعقبا بوادرها وأسبابها .

(١) كيف تغلب على القلق؟ المشكلة والحل ، د. لطفي عبد العزيز الشربيني ، دار النهضة العربية ، د. ط .

في البداية لا بد من الإشارة إلى أن التركيز في هذا المبحث سيكون على صدى إحساس حمد الحجي بالظلم في شعره ، ولا يهيم الباحث مدى مصداقية ما يشعر به الشاعر على الواقع ؛ لأن الهدف من هذا المبحث هو الكشف عن ما يعتمل في نفس حمد الحجي من مشاعر من خلال شعره ، وقد تكون هذه المشاعر حقيقية ، وقد تكون مرضية .

يلحظ المتأمل في شعر حمد الحجي تكرار الظلم الواقع من البشر بوجه عام ، دون تخصيص نوع معين من الظلم ؛ مما يدل على شعور واضح به ، وأنه يعاني من هذا المعنى عناء شديدا ، وحق لنفس تحمس بالظلم أن تعاني ، ويؤكد الشاعر أن الإنسان بطبيعته ظالم ، وهذه الصفة جبل عليها ، ومن هذه الوجهة يبدو تأثير الظلم على نفسه ، وفي قصيدته (يا بدر) يخاطب البدر ويرجوه ألا يستقبل الناس في سطحه ؛ لأنهم ظلموا في الأرض وأفسدوها ، ولما انتهوا من الإفساد فيها التفتوا إليه كي يمتلئ بصفات الشر والظلم :

يا بدرُ سرُّ في أفقك الزَّاهي ولا تحفلُ بإنسانٍ ولا بِطُيورِ
إن جاء إنسانٌ إليك فَرَدَّهُ نحوَ الترابِ بخيبةِ المَقهورِ
أو أقبل الصاروخَ نحوكَ فاتحاً فادفعْ أذاهُ بنفخةٍ في الصُّورِ^(١)

والشاعر عندما يسدي للبدر هذه النصائح فلأنه يعرف الإنسان ، ويدرك

(١) عذاب السنين ، ص ٦٩ / ٧٠ .

صفاته ، فقد أفسد في الأرض فساداً كبيراً وظلم بها ، ولما انتهى من هذا الفساد نظر إلى البدر فأراد أن يمتلئ بتلك الصفات الذميمة التي يحملها ، ومن أهمها صفة الظلم :

هم أفسدوا هذا الثرى وتطايروا لك كي تمورَ بفتنةٍ وشُرورِ
نظروا إليك فشمروا عن عزيمة عرفت صنوف الظلم في التشمير
ما عندهم إلا الأذى ومكائد لا يستقل بعدها تعبيري
فاكبح جماحهم فإيهم أبوا إلا الفسَاد بسائر المعمور^(١)

إن الشاعر يؤكد هنا أن الظلم الذي يراه في الأرض ليس نوعاً واحداً ، بل متعدد الأنواع والأصناف ، ولهذا فقد كثر حتى ملأ الأرض ولم يعد له مكان فيها ، فرأى الظالمون أن ينقلوه إلى كواكب نظيفة من الظلم والفساد ، ومنها البدر حيث يجذره من استقبال هؤلاء الناس ، وذلك الحكم العام على الناس بأنهم أهل ظلم وشرور ليوحى بإحساس متأصل في نفس الشاعر بظلم واقع عليه ، وبعناء يملأ جنبات نفسه ، ولهذا فقد صور شعر حمد الحجي أنواع الظلم التي يحس بها .
ومن صنوف الظلم التي عانى منها الشاعر عناء شديداً ، وأشار إليها في شعره الشعور بالظلم المادي أو الاقتصادي فقد صور الشاعر هذا النوع من الظلم الذي يعيشه هو مع الفقراء أمثاله ، وتسلب الأغنياء على الفقراء ودورهم في فقر

(١) عذاب السنين ، ص ٧٠ .

الناس ، وربما لا يكون لهذا وجه على الحقيقة ، ولكن توضيحه مهم لمعرفة ما يحرك إحساسه ، ويؤلم نفسه .

وقبل البداية لا بدّ من الإشارة إلى حالة حمد الحجي المادية التي أفصح عنها شعره ؛ لكي ندرك تأثير الشعور بالظلم الاقتصادي عليه ؛ فالتأمل في شعر حمد الحجي يلحظ إما من منطوق كلامه ، أو من مفهومه حالة الفقر التي يعيشها ، إذ يؤكد ذلك في مواضع عديدة من شعره ، وما دام الشاعر يعيش تلك الحالة المعيشية البائسة فهو بحاجة إلى المال ، ولكنه دائماً لا يملكه ، مع أنه بأمس الحاجة إلى الأمان المادي الذي يعينه على قضاء احتياجاته الرئيسية ، وخاصة في المرحلة المبكرة من عمره^(١).

وعدم وجود المادة الكافية تجعله أيضاً مقيداً في أرضه ، ويمنعه من الترويح عن نفسه ؛ فلا يسافر إلى الأماكن التي يرتاح إليها ، وعندما يحس الإنسان بمثل هذه الحالة فإنه ينظر إلى الأغنياء وكأن لهم أثراً في جعل الفقراء يعيشون هذه الحال المزرية ، عن طريق منع أموالهم من وصولها إلى الفقراء ، ومن هذه النظرة الخاطئة نما الشعور بالظلم الاقتصادي لدى الشاعر .

ويؤكد الشاعر فقره عندما اشتاق إلى العودة إلى لبنان وتذكر أيامه الجميلة ، فقد وصف الشاعر تلك الطبيعة الخلابة ، التي تدعوه إلى العودة إليها ، لكنه لا

(١) انظر الحكمة الضائعة (الإبداع والاضطراب النفسي والمجتمع) ، ص ١١٦ .

يستطيع أن يسافر إليها لأنها لا تصلح لأمثاله من الفقراء الذين لا يملكون المال ،
ولا يتمتع بها إلا الأغنياء كما يقول :

إِنِّي أَمُوتُ عَلَى مَصِيفٍ فِي رُبَا لُبْنَانَ لَا رَاعَ الزَّمَانَ رُبَاهُ
لَكِنِّي خَالِي الْوِفَاضِ وَمِثْلُهُ بَلَدٌ جَدِيدٌ لِلْفَقِيرِ مَتَاهُ
مَا حَلَّهُ إِلَّا أَمِيرٌ أَوْ أُخُو مَالٍ ، وَمِثْلِي قَدْ يُعَارِ رِدَاهُ^(١)

ويلمح الشاعر إلى حالته المادية المتردية في قصيدته (صداقة) ؛ فقد احتاج
إلى أحد أصدقائه الذين وعدوه بالوفاء ، وعندما احتاج الشاعر إلى معونته تنكر له
ونسي سابق وعوده^(٢).

إن الفقر يحمل الإنسان كثيرا من الأعباء النفسية ، لتبلغ به درجة شديدة من
الحدة ، ويأتي في أولها تحطيم كرامة الإنسان ، وتحطيم احترامه لنفسه^(٣) ، وذلك
كافٍ لأن يعبر الشاعر حمد الحجي عن هذا الألم النفسي الشديد الذي يعتصره ،
وأن يشعر به - حتى وإن لم يقع عليه الظلم - جراء عدم وجود المادة الكافية ، التي
أفقدته التوازن في حياته ، فكانت ردود فعله معبرة عن عدم التكيف ، وتوحي

(١) عذاب السنين ، ص ١٠٠ .

(٢) انظر قصيدة (صداقة) عذاب السنين ، ص ٧٥ .

(٣) انظر الفقر والبيئة : الحد من دوامة الفقر ، ألن ب درننج ، ترجمة د. محمد صابر ، الدار الدولية للنشر
والتوزيع ، القاهرة ، الطبعة العربية الأولى ، ١٩٩١ م ، ص ١٠ .

بتأزم نفسي نتيجة وجود حاجة لم تشبع لديه^(١).

والحرمان من ضروريات الحياة ، أو من بعض ملذاتها – سواء كان نتيجة الظلم أم كان نتيجة ظروف الحياة – يجعل الإنسان يعيش في ألم شديد ، وهذا الألم هو الذي ينشط الموهبة الأدبية ؛ إذ بواسطة الإبداع الفني يعوض الشاعر حمد الحجي نفسه عما حرم منه في الحياة ، وبعبارة أخرى : إن الشعر لدى الشاعر يحل محل ما حرم منه في الواقع^(٢).

كما أبان شعر حمد الحجي عن حاجته الماسة إلى الإنسان الذي يتسم بالكرم ؛ لأنه القادر على انتشاله من حالته البائسة ، إن ذلك الإنسان هو الأخ الوافي لكل شخص يعيش مثل معيشته المليئة بالفقر والحاجة :

يَا لَيْتَنِي أَلْقَى كَرِيماً مُخْلِصاً إِنَّ الْكَرِيمَ أَخٌ لِكُلِّ غَرِيبٍ^(٣)

لقد استطاع الشاعر أن يوضح من خلال شعره أنه يعيش في فقر شديد ، وأنه بحاجة ماسة إلى المال الذي يعينه على قضاء متطلباته واحتياجاته ، ولهذا فإن الشاعر كما أحس بحاجته إلى الكريم فإنه يحس خطأ بظلم الأغنياء أصحاب

(١) انظر مقدمة لعلم النفس الأدبي ، ص ٥٤ .

(٢) انظر علم النفس والأدب ، د. سامي الدروبي ، منشورات جماعة علم النفس التكاملية ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ، ١٩٨١ م ، ص ٢٢٩ .

(٣) هل من أمل في شفاء هذا الشاعر ؟ ، د. محمد بن سعد بن حسين ، مجلة الحرس الوطني ، جمدى الأولى ،

الأموال الوفيرة للفقراء المحتاجين ، فالأغنياء - في نظره المتشائم - يقترون في أموالهم ، فلا يعطون المحتاجين ، بل يتنعمون بتلك الأموال في حين لا يجد الفقير والمحروم من المال ما يقيم أوده ، أو يحقق له أبسط وسائل العيش الكريم .

وإذا كان الفقير يعيش بهذه الحالة ، فإن هذا بسبب الأغنياء الذين ظلموا الفقراء ، ويجعل الشاعر حاجة الفقير حكماً جاء من الأعلى ؛ حيث حكم به الأغنياء عليهم ، فعاشوا في ذل الحاجة ، وظلم التقتير ، إذ لا مسكن مناسب يأوون إليه ، ولا مال كاف يقتاتون منه كما يقول :

هَلْ فِيكَ كُوْخٌ لِلْفَقِيرِ مُرَقَّعٌ مِنْ فَوْقِهِ يَحْتَالُ قَصْرُ أَمِيرِ
هَلْ فِيكَ أَرْبَابُ الْمَالِيَيْنِ الْأَوْلَى حَكُمُوا عَلَى الْمَحْرُومِ بِالتَّقْتِيرِ^(١)

وكما أحس الشاعر بالظلم الاقتصادي أحس أيضا بالظلم الفني ، إذ إن المبدع غالباً ما يرى في نفسه مكانة عالية يجب أن يحس بها الناس ، وأن يقدرها المجتمع حق قدرها ، وأما إهمال هذه الموهبة وعدم الاكتراث بها فهو ظلم لها ، واحتقار لما يجب على الناس الإعلاء منه ، ويلجأ الشاعر من أجل ما يراه إلى التسامي بشاعريته ، وهي " آلية دفاعية خلاقة تؤدي إلى الإبداع في النشاط والإنتاج"^(٢) ؛ " إذ إن معظم الأفراد الذين قدموا إنتاجاً رفيعاً في حياتهم غالباً ما

(١) قصيدة يا بدر . مجلة البهامة . العدد ١٩٩ ، ٦/٦/١٣٧٩ هـ ، زاوية (مع الشعراء) .

(٢) أسرار النفس وخفاياها مع فيضها الإياني ، د. أحمد رفعت جبر ، د. ط. ، د. ت. ، ص ١٠٢ .

استغرقوا حياتهم في إعلاء الطاقة البدائية ، إلى سلوكيات اجتماعية راقية ومقبولة في العلم ، الفن ...^(١) .

ويخلع الشاعر على شعره صفات الجمال الفني الذي تعارف عليه الناس ، ومن خلال هذه الصفات يُعَرِّضُ بغيره من الشعراء الذين فارقوا تلك الصفات الجميلة ؛ فهو مخلص لفنه ، لم يتكسب به ، ولا يمكن بحال من الأحوال أن يجعله أداة يصفق بها للآخرين دون صدق في المشاعر و الأحاسيس ، ولأنه كذلك ولأن طبيعة الفن تقتضي أن يكون مخلصا لا متكسبا ؛ فإنه يرى المستقبل بيده زاهيا جميلا ، وتناسى الماضي الذي يعد ميتا ، وهذه إشارة تفاعلية تغيب في أغلب شعر حمد الحجي ، وما هذا التفاؤل المشرق إلا لأنه لم يخن الفن أبدا ولم يبعه عندما أصبح سلعة بيد الآخرين ، يقول حمد الحجي عن نفسه وعن شعره :

أنا هَاهُنَا أَلَمَسُ الأَمْسَ وَزَدَا يُعْطِرُ دُنْيَايَ بِالذُّكْرِيَّاتِ
وَأَلْمَحُ مُسْتَقْبَلِي زَاهِيَا فَمَا عُدْتُ أَذْكَرُ أَمْسِي المَوَاتِ
أحومُ على الزَّهْرِ مِثْلَ الفَرَّاشِ لِأَشْرَبَ مِنْهُ رَجِيحَ الحَيَاةِ
أنا الشَّاعِرُ الحَضْبُ ما خُنْتُ فَنِّي ولا بَعِثُهُ بِسَخِيِّ الهِبَاتِ^(٢)

وهذا الشاعر الذي يتميز بعدد كبير من المميزات الفنية ، الأولى أن يُحترم

(١) السابق بتصرف يسير ، ص ١٠٣ .

(٢) عذاب السنين ، ص ٧٦ .

فنه، وأن يُنزل المنزلة التي تليق به ، أما عدم الاكتراث بها فهو منافاة للعدل ، وتدعيم للظلم ؛ لأنه سلب لحق يجب أن يعطى لهذا الموهوب ، ولهذا فقد كان تجاهل المجتمع لمواهبه الفنية مؤثرا واضحا من المؤثرات التي صدح بها شعره ، وأبان عنها لسانه حيث جعل صفة الأديب عنوانا بارزا للشقاء ؛ لما يلاقه الأديب من ضعف التقدير ، وعدم قدرة المجتمع على فهم ما يقول :

إِذَا مَا شِئْتَ أَنْ تَشْقَى بِأَرْضٍ كَأَرْضِي فَلْتَكُنْ فِيهَا أَدِيبًا
سَتُرْمَى بِالذَّوَاهِي مِنْ بَيْنِهَا وَتَقْضِي الْعُمَرَ مَنبُودًا غَرِيبًا
وَيَغْشَاكَ الْأَذَى إِنْ كُنْتَ حُرًّا يَرَى فِي كُلِّ بَادِرَةٍ رَقِيبًا^(١)

وأما أكثر ما يلاقه الأديب من المجتمع فهو عدم التقدير الفني ، وهو نوع من ظلم الموهبة الأدبية ، لأن من حقها التشجيع حتى تتحمس وتقدم المزيد ، ولكن أمر التشجيع لم يكن موجودا ، وإمعانا في ظلم هذه الموهبة الخلاقة فإن المجتمع يعيب على الأديب ما يبدعه ، ويجعله دليل ذم لا شهادة تقدير :

وَإِنْ تَكُ بُلْبُلًا غَنَّى لِحُونًا تُرَقِّقُ بِانْطِلَاقَتِهَا الْقُلُوبَا
تَكُنْ فِي فَرْعِ دَوْحَتِهِمْ غُرَابًا وَيُصْبِحُ شَدُوكَ السَّامِي نَعِيبًا^(٢)

ويشعر الشاعر بظلم واضح للأديب ؛ حينما يرى كل أطراف المجتمع

(١) مخطوط الديوان ، ص ١٢٧ / ١٢٨ .

(٢) مخطوط الديوان ، ص ١٢٨ .

العاملة تحصل على نصيبها وافرا من التقدير والحفاوة الاجتماعية ، بينما يقف الأديب ذاهلا وهو يرى التمييز بين المبدعين ، فلا يحصل على نصيبه الذي يستحقه ، وعدم أداء الحقوق ظلم وإجحاف أحس به الشاعر ، وأبان عن ذلك بقوله :

لِكُلِّ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا نَصِيبٌ وَمَا لِقِيَ الْأَدِيبُ مِنْهَا نَصِيبًا^(١)

لقد بدا واضحا صدى الشعور بظلم الموهبة الأدبية في شعر حمد الحجي ، وطبعي أن يتأثر الشاعر بذلك ، بل يمكن القول : إن ذلك الأثر يستمر معه حتى وإن حظي بالإعجاب والقبول فيما بعد ؛ وذلك أنه " عندما يلاقي التقدير ممن يحيطون به فيظهرون له الإعجاب ، إنما يكون ذلك بعد العديد من المرات التي لاقى فيها الهوان واللامبالاة^(٢)" ، وحالات الفرح التي تهز وجدانه ومشاعره ما هي إلا رد فعل لحزن سابق ، أو لانتقام وجداني قديم^(٣) .

وهكذا يبين الشاعر صوراً متعددة لظلم واضح في ذهنه وقع عليه ، عرف الشاعر فيها من الظالم ؛ فربما كان الأغنياء سببا في ظلم الفقراء ؛ ومن الفقراء حمد

(١) السابق ، ص ١٢٨ .

(٢) سيكولوجية الإبداع في الفن والأدب ، يوسف ميخائيل أسعد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، د.ط ، د.ت ، ص ١٠٥ ، اللامبالاة : استخدام شائع خطأ وتعني غير المبالاة وهو الاستخدام الصحيح لها .

(٣) انظر السابق ، ص ١٠٥ .

الحجي ، وربما كان المجتمع هو السبب في الظلم الفني الذي يقع على حمد الحجي الشاعر ، ولكن هذه الصور تأخذ بُعداً عميقاً عندما يصبح ظلم حمد الحجي مرتكزا أساسيا ولكنه لا يعرف فيه فاعل الظلم ؛ فكل ما يعرفه الشاعر أنه مظلوم ، أما المتسبب في ظلمه فمجهول .

والذي يدفع إلى القول : إن ذلك شعور بالظلم ؛ هو ما يعقده من موازنات بينه وبين أقرانه ؛ حيث حصلوا على السعادة وكان أولى بها ؛ الأمر الذي يوحي بإحساس عميق بالظلم ، وشعور لا يكاد ينفك عنه ، فإحساسه يوصل إليه أن أقرانه الذين ولدوا معه ، ونشأوا معه ، وكانوا مثله في كل شيء حصلوا على كل ما يتمناه المرء في حياته ، ولم يصل هو إلى حقه :

أَبْقَى عَلَى مَرِّ الْجَدِيدِينَ فِي جَوَى وَيَسْعُدُ أَقْوَامٌ وَهُمْ نُظْرَائِي
أَلَسْتُ أَحَاهِمُ قَدْ فَطَرْنَا سَوِيَّة فَكَيْفَ أَتَانِي فِي الْحَيَاةِ شَقَائِي
أَرَى خَلْقَهُمْ مِثْلِي وَخَلْقِي مِثْلَهُمْ وَمَا قَصَّرْتُ بِي هِمَّتِي وَذَكَائِي^(١)

ويؤكد الشاعر من خلال عدد كثير من الأسئلة أن أسباب السعادة كلها متوافرة لديه ، ولكنها لم تفده فلم يسعد بها بينما أسعدت غيره من أقرانه ، فالشاعر كما في البيت السابق لديه من الهمة والذكاء ما يحوله لتحقيق السعادة ، ولسانه فصيح لا يعجزه الكلام ، وهو حكيم يستطيع الصمود والإدلاء بالرأي عندما

(١) عذاب السنين ، ص ٣٥ .

يشكل الأمر ، أو تتعقد المسائل ، وما كان بخيلا يمنع ماله إذا وجد عن من يحتاج ، ومع امتلاكه كل هذه الأدوات التي تحقق له السعادة إلا أنه محروم منها ، ومسلوب حقه في التمتع بها :

أَكَانَ لِسَانِي إِنْ نَطَقْتُ مُلْعَمًا وَكَانُوا إِذَا نَاجَوْا مِنَ الْفُصْحَاءِ ؟
 وهل كنت إما أشكل الأمر عاجزا وكانوا لدى الجلى من الحكماء ؟
 وهل لهم جود بما في أكفهم وإني مدى عمري من البخلاء؟^(١)

وتلك النظرة يستشف منها عدم الرضا بقضاء الله ، والتسخط مما قدره الله عليه ، وهي نظرة سوداوية ، وشعوره بالظلم هذا يوقعه في مزلق كثيرة ينبغي للمسلم أن يحذر منها ، وأن يرضى بما قدره الله عليه فهو من أركان الإيمان .

ويزداد شعور حمد الحجي بالظلم عندما يقع في المحذور ؛ فينسب الظلم إلى القدر ، ويجعله هو المتسبب في بؤسه ، وأن عينه ترصد الكون لتقضي عليه ، وتهز الإنسان الذي يعيش فيه :

الْمَقَادِيرُ فِي كَهْفِهَا لَمْ تَنَمِ
 عَيْنُهَا تَرُصُّ الدُّنْيَا كَكُونَ مَنْذُ الْقَدَمِ
 دَاوَاهُ دَائِمًا أَنْ تَهْزُرَ الْأُمَمِ
 وَتَهْدُّ الْقُيُومَى وَتَدُكُّ الْقِيَمَمِ

(١) السابق ، ص ٣٥-٣٦ .

ثُمَّ تَحْتُو كَمَا لَمْ تُغُولِ فَوْقَ الرَّمَمِ”
وتلك نظرة مخالفة لما ينبغي من المسلم التحلي به من الرضا بقضاء الله
وقدره، وأن يؤمن بأن ما يأتيه ما هو إلا من باب الابتلاء والامتحان، وأن يتحلى
بالصبر الذي أمر الله - جل وعلا - به .

ولم يكن الشعور بالظلم الفردي - أعني الواقع عليه - المحرك الوحيد
لإبداعه، أو المؤثر الوحيد في شعره، بل إن الشعور بالظلم الجماعي - وهو : ما
تعرض له الأمة العربية والإسلامية من صنوف الظلم وأشكال الاستبداد من
قبل أعدائها - مؤثر بارز في شعر حمد الحجي، وهو الذي يميز القول : إن حمد
الحجي لم يكن منكفئا على ذاته بل كان يتأثر بما يسمع عنه في بلاد المسلمين أو بلاد
العرب من ظلم وإفساد .

وقد كان ما يمارسه أعداء الأمة الإسلامية - وخصوصا اليهود - من ظلم
مشين من المؤثرات الواضحة في شعر حمد الحجي، وظهر صدى شعوره بظلم
هؤلاء في شعره ظهورا بارزا؛ حيث أحزنه وآلمه ظلم اليهود واستبدادهم، ولا
عجب؛ فهو فرد من أفراد هذه الأمة العظيمة يحس بالطعنات الموجهة إليها،
ويتألم مما تتألم منه؛ فيها هو يحكي ما في قلبه من أحزان، وما يؤرقه من شجون
وآلام؛ بسبب ظلم اليهود لإخوانه في فلسطين :

شبابِ العربِ كم لي من شجونٍ وآلامٍ يضيقُ بها الفؤادُ
 فهذي القدسُ قد صارتُ مُقاماً لسهيونٍ وطابَ لها المعادُ"
 ويعدد الشاعر مظاهر الظلم التي يمارسها اليهود مع المسلمين ، حيث
 استغل اليهود استكانة المسلمين وضعفهم فتسيدوا عليهم ، ومارسوا معهم شتى
 أصناف الظلم ، فتنعموا بخيراتهما ، وحرموا المسلمين من هذه الخيرات مع أنها
 ملكهم ، وذلك نوع من الظلم شديد، أحزن الشاعرَ وآلمه أشد الإيلام :

فلا عَجَباً إذا عَدَتِ الضَّواري عَلَيْنَا اليومَ والأوغادُ سَادُوا
 لهم من ذلِّ أمتِنَا اقتِدارٌ ومِن خيراتِها نهبٌ وزادُ"
 إن هذا الظلم الذي يمارس ضد الأمة ليحرك مشاعر كل قلب ، ويوقظ كل
 ضمير تنبض فيه الحياة ، وهو الذي جعل حمد الحجي لا يهنا بنوم ، ولا يرتاح له
 جفن ، إنه يسمع مواقف تتحرك لها القلوب ، وتجعل القلب يحمل على الظالم ،
 يقول حمد الحجي بعد أن استيقظ مرة من نومه :

وبقيتُ أستجدي النعاسُ

وإذا بأخرَ سَاهِرٍ

في الليلِ يصرخُ يا أناسُ

(١) عذاب السنين ، ص ٧٣.

(٢) السابق ، ص ٧٣.

فَفَزَعْتُ مِنْهَا " يَا أَنَسُ "
 مَاذَا يُرِيدُ بـ " يَا أَنَسُ " ؟
 وَإِذَا بِهِ يَدْعُو عَلَى الْمُسْتَعْمِرِينَ
 وَيُرِيدُ أَنْ نَدْعُو عَلَى الْمُسْتَعْمِرِينَ
 لَكِنَّ ذَاكَ الصَّوْتِ أَيْضاً قَدْ تَوَارَى فِي الظَّلَامِ"

وبعد أن انتهى هذا الصوت ، يحاول الشاعر أن يعود إلى نومه لكي يرتاح من التعب ، ولكن الظلم الواقع على إخوانه في فلسطين يتعب نفسه ؛ فيتخيل خيالات كثيرة ، فتأتي إليه صورة أخرى من صور الظلم الذي يمارس على المسلمين في فلسطين ، يحس الشاعر به وهو يدعو على المحتلين والمستعمرين الذين سلبوا الحقل من صاحبه ظلماً وعدواناً :

وظننتُ أني سوفَ أنعمُ بالمنامِ
 لكنني ما إن غفوتُ
 حتى صحتُ على صياحِ
 قد خلته وقع السلاحِ
 ووقفْتُ مدعوراً على قدمي...
 " ما هذا الصياحُ؟ "

وَإِذَا بِهِ يَدْعُو عَلَى الْمُسْتَعْمِرِينَ
وَيَقُولُ : " أَيْنَ الْحَقْلُ ضِيَعَهُ الْخَوْؤُنُ ؟ "

الْفَاجِرُ الْمَلْعُونُ ...

يَعْبَثُ بِالنُّفُوسِ وَبِالْعُقُوقِ

وَيُرِيدُ تَضْلِيلَ الْعُقُولِ !!^(١)

إن تلك المظاهر التي يعددها الشاعر ما هي إلا من أشكال الظلم التي تؤرق كل قلب ، وهذا الظلم يتعب نفسه فيظهر أثره في شعره ، وحمد الحجي يتفاعل مع أحداث الظلم ، ويصوره تصويرا دقيقا يدل على تأثر نفسي شديد ، جلب به أحزانا مؤلمة ، والأحزان هذه هي التي تحرك الأديب لإبراز أدبه ، والأدب زفرة من زفرات نفسه^(٢) ، ثم يؤكد أن الظلم هو ما يقلق فؤاده ، ويقض مضجعه بقوله :

أَتَدُومُ لِلْبُؤْسَاءِ دُنْيَا الْبَائِسِينَ ؟

وَتَدُومُ لِلْفُقَرَاءِ دُنْيَا الْجَائِعِينَ

وَيَظَلُّ لَيْلُ الشُّكِّ يَعْصِفُ بِالْحَقِيقَةِ وَالْيَقِينِ

أَيَظَلُّ قَيْدُ الظلمِ يُثْقَلُ أَرْجَلَ الْمُتَحَفِّزِينَ ..

(١) عذاب السنين ، ص ١٢٨ .

(٢) انظر سيكولوجية الإبداع في الفن والأدب ، ص ١٠٤ .

إلى الكرامةِ والخُلُودِ؟

وإلى حياةِ الأكرمين؟

وإلى حياةٍ لا أنينَ بها ولا مُستضعفون^(١)

وقد كانت أحداث الأمة العربية والإسلامية في عصر حمد الحجي عاصفة - ولا زالت كذلك - ولهذا كان الظلم الواقع على الأمة الإسلامية والعربية من أهم المؤثرات التي أثرت في حمد الحجي كما أبان عنها شعره ، فلم تكن فلسطين هي الوحيدة التي تعاني من ظلم الاحتلال ، ومن كيد الأعداء ، بل كانت الجزائر من التي لاقت عناء من ظلم الاستعمار الفرنسي ، وقد أحزن الشاعر حمد الحجي هذا الظلم الذي تمارسه فرنسا ضد أهل الجزائر ، وساق صور الظلم الكثيرة التي يلاقيها أبناء الجزائر من هذا الاستعمار الغادر حيث يقول :

عَجِبَافَرَنْسَافَقَدْتَدَجَىلَيْلُهَا	فَمَضَتْتُكْبَلُغَيْرَهَا تَكْبِيلًا
كَمْ مِنْ بَرِيءٍ فِي الْجَزَائِرِ هَادِي	أَخَذُوهُ فِي أَصْفَادِهِمْ مَغْلُولًا
كَمْ شَيْخِ قَوْمٍ طَاعِينَ فِي سِنِّهِ	طَعَنُوهُ حَتَّى جَاسُوا نَدْلُوهُ قَتِيلًا
كَمْ مِنْ فِتَاةٍ قَدْ أَبَاحُوا عِرْضَهَا	مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ بِذَاكَ حَفِيلًا
كَمْ أَخْرَجُوا مِنْ رَاتِعٍ فِي نِعْمَةٍ	فَرَأَهُمْ شَرًّا عَلَيهِ وَبِيلا
كَمْ مِنْ مَكَانٍ آمِنٍ مُسْتَوَظِنٍ	جَاءُوا فَأَخْلَوْا رَبْعَهُ الْمَاهُولًا

(١) عذاب السنين ، ص ١٢٩ / ١٣٠ .

مُذْ حَلَّ جَيْشُ الظُّلْمِ فِي أَوْطَانِهِمْ مَا اسْتَنْشَقُوا فِيهَا صَبَابًا وَقَبُولًا^(١)
 لقد أحس الشاعر بالظلم ، وصور الظلم الواقع عليه بأشكال متعددة ؛
 تعددت أنواعه في شعره ، وتعددت أسبابه التي انعكست على نفسه فحركت
 إبداعه ، فقد كان يتألم من هذا الشعور .

أحس الشاعر بالظلم المادي لأنه كان محروما من المال ، وصور الظلم الفني
 لأنه يحس بأنه محروم من التقدير الاجتماعي لإبداعه ، ووقع الشاعر نتيجة هذا
 الشعور بمخالفات عقدية منها التسخط من القدر ، وجعله المتسبب في ظلمه .
 وتفاعل الشاعر مع أمته وهو يراها واقعة تحت أيدي الاستعمار ، يارسون
 معها شتى صنوف الظلم ، فأحس بهذا الظلم ، وحزن له أشد الحزن ، وكان
 شعره ناطقا بهذا الإحساس ، مبرزاً نفسية حزينة لشاعر حزين .

(١) عذاب السنين ، ص ٩١ .

رؤيته للوجود

خلق الله الإنسان ، وأوجد له عقلاً يفكر به ، ويتأمل في مظاهر الحياة ، وقد دعا الله الإنسان إلى التأمل في الكون ، وفي خلقه ، ولكن التأمل يجب أن يكون ذا نتيجة إيجابية ؛ وهي النتيجة التي توصله إلى معرفة الخالق - جل وعلا - والإيمان به حق الإيمان ، وأما إن كانت توصل الإنسان إلى الحيرة والشك والقلق فهو تأمل مذموم .

وقبل الخوض في رؤية حمد الحجي للوجود من خلال ما قدمه من نتاج شعري لا بد من الإشارة إلى مفهوم الوجود بإيجاز ؛ " فالوجود بمعنى الوجود ، وهو الماهيات التي تلبست بالوجود ، أو سوف تتلبس به"^(١) ، ومنه الخالق - سبحانه وتعالى - ، والإنسان ، والطبيعة^(٢) .

(١) هرم الوجود دراسة تحليلية لعلم الوجود المقارن ، د. مهدي الحائري اليزدي ، ترجمة محمد عبد المنعم

الحاقاني ، دار الروضة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م ، ص ٢٠ .

(٢) انظر لمزيد من التفصيل الوجود والقيمة ، سامي خرطيليل ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ،

الطبعة الأولى ، ١٩٨٠م ، ص ٣٢ / ٣٣ .

وانظر معالجة الوجود في شعر ابن الرومي في كتاب "ابن الرومي في الصورة والوجود" ، د. علي شلق ،

المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، من ١٠٤ - ١٤٨ .

يلحظ القارئ لشعر حمد الحجي التأمل بارزا ، وقد أوصله هذا التأمل المتشائم إلى البؤس والشقاء كما يفصح بذلك ، بل إنه يصرح أن التأمل هو السبب الأول في تشاؤمه وتبرمه من الحياة ؛ فعندما بحث الشاعر عن أسباب معيشتة المؤلمة ، وبؤسه المتواصل ، وعدم الوصول إلى الحياة السعيدة وجد أن السبب في ذلك هو أنه أصبح في حياته مفكرا ، ومصير كل من يفكر ويتأمل هو الألم :

وَأَصْبَحْتُ فِي هَذِي الْحَيَاةِ مُفَكِّرًا فَجَاءَتْبُتُّ فِيهَا لِذَاتِي وَهَنَائِي^(١)

وعندما يتمعن القارئ في هذا البيت يلحظ أنه أورد التفكير بشكل عام ، لم يخصص نوعاً معيناً من التفكير ؛ فالتأمل هو الذي أبعده عن التلذذ بالحياة ، وأفقده المعيشة الهائنة ، ولكنه في موضع آخر يخصص النظرة أكثر ، ويزيدها توضيحا ، ويفسر سبب تعاسته بالتأمل ، ويحدد الأمور التي يفكر فيها عندما يتساءل عن سر آلامه وأوصابه بقوله :

لَسْتُ أَذْرِي لِمَ الدُّنَا حَمَلْتَنِي مَا أَرَى الْغَيْرَ مِنْهُ خَلَوَ الْوِطَابِ^(٢)

ويذكر مجموعة من الأسباب لكنه يؤكد على تأمله ، فيجعله سببا مهما من أسباب آلامه التي ملأت قلبه ، وأشعلت عقله ، وهددت كيانه ، فيقول :

أَمْ لِأَنِّي أَسْحَحُ الْفِكْرَ فِي الْكُو نِ وَفِي الْخَلْقِ ، فِي ذُرَا مِحْرَابِي^(٣)

(١) عذاب السنين ، ص ٣٦ .

(٢) السابق ، ص ٣٢ .

(٣) السابق ، ص ٣٢ .

ولعل هذا البيت يُشكّل منفذا إلى التأمل عند حمد الحجي ، فقد خصص عمومية البيت السابق في التأمل ؛ حيث ركز على مجالين – يتأمل من خلالها – في غاية الأهمية ، وهما اللذان يحتلان مساحة كبرى من تفكيره ، ويملكان الجزء الأوفر من تأمله .

أما المجال الأول فهو التأمل في الخلق ، ولكن لا بد من التعرف على دلالة هذه الكلمة ؛ لأنها تحتل معنيين ؛ أولهما : الخلق بمعنى المخلوق^(١)، وثانيهما : الخلق بمعنى الإنشاء والإيجاد^(٢)، ولكن المتمعن في قصيدة حمد الحجي تلك بوجه خاص ، وفي شعر حمد الحجي بوجه عام يتوجه إلى المعنى الثاني – أعني الإنشاء والإيجاد – ولاختيار هذا المعنى سببان :

الأول : أن الشاعر أبرز التأمل في البشر في قصيدته ، بأنهم يحملون صفات ذميمة ، وحملهم تلك الصفات هو الذي جلب له الأحزان ، وأغرقه في التشاؤم من مثل قوله :

أم لَأني أرى الأَنامَ بأجسَا مِ تَوَارَتْ فِيهَا نُفُوسُ الذُّنَابِ
بين نذلي وخائني وعَدُوِّ وَحَسُودٍ وَصَاحِبِ ذِي كِذَابِ^(٣)

وما دام الأمر كذلك فإن تكرر المعنى نفسه في قصيدة واحدة عديم القيمة

(١) انظر لسان العرب . مادة خلق ، ص ١٩٣ .

(٢) انظر السابق . مادة خلق ، ص ١٩٢ .

(٣) عذاب السنين ، ص ٣٣ .

والفائدة في البيت الذي ذكر آنفا .

الثاني : ما يلحظ في شعر حمد الحجي من تساؤلات كثيرة ، تدل على حيرة وشك حول الخلق والوجود سأعرض لها فيما يلي بإذن الله .
وأما المجال الثاني لتأمل حمد الحجي كما بينه الشاعر في البيت السابق فهو التأمل في الكون ، إذ إن صدى تأمله في الكون والطبيعة كان بارزاً ، ومن أهم المؤثرات التي أثرت في شعره ، فصدق الشاعر بهذين المجالين في قصائد عديدة .
وإذا كان الشاعر قد حدد المجالات التي يتأمل من خلالها فإنه من المستحسن تناول صدى تأثيرها من خلال ما شعره ؛ لأن ذلك يضيف قيمة مهمة للدراسة ، ويعكس الأثر النفسي الذي أحدثه ذلك التأمل .

المجال الأول : التأمل في الخلق :

لقد كان لتأمل حمد الحجي في الخلق والوجود أثرا واضحا في شعره ، وأبرز ذلك التأثير نفسية حمد الحجي التي تتسم بالتشاؤم الموحش ، بل إنه عاش في قلق وحيرة وشك ، ولكن قد لا يكون الأمر غريبا إذا عُرِفَ أن الشخصية الفصامية قد يحدث لها مثل هذا الأمر ، حيث تتسم بالتساؤلات المحيرة ، والتي تدل على نفسية قلقة شكافة^(١) .

(١) انظر الفصام دراسة في اضطرابات الشخصية والتفكير والسلوك ، ص ٣٤ .

إن مظاهر التأمل في الوجود عند الشاعر تقوده إلى الحيرة الشديدة والتردد في مسألة وجوده؛ يغيب عنه: كيف جاء إلى هذه الدنيا؟ وما سبب مجيئه إليها؟ ويقع في الحيرة الشديدة التي تفقده ما عرفه وتعلمه، لتكون الإجابة على تلك التساؤلات شاقة ومحيرة؛ فالشاعر يجهل حقيقته، ولأجل هذا الجهل يتساءل: ما أنا؟ ما والدي؟ ما إخوتي؟، وهو يختار أداة استفهام لغير العاقل خصوصا إذا عرف أن أداة استفهام العاقل لا تؤثر في وزن البيت، لكنه يقصد هذا الاختيار إمعانا في الحيرة والشك، إذ يقول:

وَلَقَدْ جَهِلْتُ سَفِينَتِي ، وَسَفِينَتِي
أَنَا غَيْرَ أَنِّي قَدْ جَهِلْتُ حَقِيقَتِي
وَأَتَيْتُ أَسْأَلُ عَنْ حَيَاتِي كُلِّهَا
أَنَا مَا أَنَا؟ مَا وَالِدِي وَإِخْوَتِي؟^(١)

وتومئ تلك التساؤلات إلى قلق وجودي، وتدلل على "عنصر نفسي يمتزج فيه الفكر المتأمل لكل ما في الوجودية من تناقضات بمشاعر الحيرة والتعجب والدهشة والقلق حينما يتساءل الشاعر عن حياته ووجوده، وبدايته ونهايته"^(٢).

كما أنها تشتمل على ما يحمله العقل من غموض وتعقيدات تواجهه، وهي مختلفة اختلافا تاما عن الأسئلة يهدف منها السائل إلى المعرفة وتتبعها إجابات شافية؛ لأن مثل هذه الأسئلة تزيد العقل حيرة، وتضيف كثيرا من علامات

(١) عذاب السنين، ص ٢٩.

(٢) الرؤية الرومانسية للمصير الإنساني لدى الشاعر العربي الحديث، طلعت عبد العزيز أبو العزم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨١م، ص ٨٥.

الاستفهام لدى الشاعر دون أن يحل شيئاً من إشكالاتها^(١).

ويزداد عقل الشاعر حيرة ، حينما يترك الحديث عن جهله لحقيقته ، فيتجه إلى السؤال الآخر الذي حيره كسابق الأسئلة ، ويتساءل عن المكان الذي جاء منه ، وعن المكان الذي سيذهب إليه ، مظهرا جهله بمصدر وجوده ، وجهله بالغاية التي سينتهي إليها ، ثم ينهي هذا البيت بحقيقة المعاناة التي يعانها في حياته ، وهي الحيرة ؛ نتيجة عدم وجود إجابة شافية تريحه من تسلط العقل وإلحاحه ، فهو يقول :

من أين جئت؟ وأين أذهب؟ إنني في هذه الدنيا أعاني حيرتي^(٢)

ورغم هذه الحيرة الشديدة ، إلا أنه يختمها بتسليم الأمر إلى الخالق - جل وعلا - وكأنه في ختام هذه القصيدة لم يستطع الإجابة على تلك الأسئلة التي ألهمت عقله ، وجعلته في حيرة من أمره ، ولما عجز عن الإجابة عليها وكَلَّ أمرها إلى الله سبحانه وتعالى ، مما يكشف فطرة المسلم ، وأثر الثقافة التي تثقف بها على معاني شعره ، يقول :

لكنني رَغَمَ التَّسْأُولِ مُؤْمِنٌ بِقُوى الإلهِ وَشَاعِرٌ بِالْقُدْرَةِ^(٣)

وإذا كانت هذه التساؤلات قد أبانت عن تأثر بيايليا أبو ماضي فإن البيت

(١) انظر علم نفس الأدب ، ص ١٠٦ .

(٢) عذاب السنين ، ص ٣٠ .

(٣) السابق ، ص ٣٠ .

الأخير يكشف عن الاختلاف بينها ، فقد ألحت الأسئلة على إيليا أبو ماضي في قصيدة الطلاسم دون أن يجد ما ينهيها ، أو يحل إشكالاتها ، فبدأ حائراً ، وانتهى حائراً ، وكانت إجاباته على تساؤلاته بـ " لست أدري " ^(١) ، أما حمد الحجي فقد سلم في نهاية قصيدته الأمر إلى الله ، مؤكداً إيمانه العميق بربه جل وعلا .

إن على الإنسان أن يعود إلى الخالق — سبحانه وتعالى — إذا أشكلت عليه مثل هذه التساؤلات ، ففي كتاب الله ما يحل كل لغز محير ، فحقيقة الإنسان أنه مكون من روح ومادة ، ويفهم من خلال امتزاج هذين العنصرين ^(٢) ، وقد أوجد الله الخلق لعبادته ، ومرد العباد إليه فيحاسبهم على كل ما يقترفون حساباً دقيقاً ، والعودة إلى كتاب الله — جل وعلا — هي المخلصة للإنسان من حيرته ، وهي التي تجيب عن أسئلته .

وتتكثف معاني القلق والحيرة في شعر حمد الحجي ، ويتبين من خلالها ترقب الغاية التي سينتهي إليها ، ثم جهل بهذه الغاية ، وتأخذ هذه المعاني شكلاً صريحاً تارة كما في الشواهد المتقدمة ، وتارة أخرى تحمل هذا المعنى عن طريق الرمز المجازي ؛ والأزمة النفسية في الحالين ما هي إلا حيرة وقلق وغموض

(١) انظر ديوان الجداول ، إيليا أبو ماضي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة السابعة عشرة ، ١٩٨٦ ، ص ١٣٩ .

(٢) انظر التصور الإسلامي للوجود ، د. حسن الحيارى ، دار البشير للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ،

يكتنف عقله" ويرهقه أيها إرهاب :

فَصِدًّا شَطَّ رَجَائِي الشَّيْقَا فِي سَكُونِ اللَّيْلِ قُدْتُ الزَّورَقَا
حُلْكَةٍ لَمْ أَجُلْ فِيهَا أُفْقَا مُبْحِرًا نَحْوَ الْمَدَى الْمَجْهُولِ فِي
لَا هِبَ الْعَصْفِ مَغِيضًا مُحْنَقَا كَمْ يُثَوِّرُ الْبَحْرُ حَوْلِي مُزِيدًا
زَعَقَاتُ الدُّعْرِ مِمَّنْ غَرَقَا^(١) حَمَلْتُ أَمْوَاجَهُ مِنْ قَاعِهِ

وتتضح الحيرة التي تحيط بالشاعر من خلال هذه الأبيات ، وتمثل تلك الصورة الكلية معاناة الشاعر النفسية نتيجة هذه الحيرة ، فقد ركب الزورق في ليل معتم لا يبين عن شيء ، ورغم أنه الذي يقود هذا الزورق إلا أن الغاية التي يتجه إليها مجهولة (مبحرا نحو المدى المجهول) ، وكل شيء حوله يشعره بالخوف ؛ فالبحر ثائر بغضب شديد ، ويجوي في قاعه الذين غرقوا ، يسمع الشاعر أصواتهم ونواحهم ، وما ذلك الرمز إلا حاملٌ معاني الحيرة التي أرهقته ، وبلغت به مبلغا عظيما من التمزق النفسي .

إنه يدرك أن هناك شيئا غائبا عن عقله ، وذلك الإدراك هو الذي جعله يعيش في حالة من الاضطراب المستمر ، وهو الذي يدفعه إلى الاحتفاء بما هو لا عقلي ، ولا شعوري ، ولا منطقي ؛ فيهرب إلى الأحاسيس الذاتية ، وعندها

(١) انظر الأدب العربي عصوره وفنونه وقضاياها ومختارات مدروسة من نصوصه (في الأدب العربي السعودي وفنونه واتجاهاته ونماذج منه) ، ص ٢٢٩ .

(٢) عذاب السنين ، ص ٣٩ .

تصبح الحياة الباطنية هي مركز تفكيره وإحساسه^(١).

وحينما يقع الشاعر حمد الحجي تحت وطأة هذه الأزمة النفسية الشديدة؛ فقد أدرك علته، وعلم أن آلامه هي ضلال العقل، فكان مؤلماً لنفسه، ومرهقاً لعقله، وعندها تنغلق أمامه الأبواب فيلجأ إلى الله - جل وعلا - ونعم الملجأ؛ فيشكو إليه هذا الرهق العقلي الشديد الذي يحس به، ويؤكد في هذا النداء أنه عاجز عن حل تلك المعضلة التي بلغت به مبلغاً عظيماً من الأسى والألم:

رَبِّ ضَلَّ الْعَقْلُ فِي غَيْهِهِ فَارْحَمِ اللَّهُمَّ عَقْلِي الْمُرْهَقَا^(٢)

ذلك صدى التأمل في الخلق عند حمد الحجي، فقد أبان عن نفسية حائرة، تقود إلى عقله تساؤلات لا يقوى على الإجابة عنها، وتلك العقلية هي التي جعلته يعيش آلاماً متواصلة كما ينطق بذلك شعره، وقد أفرزت هذه النفسية القلقة آثاراً، وأفصح شعره عن بعضها؛ ومن أهم هذه الآثار الاعتراض على الإيجاد والخلق في هذه الدنيا، وهو أثر مذموم، يدل على أنه وصل إلى مرحلة كبرى من اليأس والتشاؤم، جعلته يوقن بعدم جدوى وجوده، فهو يقول:

يَا إِلَهِي أَظْلَمَ الْكَوْنُ وَلَمْ تَرَ عَيْنِي فِي دُجَاهِ أَلْقَا
فِي حَيَاتِي مَا الَّذِي أَعْدَدْتَ لِي كَمَا أَنَّ أَوْلَى لِي أَلَا أُخْلَقَا^(٣)

(١) انظر الرؤية الرومانسية للمصير الإنساني لدى الشاعر العربي الحديث، ص ٨٦.

(٢) عذاب السنين، ص ٣٩.

(٣) السابق، ص ٤٠، ولا يخفى ما في هذا البيت من خطأ فادح، وزلل عن جادة العقيدة الصحيحة، التي =

ومع ما يحمل هذان البيتان من اليأس الشديد الذي أغرقه في بحر لا ينتهي من الألم والمعاناة، إلا إن الاعتراض على الخلق والإيجاد يحمل إحياءات نفسية شديدة الوحشة؛ إذ يتساءل في خوف شديد عن ما تخفي حياته من آلام، يوجه سؤاله إلى خالقه، ثم يجزم أن الأصلح له عدم إيجاده أصلاً في الدنيا، ويوجه هذا الخبر إلى الذي أوجده، وهذا أثر من مؤثرات نفسية كثيرة، كان للحيرة والشك أوفر الحظ والنصيب.

وهذان البيتان يكشفان حقيقة الفراغ الوجودي الذي يعاني منه الشاعر حمد الحجي، ويتمظهر الفراغ الوجودي في حالة الملل التي يعيشها في حياته؛ الأمر الذي دفعه إلى التأمل في خلقه، وفي وجوده؛ مما أوقعه في التشاؤم، وكره الوجود^(١).

والاعتراض على الإيجاد أثر من آثار التأمل المذموم في الخلق، إذ دعاه ذلك إلى التفكير الطويل حتى أوصله عقله إلى أن الحياة قصيرة، وصار يخشى من شبح الموت الذي يهدده أينما حل وحيثما ارتحل، وأصبح هذا التأمل سبباً من أسباب جلب الهموم، وتكاثر الغموم، فلم يعد يستمتع بالحياة، ولم يترك له الفرصة

= تحتم على الإنسان أن يرضى بقضاء الله، ولا يعترض عليه.

(١) انظر الإنسان يبحث عن المعنى (مقدمة في العلاج بالمعنى. التسامي بالنفس)، فيكتور فرانكل، ترجمة:

د. طلعت منصور، دار القلم، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص ١٤٢-١٤٣.

لكي يتلذذ بالجمال :

إِنْ نَظَرْتُ الْجَمَالَ غَضًّا طَرِيًّا يَتَجَلَّى فِي الْمَنْظَرِ الْخَلَابِ
لَاخِ لِي أَسْوَدُ الْمَصِيرِ كَمُسْوَدِّ دِ اللَّيَالِي مُكَشَّرِ الْأَنْيَابِ^(١)

ولقد أوقعه تأمله في مصيره بتشاؤم شديد الوقع ، وتلك حالة نفسية يتسم بها المتشائمون حيث يرون " أن الحياة ليست بذات قيمة ؛ لأنها سرعان ما تتلاشى ويموت الإنسان ، ويستحيل إلى حفنة من تراب"^(٢) ، وذلك الذي دعا الجمال يستدعي في ذهنه زواله ؛ فلا يدعه التساؤل يستمتع بالجمال .

ولأن الحياة قصيرة تبعث على السأم والضيق ، ونتيجة تأمله في ذلك الشبح الجاثم على تفكيره ، وهو الموت ، فإن ذلك ينتج أثرا آخر برز في شعر حمد الحجي ، وهو تمنى الزوال بعد أن وجد في الحياة ؛ فقد ظل الشاعر يائسا من تلك الحياة ، وتعددت أسباب يأسه منها ، المهم منها هنا هي حيرته في الإجابة على التساؤلات التي تلح على عقله ، وقد تعددت مواضع تمنى الموت في شعره ، حتى صح القول : إنها تشكل ظاهرة بارزة في شعر حمد الحجي .

إنه يخاطب حياته التي يعيش فيها مصرحا بجفافها ، ومؤكدا أن البقاء فيها غير مجد ولا مفيد ، وليس مطلبا يسعى إليه ، في سؤال يحمل كثيرا من معاني الحسرة

(١) عذاب السنين ، ص ٣١ .

(٢) التفاؤل والتشاؤم ، يوسف ميخائيل أسعد ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، د. ط ،

والياس ، إذ يتساءل عن الشيء الذي يغريه بالبقاء فيها :

يا حَيَاتِي مَا الَّذِي فِيكَ يُرَى يُبْهِجُ النَّفْسَ وَيُغْرِي بِالْبَقَا؟^(١)

ويحمل هذا السؤال معاني عدم الرضا ، والحزن الشديد الذي سيطر على كل جزء من أجزاء نفسه الحزينة ، ولأن الحياة لم تعد مبهجة ، ولم يعد يرى الشاعر فيها غير مظاهر الألم فإنه يريد الفناء عندما يقول :

لا يريِدُ العَيْشَ قَلْبِي وَهَوِي فِي قَيْدِهِ نَحْوَ الصَّيَا مَا انْطَلَقَا^(٢)
أو مثل قوله :

سوفَ أطوي صَفْحَةَ العُمُرِ فَمَا أَسْتَطِيعُ العَيْشَ عَبْدًا مُوثَقًا^(٣)

لقد شرع حمد الحجي بالتأمل في الخلق والوجود ففتح على عقله بابا من الأسئلة التي لا يستطيع الإجابة عليها ، ذلك لأن عقل الإنسان قاصر عن إدراك الغيب ، وما لا يستطيع الإنسان إدراكه فإن عليه أن يسلم أمره إلى الله ، لا يزيد عقله حيرة وتعبا ، ولذلك فقد كان تأمل حمد الحجي مؤثرا واضحا من المؤثرات التي صبغت شعره بالتشاؤم والقلق والشك ، وقد أبانت الشواهد ذلك .

(١) عذاب السنين ، ص ٤٢ .

(٢) السابق ، ص ٤١ .

(٣) عذاب السنين ، ص ٤٥ .

المجال الثاني : التأمل في الكون :

تحيط بالشاعر مظاهر الكون العظام ، فيتأملها ، ويشكلها بحسب حاجته ، وحسب فلسفته التي يؤمن بها ، وتتفاعل مظاهر الكون مع الشاعر إذا تفاعل معها ، فقد تحرك أشجانه وأحزانه ، وقد تجلب أفراحه وسعادته ، وبحسب حاجة الإنسان وطبيعته ينظر إلى هذا الكون الفسيح ، وقد أبانت رؤية حمد الحجي لمظاهر الكون عن عدد من الانعكاسات النفسية التي أبرزت جانباً مضطرباً في شخصيته . وتعددت الأشكال التي ينظر من خلالها حمد الحجي إلى الكون ، فأبرزت جانباً إيجابياً في شخصيته تارة ، وتارة أخرى تبرز الجانب السلبي ، ولعلي فيما يأتي أن أسلط الضوء على الجانبين الإيجابي والسلبي في نظرة حمد الحجي لمظاهر الكون .

يلحظ أن الشاعر يلجأ إلى مظاهر الكون عندما " يشعر أن آلامه قد تفجرت في أعماق نفسه"^(١) ؛ ولهذا يتخذ بعض مظاهر الكون ملاذله ، وركنا يستند إليه ، بعد أن تكاثرت همومه ، وزادت أشجانه فحاصرته من كل جانب"^(٢) ، حتى افتقد ثقته بالناس ، ولعل ذلك هو السبب الذي دعاه إلى اللجوء إلى مظاهر الكون ؛ فلم يعد بين الناس من يشعر بألمه ، إنه بذلك اللجوء يقطع بينه وبين الناس كل سبيل ،

(١) الرؤية الرومانسية للمصير الإنساني لدى الشاعر العربي الحديث ، ص ٩٨ .

(٢) انظر الاتجاه الابتداعي في الشعر السعودي الحديث إلى بداية التسعينات الهجرية ، محمد بن حمود بن محمد حبيبي ، الجزء الأول ، إصدارات المهرجان الوطني للتراث والثقافة ، د. ط ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م ،

لأنه مد جسرا إلى ما يحيط به من غير البشر .

ومن مظاهر الكون التي لجأ الشاعر إليها البدر؛ فقد صرح الشاعر أن البدر هو الوحيد الذي يدرك معاناته، ويؤكد هذا المعنى عن طريق الحصر؛ فليس له في الدنيا من يشكو إليه إلا البدر، إنه ملاذ الشاعر يث إليه أحزانه، ويشكو إليه ما أصابه من هموم، وعندما يشكو همومه إليه فإنه يطمئن ويرتاح، وسأنتقي من أبيات الشاعر ما يوجه إلى دلالة الراحة والاطمئنان عندما يشكو إلى البدر همومه، وذلك عن طريق تصريح الشاعر بالسبب الذي من أجله يخاطب البدر، فمنها قوله:

يا بدرُ إنَّكَ في الظَّلامِ سَمِيرِي مَالِي سِوَاكَ مُنَاغَمٌ لَشُعُورِي
أرْنو إِلَيْكَ ومِلْءُ بُرْدِي وَحِشَةٌ فَأَعُودُ مَوْسُومَ الْمَنَى بِالنُّورِ^(١)

وقوله:

يا بدرُ قاسِمني المَرارةَ والأسى فلأنتَ للمُلْتَاعِ خَيْرُ نَصِيرِ^(٢)

وقوله:

يا بدرُ إني في الحياةِ مُعَذَّبٌ أَحيا عَلى هَذا الثَّرَى كَأَسيرِ^(٣)

إن الشاعر يسر إذا شكاه همومه إلى البدر، حيث إنه لا يعود خائبا، بل إن

(١) عذاب السنين، ص ٦٨.

(٢) عذاب السنين، ص ٧١.

(٣) السابق، ص ٧٠.

النتيجة إيجابية ؛ فبمجرد النظر إليه - وكان يحمل الوحشة والخوف - يرتد بصره سعيداً مطمئناً وقد حمل النور والمنى ، مما يجعل الشكاية إلى البدر أسلوباً جيداً للبوح ، ووسيلة مثلى للعلاج النفسي من الأسقام التي يعاني منها .

وليس البدر هو الوحيد الذي يشارك الشاعر أحزانه ، بل إنه يبعث بأحزانه إلى نجمة الصباح ، فهو يعيش مع الحياة صراعاً شديداً ، وعذابه مستمر لا ينقطع ، والمصائب تطرق بابه كل ليلة ، ولا يجد له مفر من البوح للنجمة بما يحس به ، فيطلب منها الدواء ، ويتقرب إليها عن طريق التصريح بحبها :

إِيهِ يَا نَجْمَةَ الصَّبَاحِ اذْكُرِيَنِي وَابْعَثِي لِي بُشْرَى النَّهَارِ الْجَدِيدِ
 نَاوِلِيَنِي كَأَسِّ الصَّبَابَةِ إِنِّي فِي صِرَاعٍ مَعَ الْحَيَاةِ شَدِيدِ
 أَنَا فِي حُبِّكَ الْعَنِيفِ أَسِيرٌ أَثْقَلْتَنِي أَغْلَالُ قَلْبٍ عَمِيدِ
 أَسْعِدِيَنِي فَإِنِّي فِي عَذَابِ وَلَيَالٍ مِنَ الْمَصَائِبِ سُودِ^(١)

إن هذا البوح لنجمة الصبح ليوحي بعلاقة نفسية وطيدة تربط الشاعر بها ، كما تفصح عن ما يحمله الشاعر في قلبه تجاه هذه النجمة ، وما يحمله الشاعر في قلبه للبشر ، فقد بث أحزانه إلى تلك النجمة بعد أن آمن أن الناس لا يهتمون به ، ولا يكثرثون بما يحمله في نفسه من آلام وأحزان .

والمتمعن في شعر حمد الحجي يرى أن علاقته بنجمة الصبح وطيدة ؛ إذ

(١) عذاب السنين ، ص ٦٧ .

يكرر البوح إليها؛ إنها تمثل موثلاً لأحزان الشاعر، ومستقراً نهائياً لآلامه، وتستمر معاناته مع الناس، في استمرار الشكوى إلى مظاهر الكون:

أَيَا نَجْمَةَ الصُّبْحِ هَذَا الهَوَى يُكَبِّلُنِي فِي الدُّجَى قَيْدُهُ
وَمَالِي سِوَى الزَّفَرَاتِ الحِرَازِ عَلَيَّ أَمَلٍ هَـلْ دَنَى بُعْدُهُ
أَرِيقِي ائْتِلَاقَكَ يَا نَجْمَتِي عَلَيَّ مُدْنِفٍ شَفَهُ وَجَدُهُ
وَلَوْحِي يُبَشِّرِي الصُّبَاحِ الجَدِيدِ لِمُضْنَى يَنْـَادِمُهُ سَهْدُهُ^(١)

ويستغل الشاعر مظاهر الكون للتعبير عما يحس به، وذلك عن طريق إقامة الموازنات بينه وبينها، ليثبت من تلك الموازنات أنه مكبل بالآلام والأحزان، أما مظاهر الكون فهي مغمورة بالفرح والسعادة، ومنها الموازنة بينه وبين الكوكب؛ حيث يقيمها الشاعر على الأسس التي يعاني منها، فينظر أولاً إلى ما يحيط بالكوكب مقارنة بمن يحيط بالشاعر، ثم ما يحرك الكوكب من جمال الحياة في السماء، مقارنة بما يملأ قلبه من أمور تدعو إلى الزوال، ثم بما يحس به الكوكب من نفحات الجمال المحببة، وما يعيش به الشاعر من أحزان تستدر الدموع، وأخيراً يقارن بينه وبين الشاعر في الحرية التي يتمتع بها هذا الكوكب، بينما يرى الشاعر نفسه مأسوراً في أحزانه:

تَلْفَعَتْ يَا كَوْكَبِي بِالسَّحَابِ وَلَفَعْتَنِي بِضَبَابِ الشُّجُونِ

وَيْتَ تُقَبَّلُ زَهْرَ الْحَيَاةِ وَقَلْبِي يُقَبَّلُ شَوْكَ الْمُنُونِ
عُلاكَ يُرَوُّنُ نَفْحَ الْجَمَّالِ وخدي يرون دمعي الهتون
تسير إلى حيثُ شئتُ طَلِيقًا وأبقي أسيرَ ظلامِ الشُّجُونِ^(١)

وتتحرك الطبيعة في نفس حمد الحجي ، ليكون جماها من أهم المؤثرات التي أثرت في شعره ، وكان له صدى مجلجل فيه ، فهو ينظر إلى أهمية جمال الكون بالنسبة لنفسه ؛ لأنه يخلصه من الهموم المتراكمة على قلبه ، ويخلصه من العذاب الذي يتقلب فيه ، ويتأكد الناظر بعمق إلى شعر حمد الحجي من ذلك ؛ عندما يلحظ تصرّحه بالراحة التي يلقاها في نفسه عندما تتجمل الأرض بالرياض الجميلة في فصل الربيع ، وتصرّحه بما يتضاد مع الراحة عندما يرى الأرض مقفرة خالية من الجمال الأخاذ .

والشاعر حمد الحجي ينظر إلى الطبيعة من خلال حاجته النفسية ، فهو يصورها لكي يخرج من السجن النفسي الذي يعيش فيه ، في حين أن الرجل العادي ينظر إليها من خلال ما يريد أن يعمل في الطبيعة^(٢).

وتبين حاجة حمد الحجي النفسية في قصيدته (الربيع الفاتن في نجد) ؛ فقد رسم صورة الربيع بأبهى صورة ، ودل هذا التصوير البديع للربيع على سعادة

(١) عذاب السنين ، ص ٧٦ .

(٢) انظر مشكلة الفن ، د. زكريا إبراهيم ، دار مصر للطباعة ، د. ط ، د. ت ، ص ٥٣ .

متناهية ملأت قلبه ، وغمرته بالفرح والسرور ، فأسعد كل ما يحيط به ؛ فالكون يرحب بقدوم الربيع ، والحمام تغني على الأشجار منتشية بما تراه من خضرة الأرض التي اكتست بالنبت ، فطاب النظر إلى هذه الرياض المخضرة ، التي تبسم أزهارها في حبور ، والماء يعبر – أيضاً – بطريقته عن سعادته الغامرة :

جاءَ الرَّبِيعُ فَمَاسَ الكَوْنُ تَرَحِيبًا وَغَنَّتِ الوُرُوقُ فَوْقَ الأيْكِ تَطْرِيبًا
وَصَارَتْ الأَرْضُ مُخَضَّرًا جَوَانِبُهَا بِالنَّبْتِ تَلْقَاهُ مَفْرُوشًا وَمَنْصُوبًا
فلو نظرتَ ضَحَى نَحْوِ الرِّيَاضِ وَمَا فِيهَا مِنَ الحُسْنِ مَبْثُوثًا وَمَسْكُوبًا
وَطَالَعْتَ عَيْنِكَ الأَزْهَارَ بِأَسْمَةٍ وَالطَيْرَ صَادِحَةً وَالمَاءَ مَضْبُوبًا
أيقنتَ أَنَّ الرَّبِيعَ الغَضُّ مُؤْتَلِّقًا مَعْنَى مِنَ الخُلْدِ لَكِنْ لَيْسَ مَحْجُوبًا“

وبعد هذا الوصف الجميل يصل الشاعر إلى لهدف الذي يسوق شعره من أجله ، والمعنى الذي يحصل عليه من هذا الجمال ، فما هدفه إلا أن يرمي آلام الحياة، ويطرح العناء الذي يشغله قبل وجود الربيع ، وما جمال الطبيعة إلا علاج مناسب لمن يعاني من الألم ، ويئن تحت وطأة السقم :

ثُمَّ ارْتَمَتْ عَنْكَ آلامُ الحَيَاةِ كَمَا قَدْ أَسْعَدَ الأَمَلُ المَحْجُوبُ مَكْرُوبًا“

ويعود بعد ذلك إلى ما في الطبيعة من جمال خلاب ، يستولي على النفوس

(١) عذاب السنين ، ص ٢٣ .

(٢) عذاب السنين ، ص ٢٣ .

والألباب ، فيصف كل شيء جميل في الطبيعة ، ليرز من وصفه الحاجة منه ، حيث يصف (الأعشاب ، السماء ، الأشجار ، الغدران ، الأزهار ، الماء يعكس جمال السماء ، الربوات الفيح ، رائحة الخزامى والرند ، الآرام ...) .

لكن الشاعر لا يتوقف عند الوصف الثابت للطبيعة ، إن المهم عنده أن يؤكد على ما يحدثه هذا الجمال في نفسه ، فعلى الرغم من أن بعض المبدعين والنقاد يركزون على تجسيد منظر الطبيعة " بحيث إن العمل الفني ليدو في صميمه بمثابة المرأة التي يمسك بها الفنان ، حتى يتيح للطبيعة أن ترى صورتها وقد انعكست على صفحته"^(١) فإن حمد الحجي يأخذ من الطبيعة ما يمكن أن يكون مناسباً لعلاج آلامه النفسية التي يحس بها ، فيجد في جماها العلاج من المرض الذي يعاني منه .

إن الشاعر حمد الحجي يكرر أثر الطبيعة في طرح الآلام ، ويركز على هذا الجانب بالذات في مواضع متفرقة من وصفه لجمال الربيع ، ولعلي أختار أبياتاً متفرقة من القصيدة - إضافة إلى البيت آنف الذكر - تعكس هذه الرؤية :

فمن خُزَامِي إلى رنْدٍ يَضُوعُ بها يَشْفِي الصُّدُورَ وَيُقْصِي الهَمَّ مُحْرُوبًا^(٢)

(١) مشكلة الفن ، ص ٤٢ .

(٢) عذاب السنين ، ص ٢٤ .

وقوله:

مَفَاتِنُ تَدْعُ الْأَشْجَانَ نَافِرَةً مِنْ
الْقُلُوبِ وَتَكْسُو النَّفْسَ تَهْذِيبًا^(١)

وقوله:

فاجعل لها ساعةً وانعم بمشهدها
إن كنت تلمس في دنياك تعذيباً
وخلص النفس بما قد أضرت بها
ما دمت من نفاتح الحسني موهوباً^(٢)

ويركز الشاعر على هذه النظرة عندما يرى جمال الطبيعة ، ويلحظ ذلك في وصفه لجمال الطبيعة في لبنان ؛ حيث السهل قد تجلجل بالبرد ، حتى يظنه ناظره سجادة نقشت بأجمل الألوان ، تلهي المتعبد بما عليها من نقوش ورسوم جميلة ، وتلك الأزهار التي تعبق بأريج المسك ، كل هذا الجمال يطرح الآلام ، ويجعلها سعادة ترف على قلبه الحزين :

لو نظرت السَّهْلَ قَدْ جَلَّ
خَلْتَهُ سَجَّادَةٌ أَلْوَنُ
فَقَرَاهُ يُطْلِعُ النَّوْرَ
يَطْرِدُ الْآلَامَ عَنْ قَلْبِ
لَلْبُرْدِ أَعْسَجِدِيًا
هَتْ عَنِ النَّسْكِ تَقِيًا
جِسِّ وَالزَّهْرَ الشَّذِيًا
بِكَ وَالِدَمْعَ الْعَصِيًا^(٣)

إنه بهذه النظرة يرسخ حاجة نفسه الماسة إلى جمال الطبيعة ؛ حتى يعالج

(١) السابق ، ص ٢٤ .

(٢) السابق ، ص ٢٥ .

(٣) عذاب السنين ، ص ٤٧ .

نفسه مما يؤلمها ، ليكون جمال الوجود مؤثراً إيجابياً في نفسه ، وظهر أثره في شعره . ولكي تزداد النظرة هذه الرؤية جلاءً يلحظ المتمعن في شعر حمد الحجي أثر تغير الأرض ، وانقلاب جماها على نفسه ؛ لقد كان الربيع فرصة للشاعر أن يغسل آلامه ، وأن يهذب نفسه ، وأن يتخلص من العذاب الذي يعيش فيه ، ولكن الأرض لا تستمر على جماها فهي متغيرة ، وبتغيرها تتغير نفسه ؛ فلا يجد علاجه الذي كان معتادا عليه .

لقد اعتاد الشاعر على ارتياد روضة من الرياض يغسل فيها رأسه ، ويراجع فيها نفسه ، ولكن الروضة قد خوت ، فأصبحت خالية من كل جمال ، ولم تعد كما عهدتها ، تغيرت فلم يستطع أن يغسل رأسه ؛ فظلّ يتساءل عما اعتاد رؤيته بأسئلة تؤكد أن كل شيء قد انتهى ، ولم تعد الروضة كما عهدتها :

وَيَا رَوْضَةً كُنْتُ أُرْتَادُهَا	إِذَا مَا اكْتَوَيْتُ بَلْفَحِ الْهَجِيرِ
عَهْدْتُكَ بِالْحَسَنِ مُحْتَالَةً	يَرِفُ عَلَيْكَ الشَّبَابُ النَّضِيرِ
فَأَيْنَ ظِلَالُكَ؟ أَيْنَ الْجَنَى؟	وَأَيْنَ الْبَلَابِلُ؟ أَيْنَ الْعَبِيرِ؟
وَأَيْنَ جَدَاوِلُكَ الْهَارِبَاتُ؟	لَأَغْسَلَ يَأْسِي ، وَأَيْنَ الطُّيُورُ؟ ^(١)

وللمتأمل أن يقرأ مراد الشاعر من خلال أبياته ؛ فالمحور الذي تدور حوله تلك التساؤلات يقوم على قوله: (لأغسل يأسِي) ؛ فقد كان الشاعر يرتاد هذه

(١) عذاب السنين ، ص ٢٥ / ٢٦ .

الروضة عندما كانت غناء جميلة ، فيطمئن بهذا الجمال ، ويسكن إليه ، ولكنها تغيرت وانقلبت إلى أرض مقفرة ، مما دعاه إلى أن يتساءل عن كل جميل كان يذكره فيها ، ويعلل هذا التساؤل بحاجته الشديدة إلى أن يغسل يأسه ، فيعالج نفسه .

وأياً كان قصد الشاعر من الروضة ، هل أراد المعنى الحقيقي لها ؟ أم أنه كان يرمز إلى قلبه الذي خوى من السعادة؛ فإن ذلك يدل على أثر ظاهر للطبيعة في نفسه ، وأنها تنوء بحمل كبير ، وتخفف من أسقام الشاعر ، ويظهر أيضاً الأثر السلبي لجذب الأرض على نفسه إذا خلت من الجمال ؛ مما يصح معه التأكيد على ما تقوم به الطبيعة من آثار صحية لشاعر مثل حمد الحجي ، وقصيدته في الربيع تدعم هذه الرؤية وتزيدها وضوحاً .

إن شعر حمد الحجي يؤكد على أهمية الجمال بالنسبة إليه ؛ ففيه كثير مما يخلصه من العذاب النفسي ، ويدعوه إلى تصحيح بعض المفاهيم عنده ، فتبدأ أزمته بالانفراج ، ولكن حالة الشاعر قد تتأزم ، فيعود كل شيء في الطبيعة مبعثاً للتشاؤم بعد أن كان ملاذاً يلجأ إليه عند الحاجة ، وذلك الأمر يعد اضطراباً نفسياً قد تعاني منه الشخصية الفصامية^(١) .

ويبدو هذا الأمر على شكل مرضيٍّ ، عندما يجعل كل ما حوله يثير الشك ؛ فقد كان الناس هم مبعث حيرته وألمه ، ولكن الاضطراب تجاوز ذلك إلى ما هو

(١) انظر الفصام ، ص ٢٠ .

أبعد من الإنسان ، فأصبح كل شيء جميل في الكون يشعره بالارتباب ، وذلك يعكس تشاؤماً حاداً يسيطر على نفسية حمد الحجي ، وقد يكون هذا سلوكاً مرضياً:

وَإِذَا أُعْجِبَ الْأَنَامُ بِشَيْءٍ بَتُّ مِنْهُ فِي مَوْقِفِ الْمُرْتَابِ^(١)

وقد يعكس هذا البيت ارتياباً من الناس ، ولكنه مسبوق بكل معاني الارتباب مما يحيط به في هذا الكون الفسيح ، إن كل ما يبعث على السرور ، ويدعو إلى الحياة من خلال الجمال الذي يحيط بالكون يبعث في نفس حمد الحجي الآلام الكثيرة التي لا تكاد تنفك عنه ، بعد أن كان باعثاً السعادة والسرور ، وبعد أن كان مخلصاً له من العذاب والأحزان ، حيث يقول :

لَا أَرَى الْبَرَقَ فِي السَّمَاءِ ضَحُوكًا وَبِأُذُنِي بُكَاءُ رَعْدِ السَّحَابِ
أَتْرِكُ الزَّهْرَ فِي الرَّوَابِي وَأَرْنُو نَحْوَ جَائِي الصُّخُورِ نَحْتِ الرَّوَابِي
إِنْ تَغَنَّتْ حَمَامَةٌ مِلْتُ عَنْهَا ثُمَّ أَرْهَفْتُ مَسْمَعِي لِلْغُرَابِ
لَا أَرَى مُهْرَةَ الْوَرُودِ وَيُدْمِي شَوْكُهَا أَنْمِلِي كَحَدِّ الْجِرَابِ^(٢)

إن تلك النظرة التأملية في الكون أوقعتة في التشاؤم من الحياة ؛ حيث جعلته لا يستطيع أن يقف على مظاهر الجمال في الكون ، أو ربما لم يكن يرغب في الوقوف

(١) عذاب السنين ، ص ٣٢ .

(٢) عذاب السنين ، ص ٣٢ .

عليها ومن هنا فإن " المتشائم لا يكلف بجماله ، ولا بجمال البيئة المحيطة به ... فالجمال إن هو إلا خدعة يُخْتَلَقُها البعض لأنفسهم ، وقد أشاحوا عن الحقيقة المرة التي تهيمن على هذا الوجود"^(١).

وللمتأمل الحق أن يتساءل عن سر التناقض العاطفي الذي يقع فيه الشاعر، ففي قصيدة (الربيع الفاتن في نجد) يكون جمال الطبيعة سببا في طرح العذاب ، وعلاجا ناجحا لمشكلاته النفسية ، وفي قصيدته (من أعماق نفسي) يكون جمال الطبيعة جالباً للهموم ، ومذكرا بالأحزان والغموم .

ويمكن تفسير هذا التناقض بحالة الشاعر من ناحية الصحة النفسية ، ويتأكد هذا التفسير إذا عُرِفَ أن قصيدته (من أعماق نفسي) متأخرة في النشر عن قصيدة (الربيع الفاتن في نجد)^(٢) ؛ فربما كانت القصيدة المتأخرة انعكاسا لحالته النفسية المتأزمة في فترة إبداع تلك القصيدة .

ها هو ذا شعر حمد الحججي يكشف عن نفسيته من خلال رؤيته للوجود؛ حيث أبرز نفسية قلقة متشائمة ، اكتسبت تشاؤمها من ذلك التأمل الذي لا ينفع الإنسان ، ولا يحرك عقله ، كما أبان شعره عن عقل متحير أمام كثير من الحقائق

(١) التفاؤل والتشاؤم ، ص ٦٧ .

(٢) انظر من شعراء البؤس ، ص ٥٩ ، وفيه توثيق لقصائد حمد الحججي المنشورة في مجلة الياومة باليوم

كان عليه أن يسلمها إلى ربه ، ولا يدخل في تفصيلاتها ، ولكنه في بعض المواضع لا يستمر في شكه ؛ فيؤوب إلى ربه ، ويسلم الأمر إليه .

كما يلحظ قارئ شعر حمد الحجي أن الشاعر مضطرب في نظرتة إلى الكون ؛ فتارة يجعل ما يحيط به من معالم الكون مأوى لقلبه ، ومستقرا لبوحه ، فيسكن إليه ليجد عنده الراحة والاطمئنان ، وتارة أخرى يجعل الجمال جالبا لهومومه ، ومثيرا لأحزانه وأشجانه وقد اتضح تفسير ذلك الاضطراب فيما سبق .

علاقته بأقرانه

الإنسان فرد في منظومة اجتماعية متكاملة ، ليس له غنى عنها ، ولا مفرد له من الاندماج بها ، والتفاعل معها ، ومن حلقات هذه المنظومة الأصدقاء ؛ إذ لا يصلح أن يعيش بلا أصدقاء ولا أصحاب ؛ لأن أسباب الحزن والقلق التي تواجه الإنسان في حياته تخف حدها إذا شارك فيها بالفهم والعطف آخرون ، وطبعيُّ بعد ذلك أن يتفاعل مع أصدقائه ، ومن هذا التفاعل تبين طبيعة الفرد وأحاسيسه^(١) .

وتختلف الصداقات كما يختلف الأصدقاء ؛ إذ تتشكل الصداقات حسب صفات الأصدقاء وطبائعهم ؛ وبناء على تلك الاختلافات يتخذ الإنسان موقفا معينا من صديقه ؛ فيكون حكمه عليه نتيجة التصرفات التي تظهر من صديقه ، ربما كان هذا الحكم إيجابيا يتضمن في مدح الصديق ، أو كان سلبيا يتضمن في ذمه .

ويختلف الباحثون في تحديد مفهوم الصداقة ؛ ولأجل ذلك لا بد من الإشارة إلى مفهوم يحدد كيفية تناول هذا الموضوع في شعر حمد الحجي ، إذ

(١) انظر حديقة الصداقة والصديق في لزوميات أبي العلاء المعري ، إلياس سعد غالي ، دن ، دمشق ،

سيكون تناول علاقة الشاعر الاجتماعية بأقرانه تلك التي تتضمن : العلاقات السطحية ، والزمانة ، والصدقة ، ولن أتوقف عند الصداقة فحسب^(١) ، وسيؤخذ موقف الشاعر ورؤيته لأقرانه من خلال نتاجه الشعري .

وقبل بداية الحديث عن علاقة حمد الحجي بأقرانه لا بد من فهم طبيعة حمد الحجي ، بمعرفة رؤيته للصداقة ، وتقويمه لها من خلال نتاجه الشعري ؛ لأن ذلك يسهل تفسير مواقفه العديدة من كثير من أقرانه كما يفصح بذلك شعره ؛ فالشاعر ينظر إلى الصديق من الزاوية التي يحتاج إليها ، ويقيم الصداقة حسب تلك الحاجة .

لقد أبان شعر حمد الحجي - كما اتضح في المباحث السابقة - عن نظرة سوداوية متشائمة ، وكشف عن بعض مواقفه من الناس ، والأصدقاء يدخلون في نطاق نظرته العامة تلك ؛ ولكن المتأمل في شعره يلحظ أن موقفه تجاه أقرانه يتحرك بحسب حاجته منهم ؛ فالشاعر يعيش في عذاب نفسي متواصل ، ويتألم من هذا العذاب ألماً شديداً ، وإذا أحس الشاعر أن صديقه يشاركه هذه الهموم ، ويحس تلك الآلام ، فهو الصديق الوفي ، وهو الذي يستحق الثناء والتبجيل ، وهو الذي يستحق أن يوصف بالصديق أما إذا رأى منه إعراضاً عنه ، وعدم

(١) انظر الصداقة من منظور علم النفس ، د. أسامة سعد أبو سريع ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني

للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، الكتاب : ١٧٩ ، ص ٣٧ .

أكثراته به ، فذلك - في نظره - الإنسان الغادر ، الذي يستحق الذم والهجاء والتحقير ، إذ لا يحمل أي معنى من معاني الصداقة.

إن موقف الشاعر هذا يكشف عن نفسية شديدة الحساسية ، يشكل عليها أقل المواقف تأثيرا ، وتلك السجية الخاصة كانت من أهم أسباب وقوعه في التشاؤم الشديد كما يكشف شعره عن ذلك ، لا يعجب القارئ من هذا الإحساس ؛ لأن الإنسان بحاجة ماسة إلى المساندة النفسية التي هي من أهم وظائف الصداقة ، فهي التي تساعد على اجتياز الأعباء اليومية ، وتدعم ثقة الإنسان بنفسه ، وإذا كانت الحاجة تتفاوت من شخص إلى آخر^(١) ، فإن طبيعة حمد الحجي تتطلب هذه الوظيفة وبشدة .

وتثبت الشواهد المتعددة في شعر حمد الحجي هذه النفسية المتلهفة على وظيفة الصديق الأساسية ؛ حيث يجزن ببعده عن الرفقة الذين أحسوا به ، ويبيكي لهذا البعد بكاء متواصلا ، ويمدح رفقته الذين سافروا معه إلى الشام بكريم الأخلاق ، وعطر الصفات ، ونبل السجايا ، ويلبسهم كثيرا من صفات الكرام والنبلاء ، ولكنَّ المتأمل يجد الشاعر يفصح عن سبب هذه المودة ، ويبرهن على تفردهم بالمجد بما هو محتاج إليه حيث يقول مادحاهم :

النارِجُ العَاني طَواهُ صَناهُ فَبَكَى دِماءَ حِينَ طَوالِ نَواهُ

(١) انظر الصداقة من منظور علم النفس ، ص ٦٤ .

وَجَفَا الْمَرَابِعَ إِذْ تَذَكَّرَ فِتْيَةَ غُرّاً شَجَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ شَجَاهُ^(١)
 هُمْ رِفْقَتِي بِالشَّامِ لَا أَنَا وَاجِدٌ بَعْدَ الْوَجُوهِ الزُّهْرِ مَنْ أَرْضَاهُ
 يَبْضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّمَا أَخْلَاقُهُمْ نَشْرُ الْخُزَامَى قَدْ عَلَاهُ نَدَاهُ^(٢)

إن الشاعر يفصح - سواء شعر أم لم يشعر - عن سر حبه لهذه الرفقة ، ويكشف عن سر ثنائه عليهم ، إنه يثني عليهم بصفة اتصفوا بها تقوم بتخفيف العذاب الذي يعيش فيه ، وما ذلك إلا لتفاعلهم معه ، وإحساسهم الصادق بمعاناته ، إنه يراهم يحزنون لأنه حزين ، ويتألمون لأنه متألم فـ (شجاهم في الحياة شجاه) ، وذلك التفاعل يخفف من وطأة الحزن عليه ، بإحساسه أن الأصدقاء يشاركونه مصابه ، وهو من أهم الحاجات التي تتطلبها طبيعة الإنسان ؛ لأن " الحاجة لدى الإنسان ليست قاصرة على المستوى الفسيولوجي وحده ، بل هناك حاجات ذات طابع إنساني مميز تعكس طبيعة الإنسان ، وعلاقته بالآخرين ، وموقفه منهم"^(٣) .

وتزداد الرؤية وضوحاً حينما يختار الشاعر أحد رفقته الصادقين ، فيلبسه

(١) المرباع : جمع مربع وهو الموضع الذي يقام فيه زمن الربيع خاصة ، والشجو : الهم والحزن . لسان العرب .

(٢) عذاب السنين ، ص ٩٨ ، والخزامى جمع خزاماة وهي عشبة طويلة العيدان ، صغيرة الورق ، حمراء الزهرة ، طيبة الريح . لسان العرب .

(٣) مقدمة لعلم النفس الأدبي ، ص ٤٨ .

الكثير من صفات الثناء والتبجيل العاطر ، ويستمر في الثناء حتى يتكشف سر ذلك الثناء ؛ فيتبين أن المحرك الأول لثنائه عليه هو حاجة الشاعر النفسية لمن يحس بمعاناته ، ويقاسمه همومه وآلامه الكثيرة ، فهو يقول في مدح هذا الرفيق :

لَوْ كَانَ يَرْضَى بِالْمَدِيحِ مَدْحَتُهُ وَذَكَرْتُهُ لَكَنَّهُ يَأْبَاهُ
قَلْبْتُ طَرْفِي فِي السُّرَاةِ فَلَمْ أَجِدْ بَيْنَ السُّرَاةِ مُحْنًا جَارَاهُ
سَارُوا وَسَارَ مَعَ اللَّيَالِي فَاهْتَدَى بِالنَّجْمِ يُخْفِقُ فِي سَنَاهُ وَتَاهُوا
لَمْ يَحْنِ جَبْهَتُهُ لِغَيْرِ اللَّهِ إِذْ حُنَيْتَ لِأَعْرَاضِ الْحَيَاةِ جِبَاهُ^(١)

يتواصل الشاعر في إطراء ممدوحه ، إلى أن يتكشف سر الثناء ؛ فالشاعر يعيش في عذاب نفسي شديد ، وهذا الرفيق الإنسان يحس بالمعاناة التي يتألم الشاعر منها ، ويتألم لما يراه من عذابه النفسي الأليم ، بل إنه يقاسمه مرارة العذاب فيحزن لأنه يراه حزينا ، ولذلك فإن الشاعر يقدم إليه التحية الصادقة ؛ لأنه أحس بهذه المشاركة النفسية الفاعلة ، واطمأن بها فيقول :

إِيهِ أَبَا مِيٍّ إِلَيْكَ تَحِيَّةٌ مِنْ شَاعِرٍ قَاسَمْتَهُ بَلْوَاهُ^(٢)

ومشاركة أبي مي حمد الحجي مرارة العذاب ، وإحساسه الشديد بالمعاناة التي يعانيتها أذنته إلى قلب الشاعر ، وألقت في روحه علامات الإعجاب الشديد ،

(١) عذاب السنين ، ص ٩٩ .

(٢) الشاعر حمد الحجي ، ص ٢٥ . وعذاب السنين ، ص ٩٩ ، ولم يشر إلى قول الشاعر " أبا مي "

فأصبح الشاعر يمدحه كثيرا بكرم الأخلاق ، إن أخلاقه فاقت أخلاق جميع البشر، وإن اختلفت أجناسهم ، أو تباينت ألوانهم :

فَتَى كَمُلْتُ خَلَاتُفَهُ وَفَاقَتْ جَمِيعَ النَّاسِ مِنْ جِنْسٍ وَكَوْنٍ^(١)

إن التركيز على الجانب الأخلاقي في الثناء جانب في غاية الأهمية لمعرفة سر ثناء الشاعر على أبي مي ، فمن الأخلاق الفاضلة الإحساس بالآلام الآخرين ، وهو الذي يؤكد حاجة الشاعر الماسة إلى الوظيفة الأساسية للصديق .

وهكذا تبين الشواهد عن نظرة خاصة ينظر بها الشاعر حمد الحجي إلى أصدقائه ، فتفاعل الأصدقاء معه هو ما يجيبه بهم ، مما يدل على أنها نظرة ذاتية يغيب عنها الجانب الموضوعي ، ولا يلام الشاعر في ذلك لأن ظروفه النفسية هي التي حكمت عليه بهذه النظرة .

وعلى النقيض من ذلك يلحظ المتأمل في شعر حمد الحجي سر حكمه على أقرانه من غير الأوفياء ؛ إذ إن غياب الوظيفة الأساسية للصديق هي التي جلبت هذا الحكم ؛ ففي أغلب شعر حمد الحجي يلحظ إحساسه ببعده أصدقائه عنه ، وعدم إحساسهم بآلامه ، وهو يظهر لهم سعادة وانشراحا ؛ لأنهم لو علموا بأحزانه لفقدتهم تماما ؛ لأنهم سينفرون منه لا محالة ، ويهربون منه ، ويتولون عنه ، إنه يعتب عليهم عتابا حارا ، يحن قلب المتلقي على الشاعر بسبب ما وصلت إليه

(١) عذاب السنين ، ص ٣٧ .

حاله من ألم نفسي رهيب نتيجة حساسيته الشديدة ، يقول حمد الحجي متأملاً
أقرانه :

مَا لَقَيْتُ الْأَنَامَ إِلَّا لَقُوا مِنِّي — نَحِي ائْتِسَامًا وَلَيْسَ يَدْرُونَ مَا بِي
أُظْهِرُ الْأَنْشِرَاحَ لِلنَّاسِ حَتَّى — يَتَمَنَّوْا لَوْ أَنَّهُمْ فِي ثِيَابِي"
لَوْ دَرَوْا أَنِّي شَقِيٌّ حَزِينٌ — ضَاقَ فِي عَيْنِهِ فَسِيحُ الرَّحَابِ
لَتَوَلَّوْا عَنِّي وَلَمْ يَنْظُرُونِي — ثُمَّ زَادُوا نُفُورَهُمْ بِأَعْتِيَابِي
فَكَأَنِّي آتٍ بِأَعْظَمِ جُزْمٍ — لَوْ تَبَدَّتْ تَعَاسَتِي لِلصَّحَابِ
هَكَذَا النَّاسُ يَطْلُبُونَ الْمَنَابَا — لِلذِّي بَيْنَهُمْ جَلِيلُ الْمُصَابِ
لَمْ يَزُفُوا بِهِ حِينَ أَمْسَى — فِي عَنَاءٍ وَالذَّهْرُ خِذْنُ انْقِلَابِ
هَلْ تَلَقَّوْا مِنَ الزَّمَانِ عُهُودًا — أَنَّهُمْ مِنْ صُرُوفِهِ فِي اجْتِنَابِ
أَمْ تَعَامَوْا عَنِ الْحَقِيقَةِ حَتَّى — جَهَلُوا أَنَّ عَوْدَهُمْ لِلتُّرَابِ
سَيُؤْوِبُونَ لِلثَّرَى مِثْلَمَا قَدْ — خُلِقُوا مِنْهُ : بِئْسَ ذَا مِنْ مَأْبِ"

ها هي ذي أحاسيس حمد الحجي تتحرك ، وهاهو ذا حمد الحجي يتألم من
أصحابه ، فكأنه مجرم بين أصحابه لو بدت لهم تعاسته ؛ ولذلك يظهر لهم
الانشراح ، حتى يتمنى من ينظر له لو تمتع بالسعادة التي ينعم بها ، والسرور
الذي يعيش فيه ، ويشكك الشاعر بموقف الناس منه - والأصدقاء من هؤلاء

(١) الانشراح : السرور والسعادة . لسان العرب .

(١) عذاب السنين ، ص ٣٣ .

الناس - لو علموا بحقيقة أحزانه ، ثم ينزلهم منزلة من تولى عنه وتركه ، فيقدم لهم الدروس والحكم ، وأنهم قد يصلون إلى ما وصل إليه ؛ لأن الحياة متقلبة ، والسعادة لن تدوم لأحد منهم ، ونهايتهم ستكون إلى الثرى .

ومن تلك الرؤية نما لدى الشاعر الشعور بالوحدة ؛ لأن ذلك الشعور "موقوف في طبيعته ومقداره على افتقاد العدد المناسب من الأصدقاء ، أو النوعية الملائمة المتفقة مع مزاج الشخص ، أو نقصان فرض الالتقاء بهم عن الفرد المرغوب فيه"^(١) ، وقد تبين من شعر حمد الحجي النوعية التي تلائمها من الأصدقاء ، وقد فقدوها ، أو قل على الأقل : أحس بعدم وجودها إلا في القليل النادر ؛ بل قد يزداد الأمر صعوبة عندما يحس بأن هذه النوعية من الأصدقاء قد تحوكت له خديعة ، أو تضمير له شرًا ، وكانت نتيجة فقدان الوظيفة الأساسية للصديق أن بقي وحيداً ، واعتزل الناس ، ورفض الاندماج معهم ؛ لأنه يراهم غير قادرين على فهم حاجاته :

يَا إِلَهِي إِلَيْكَ أَشْكُو انْقِبَاضِي وَاعْتَزَلِي وَخَلَوِي وَانْتِحَايِي^(٢)
وربما كان للمرض الذي أصيب به تأثير على علاقته ؛ حيث تُلاحظ ملامح الشخصية الفصامية في معاني الشاعر المتجهة إلى الصديق ؛ لأن تلك الشخصية

(١) الصداقة من منظور علم النفس ، ص ٥٨ / ٥٩ .

(٢) عذاب السنين ، ص ٣٣ .

تتسم بالشك والقلق والترقب ؛ فالشاعر لا يجب أن يكشف للناس ما في قلبه من كره لهم ؛ بسبب أحاسيسه غير الصادقة أحيانا بأنهم يكدون له ، أو يضمرون له شراً^(١)، وحمد الحجي لم يظهر لهم أحزانه ، بل يظهر انشراحه وسروره .

وتأكد حاجة حمد الحجي إلى الوظيفة الأساسية للصديق عندما يؤكد في غير موضع على هذا الجانب - أعنى عدم إحساس أقران حمد الحجي بحقيقة معاناته وعدم إشفاقهم عليه - فقد سئم من العيش بين أناس لا يحملون في قلوبهم الرحمة والإشفاق ؛ ويركز على ذلك ؛ لأن حاجته النفسية إلى هذا المعنى المهم ملحة ، ولما لم تتوافر حاجته كره العيش معهم حيث يقول :

يا دهرُ إِنِّي سَأَمْتُ الْعَيْشَ فِي مَلَأٍ عَافُوا اتِّبَاقَ الضُّحَى وَاسْتَمْرَأُوا الْوَسْنَآ^(٢)
سَبُّوا بِذَا الْكَوْنِ وَاقْتَانُوا الظَّلَامَ بِهِ فَلَسْتُ أَعْرِفُ فِيهِمْ مُشْفِقًا فَطِنَا^(٣)

وهكذا تتضح المؤثرات التي تحرك إحساس حمد الحجي تجاه أصدقائه ، ومتأمل شعره يشفق عليه من هذا الوهم الذي يجعله سريع التأثر ، إنه بحاجة إلى الصديق الوفي الذي يحس بألمه ، ويشعر بمعاناته ، ولكنه يصطدم بواقع شديد التأثير عليه ، فيؤثر في نفسيته كثيرًا من المواقف التي يقوم بها أقرانه ؛ مما جعل شعره يصور أنواعهم ، وطريقتهم في التعامل معه .

(١) انظر الفصام (دراسة في اضطرابات الشخصية والتفكير والسلوك) ، ص ٣٦ .

(٢) الوسن أول النوم ، وقيل ثقله النوم . لسان العرب .

(٣) عذاب السنين ص ٥٣ ، ومعنى اقتات به واقتاته : جعله قوته . لسان العرب .

ولأجل هذه الحاجة الماسة نمت لديه النظرة التшаؤمية إلى جميع الأقران ، فحملوا - في نظرتهم - كل معاني الدناءة ، إذ يرى الشاعر أن الناس حملوا السمات الرديئة ، وتركوا الصفات النبيلة التي ينبغي أن يحملوها ؛ فمنهم النذل ، ومنهم الخائن ، ومنهم العدو ، ومنهم الحسود ، ومنهم الكذاب ، وإذا كان الناس بهذه السمات الرديئة ففي أي مكان يجد الصاحب الوافي الذي يختاره ويفضله؟ :

أَمْ لِأَنِّي أَرَى الْأَنْثَامَ بِأَجْسَا مِ تَوَارَتْ فِيهَا نُفُوسُ الذُّنَابِ
بَيْنَ نَذْلِ وَخَائِنٍ وَعَدُوٍّ وَحَسُودٍ وَصَاحِبِ ذِي كِذَابٍ^(١)

يتبين من البيتين صفات الأقران ، ويسوق حمد الحجي في شعره نماذج منهم ، يؤثرون في نفسه ، ويؤلمونها أشد الإيلام ، ولكن قبل الإشارة إلى تلك النماذج العديدة من الأصدقاء لا بد من توضيح مصادر الخلافات بين الأصدقاء ؛ لأن ذلك يفصح عن الأمور التي لا يتقبلها الشاعر ، ويوضح المؤثرات التي تؤثر في نفسه من تصرفات أصدقائه .

تصنف الخلافات بين الأصدقاء في عاملين : أولهما : عامل الخلافات الصريحة والمباشرة والعنيفة ؛ ويتضمن هذا العامل السخرية والاستهزاء ، والاعتداء على الممتلكات والحقوق ، والخيانة والخداع ، وثانيهما : عامل النفسية والضمنية وغير المباشرة ، ويتضمن الاختلاف في وجهات النظر ، والخذلان

(١) عذاب السنين ، ص ٣٣ .

وعدم الاهتمام ، والتنافس ، والغيرة والحقد ، والتفاخر والغرور^(١) .
 وأول مصادر الخلافات بين الأصدقاء التهكم والسخرية ، وهو أسلوب
 يثير حفيظة الإنسان بشكل عام ، ويؤثر بشدة عليه إذا جاء من صديق مقرب ،
 ولقد عانى حمد الحجي من هذا الأسلوب - كما يفصح شعره عن ذلك - فأصبح
 من المؤثرات التي أثرت في نفسيته ، وعبر عنها شعره ، وقد اتخذ الشاعر بسبب
 الاستهزاء والتهكم موقفا رافضا أفقده توازنه ، واندماجه مع بعض أفراد المجتمع
 الذين يحملون هذا السلوك ، وفقدان التوازن هذا هو الذي ينشأ منه الإبداع^(٢) .
 ويُفسَّرُ منشأ عبقرية الشاعر في ظهور الصراع الذي تتعرض له الشخصية
 المبدعة مع المجتمع ، إذ إنها تسعى لأهداف يقف المجتمع في طريقها ، فينشأ
 الصراع ، وينشأ معه الإبداع من أجل تحقيق توازن في الشخصية^(٣) ، وما التهكم
 بشخصية حمد الحجي إلا لون من ألوان الصراع العنيف بينه وبين بعض أفراد
 مجتمعه .

لقد أحس الشاعر بالألم وهو يرى أحد أقرانه يتهكم به ، وظهر الحزن
 الشديد في تعبيراته من خلال رثائه للصدقة التي ماتت في قلب هذا الرفيق ، لقد
 عدَّ الشاعر هذا التهكم لونا من ألوان الاستخفاف بمعنى الصداقة والإخاء ،

(١) انظر الصداقة من منظور علم النفس ، ص ٦٦ .

(٢) انظر مقدمة لعلم النفس الأدبي ، ص ١٤٦ .

(٣) انظر الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة ، ص ١٢٦ .

ذلك المعنى الذي يقوم على الحب والاحترام المتبادل بين الصديقين ، ولأن هذا التصرف تصرف مذموم ، صور أحد أقرانه الذين سخروا منه ، وتهكموا به بصورة قبيحة في قصيدة عنوانها (متهمك) يقول فيها :

يا مُسْتَخِفًّا بِالْإِخْـ	ءِ الصَّرْفِ بِالْقَلْبِ الْكَبِيرِ
عَنْفَتَنِي وَنَسَبْتِ أَنْـ	نَكَ بَاعِثُ الْأَمِّ الْمَرِيرِ
أَنَا لَنْ أَلُومَ وَلَنْ أَعْنُـ	نِفَ إِنْ تَقَامَتِ الْأُمُورُ
مِنْ أَيْنَ لِلرَّخِمِ الْكَسِيـ	حَةِ فِي الْمَقَاوِزِ وَالْقُبُورِ ^(١)
شَمُّ النَّسُورِ الْمُشْرَبِ	سَبَةٍ وَانْتِفَاضَاتِ الصُّقُورِ؟
مَهْمَا تَهَكَّمْ جَاهِـ	أَوْ رَاحَ يَنْطَحُ لِلصُّخُورِ
هَيْهَاتَ يَنْجَحُ سَعْيُهُ	وَيَهْدُ مِنْ عَزْمِ الصَّبُورِ ^(٢)

ويلحظ منعم النظر في الأبيات أن الشاعر يتسامى بنفسه عن أن ينحط إلى التصرف الذي يقوم به هذا المتهمك ، ولن يعامله بالمثل ؛ لأن كل ما يفعله لن يوقف طموحه ، ولن يضعف عزيمته ، ولكنه لم يخف ضجره من هذا المتهمك ؛ فقد أبان صفات المتهمك ، وكشف عن عيوبه ومثالبه ؛ فقد جعله مستخفا بالأخوة الصادقة ، ووسمه بالجهل وقلة العلم .

(١) الرخم : جمع رَحْمَةٍ ، وهو طائر أبقع على شكل النسر خلقه إلا أنه مبقع بسواد وبياض يقال له الأنوق ، وقيل : نوع من الطير موصوف بالصدر والموق ، وقيل : موصوف بالقدر . لسان العرب .

(٢) عذاب السنين ، ص ٤٤ .

ومن مصادر الاختلافات بين الأصدقاء الخيانة والخداع ، ولقد حرك هذا السلوك - الذي لحظه حمد الحجي في بعض أقرانه - شاعريته ، إذ يمتلى شعره حنقا وغيظا من أولئك الأصدقاء الذين يتسمون بهذه السمة الذميمة التي تخالف مكارم الأخلاق ، وما يجب على القرين الاتصاف به ، فيحمل أكثرهم صفات المكر والخديعة ، ولقد علم الشاعر أسرارهم ، وتبين ما يخفونه في أنفسهم فلم ير فيهم وفاء ، ولم يجد منهم إخلاصا ، وغياب وفائهم يؤثر في نفسه ، ويجعله محترزا من الاندماج معهم ، وتكثر الشواهد التي تفصح عن هذا الموقف تجاه أقرانه فمنها قوله :

خَبِرْتُ الصَّحْبَ فِي سِرِّ وَجْهِهِ فَلَمْ أَرَ وَاحِدًا فِيهِمْ وَفِيًّا^(١)
ويقول في موضع آخر :

إِنِّي سَعِمْتُ مِنَ الْأَنَامِ وَمَكْرِهِمْ وَرَأَيْتُ رُوحِي فِي حَشَا تَنُورِ^(٢)
ويؤكد أيضا ذلك بقوله :

مَا عِنْدَهُمْ إِلَّا الْأَدَى وَمَكَايِدُ لَا يَسْتَقِيلُ بَعْدَهَا تَعْبِيرِي^(٣)

لقد أبان البيتان الأخيران عن صفات الناس في قرارة نفسه ، وما ذلك التعميم الذي أطلقه إلا نتيجة موقف مرّ به ، أحس بكيد أحد من الناس ، أو مكر

(١) السابق ، ص ٤٣ .

(٢) عذاب السنين ، ص ٧١ .

(٣) السابق ، ص ٧٠ .

أو خديعة ، وغالبا ما يحس به من الأقران ، وبغض النظر عن حدوث الكيد في حياة حمد الحجي إلا أن شعوره به كاف لأن يبين عن أسباب تشاؤمه من الأصدقاء ، وحرصه على الانفرد والانعزال .

ويفصح شعر حمد الحجي عن بعض النماذج السيئة للأصدقاء ، وهم الذين لا يحملون معاني الوفاء ولا يدركون أسس الصداقة ؛ فهاهو صديقه يؤكد له أنه أوفى الأوفياء ، وأنه الوحيد القادر على انتشاله من أي موقف سيئ يقع الشاعر فيه ، فاطمأن الشاعر له ، وعرف في قرارة نفسه أنه هو الصديق الوافي ، ولكن المصائب هي التي تكشف صدق هذا الصديق من ادعائه ، إذ احتاج الشاعر إليه يوماً ، فقصص صديقه الذي عاهده على الوفاء ، ولكنه خذل المودة والمحبة ، وأما الصداقة فقد أصبحت حلماً :

قَالَ إِنِّي صَدِيقُكَ الْفَرْدَ فَأَقْصُدْ	نِي إِذَا حَلَّ حَادِثٌ مُدْهَمٌ
وَبَدَا لِي مِنْهُ الْوَفَاءُ فَأَصْبَحَ	نَا أَبَوْنَا الْإِخَاءُ وَالصَّدُوقُ أُمَّ
وَأَتَى الدَّهْرُ حَامِلًا كُلَّ رُزْءٍ	فَتَسَاءَلْتُ : يَا تُرَى مَنْ أُوْمٌ؟
فَتَوَجَّهْتُ نَحْوَهُ أَبْتَغِيهِ	فَإِذَا الْوَعْدُ وَالْمَوَدَّةُ حِلْمٌ
خَدَعْتَنِي بَرَاءَةُ الْمَوْجِ فِي الشَّطِّ	طٍ وَلَمْ أَذْرِ مَا يَضُمُّ الْخِضْمُ ^(١)

لقد حمل هذا الصديق على عاتقه الوفاء ، وأنزل نفسه منزلة عالية وفريدة

(١) عذاب السنين ، ص ٧٥ ، والخضم : البحر لكثرة مائه ، ويطلق على الجمع الكثير . لسان العرب .

بين الأقران ، عندما أكد له أنه الذي يعرف معنى الصداقة ، فأنس الشاعر له ، واطمأن لقربه ، ورأى معالم الوفاء تلوح في سمائه ، فأحس بالأمان ؛ لأنه يأوي إلى ركن شديد ، ودارت الأيام فحملت معها الشدائد العظيمة ، فطراً في قلبه الذي أكد له الوفاء ووعد به ، فتوجه إليه وقد أيقن أنه القادر على مساعدته في الخروج من هذا المأزق ، ولكنه خذله وتنكر له ، ونسي العهد الذي قطعه على نفسه فاجتمعت المصيبتان على قلب الشاعر : الشدة التي وقع فيها ، وخذلان الصديق غير المنتظر .

وتنكر الصديق يُحْمَلُ نفس الشاعر كثيرا من الأعباء ، لأن الشاعر ينظر إلى الصداقة من زاوية دقيقة جدا ، إنها الوفاء ، والصدق ، والتعاون ، ليست كلاما إنشائيا ، أو تعبيرا يقال في حال الرخاء ، وقد كان العرب يكشفون معادن الأصدقاء من خلال الشدائد التي تمر بهم ، بل إن الذي لا يقف مع صديقه وقت شدته قد ينقلب عدوا كما قال بعضهم :

جَزَى اللهُ الشَّدَائِدَ كُلَّ خَيْرٍ عَرَفْتُ بِهَا عَدُوِّي مِنْ صَدِيقِي

ولقد دعا تنكر الصديق للشاعر أن ينهي الصداقة حالا ، لأنه لا يقوى على تحمل مثل هذا التصرف المشين ، ففؤاده من لحم ودم سريع التأثر ، وشديد الحساسية تجاه مثل هذه المواقف شديدة التأثير ، ولكنه لم ينصرف عنه إلا بعد أن تعلم درسا من دروس الحياة ، يشكره على تعلمه من باب التهكم به :

يا صَدِيقِي إِلَيْكَ أُبَعَثُ شُكْرِي فَلَقَدْ جَدَلِي اصْطِيبَارٌ وَعَزْمٌ
 أَنْتَ عَلَّمْتَنِي احْتِمَالَ الْمَاسِي وَالرَّزَايَا وَجَاءَنِي مِنْكَ عِلْمٌ^(١)
 أَنْتَ لَقَنْتَنِي كَدَهْرِي دُرُوسًا هِيَ عِنْدِي وَإِنْ خَسِرْتُكَ غُنْمٌ
 يَا صَدِيقِي الْقَدِيمَ إِنْ جَبِينِي بَاذِخُ كَالسَّمَا وَأَنْفِي أَشْمٌ
 لَا تَلْمِنِي إِنْ قُلْتُ إِنَّا أَنْتَهَيْنَا هَلْ فُؤَادِي إِلَّا دِمَاءٌ وَخَمٌ؟^(٢)

ومن مصادر الخلافات بين الأقران التنافس ، وهو مؤثر مثير من المؤثرات التي أثرت في نفسية حمد الحجي ، وكان لها صدى بارز في شعره ، والتنافس معروف بين الأصدقاء وله جانب إيجابي عن طريق حث الإنسان على العمل ، وقد يكون سلبيًا إذا جاوز الحد فأصبحت الغيرة هي التي تحركه وتؤثر فيه .

وقد حركت المنافسة نفسية حمد الحجي تجاه أحد أقرانه ، لأنه تألم منه نتيجة موقف غير واضح ، ولكن الذي يدل على أن المنافسة هي آلمته هو العنوان (منافس) وهو الذي وضعه الشاعر لأبياته ، لقد أبانت الأبيات أنه يقصد منافسا يدعي العلم ، وربما دار بينهما نقاش حاد ، أو اختلاف في وجهات النظر ، فأثر ذلك على نفسية الشاعر ، وتألم له ألما شديدا كما يقول :

لنَظَرْتُكَ الشَّنْعَاءِ حَوْلِي تَكَلَّمٌ يَكَادُهَا قَلْبِي الْمَجْرَفُ يُنْسَفُ

(١) الماسي والرزايا : جمع مأساة ورزية وهما المصائب العظام .لسان العرب .

(٢) عذاب السنين ، ص ٧٥ .

صَبْرْتُ وَلَوْ أَنِّي عَلَى الصَّيْرِ قَادِرٌ صَمْتُ وَلَكِنْ خَافِقِي بَاتَ يَنْزِفُ
 أَكَابِدُ آلَامِي بِعَوْدِ مُصِيبَتِي لَتَلَّكَ الَّتِي تُصْمِي الذِّكْيَ وَتُثْلِفُ
 فَيَا مُدَّعٍ بِالْعِلْمِ عِلْمُكَ قَدْ غَدَا أَسَاطِيلُهُ فِي حَمَاةِ الْجَهْلِ تُقْدَفُ^(١)

ويتوقف القارئ كثيرا عند قصيدة حمد الحجي (في زمرة السعداء)^(٢)، ليتبين ما فيها من مظاهر التنافس بين الأقران ، وما المحرك الرئيس لإبداعها ، ومع أنها كشفت عن نفسية تواقعة إلى السعادة ، لاهثة تبحث عنها ، إلا أنها كشفت هذه الحاجة عن طريق النظر إلى سعادة الأقران .

تملك حمد الحجي مشاعر الألم والحزن ، وتستولي على قلبه الهموم والغموم ، وهو يرى الحالة التي يعيش بها من ضيق وتعاسة وبؤس ، ولكي يجلو تعاسته ، ويبين عنها ، يجعل من أقرانه وسيلة لتأمله ؛ عندما يتخذهم أنموذجا للحياة السعيدة ، ويكون الشاعر هو الأنموذج المقابل ، ويجري الموازنة فيحس معها بالحزن الشديد :

أَبْقَى عَلَى مَرِّ الْجَدِيدِينَ فِي جَوَى وَيَسْعُدُ أَقْوَامٌ وَهُمْ نُظْرَائِي
 أَلَسْتُ أَحَاهِمُ قَدْ فَطَرْنَا سَوِيَةً فَكَيْفَ أَنَانِي فِي الْحَيَاةِ شَقَائِي
 أَرَى خَلْقَهُمْ مِثْلِي وَخَلْقِي مِثْلَهُمْ وَمَا قَصَّرْتُ بِي هِمَّتِي وَدَكَائِي

(١) عذاب السنين ، ص ١٠٧ ، والحماة : الطين الأسود المتزن . لسان العرب .

(٢) انظر السابق ، ص ٣٥ / ٣٦ .

يَسِيرُونَ فِي دَرْبِ الْحَيَاةِ ضَوَا حِكْمًا عَلَى حِينِ دَمْعِي ابْتَلَّ مِنْهُ رِدَائِي^(١)

إن الشاعر يتخذ الموازنة وسيلة تعبيرية ناجحة لإبراز النار المتأججة التي تتقد في قلبه ، وهو يتخذ أقرانه ملهما له ليبت همومه وأحزانه ، وعند التمعن في الأبيات يلحظ المتأمل أن الشعور بالنقص ينبعث من أبيات الشاعر ؛ عندما أحس بقصور عن أقرانه الذين تمتعوا بالسعادة الدنيوية والقلبية ، إذ ربما ظن ظان أن الشاعر لا يمتلك من وسائل السعادة شيئا ، فأراد الشاعر أن يرد هذا الظن ، وأن يؤكد على التكافؤ بينه وبينهم ، وأراد أن يبرز ما يحمله من سمات وصفات جميلة كعلو الهمة ، والذكاء ، والفظنة ، والقدرة على التعبير ، والكرم ، والحكمة شأنه شأنهم ، كما يفهم ذلك من قوله :

أَكَانَ لِسَانِي إِنْ نَطَقْتُ مُلْعَثًا وَكَانُوا إِذَا نَاجَوْا مِنَ الْفُصْحَاءِ ؟
 وَهَلْ كُنْتُ إِذَا أَشْكَلَ الْأَمْرُ عَاجِزًا وَكَانُوا لَدَى الْجُلَى مِنَ الْحُكَمَاءِ ؟
 وَهَلْ لَهُمْ جُودٌ بِيَّامٍ فِي أَكْفِهِمْ وَإِنِّي مَدَى عُمْرِي مِنَ الْبُخَلَاءِ ؟
 وَهَلْ كُلُّهُمْ أَصْحَابُ فَضْلٍ وَمِنِي وَكُنْتُ أَنَا الْمَفْضُولُ فِي الْفُضَلَاءِ ؟^(٢)

والشعور بالنقص أو الدونية يظهر في شعور حمد الحجي في هذه الأبيات عند تصريحه بالشقاوة التي تسيطر عليه ، فأحس أن من الناس من يظن أن الذي

(١) عذاب السنين ، ص ٣٥ .

(٢) عذاب السنين ، ص ٣٥ .

ينتاب الشاعر بسبب ضعف قدراته ، وهذا الشعور "يستلزم تعويضا في اتجاه إعلاء شأن الشعور بال شخصية ، فيصطنع الشخص هدفا نهائيا ، وهما محضا ، يتصف بإرادة القوة ، ويجر هذا الهدف ... في إثره كل القوى النفسية"^(١).

إن الشاعر يؤكد عن طريق الاستفهامات المتكررة أنه أهل للمكانة التي حصل أترابه عليها ، وإن التقصير لم يكن بسبب قصوره عنهم ، ولكن المتسبب في ذلك هو معنى سام اتصف به ، ولم يتصف به أترابه ، وسر شقاوته كان بهذا السبب ، فلدى الشاعر عقل يوقفه عند كل شيء يتأمله ويفكر فيه ، في حين أن أترابه لا يقفون عند أي شيء بل يمرون عليها دون عناء ، إنه يعظم من شأن عقله ، وهذا التعظيم جاء على سبيل تعويض الشعور بالنقص الذي تبين في الأبيات السابقة ، يقول الشاعر :

سِوَايَ فَقَدْ عَايَنْتُ قُرْبَ بِلَائِي	بَلَى أَخَذُوا يَسْتَبْشِرُونَ بِعَيْشِهِمْ
يَمُرُّ عَلَى الْأَشْيَاءِ دُونَ عَنَاءٍ	لَقَدْ نَظَرُوا فِي الْكَوْنِ نَظْرَةَ عَابِرٍ
فَجَانَبْتُ فِيهَا لَذَّتِي وَهَنَائِي	وَأَصْبَحْتُ فِي هَذِي الْحَيَاةِ مُفَكِّرًا
مِنَ النَّاسِ لَمْ يَرْتَحْ وَنَالَ جَزَائِي" ^(٢)	وَمَنْ يُطِلُّ التَّفَكِيرَ يَوْمًا بِمَا أَرَى

إنه هذه الأبيات يعلي من شأن نفسه ، إنه كثير التفكير ، لا تمر عليه الظواهر

(١) معجم مصطلحات التحليل النفسي ، ص ٢٩٢ .

(٢) عذاب السنين ، ص ٣٦ .

الكونية مرورا عابرا ، بل يتأملها ويفيد منها ، والشاعر عندما يظهر هذا السبب لشقاوة نفسه فإن هدفه إبعادها عن النقص ، وغالبا ما يقوم بعض الأفراد الذين يعانون من مركب النقص بمدح النفس ، والإشادة بالمزايا^(١) ؛ وذلك لإخفاء النقص الذي تشعر به الشخصية ، والشاعر في هذه الأبيات يجعل من المزية سببا في جلب الشقاوة كما قال المتنبي :

ذُو الْعَقْلِ يَشْقَى فِي النَّعِيمِ بِعَقْلِهِوَ أَخُو الْجَهَالَةِ فِي الشَّقَاوَةِ يَنْعَمُ^(٢)

ومن المؤثرات التي تباعده عن أقرانه عدم التكافؤ بينهم ، إذ يجزن الشاعر عندما يصحب أناسا لا يعرفون حقيقة الجمال ، ولا يدركون كنهه ، أما هو فيدرك الجمال ويستطيع أن يستمتع به :

لَا لَا أُرِيدُ لِقَاءَ إِنِّي أَوْدُ أُرْتَحَّالَا
فَقَدْ صَحِبْتُ أَنْاسًا لَا يَفْهَمُونَ الْجَمَالَ^(٣)

إنه ينظر إلى الجمال فيتذوقه ، ويكشف أعماقه ، ويدرك حقائقه الباطنية ، وينفذ إلى معناه ، ويتواصل معه ، أما الإنسان العادي فلا يرى الجمال كما يراه الفنان ، ولهذا فإن الفنان يزيع الستار عن الجمال بحيث يراه سائر الناس من

(١) انظر مقدمة لعلم النفس الأدبي، ص ١٠٩ .

(٢) شرح ديوان المتنبي ، وضعه عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، د. ط ،

١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م ، الجزء الرابع ، ص ٢٥١ .

(٣) عذاب السنين ، ص ١١٥ .

خلال الكوة التي شقتها عاطفة الفنان^(١)، وهذا الأمر هو الذي يدعو إلى القول :
إن الإنسان العادي " في حقيقة الأمر ينظر دون أن يرى"^(٢).

وتفاوت الإدراك بين الناس والفنان قد تشعره بالوحدة ، والشعور بالوحدة قاس على الإنسان ، وخصوصا ذلك الشاعر الذي يحمل قلبا رقيقا شديد الحساسية ، إن حمد الحجي يؤكد أن سبب ارتحاله ما هو إلا صحبة أناس لا يفهمون الجمال ، ويتخلل هذا الإفصاح شعور بالحزن والضيق ؛ لأنه بحاجة إلى صحبة من يفهمه ، ويفهم إحساسه .

وبهذا يتبين أن الشاعر قد تأثر كثيرا بأقرانه ، وأن هذا التأثير حصل من خلال فهمه لمعنى الصداقة ، وفلسفته الخاصة فيها ، إنه بحاجة إلى الرفيق الذي يشاركه أحزانه يوم أن اجتمعت عليه ، ولهذا فإنه لا يثني على أصدقائه النادرين إلا بهذه الصفة النبيلة التي يحتاج إليها ، وعلى النقيض من ذلك يجزئه من أصدقائه الذين خبرهم عدم الإحساس بما يؤلمه ، ويثير أحزانه .

ولقد صور شعر حمد الحجي صورا متعددة للأصدقاء ، وأبانت تلك الصور عن نفسية متشائمة منهم ، نتيجة عدد من المواقف التي يتعرض إليها من هؤلاء الأصدقاء ، وتلك المواقف حملته على الانفراد ، واليأس من لقيا الصديق

(١) انظر علم النفس والأدب ، ص ٢٥ .

(٢) السابق ، ص ٢٥ .

الصادق .

لقد عكس شعر حمد الحجي بكل جلاء موقفه من أصدقائه ، وأبان عن المفهوم الذي يخبئه في ذهنه للأصدقاء ، وقد عكس أيضا أحزانه الشديدة بسبب الأصدقاء ، وبهذا يكون شعر حمد الحجي صورة لما يدور في نفسه .

تأمله في الواقع

يعيش الإنسان واقعا حياً قد يفرض عليه [أحياناً] ، فيتأثر بما يراه على هذا الواقع ، ويتفاعل معه ، إنه واقع متعدد الأحداث ، ودائم التقلب والتغير ؛ لا يدوم على حال واحدة ، فتارة يحمل الواقع في طياته الأفراح ، فيسعد الناس ويعبرون عن سرورهم ، ويفرح الفرد ويشارك الناس أفراحهم ، وتارة تغطيه الأحزان ، فيتألم الناس ، ويتألم لها ، وهكذا هي طبيعة الإنسان وهو يتأمل واقعه ، طبيعة متقلبة بتقلب الواقع الذي يعيش فيه .

والتفاعل مع الواقع مظهر إيجابي ، تحتمه الطبيعة الإنسانية ، والذي لا يتأثر بما يمر به مجتمعه من أحداث يعد إنساناً مريضاً ، وقد يوصف بعدم المبالاة ، وقلة الإحساس ؛ لأنه يقوم نتيجة ذلك بالرد على ما يصيبه في واقعه ، وينعكس هذا الرد في أقوال الفرد العادي ، وفي أفعاله^(١).

وأما المبدع فمن أهم خصائصه أنه متفاعل مع كل ما يمر به المجتمع ، لأن نفسه تطوي طبيعة مرهفة حساسة ، وتحمل طاقة وجدانية هائلة ، ولهذا فإنه يوظف هذه الطاقة في سبيل ما يخدم مجتمعه ، أو ما يخفف عنهم عن طريق

(١) انظر مقدمة لعلم النفس الأدبي ، ص ٧٧ .

الإبداع^(١)، وبالتالي فإنه يخفف عن نفسه ، ويزيح عنها كثيرا من الهموم بواسطة الإبداع .

وهكذا وجدنا حمد الحجي يعيش واقعه ، ويعبر عنه ، ولهذا كان ما يدور أمام ناظره من أحداث متقلبة في الواقع من أهم المؤثرات التي أثرت في نفسه ، وظهر صداها في شعره ، إذ يؤكد الشاعر أنه يعيش أحداثا عاصفة ، تغطي قلبه فتملأه أحزانا ، وتزيده جراحا وأشجانا ، وهذا الواقع هو الذي يفرض عليه أن يبدع الشعر ، فتلك الأحداث تجعل من الذي لا يتكلم فصيحاً قادراً على التعبير ؛ لشدة وقعها ، وقوة تأثيرها ، ولهذا فسيظل يبدع الشعر ليعبر عن تلك الأحداث :

أَأَتْرُكُ الشُّعْرَ وَالْأَحْدَاثُ عَاصِفَةً يُمَسِّي فَصِيحاً بِهِ مَنْ لَيْسَ بِاللِّسَنِ^(٢)

وكما أن في الواقع أحداثا تثير الحزن والألم ، فإنه يرى على الواقع دلائل الحق تضيء له طريقه ، يراها في بلاده ، وتلك من الأمور المفرحة التي تجبر الشاعر على قول الشعر ؛ لأنه يتفاعل مع ما يجلب لمجتمعه الأفراح ، فيفرح ، ويريد أن يعبر عن تلك الأحاسيس الجميلة :

(١) انظر سيكولوجية النمطية والإبداعية ، يوسف ميخائيل أسعد ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، د. ط ، ١٩٩١ م ، ص ٢٠٠ .

(٢) عذاب السنين ، ص ١٠٨ ، واللسن : ما يتصف بجودة اللسان وسلطته ، لسان العرب ، ج : ١٢ ،

لَوْ أَتْرَكَ الشُّعْرَ إِحْسَابِي يُنَازِعُنِي وَمِنْ بِلَادِي نَسِيمُ الْحَقِّ يَنْصَحُنِي^(١)

والشاعر حمد الحجي يحمل فكراً عظيماً ، يتمثل في حمله فكر الأمة ومبادئها ، إن هذا الفكر العظيم يجعله دائم التأمل ، فيعيش في مشقة ونصب ، ولذلك فهو يوازن بين ما يحمله الآن ، وما كان يفكر فيه في فترة طفولته ، فيجد أن الفرق كبير ، والبون شاسع ؛ إذ إنه لم يكن يحمل هذه المبادئ في زمن طفولته ، فقد كان باله خالياً تلك الفترة من التفكير في واقع أمته الذي يجزئه الآن ، أما وقد أصبح شاباً ناضجاً فقد اختلف الأمر ؛ لأنه الآن يحمل مبادئ الأمة وفكرها ، وحمله هذه المبادئ العظيمة ، وتأمله في واقع الأمة الذي تعيشه ، من أهم الأمور التي أثرت في نفسيته ، وحملتها كثيراً من الآلام ، إنه يدرك الآن الواقع الذي تعيشه الأمة ، ولم يكن يدرك ذلك أيام طفولته :

مَا كُنْتُ فِي زَمَنِ الطُّفُولَةِ حَافِلاً بِمَبَادِيٍّ أَوْ أُمَّةٍ أَوْ فِكْرَةٍ^(٢)

إن ذلك يثبت أن الشاعر حمد الحجي متأثر بما يصيب أمته من مصائب أو شدائد ، وأن الواقع الذي تعيشه هذه الأمة يشغل مساحة ليست يسيرة من تفكيره واهتمامه ، وهو بواسطة الشعر يدافع عن نفسه أولاً ، ثم يدافع عن أمته^(٣).

(١) السابق ، ص ١٠٨ .

(٢) عذاب السنين ، ص ٣٠ .

(٣) انظر مقدمة لعلم النفس الأدبي ، ص ٧٨ .

والتأمل في شعر حمد الحجي يلحظ أن الشاعر متفاعل مع واقعه ، ومعبر عنه أجهل تعبير ، وقد تعددت الأحداث التي يراها في واقعه ، وتنوعت مع تعددها عاطفة الشاعر تجاهها ، فتارة يكون الشاعر حزينا ؛ لأنه يرى مظاهر الحزن تمر بأتمته ، وكيد الأعداء يحيط بها من كل جانب ، وتارة أخرى تضيء من كلماته قناديل السرور ؛ لأنه يرى في واقعه ما يجلب الفرح ، ويدعو إلى السرور والسعادة .

ولقد مرت بالبلاد العربية في عصر الشاعر - ولا زالت - شدائد عظام ، يحزن الشاعر إذا تأملها ؛ إذ سيطر المستعمرون على البلاد العربية ، واحتل اليهود بلاد المسلمين ، فمارسوا القتل ، وعاشوا على سلب ما في أرض فلسطين من خيرات ، كل هذه الأمور تثير حفيظة الشاعر ، وتملأ قلبه بالأحزان :

مَرَّتْ عَلَى وَطَنِ الْعُرُوبَةِ أَعْصُرٌ بِمَصَائِبِ سُودِ الْوُجُوهِ شَدَادٌ
أَزْرَى بِهِ الْمُسْتَعْمِرُونَ وَدَأْبُهُمْ قَتْلٌ إِلَى تَهْبٍ إِلَى إِفْسَادٍ^(١)

وعندما يتأمل الشاعر في واقع الأمة فإنه يحزن لما تواجهه من عقبات ، وما تعيش به من أزمات ، وكيف لا يحزن وهو فرد من هذه الأمة ؛ يسعى إلى رفعها ، ويرجو أن تحتل أعلى الرتب ، وأسمى الأماكن ، ولأن بعض شعوب الأمة تتعرض لأشكال الظلم ، وتواجه التدمير قصداً ، فإن الشاعر يتألم لما تواجهه هذه

(١) عذاب السنين ، ص ٧٨ .

الشعوب المسكينة ، فيرى الواقع مرا ، ويسأل البدر عله أن يجد الإجابة عنده :

هل فيك شعبٌ يستنيمُ إلى المني ويعيشُ تحت الظلمِ والتدميرِ؟
هل فيك كفاً وأهلُ عقيدةٍ يسمونَ دونَ الناسِ يومَ نشورِ؟
هل فيك نسرٌ تائهٌ بمخالِبِ مغسولةٍ ببراءةِ العُصفورِ؟^(١)

إن تلك الأسئلة تنضح بالمعاناة ، وتفيض بالألم ، وتكشف عن جرح غائر في نفس الشاعر ، فتح هذا الجرح تأمله في الواقع الذي يدور أمام ناظره ، واقع فيه دمار لشعوب مغلوب على أمرها ، لا تستطيع دفع الظلم عن نفسها ، وتمارس الظلمَ أممٌ مستبدةٌ ، تغرس مخالبتها في فريستها مدعية الصدق والرغبة في إصلاح شأنها ، ولكنها في الحقيقة تلغي كل ما هو إنساني ، وتقتات من ظلم الضعيف .

إن إحساس حمد الحجي بأولئك الظلمة لا يختلف عن تحليل فرويد لنفسيات بعض الناس ؛ فهم وحوش ضارية ، مع أنهم يعيشون حضارات سامية ، وإقامة الحروب تدل على ميول عدوانية في الطبيعة الإنسانية كما تقرر ذلك في رأي حمد الحجي ، وأما تبريرهم للحرب فإنها كذب وخداع وخبث وتضليل ، إنهم يريدون أن يأخذوا ما يريدون على حساب الشعوب التي لا حول لها ولا قوة^(٢).

وإذا أحس الشاعر المرهف أن الإنسانية تقوم على هذا الجانب البغيض فإن

(١) السابق ، ص ٦٩ .

(٢) انظر التحليل النفسي وقضايا الإنسان والحضارة ، د. فيصل عباس ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، الطبعة

آلام نفسه سوف تتضاعف ؛ لما يرى من اختلال المعايير الإنسانية ، ورؤية الشعوب المسلمة المغلوبة على أمرها تعيش تحت وطأة أعدائها ، وترى الولايات ، وأصناف التدمير والشتات ، وما ذلك لذنوب جنته إلا ضعفها وعجزها عن المقاومة .

وقد عكس شعر حمد الحجي المؤثرات التي أثرت في نفسيته نتيجة التأمل في هذا الواقع المؤلم ، وظهر فيه تخصيص النظرة التي ظهر عمومها في الأبيات السابقة ، ومن أهم تلك المؤثرات الواقع الذي تعيشه القدس ؛ فهي تئن تحت وطأة اليهود ، وتذوق المهانة والإذلال ، وقد كانت رمزا شاهقا من رموز الإسلام ، فأصبحت تتساءل عن أسباب هذا التغير ، إنها تسأل الأيام ، وتستعطف التاريخ أن يعيد لها ماضيها :

الْقُدْسُ تَنْعِي أَهْلَهَا وَحَمَاتَهَا وَتُسَائِلُ التَّارِيخَ وَالْأَيَّامَا
عَبَّتْ بِهَا أَيْدِي الْيَهُودِ فَأَصْبَحَتْ تَكْلَى تَذُوقُ مَهَانَةَ وَحَامَا^(١)

إن واقع فلسطين من أهم المؤثرات التي تؤثر في شعر حمد الحجي ، وطبعي أن يتفاعل مع هذا الواقع ؛ لأن فلسطين تعد قضية إسلامية محورية ينشغل بها كل فرد مسلم ، وقد شكلت هاجساً يقلق الشاعر حمد الحجي ، ويؤثر في نفسه ما تعيش به من ألم ومعاناة ، كشف شعره عن آثار تأمله بها .

(١) عذاب السنين ، ص ١٠٣ .

لقد حزن الشاعر أشد الحزن ، وتألم من واقعه أشد الألم ، وكان نتيجة هذا الألم الشديد هو أن يأخذ دفتره ويكتب عليه ما يلقيه المسلمون من الأذى ، وما يتعرض له إخوانه من أصناف العذاب ، وأشكال التمزيق ، إن شعر حمد الحجي يشكو - دون أن يشعر - أذى المستعمرين ، وهو يراهم يتحكمون بمصير الأمة ، ويتآمرون لإضعافها ، وبث الفرقة في أبنائها ، ويفسدون في أرضها ، ويرفضون أن يرد عليهم بالمثل ، وكل هذه الأفعال تحزن - ولا شك - كل متأمل فيها :

أَوْقَدْتُ مِصْبَاحِي الصَّغِيرُ
وَأَخَذْتُ دِيوَانًا عَلَى رَفِّ حَقِيرُ
وَقَرَأْتُهُ حَتَّى انْتَهَيْتُ بِهِ إِلَى الشَّطْرِ الْأَخِيرُ
فَإِذَا بِهِ يَشْكُو أَذَى الْمُسْتَعْمِرِينَ
وَالْحَاقِدِينَ الْمَاكِرِينَ^(١)

وهذا العنف المادي الذي يتعرض له المسلمون يثير حفيظة حمد الحجي ويجرك نفسه لأنها "تتضمن حاجات لها وظيفة حيوية هي الدفاع عن الجسد والنفس ... يقوم الشاعر الذي لم تشبع حاجته للحرية نتيجة سيطرة المستعمر بكتابة قصائد يعبر فيها عن الألم ، ويدعو فيها إلى المواجهة"^(٢) ، بسبب ما يلقيه من

(١) عذاب السنين ، ص ١٢٨ .

(٢) مقدمة لعلم النفس الأدبي ، ص ٧٨ .

ظلم مثلما يقول الشاعر عما يفعله أولئك القوم بمصير الأمة ، وبخياراتها وثوراتها:

بِمَصِيرِنَا يَتَحَكَّمُونَ

يَسْتَعْمِرُونَ بِلَادَنَا

وَيُحَطِّمُونَ جِهَادَنَا

يَتَأَمَّرُونَ وَيُفْسِدُونَ^(١)

ويكشف شعر حمد الحجي إحساسه الصادق بما تمر به الأمة ، بتأمل طويل لواقعها ، وكان نتيجة تأمله ذلك عددا من الآثار التي ظهرت في شعره ، وعكست تأملا طويلاً أفرز فكراً هادفاً نتيجة ما يشاهده على الواقع من حالة تدعو إلى الألم ، وكان من أهم آثار التأمل في فلسطين هو تشخيص الحالة التي يعيش بها المسلمون ، وتلمس الأسباب التي أدت إلى استيلاء الأعداء على البلد الإسلامي الشريف ، حيث تفرق المسلمون بعد أن كانوا مجتمعين ، وهذا التفرق يحزن كل نفس ، ويؤلم كل قلب ، لأنه بعد الفرقة تضعف القوة ، ويستشري الفساد ، ويجد الأعداء الفرصة لكي يسيطروا على المسلمين ، ويتسدون بلادهم :

فَلَمَّا أَنْ تَفَرَّقْنَا اسْتَبَدَّتْ بِنَا الْأَرْزَاءُ وَاسْتَشْرَى الْفَسَادُ

فَلَا عَجَبًا إِذَا عَدَتِ الضَّوَارِي عَلَيْنَا الْيَوْمَ وَالْأَوْغَادُ سَادُوا^(٢)

(١) عذاب السنين ، ص ١٢٩ .

(٢) السابق ، ص ٧٣ .

ومن الأسباب التي أدت إلى ضعف الأمة ، وتقوي الغرب عليها ، هو الجهل الذي تعيشه الأمة الإسلامية والعربية ، وعدم اهتمامهم بالعلم والمعرفة ، أما الغرب فإنهم حرصوا على العلم ، وحركوا عقولهم ، فجاءت ثماره يانعة ، وبالعلم سادوا العالم ، وتصدروا الدول ، وصارت لهم صولة بعد أن كان الغرب تابعا ومسودا :

أَفَمَا نَرَىٰ أَنَّ التَّعَلَّمَ رِفْعَةً أَمْ نَجْهَلُ الْإِقْدَامَ وَالْإِحْجَامَا
بِالْعِلْمِ صَارَ الْغَرْبُ صَاحِبَ صَوْلَةٍ حَازُوا بِهِ فِي الْمَكْرَمَاتِ وَسَامَا
شَقُّوا بِهِ فِي الْمُعْضِلَاتِ طَرِيقَهُمْ وَعُنُوا بِهِ فَتَصَدَّرُوا الْأَقْوَامَا
وَالْغَرْبُ كَانَ مَسَارِحًا لِحُودِنَا أَيَّامَ كُنَّا لِلدُّنَا حُكَّامَا
لَكِنَّهُ بِكِفَاحِهِ وَبِعَزْمِهِ جَابَ الْفَضَاءَ وَسَخَّرَ الْأَجْرَامَا^(٢)

إن النظر إلى أهمية العلم في حياة المسلمين نتيجة مهمة ، جاءت بعد تأمل طويل في واقع الأمة ، مما يدل على أن هذا الأمر من الأمور التي شغلت عقل الشاعر ، واحتلت مساحة واسعة من تفكيره ، وقد جعل الشاعر الموازنة أسلوبا ملائما لإضاءة الفكرة ، وزيادة توضيحها ، وقد أجرى الشاعر الموازنة في جانبين ؛ الجانب الأول الموازنة بين الماضي والحاضر للغرب و المسلمين ، والثانية الموازنة بين حالة الغرب وحالة المسلمين ، ففي الماضي كان الغرب ضعيفا ، وكان

(٢) عذاب السنين ، ص ١٠٢ .

المسلمون هم الذين سيطروا عليه ، أما الحاضر فقد ضعفت حال المسلمين ، واستطاع الغرب أن يسيطر عليهم ، وبحث الشاعر عن سبب هذا التغير فوجد أن العلم هو الذي رفع الضعيف ، وفقدانه هو الذي حط القوي .

وبهذا يتضح أن حمد الحججي حمل الأمة نفسها أسباب تأخرها ، في نقد مبني على فهم دقيق للواقع ، وإدراك فاحص لمعاله التي يراها نتيجة تأمله الطويل ، ويتضح ذلك من خلال نظرتة المنصفة للغرب ، وعدم طغيان التعصب الأعمى ؛ مما يدل على أنه يقرأ الواقع قراءة واعية .

والتأمل في فكر حمد الحججي الناقد للحالة العربية والإسلامية يلحظ النظرة الثاقبة التي يتمتع بها ؛ ذلك أن كثيرا من الذين يقرأون ما وصلت إليه حالة العرب يلقون باللائمة على الآخر "من أجل إزاحة المسؤولية عن النفس وإسقاطها على الغير"^(١)، ولكن حمد الحججي يعلق المسؤولية على العرب أنفسهم ؛ حيث تركوا ما يوصلهم إلى المكانة العليا ، واستبدلوا التفرق بالاجتماع ، والجهل بالعلم .

ومن آثار تأمله في واقع الأمة العودة إلى التاريخ المجيد ، واستلهاهم أحداثه ، وتذكير شباب الأمة بما كان يحرزه أجدادهم من انتصارات عظيمة ، امتلأت بها

(١) الشخصية العربية بين صورة الذات ومفهوم الآخر ، السيد ياسين ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، الطبعة

كتب التاريخ ؛ من صحاري الصين في آسيا إلى الأندلس في أوروبا ، والشاعر يعود إلى هذا التاريخ الوقاد كثيرا فيحزن على ذهاب هذا المجد التليد ، ويحاول معه أن يبعث في الأمة ما يذكرها به ، وما يحفظ لها حقوقها :

لَنَا فِي غَابِرِ الْأَزْمَانِ مُلْكٌ وَمَجْدٌ بَادِخٌ وَلَنَا جِهَادٌ
لَقَدْ جُبْنَا صَحَارِي الصِّينِ فَتَحًا وَحَيَّاتَنَا بِأَنْدُلُسِ النَّجَادُ
وَقَدْ كُنَّا الْأَبَاءَ لِكُلِّ ضَمِيمٍ نَسُودُ الْعَالَمِينَ وَلَا نُسَادُ
فَهَلْ بَادَتْ أَسْوَدُ الْعُرْبِ حَتَّى تَحْطَمَ ذَلِكَ الْمَجْدُ الْمَشَادُ^(١)

إن الشاعر وهو يتأمل في الماضي فإنما يستشرف من خلاله مستقبل الأمة الإسلامية ؛ لأن الماضي يدفع إلى المستقبل ، ويثير لدى الإنسان عزيمة قوية ، وهمة عظيمة ، وحمد الحجي يجعل الأمة وهي تحصد الانتصارات ، وتعاودها مرة بعد مرة ، إنما كان ذلك لأنها نظرت بفخر إلى ماضيها ، فدفعها الماضي إلى أن تصبو إلى المستقبل ؛ لكي تحافظ على أمجاد الأمة ، وعلى سيادتها :

هَبَّتْ مِنَ النَّوْمِ الْعَمِيقِ مَرْوَعَةٌ فَابْتُ حَيَاةً فِي حِمَى الْأَوْغَادِ
نَظَرْتُ إِلَى الْمَاضِيِ التَّلِيدِ فَخَوْرَةٌ وَصَبْتُ إِلَى الْمُسْتَقْبَلِ الْوَقَادِ
وَمَشَتْ تَعْدُو السَّيْرَ نَحْوَ عَرِينِهَا زُمَرَ التَّعَصِفِ بِالْحَوَوْنِ الْعَادِيِ^(٢)

(١) عذاب السنين ، ص ٧٣ .

(٢) السابق ، ص ٧٨ ، والإغذاذ هو الإسراع في السير ، لسان العرب ج : ١٠ ، ص ٢٨ .

ذلك المجد لن يضيع هباء ، ولن يضمحل ويتهي ، فلا بد من استيقاظ هذا الليث النائم ؛ لأنهم أسود لا بد أن يحموا بلادهم ، أو أن يموتوا دونها ، إنهم يجودون بأموالهم في سبيل نصرتها ، ويجودون بأرواحهم لإنقاذها :

وفي الوَطَنِ السَّلِيْبِ لَنَا أَسْوَدٌ تَرُومُ المَوْتَ ، أَوْ تُفَدَى البِلَادُ^(١)

ويتأمل الشاعر في الواقع الذي تعيشه الجزائر وأهلها من ظلم يقع عليهم من قبل المستعمر الفرنسي ، فيحزن الشاعر لهذا الواقع أشد الحزن ، ويتأثر بما يلقاه ، أهل الجزائر شييا وشبابا ، رجالا ونساء من أشكال الظلم وصنوف الاستبداد .

وطبعي أن يتأثر الأديب المبدع بهذا الواقع المؤلم ، وأن يحرك الواقع المأساوي الذي يعيشه أهل الجزائر مشاعره ، وأن يجار شعره بهذا الأثر ، ذلك أن الشخصية الإبداعية تحس بالآلام الآخر ، وتتأثر بما يتأثر به ؛ لأن " الأديب لا ينظر بعدم اكتراث إلى ما يصيب الآخرين من حوله ، بل وحتى البعيدين عنه من مصائب أو كوارث ، بل يتناغم معهم ، ويحس بأحاسيسهم ، ويمر في الخبرة الوجدانية التي يمرون بها"^(٢)

والجزائر بلد عربي مسلم ، عانى الأمرين من ظلم الاستعمار الفرنسي الذي

(١) السابق ، ص ٧٣ .

(٢) سيكولوجية النمطية والإبداعية ، ص ٢٠٠ .

لا يرحم شيخا كبيرا ، ولا امرأة ضعيفة لا حول لها ولا قوة ، ولكن الشاعر يسمع عما يفعله هؤلاء القساة فيتألم ، ويعيش مشاعر أبناء البلد المسلم :

عَجَبًا فَرَنَسَا قَدْ تَدَجَّى لَيْلُهَا فَمَضَتْ تُكْبِلُ غَيْرَهَا تَكْبِيلًا
كَمْ مِنْ بَرِيءٍ فِي الْجَزَائِرِ هَادِيٍّ أَخَذُوهُ فِي أَصْفَادِهِمْ مَغْلُولًا
كَمْ شَيْخٍ قَوْمِ طَاعِنٍ فِي سِنِّهِ طَعَنُوهُ حَتَّى جَانَدَلُوهُ قَتِيلًا
كَمْ مِنْ فَتَاةٍ قَدْ أَبَا حُوا عِرْضَهَا مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ بِذَلِكَ حَفِيلًا
كَمْ أَخْرَجُوا مِنْ رَاتِعٍ فِي نِعْمَةٍ فَرَأَهُمْ شَرًّا عَلَيْهِ وَبَيْلًا
كَمْ مِنْ مَكَانٍ آمِنٍ مُسَوِّطٍ جَاءُوا فَأَخْلَوْا رُبْعَهُ الْمَاهُولًا
مِثْلُ حَلِّ جَيْشِ الظُّلْمِ فِي أَوْطَانِهِمْ مَا اسْتَنْشَقُوا فِيهَا صَبًا وَقَبُولًا^(١)

ومن أهم نتائج تأمله في الواقع موقفه من القومية العربية التي نشطت الدعوة إليها في عصره ، فقد أعجب بهذه الدعوة ؛ لأنه يراها المخلص للأمة من التمزق والشتات الذي تعيش فيه ، ولقد رأى الشاعر أن القومية هي الحل الأمثل لإعادة هيبة الأمة التي فقدت منذ القدم .

وعلى الرغم من موقف بعض العلماء من القومية العربية المتمثل في نقدها ونبذها ، وعدم جواز الدعوة إليها ، وعلى الرغم من تحفظات بعض المفكرين على

هذا الفكر ، وعلى مفهوم القومية العربية^(١) ، فإن احتفال حمد الحجي بهذه الدعوة يدل على قناعته بالحاجة الماسة إلى اجتماع الكلمة ، وعدم التفرق الذي عانى منه المجتمع العربي ، وعلى أساس معاناة المجتمع العربي تتضح معاناة الشاعر نتيجة التفرق كما سبق أن أبدى ذلك في شعره ليكون التفرق أهم أسباب تخلف الأمة العربية والإسلامية .

إن القومية العربية تمثل في نظر الشاعر اجتماع الكلمة واتحاد الصف ، ولأجل ذلك سيرمي كل أمر يهمله ويشغله ، لأنه سينشغل بما هو أهم ، وما هو أسمى ، إنها القومية العربية التي توحد بين العرب فيجتمع غرب الأمة بشرقها ، وهي التي ستغرس لنا المهابة بين الأمم ، وتعيدنا إلى تراث الأمة العظيم في نظره :

دَعْ مَا تَبَادَرَ مِنْ شَوْقٍ وَمِنْ وَلَهٍ وَأَضَعْدُ عَلَى قُنَّةٍ تَسْمُو عَلَى الْقَنْنِ^(٢)
 وَغَنَّ قَوْمِيَّةً لِلْعَرَبِ شَائِحَةً مِنْ مَغْرِبِ الشَّمْسِ حَتَّى الشَّامِ وَالْيَمَنِ
 قَوْمِيَّةً تَدْعُ الْأَجْيَالَ سَائِلَةً عَنِ الْفُتُوحِ الَّتِي تَزْهُو عَلَى الزَّمَنِ
 قَوْمِيَّةً سَمَقَتْ وَاشْتَدَّ سَاعِدُهَا رَغْمَ الطُّغَاةِ ، وَرَغْمَ الْحِقْدِ وَالْفِتَنِ

(١) انظر لجلاء رأي بعض المفكرين في القومية العربية كتاب فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام ، صالح بن عبد الله العبود ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض ، د. ط ، ١٩٨٢ م .
 وكتاب الإسلام والقومية الإسلام والأمية ، د. عبد الله سلوم السامرائي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

(٢) قُنَّةٌ كل شيء أعلاه ، وقيل : القنة : الجبل المنفرد المستطيل في السماء ، لسان العرب ج : ١١ ، ص ٣٢٧ .

كَأَنَّمَا النِّيلُ أَهْدَى مِنْ مَرَابِعِهِ إِلَى الْفُرَاتِ زُلَالًا لَيْسَ بِالذَّرَنِ^(١)
 أَوْ الْخَلِيْجِ غَدَا الدُّرُّ الثَّمِينُ بِهِ عِقْدًا لِكُلِّ الْحِسَانِ السُّمْرِ فِي وَطْنِي
 أَوْ أَنْ جَلَّقَ أَمْسَتْ وَهِيَ زَاخِفَةٌ تُرِيدُ تَقْيِيلَ تُغْرِ الْبَحْرِ فِي عَدَنِ^(٢)

ويتأمل الشاعر في بلده الذي يعيش على أرضه ، ويبرز تأثيره الشديد بما يحظى به من إنجازات تلحقه بركب الحضارة ، أو ما يصل إليه من تطور يخدم أبنائه ، ويتأثر لذلك إيجابياً فيبدع الشعر الجميل بما يعجبه فيه .

إن حبه لوطنه أبقاه شاديا مغردا بكل إنجاز يحققه وطنه ، أو كل تطور تصل إليه بلاده ، مما يدل على أن التأمل في الواقع الذي تعيش فيه بلاده من أهم المؤثرات التي أثرت في شعره .

وعلى الرغم من أن الشاعر يحس بأنه مهضوم الحق في وطنه ، وأن الناس فيها قد أضعوه ، وأنقلوا نفسه بالجراح التي لا يقوى على تحملها ، فإن ذلك الأمر لا يمنعه من أن يشدو لها ، بل سيظل مقاوما هذا الألم الذي يعيش فيه ، وسيغني لوطنه الذي أحبه حتى وإن عاش فيه متألماً ؛ لأن حب الوطن عاطفة متغلغلة إلى أعماق قلبه ، جارية في لحمه ودمه :

وَطَنَ الْحَبِّ أَنْتَ مَعْبَدُ نَجْوَا يَ وَإِنْ عِشْتُ مِنْكَ فِي تَجْرِيحِ^(٣)

(١) الدرر : الوسخ ، وقيل تلطخ الوسخ ، لسان العرب ، ج : ٤ ، ص ٣٣٩ .

(٢) عذاب السنين ، ص ١٠٩ / ١١٠ .

(٣) عذاب السنين ، ص ٧٥ .

إن الشاعر يحس بوحدة قاتلة ، وألم يسيطر عليه ؛ لأنه يرى نفسه غريبا بين مجتمع متكامل لا يُحس به ، ولا يُشعر بالآمه ، لكنه — مع ذلك — ينبذ هذا الإحساس ، ويعد وطنه الحبيب أن يبدع الأناشيد والأغاني الفصيحة لكل زاوية من زوايا وطنه ، أو ركن من أركانه ؛ لأن شوقه إليه لا تحده حدود ، ولا تقيده قيود :

وَهَوَى الْقَلْبِ وَاحْتِرَاقَ الْجُرُوحِ	وَطَنَ الْحَبِّ إِنَّ أَحْلَامَ عُمَرِي
عَاثِرَ الْحِطِّ مَيِّتًا فِي الضَّرِيحِ	هَآ أَنَا فِيكَ مِثْلَ طَيْرٍ غَرِيبٍ
بِالْأَنَاشِيدِ وَالغِنَاءِ الْفَصِيحِ	هَآ أَنَا فِيكَ شَاعِرٌ هَامٌ شَوْقًا
بَاقَةَ الْوَرْدِ فِي الْإِنَاءِ الْمَلِيحِ	سَوْفَ أَبْقَى حَتَّى وَإِنْ ضَيَّعُونِي
وَأُعْنِي هَآ بِقَلْبٍ جَرِيحٍ ^(١)	أَنْثُرُ الْعِطْرَ فِي رُبُوعِ بِلَادِي

ولقد أفصح شعر حمد الحجي عن تفاعل مع الواقع الذي يعيش فيه ، ولم يكن في بداية إبداعه منكفئا على ذاته ، بل أحس بما يتمتع به وطنه من أفراح تلحقه بركب الحضارة ، وتجعله متربعا على عروش العلم ، فكان الشاعر يبادر - بكل صدق - "إلى الإشادة بأمجاد وطنه ، بأسلوب المواطن الذي أذاب روحه في سبيل إخلاصه لبلاده وأمته"^(٢) .

(١) عذاب السنين ، ص ٧٥ .

(٢) الشاعر حمد الحجي ، ص ١٩ .

وتلك سمة تعم المجتمع العربي ، وعرف بها الإنسان العربي ، فقد أجريت بعض الدراسات على المجتمع العربي ، فاتضح أن من أهم سماته "الشعور العاطفي نحو وطنه ، وحبه ، والتفاني في خدمته ؛ فهو ينبري للذود عنه في أوقات الشدة ، ويحرص على رفعة وتقدمه وازدهاره ، ويتوحد وإياه ، ويسعد لسعادته ، ويشقى لشقائه"^(١).

وإذا كان الشاعر قد أكد أنه سيظل مغنيا لوطنه ، فإن شعره يُصدِّق ما يذهب إليه ؛ إذ ظل مغردا لوطنه في بعض المناسبات الجميلة ، تلك التي يبرز من خلالها وصول الوطن إلى التقدم ، واللاحق بركب الحضارة ، ليظل حبه لوطنه من أهم المحركات التي تحرك إبداعه ، وتؤثر فيه ، إنه يتأمل في الواقع الجميل الذي تعيشه بلاده الحبيبة وهي تفتح أولى الجامعات فيغرد مسرورا ، ويسمع الكون أنغامه الجميلة ، معبرا عن فرحة لا تضاهيها فرحة بافتتاح مؤنل العلم ، ومحط الثقافة :

فِي مَوْكِبِ الْبَعِثِ عَنْ الشَّعْرِ تَغْرِيدًا وَأَرْسَلَ اللَّحْنَ فِي دُنْيَاكَ تَرْدِيدًا
وَأَسْمَعِ الْكَوْنَ أَنْغَامًا مُرْتَلَّةً وَآمَنْحَ خَيَالِكَ أَفْقًا لَيْسَ مَحْدُودًا
فَقَدْ رَأَيْتُ بِأَرْضِ الْعُرْبِ جَامِعَةً قَدْ شَيْدُوهَا عَلَى الْإِيْمَانِ تَشِيدًا

(١) دراسات في الشخصية الإسلامية والعربية وأساليب تنميتها ، د . عبد الرحمن عيسوي ، دار النهضة

تَلَقَّنُ الْعِلْمَ ، تَبْعِي رَفَعَ مِشْعَلِهِ لَتَبَعَتْ الْفِكْرَ إِجْجَادًا وَتَجْوِيدًا
وَتَدْفَعُ الْجِيلَ مُنْسَاقًا بَعَزْمَتِهِ كَيْمًا يُسَايِرُ رَكْبَ الْعِلْمِ مَجْدُودًا^(١)

وما هذا الفرح إلا إحدى نتائج التأمل في الواقع ؛ لأن العلم هو الذي يرفع الشعوب ويقويها على الأمم ، وتجعل أمته من خير الأمم تقدما ورفعة ، ولأن وطنه أضحى يحمي العلم ويشيد صروحه ، لقد اجتمعت الفرحتان في قلب الشاعر : فرحة الاحتفاء بالعلم ، وفرحة رقي الوطن ؛ ويدل لذلك أنه لا زال يعيش في ذكرى القرون السابقة التي كان العلم فيها غائبا ، فيتذكر الشاعر حالة الأمة بدون العلم فيؤكد أنها بقيت على حالتها السابقة عندما تجاوزتها الأمم الأخرى :

مَضَتْ قُرُونٌ وَوَعْيُ الشَّرِّقِ مَضْطَرَبٌ يُقَلِّبُ الطَّرْفَ تَضْوِيًّا وَتَصْعِيدًا
يَقُولُ أَيْنَ أَوْلُو الْأَفْهَامِ هَلْ دَرَسُوا فِيمَنْ مَضَى أَمْ بِهِمْ مَا لَيْسَ مَعْهُودًا؟^(٢)

لقد عبر الشاعر عن فرحه بافتتاح جامعة الرياض (جامعة الملك سعود حالياً)؛ لأن العلم بدا يشع على بلده ، وهو الأمر الذي وافاه بأمل كبير أن تنهض المحتفية بالعلم من رقتها ؛ لأنه يجلب نهضة العالم ، ويورث الأمة مكانة سامقة كريمة :

(١) عذاب السنين ، ص ٦٥ .

(١) عذاب السنين ، ص ٦٥ .

مَا نَامَ قَوْمٌ وَشَادُوا صَرَخَ مَمْلَكَةٍ وَلَا تَوَانِي فَتَى قَدْ رَامَ تَسْوِيدًا
وَالْعِلْمُ يَخْلُقُ لِلْأَقْطَارِ نَهْضَتَهَا وَيُورِثُ الْفَرْدَ تَكْرِيماً وَتَحْلِيداً^(١)

وكما أبان الشاعر عن فرحة عارمة بافتتاح جامعة الرياض الكبرى ، فإنه عبر عن مثلها بافتتاح مطابع الرياض ، وما ذلك إلى لأنها إحدى مناهل العلم التي تسعى بالشعب إلى الرقي والتقدم ، وقد كان الشاعر آن إبداع هذه القصيدة في السادسة عشرة من عمره ؛ مما يدل على " نبوغ مبكر جدا ، كما تدل على وعي وإدراك لقضايا المجتمع ، وأحوال الحياة من حول الشاعر"^(٢).

تِلْكَ الطَّبَاعَةُ وَافَهَا يَا صَاحِبِي بِيَحْيَا نَفَاحَةَ مِعْطَارِ
حَيِّ الطَّبَاعَةِ فِي الْبِلَادِ فَإِنَّهَا رَمَزُ الْفِتَاءِ بِنَهْرِهَا السِّيَّارِ
وَاطْلَعْ عَلَيْهَا فِي الرِّيَاضِ لِكَيْ تَرَى عَجَباً مِنَ الْإِبْدَاعِ وَالْإِكْبَارِ
أَحْيَا الثَّقَافَةَ عِنْدَنَا مَا قَدَّمْتُ مِنْ خِدْمَةٍ لِلْعِلْمِ وَالْأَفْكَارِ^(٣)

بهذا يظل شعر حمد الحجي يعكس شخصيته ، ويبين عن أهم المؤثرات التي تؤثر في نفسه ؛ فقد أكد أن لديه ارتباطا بالشعر لا يمكن أن ينحل لأن ما يراه على واقعه يزيد من ارتباطه ، ويقوي العلاقة بينهما ، والشعر عنده وسيلة للتخلص من

(١) السابق ، ص ٦٦ .

(٢) الشاعر حمد الحجي ، ص ٢١ .

(٣) عذاب السنين ، ص ٨٥ .

كثير من الهموم التي تشغله ، وتحزن قلبه .

وإذا كان الشعر يخلصه من الهموم فإنه وسيلة أخرى للتعبير عن الأفراح ،
وواقع الشاعر متقلب بين السعيد من الأخبار ، والحزين منها ، وشعره يعبر أيضا
عن أفراحه كما يعبر عن أحزانه ، وهو بذلك صدى لحالته النفسية التي يعيشها .

مؤثرات نفسية أخرى

أولاً: الخوف من الموت :

يعيش الإنسان في هذه الحياة، وتمر تلك الحياة بمراحل العمر، ولكنه وهو يعيشها يعلم يقيناً أن الموت هو النهاية الحقيقية له، وأنه مهما طال عمره سيواجه هذا الأجل المحتوم، ولأجل هذا الإحساس تتفاوت استجابات الناس ومواقفهم من تصور هذا المصير، ويحدد موقف الإنسان منه طبيعته الخاصة، أو تكوينه الثقافي، أو بيئته الاجتماعية.

وربما جاء خوف الإنسان من الموت نتيجة الخوف من ما بعده، والخوف من الخفي، وغير المتوقع، إذ يرى البعض أن في الموت جوانب خفية ومجهولة وغير متوقعة تجعل الإنسان يخاف من الموت، كما أن الموت خبرة جديدة غير مسبوقة؛ من أجل ذلك يخاف كل إنسان من الموت تقريباً، ولكن درجات الخوف منه تختلف، والخوف منه بدرجة مرتفعة يعد أمراً غير سوي، لا بد من علاجه^(١).

ولاشك أن الموت حقيقة مفاجئة، ونهاية مخيفة لكل حي، إلا إن المؤمن

(١) انظر التحليل النفسي لحالة انتظار الموت، سمير عبده، دار الكتاب العربي، دمشق - القاهرة، الطبعة

المتمسك بدينه يعيش حياته راجيا ثواب ربه ، خائفا من عقابه ، موقنا أن الموت ليس هو النهاية ، وإنما يعقبه حياة برزخية جديدة ، يسعد فيها المسلم ، ويشقى بها الكافر ، ويعقبها النهاية الحقيقية لكل إنسان مكلف وهي الجنة أو النار .

وقد تعددت تعريفات علماء النفس لقلق الموت ، ولعلي أختار تعريف (هولتر) الذي يوصل إلى معرفة تأثيره على نفسية الإنسان القلق ، فهو يرى أنه "استجابة انفعالية ، تتضمن مشاعر ذاتية من عدم السرور والانشغال المعتمد على تأمل أو توقع أي مظهر من المظاهر العديدة المرتبطة بالموت"^(١).

ويكثر قلق الموت لدى شعراء الاتجاه الرومانسي ، ويجلب شعراًهم معنى أن الحياة قصيرة ، وقصرها الشديد لا يُمكنُ الإنسان من الاستمتاع بملذاتها ، ولا يكفيه لتحقيق السعادة التي يسعى إليها ، ويحلم بها في هذه الدنيا ، فتتأهبهم مشاعر محزنة تتجلى في الحيرة والتعجب والدهشة والقلق ، وربما أوصلهم ذلك - خطأ وطغيانا - إلى الاعتراض على الخلق والوجود ، وظلم الأقدار وترصدها للإنسان كما هو مشهور لدى أكثر شعراء هذا الاتجاه المتشائمين^(٢).

وتتجلى هذه الظاهرة غالباً عند الشخص الذي يظهر فيه الشعور بشخصيته؛ لأنه الأقدر على إدراك الموت ، وبناء على إدراكه للموت يُشكل تذكره له ، وتأمله به ، مشكلة كبرى ؛ "ولهذا أيضاً لا يمكن أن يكون الموت مشكلة

(١) التحليل النفسي لحالة انتظار الموت ، ص ٢١ .

(٢) انظر الرؤية الرومانسية للمصير الإنساني لدى الشاعر العربي الحديث ، ص ٨٥ .

بالنسبة إلى من يكون ضعيف الشعور بالشخصية ، والنتيجة لهذا هي أن البدائي والساذج نظرا إلى ضعف شعورهما بالشخصية ، لا يمكن أن يصير الموت بالنسبة إليهما مشكلة^(١).

وقد تناولت في مبحث (رؤيته للوجود) قلق الموت بإشارة عابرة بصفته أثرا من آثار التأمل في خلقه^(٢)، ولأن هذا الأثر ظاهرة مؤثرة في نفسية حمد الحجي وفي شعره سآبسط هذه الفكرة في هذا المبحث بسطا أوسع ؛ لكي يتوصل القارئ إلى حقيقة تفكره في مصيره من خلال شعره ، وكيف أدى هذا الإحساس المقلق إلى تشاؤمه ؛ لأن تأمله في مصيره كما سيتبين من أهم المؤثرات التي أثرت في شعره ، وظهرت نتائجها من خلال شواهد متعددة .

لقد كان حمد الحجي دائم التأمل في مصيره ، فجاء شعره مليئا بالخوف من هذا المصير المخيف ، إنه يعيش في حزن دائم ، وهم مقيم لا يكاد ينفك عن نفسه ، يتجرع مرارة الشقاء ، ويشرب من كأسه ؛ وما ذاك الحزن إلا لأن الموت يتردد في أذنيه فلا يدعه يهنأ بعيش ، ولا يطيب له سرور ، ولا يقر له جفن :

لَمْ يَدُمْ لِي سِوَى شِقْوَةٍ تَحْتَدِمُ
أَحْتَسِبِي كَأَسْوَأَهَا لَيْتَهَا لَمْ تَدُمْ

(١) الموت العبقريّة ، عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ودار القلم ، لبنان ، د.ط ، ١٩٤٥ م ، ص ٨.

(٢) انظر ص ١٥٨ من هذا البحث .

لَيْسَ فِي مَسْمَعِي غَيْرَ لَحْنِ الْعَادَمِ^(١)

وبما أن الموت يتردد كثيرا في مسمعه ، فتخيفه أشباحه ، ويؤثر في نفسه تذكره ، فإن في الدنيا ما يذكره بهذا المصير ؛ ومن الأشياء التي تذكره بمصيره موت الناس ، إنه يحزن حزنا شديدا إذا رأى شخصا ميتا ؛ مما يجعل هذا الحزن الشديد محل تساؤل ، فهو يفصح عن أمنيته ورغبته أن لا يمكث على الأرض ، بل هو في أمس الحاجة إلى المنطاد الذي يحمله في الجو محلقا في الفضاء الفسيح ، حتى لا يرى أحدا من الناس ، ولا يصيبه الأذى إذا رأى شخصا مقبورا :

مَنْ لِي بِمِنْطَادٍ يُجَنِّحُ بِي عَلَى هَذِي الْجَوَاءِ بِعَيْشِي الْمَقْرُورِ
لَا أَلْمَحُ الْإِنْسَانَ فِي أَرْجَائِهَا أَبَدًا وَلَا آسَى عَلَى مَقْبُورِ^(٢)

وإذا تأمل القارئ في كلمة (مقبور) يلحظ أنها جاءت مُنْكَرَةً ، وتنكيرها يحمل دلالة نفسية ؛ ذلك أنه لم يركز اهتمامه بها يتسم به المقبور ، كما هو معتاد عند الحزن على الميت وورثائه ، إنما أبانت هذه الكلمة ما تخفيه من معنى ، وعلى ذلك فإنه لا يحزن على فراق حبيب ، بل يأسى ويتألم لأن المقبور يذكره بمصيره الذي سوف يلقاه وهو الموت كما لقيه هذا المقبور .

ويقرب من هذه الدلالة تنكير كلمة (صبي) في أبياته التي عنون لها بعنوان

(١) عذاب السنين ، ص ١٥ .

(٢) عذاب السنين ، ص ٧٠ - ٧١ .

(دمعة على الصغير) ، لقد كان الموت مؤثرا على حمد الحجي لأنه صَلَّى على صبي مات ، فحزن الشاعر لهذا أشد الحزن ، وتألم لموته ، وليس في الأبيات ما يدل على أنه يعرفه ، أو تصله به رابطة ، بل كل ما فيها أنه فارق الحياة ، وانتقل إلى الجنة :

وَصَلَيْتُ الْعِشَاءَ عَلَى صَبِيٍّ قَدْ اخْتَارَ الْإِلَهَ لَهُ ارْتِيَا حَا
أَقُولُ لَهُ وَدَمْعِي فَوْقَ خَدِّي كَمِثْلِ السَّيْلِ فِي رُذْنِي سَا حَا^(١)
هَنِيئًا بِالرَّدَى وَأَفَى مَسَاءٍ فَإِنَّكَ دَاخِلٌ عَدْنَا صَبَا حَا^(٢)

إن خلف هذه الأبيات ، والبيتين السابقين تختفي مشكلة الموت النفسانية ، وهي تلك التي تستقر في أعماق نفسه ؛ ذلك أن موقفه بإزاء موت الآخرين يطرح علامات الاستفهام عن سبب الأسي الذي يعتمل في نفسه^(٣) ، مع أنه لم يذكر علة واحدة تدفعه إلى الحزن على هذا الميت كصفة حسنة فيه ، أو قرب من قلبه ، ولكن العلة نفسية خفية تبدو للمتأمل في تذكر ذلك المصير عندما يرى الآخرين يواجهونه .

ولكي يتأكد هذا التفسير يلحظ القارئ الفرق الواضح بين رثاء الشاعر لعبد الوهاب عزام وحزنه على الصبي والمقبور ؛ إذ إن عزام يمثل رمزا من رموز العلم ، وقد أحس بفقدانه ؛ لأنه صاحب علم ، نذر حياته له وللآداب ، ويمثل

(١) الرذن : هو أصل الكم ، وقيل هو الكم كله ، لسان العرب ، ج : ٥ ، ص ١٩٣ .

(٢) عذاب السنين ، ص ١٧ .

(٣) انظر الموت والعبقرية ، ص ٢٨ .

فكرا يدافع به عن الإسلام ، وعنده غيرة على دين الله ، ويمتلك الحكمة التي تجعل فقدانه مصيبة عامة حلت بالأمة^(١) ، وتلك الصفات التي افتقدها الشاعر هي التي أحزنته ؛ لأن علة بكائه عليه تلك الصفات التي يتحلّى بها الميت ، أما في حزنه على المقبور والصبي فإن العلة هي الموت ولا شيء آخر .

ويبقى مصير الموتى دائرا في خياله حتى بعد موتهم ؛ إذ يتخيل حالتهم التي تمتلئ ذعرا فتحيل الذعر والخوف إليه ؛ إنه يبهر على زورقه ، في ليل مظلم ، فينظر بعينيه الأمور التي تخيفه في هذه الدنيا ، ويصل إلى أذنيه أصوات الغرقى في لجج البحار ، فيحمل في قلبه أثقال الهم ، وتتوارد إلى نفسه سيول الغم ، وما أصوات الغرقى إلا مذكرةٌ للشاعر بمصير ينتظره ، إنه سيصل إلى ما وصلوا إليه ، وسينتهي إلى النتيجة التي انتهوا إليها :

حَمَلْتُ أَمْوَاغَهُ مِنْ قَاعِهِ زَعَقَاتُ الدُّعْرِ مِمَّنْ غَرَقَا^(٢)
 وإذا أفصح شعر حمد الحجي عما يذكره بمصيره ، فإن شعره كذلك يفصح عن موقفه من مصيره ومصير كل إنسان على هذه البسيطة ، لقد أبان شعر حمد الحجي عن كره لهذا الشبح المخيف ، عندما وجه خطابا صارخا لأولئك الذين انصرفوا عنه ، ولم يهتموا بما يعاني منه ، ذكرهم فيه بمصيرهم ، ونهايتهم التي ستكون إلى الثرى ، ثم أبان عن موقفه من هذا المكان ، ورأيه به عن طريق أداة ذم

(١) انظر عذاب السنين لقراءة قصيدة حمد الحجي في رثاء عبد الوهاب عزام بعنوان دمة رثاء ، ص ١٢٣ .

(٢) عذاب السنين ، ص ٣٩ .

تكشف عن نفسية مبعوضة له :

أَمْ تَعَامَوَا عَنِ الْحَقِيقَةِ حَتَّى جَهَلُوا أَنَّ عَوْدَهُمْ لِلتُّرَابِ
سَيَؤُوبُونَ لِلثَّرَى مِثْلَمَا قَدْ خُلِقُوا مِنْهُ : بِئْسَ ذَا مِنْ مَابٍ^(١)

وإذا تبين أن الشاعر يعاني عناء شديدا من قلق الموت ، وتهديده له ، فإن ذلك الإحساس خلف آثارا عكسها شعره ، وأبانت عنها بعض أبياته ، ومن أهم هذه الآثار المحزنة عدم الاستمتاع بكل ما يدعو إلى المتعة ، وعدم الاستفادة من الأمور الجميلة في الحياة ، فصنع قلق الموت نفسية متشائمة كارهة كل جميل بدعوى زواله ، وعدم استمراره ، إنه يرى الجميل وقد أخذ أحسن مناظره ، في صورة خلافة تدعو إلى الراحة والانشراح ، وتجلب السرور والمتعة ، وتطرد الهموم والأوصاب ، لكن حمد الحجي يرفض استغلال الفرصة ؛ لأنه عند الجمال يلوح في نفسه الحزينة المصير الأسود الذي سيواجهه ، وما هذا المصير إلا الموت ، فيكون قلق الموت حاجزاً له عن الاستمتاع بمنظر الجمال الأخاذ :

إِنْ نَظَرْتُ الْجَمَالَ غَضًّا طَرِيًّا يَتَجَلَّى فِي الْمَنَظَرِ الْخَلَابِ
لَاخِ لِي أَسْوَدُ الْمَصِيرِ كَمُسْوَدِّ دِ اللَّيَالِي مُكَشَّرِ الْأَنْيَابِ
فَرَأَيْتُ الْجَمَالَ يُطْوَى بِأَكْفَا نِ وَيَبْلَى مُمَزَّقَ الْأَسْلَابِ^(٢)

ومن الأمور التي تجلب السعادة ، وتدفع إلى السرور ، لقاء الأحباب ،

(١) السابق ، ص ٣٣ .

(٢) عذاب السنين ، ص ٣١ .

والتسلي بالجلوس معهم ، والاطمئنان لهم ، والأنس بهم ، ولكن حمد الحجي لا يأنس بزيارة الأحباب ، لأنه يتذكر مفارقتهم ، يقصد بها المفارقة الطويلة ، إنه فراق الموت :

وَإِذَا مَا الْحَيَاةُ قَلْبِي يَوْمًا فَرَحْتُهُ بِزُورَةِ الْأَحْبَابِ
أَيَقِنْتُ نَفْسِي الْفِرَاقَ طَوِيلًا وَرَأَيْتُ الْوِصَالَ مِثْلَ السَّرَابِ^(١)

إن الشاعر يعيش في صراع أليم بين قلبه ونفسه كما يبدو في هذين البيتين ، فقلبه يهتز فرحا بزيارة الأحباب ، ولكن نفسه الحزينة تمنعه من الفرح ؛ لأنها أيقنت بأن الفراق هو النتيجة ، ومنعته من الاستمتاع بلقاء الأحباب ، أو التسلي معهم .

لقد أثبتت بعض الدراسات النفسية أن "الخوف من مفارقة الأحباب والأهل والأسرة"^(٢) من أهم أسباب قلق الموت الذي يتتاب كثيرا من الذين يعانون من هذا القلق ؛ لأنه يحس بالأنس معهم ، والراحة لقربهم ، ويخشى بعد ذلك أن يفقد هذا الفرح ، فيقلب القلق الذي ينتابه أفراحه إلى أحزان .

ومما يلحق في خشية فراق الأحباب ، الخوف من انتهاء لذة الحب ، وزوال راحته بالهوى ؛ لأنه بعد موته سيفقد المرأة التي أحبها ، وأنس بها ، إنه يعيش في

(١) السابق ، ص ٣٣ .

(٢) قلق الموت ، د. أحمد محمد عبد الخالق ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ،

الكويت ، الكتاب : ١١١ ، رجب : ١٤٠٧ هـ ، ص ٢١٦ .

حياته آملاً أن يلقاها وأن يرتبط بها ، ولكن تهديد الموت له ، وشعوره بقربه منه جعله يتذكر هذا الحب ، ويأمل أن يعيش مع محبوبته بعد الموت :

أَنَا مَا حَيِّتُ فَإِنِّي لَكَ وَامْتُقُ فَإِذَا فَنَيْتُ هَوَايَ لِبَسِّ بَفَانِ
أَوَاهُ هَلْ بَعْدَ الْفَنَاءِ نَعِيشُ فِي دُنْيَاهَا تَتَعَنَّاتُ الرُّوحَانَ؟
فِي عَالَمٍ لَا يَعْرِفُ الْإِنْسَانُ هَلْ يَحْيَا بِهِ فِي طَبْعِهِ الْإِنْسَانِي
أَمْ يَسْتَحِيلُ إِلَى الطَّهَارَةِ وَالسَّنَا وَيَكُونُ مِثْلَ مَلَائِكِ الرَّحْمَنِ؟^(١)

ويتبين أن الشاعر لا يستمتع بكل ما يدعو إلى المتعة ، أو يظن أنه يدعو إلى المتعة ؛ حيث يرى السرور يرفُّ على محيا ندمائه في مجلس الشراب ، وأصبح القوم يشربون ، ويستمعون إلى ألحان المغني التي تأخذ من جماها الألباب ، فيظل وحيدا باكيا بسبب الألم ، حتى يظن الآخرون أنه بكاء السرور لا بكاء الحزن ، فيجتنب المجلس ؛ لأنه يسمع في أذنه صوت كف الموت وهي تعصف بالشراب والأكواب، ثم رأى ندماءه وقد صاروا حطاما ، فيعيش من هذا الخيال ألما وهما مقيما :

وَإِذَا مَا الْكَؤُوسُ صُفَّتْ أَمَامِي يَتَرَأْفُضْنَ مِنْ مُصَفِّي الشَّرَابِ
وَاحْتَسَاهَا قَوْمٌ وَغَنَّى الْمَغْنِي بِلِحُونٍ تُطَيِّحُ بِالْأَلْبَابِ
صِرْتُ وَحْدِي الْبَاكِي يُظَنُّ بِأَنَّ الدُّ دَمَعُ دَمْعِ السُّرُورِ لَا الْأَوْصَابِ

(١) عذاب السنين ، ص ١١٢ .

وَاجْتَنِبْتُ الطَّلَا وَلَمْ أَسْمَعْ اللَّحْ
 وَتَنَاهَى لِمَسْمَعِي صَوْتُ كَفٍّ
 وَحَتَّ آيَةَ السَّرُورِ وَأَبْقَتْ
 وَتَرَأَى لِي النَّدَامَى وَقَدْ صَا
 نَ وَلَمْ أُدْرِ عَنْ فُتُونِ الشَّبَابِ^(١)
 عَصَفْتُ بِالشَّرَابِ وَالْأَكْوَابِ
 حَزَنًا حَلَّ أَسْوَدَ الْجَلْبَابِ
 رُؤَا حُطَامًا فِي حُزْمَةِ الحَطَّابِ^(٢)

ومن آثار قلق الموت التي ظهرت في شعر حمد الحجي تثبيط العزيمة ، ودنو
 المهمة التي ترقى به إلى تحقيق أمانيه ، إنه يجيأ طامحاً ؛ يطلب العلا ، ويسعى إلى كل
 شيء يوصله إلى المجد ، ولكن لا يمكن أن يصل إلى ما يريد ، ولا أن يحقق أمانيه ؛
 لأن الردى يقف في طريقه ، ويمنعه من الوصول إلى أحلامه ، وسيختطفه كما
 اختطف غيره :

أَعَشِقُ الشَّمْسَ وَيَا وَيَحَ فَنَى
 سَوْفَ يَجِيءُ فِي صِرَاعٍ ، وَالْمُنَى
 فِي بِلَادِي لِلضُّحَى قَدْ عَشِقَا
 وَالرَّدى عَن دَرْبِهِ مَا أَفْتَرَقَا
 يَا لَعِينِي مِنْ تَصَادِيْفِ النَّوَى
 يَا لَرُوحِي مِنْ تَبَارِيحِ الشَّقَا^(٣)

وتفسر هذه الأبيات الصراع النفسي الذي يعيش فيه ؛ فقد سبق أن أشار إلى
 صراع بينه وبين نفسه عند زيارة الأحباب ، وها هو ذا يعيش صراعاً محزناً بين

(١) الطلا : الأصل الطلاء وقد قصرها الشاعر للضرورة ، والمقصود به الشراب ، لسان العرب ، ج : ٨ ،

ص ١٩٤ .

(٢) عذاب السنين ، ص ٣١ .

(٣) عذاب السنين ، ص ٤١ .

إرادته تحقيقَ أمانيه وتهديد الموت الواقف في طريقه مانعا من تحقيق هذه الأمانى ،
ليجعله يعيش على قلق متواصل بسبب تذكره ، إنه يعشق نور الشمس الذي
يضيء له الحقيقة ، ويبرز له الخير والجمال ، ولكنه إذا أراد ذلك فسيحيا في صراع
مع الردى .

إن الأبيات تنضح بالمعاناة ، معاناة تمزق الذات ؛ لأنه يرى أحلام حياته
يهددها العدم ، وحين يفكر في عدمه ، وانقضاء حياته يحزن ؛ لأنه سيفقد الحياة
قبل أن يرتوي منها ، وقبل أن يتلذذ بها فيها من جمال ، وسيتتهي عمره دون أن
يؤدي رسالته التي يحلم بأدائها في هذه الحياة^(١) .

وقد ذكر علماء النفس^(٢) بعضاً من أسباب قلق الموت ومن أهم تلك
الأسباب " أن الشخص يخاف من الموت ؛ لأنه ينهي فرصته في السعي نحو
الأهداف المهمة بالنسبة لتوقيره ذاته وتقديرها^(٣)" ، وهذا ما أبانته الأبيات السابقة
للشاعر .

لقد أبان الشاعر عن روح تحمل كل الصفات الرائعة ، فهي عالية الهمة ،
تواقة إلى المجد ، راغبة أشد الرغبة في أن تحس بمعنى الحياة ، تتوق إلى الكمال ،

(١) انظر الرؤية الرومانسية للمصير الإنساني لدى الشاعر العربي الحديث ، ص ٢٦٣ .

(٢) هما ديجوري وروثمان .

(٣) قلق الموت ، ص ٢١٤ .

وتسعى إلى طلب المعالي ، ولكنها مع تطلبها هذه المعاني السامية تسكن في جسد ضعيف مريض ، لا يستطيع أن يتحمل الأثقال التي وضعت عليه ، " ولا ينكر أحد ... أن مشاعر المرض ثقيلة وقاسية ، فهي تفجر في النفس طاقات هائلة من الألم والأسى والحزن والشجن"^(١) وتكون صراعا نفسيا رهيبا ، وقد أدى الإحساس بضعف النفس والجسد إلى تفشي ظاهرة قلق الموت عنده ، كما تفشت - بسبب هذا الإحساس - عند كثير من شعراء الرومانسية^(٢):

رُوحًا تَتَوَقُّ إِلَى الْكَمَالِ	يَارَبِّ أَنْتَ وَهَبْتَنِي
شَعَوَاءَ فِي طَلَبِ الْمَعَالِي	رُوحًا تَشُنُّ حُرُوبَهَا
فَمَا لَا يُقَاوِمُ فِي النَّزَالِ	وَوَهَبْتَنِي جِسْمًا ضَعِيماً
وَيُخَوِّرُ مِنْ أَدْتَى كَالَالِ ^(٣)	يَنْهَدُ مِنْ بَعْضِ الْعَنَا
لِ فَلا يُوقِفُ لِلنَّضَالِ	يَهْفُو إِلَى سَاحِ النَّضَا
صِرُّهُ إِلَى حَدِّ الْهُزَالِ ^(٤)	يَقْضِي عَلَيْهِ الْحُزْنَ يَعْ

ومن يطيل التأمل في هذه الأبيات يستكشف أثر ضعف الجسم على نفسيته، ويشف هذا الضعف عن إحساس حاد بالمرض ، ليخرج نفسية شديدة الحزن ،

(١) الرؤية الرومانسية للمصير الإنساني لدى الشاعر العربي الحديث ، ص ١٥١ .

(٢) انظر السابق ، ص ١٥٠ .

(٣) كل الرجل إذا تعب ، الكلال التعب ، لسان العرب ، ج : ١٢ ، ص ١٤٥ .

(٤) عذاب السنين ، ص ١١ .

وخلف هذا كله يختفي إحساس الشاعر الحاد بدنو منيته ، وقرب وفاته ، لقد تمنى الشاعر أن تنتزع الأجسام المكتملة من الرجال ضعفاء الهمة ، ويلبسها أهل التطلع والرغبة في العمل حتى تتحقق له الأماني :

إِنِّي تُنَزَعُ أَجْسَامُ الْمُنَى لَوْ حَقَّقْتُهَا لِي اللَّيَالِي
أَنْ يَنْزِعَ اللَّهُ أَكْتَئَالَ الْـ جِسْمٍ مِنْ بَعْضِ الرَّجَالِ
وَيَنْزِيلُهُ لِلْعَامِلِيْـ مَنْ ذَوِي التَّطَلُّعِ وَالْفِعَالِ^(١)

وإذا كان الردى يقف في وجهه ، ويمنعه بصلف من تحقيق مناه ، فإنه يعرف أن لا أحد يقف في طريقه ، ولا يمكن أن تمتد كف لترده ، ولذلك يقف ضعيفا عاجزا ، لا يحمل سلاحا ، ولا يقاوم بشيء ، وسيظل يكتب الشعر ليعبر عن ما يحس به فهو الوحيد الذي يساعده ، إذا لا يملك معيناً له إلا القلم :

مَنْ يَرُدُّ الرَّدَى مَنْ يُطِيقُ الْحَمَمَ
فَأَنَا لَيْسَ لِي غَيْرُهُ هَذَا الْقَلَمُ^(٢)

إن إحساس الشاعر بالعجز تجاه رد الموت يصيبه بتأثر عميق ، وهذا يكشف في شعره — كما أبانت الشواهد السابقة — أن الموت قوة خفية لا يعرف كنهها ، ولا يدرك حقيقتها ، إنما تجيء فجأة وتختار من تريد ، وهو عاجز عن كف هذه

(١) السابق ، ص ١١ .

(٢) عذاب السنين ، ص ١١ .

القوة ، فيصاب بالألم والضيق ، ويحزن لهذا الإحساس^(١).

وبتلك الشواهد يتضح مدى إحساس الشاعر بالألم نتيجة تذكره الموت ، أو إحساسه بدنو أجله ، لقد تعاون قلق الموت الذي أشغل عقل حمد الحجي ، واحتل مساحة من تفكيره ، تعاون مع المؤثرات النفسية الأخرى في جلب التشاؤم إليه ، وإرهاق نفسه بالآلام الشديدة والمتواصلة .

وقد اجتمعت على حمد الحجي مجموعة من العوامل التي سببت له قلق الموت ، بدأت برهافة حسه ، وسرعة تألمه مما يصيبه ، ثم ضعف في جسمه ، وضعف في قوته ، وإرهاق نفسي يعيش فيه ؛ يتمثل في الصراع النفسي بين طلب المعالي وخوف الموت ، ثم الصراع النفسي بين التلذذ بجمال الحياة ونعيمها وتهديد الموت بزوالها.

(١) انظر أفكار لأزمته الحرب والموت ، سيغموند فرويد ، ترجمة سمير كرم ، دار الطليعة للطباعة والنشر ،

بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٧م ، ص ٢٨ .

ثانيا : الحرمان العاطفي :

تبين في الفصل الأول من هذا البحث الحياة الاجتماعية التي يعيش فيها حمد الحجي ، كما تبين أثرها الشديد في نفسه ؛ فقد عاش الشاعر محروما من الحنان في طفولته ، ثم استمر فاقد الاستقرار الذي يسعى إليه الرجل ، ويتعب من أجل الوصول إليه ، حيث لم يعثر على الزوجة التي تعينه على أعباء هذه الحياة في شبابه ، وفقد المرأة التي يجد عندها ربيع الحب وروضته الناضرة .

والناظر في حياة حمد الحجي يلحظ افتقاره الشديد إلى الحب ، وذلك لعدم الطمأنينة النفسية التي يعيش فيها ، وعدم حصول الارتياح الذي يحقق له السعادة والاستقرار ، وطبعي أنه "كلما زاد الشعور بعدم الطمأنينة والأمن زادت الحاجة إلى الحب ... فالذين يحبون هم الذين يكونون في أمان وطمأنينة مستمرين"^(١) ، ولهذا يردد الشاعر آلامه في شعره ، وتظهر في مقدمتها الحرمان من الحب ، فهو ألم يلازمه ، وحسبه من الألم ذلك :

حَسْبِي جِرْمَانِي فَكَمْ هَدَّنِي وَاللَّيْلُ مَطْمُوسُ الصُّوَى حَسْبِي^(٢)

لقد فقد حمد الحجي الإنسان الحب والحنان بجميع أشكاله ، والإنسان بطبعه في حاجة ماسة إليه ، ولكن تركيزي في هذا المقام يتسلط على حاجة حمد

(١) قيمة الحب في التجربة الإنسانية من وجهة نظر فلسفية ، د. محمد محمد بالروين ، مطابع الشام ، دمشق .

الطبعة الأولى ، ١٩٨٨ م ، ص ٥٧ .

(٢) عذاب السنين ، ص ٤٨ . والصوى : مختلف الريح ، لسان العرب ج : ٧ ، ص ٤٤٨ .

الحجبي إلى المرأة الحبيبة ، إذ إن شعره كشف هذه الحاجة ، وعبر — بصدق — عن إحساسه نتيجة فقدانها ، وكان فقدانها للحب من أهم أسباب غربته الروحية كما تبين ذلك^(١).

حمد الحجبي شاعر مرهف الإحساس ، وتلك صفة عرف بها ، وما دام كذلك فإنه بحاجة إلى من يرعى تلك الأحاسيس التي يتميز بها ، لقد أبان شعره قيمة الحب ، ولا غرابة ؛ لأنَّ "الحب شعور موجود مع كل إنسان ، وهو فعلٌ قلبي غريزي"^(٢) ، ويؤكد أنه أسمى من كل شيء ، ومع ذلك فهو لم يكتشف سرّه ، إذ يقول :

كَمْ مَظْهَرٍ قَدْ شَفَّ عَنْ مَخْبِرٍ حَتَّى بَدَا كَالصُّبْحِ إِذْ يُسْفِرُ
إِلَّا الْهَوَى لَمْ أَدْرِ مَا سِرُّهُ مَا شَفَّ عَنْ مَخْبِرِهِ الْمَظْهَرُ
الْحُبُّ أَسْمَى مِنْ جَمِيعِ الَّذِي قَدْ صَوَّرُوهُ، مَا الَّذِي صَوَّرُوا؟^(٣)

وطبعي أن يكون مفتاح السعادة عند الشاعر هو الوصول إلى هذه الغاية ، والانتهاى عند روضة الحب الجميلة ؛ إذ يتعجب من سعادة الأحباب حينما يجتمع شملهم ، ويتعدون عن كل مبغض لهم ، وحاقد عليهم ، فيتسابقون إلى ميدان

(١) انظر ص ١٢٠ من هذا البحث .

(٢) الحب والفاجعة ، د. هاني يحيى نصري ، مؤسسة بحسون للنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الأولى ،

١٤١٩هـ / ١٩٩٩م ، ص ٨٢ .

(٣) عذاب السنين ، ص ٨١ .

الحب ، يشربون من رحيقه العذب الزلال ، إذ يقول في ذلك :

مَا أَسْعَدَ الْأَحْبَابَ يُجْمَعُ شَمْلُهُمْ فِي عَزْلَةٍ عَنِ كَاشِحٍ أَوْ شَانِيٍّ^(١)
يَتَسَابِقُونَ إِلَى الصَّبَابَةِ وَالْهَوَى كَالخَيْلِ قَدْرَكَضَتْ بِدُونِ عَنَانٍ
يَسْقُونَ مِنْ خَمْرِ الْهَوَى وَرَحِيقِهِ وَيُيَدِّدُونَ الْهَمَّ بِالنَّسِيَانِ^(٢)

ويلفت نظر القارئ في شعر حمد الحجي وعيه التام بوظيفة الحب ، فليست وظيفته "الإبقاء على النوع أو إشباع الغريزة ، أو تلبية الشهوة... بل إن هذه القضايا وما يتفرع منها تأتي في الدرجة الثانية من عمل الحب في داخل الذات الإنسانية وتأثيره"^(٣) ، ويؤكد شعر حمد الحجي على الوظيفة الحقيقية من خلال بيان حاجته الخاصة ، إنه بحاجة إلى المرأة التي تجعله يحس بالاطمئنان ، يريد قربها ، ولا يطيق فراقها ، فإذا كانت قريبة منه خفت عنه آلامه ، ورمت عنه همومه وأحزانه ؛ لأنها ستغمره بالحب والحنان ، وعند ذلك تزول الوحشة ، ويهرب الخوف الذي يطارده بعيدا عنه ، لقد أكد الشاعر على هذه الجوانب المهمة ، وعلى حاجته إليها حينما قال :

(١) الكاشح : العدو المبغض والذي يضمم العداوة لسان العرب ج: ١٢ / ص ٦٦ ، والشاني: أصلها الشاني

وخفت للضرورة ، والشاني هو المبغض ، لسان العرب ج : ٧ ، ص ٢٠٧ .

(٢) عذاب السنين ، ص ١١٣ .

(٣) فلسفة الحب عند العرب ، عبد اللطيف شرارة ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، د. ط ، د. ت ،

أَلَا يَأَلَيْتَ مَنْ أَهْوَى قَرِيبٌ يُخْفَفُ وَطْءَ آلَامِي وَحُزْنِي
وَيَعْمُرُنِي بِفَيْضِ النُّورِ مِنْهُ وَيُبَدِّلُنِي رُؤْيَ خَوْفِي بِأَمْنٍ
وَيَجْعَلُ وَحْشَتِي أُنْسًا وَبِرًّا وَيَتْرُكُنِي أَنَامُ بِمَلءِ جَفْنِي^(١)

وإذا تقرر أن حاجة حمد الحجبي إلى المرأة لم يكن إلا من أجل الجانب الروحي الذي يحقق له الاستقرار النفسي ، والاطمئنان العاطفي فإن ذلك لا يلغي حاجته الفطرية لتلبية الغريزة الجنسية التي تلح عليه ، وتظهر في كثير من مواطن شعره ، ويبدو ذلك من خلال رؤيته إلى المرأة التي أحبها في المنام فيقول في ذلك:

رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ لَيْلِي فَطَرَحْتَنِي الْغَرَامَا
وَفِي الصَّبَاحِ افْتَرَقْنَا وَشَبَّ قَلْبِي ضَرَامَا^(٢)

ويكشف شعر حمد الحجبي تلك الحاجة ؛ بحيث يمكن أن نقول : إنها تشكل ظاهرة مؤثرة في نفسيته ، وانقلب أثرها واضحا في شعره ، يبدو ذلك من خلال ذكر بعض الرموز الدالة على الحاجة الجنسية كما يقول في قصيدته ذكرى لبنان:

أَهْوَى الْحِسَانَ إِذَا مَشِينَ تَدَا فِعَا كَالْبَانِ غُصْنَا قَدْ عَلَاهُ صِبَاهُ
يَضْحَكُنْ أَوْ يَغْمِزُنْ مَنْ لَاقِينَهُ يَا وَيْحَ قَلْبِي مِنْ لِحَاظِ ظِبَاهُ

(١) عذاب السنين ، ص ٣٨ .

(٢) السابق ، ص ١١٥ .

إني لثمتُ حُدودهنَّ فلا تلمَّ قلبي إذا ما لَجَّ في شكواه^(١)
وما هو جدير بالتأمل ما في شعر حمد الحجي من دلائل تشير إلى أنه قد
عرف الحب ، وعاش تجربة جميلة لكنها لم تكتمل ، ولم يكتب لها النجاح ؛ ذلك أنه
في مواضع متعددة من شعره يلمح إلى أنه أحس بالحب وعرفه ، فرأى في طياته
السعادة ، بل إنه أجمل شيء في الوجود ، هاهو ذا يتفكر في جمال الكون ، يقلِّب
طرفه في أشكاله المختلفة ، وينظر للأفلاك في دورانها ، ويسمع تغريد البلابل
بألحانها الجميلة ، ويدرك حقيقة جماله ، إلا إن هذا الجمال اضمحل وزال عندما
عرف الحب ، وأدرك حقيقته ، إنه أجمل من هذا كله :

قَلْبْتُ طَرْفِي فِي الْوُجُودِ وَكُلِّ مَا
وَنَظَرْتُ لِلْأَفْلَاقِ فِي دَوْرَانِهَا
وَسَمِعْتُ تَغْرِيدَ الْبَلَابِلِ فِي الضُّحَى
وَرَأَيْتُ أَفْوَافَ الْجَمَالِ بِأَرْضِنَا
وَعَقَلْتُ هَذَا كُلَّهُ لَكِنَّهُ
حَتَّى عَرَفْتُ الْحُبَّ دَفَاقَ الضِّيَا
وَهُنَاكَ أَذْرَكَتُ الْجَمَالَ وَكُنْهَهُ
يَا مَيِّتَ الْوِجْدَانِ بَادِرِ لِلْهَوَى

تَحْوِيهِ دُنْيَانَا مِنْ الْأَلْوَانِ
تَجْرِي وَلَا تَضْنَى مِنَ الدَّوْرَانِ
فِي الدَّوْحِ تَشْدُو أَعْدَبَ الْأَلْحَانِ
وَسَمَانًا وَجَوَانِبِ الْأَكْوَانِ
فِي خَاطِرِي مُتَشَابِهٌ مُتَدَانِي
يَغْشَى الْفُؤَادَ بِفِيضِهِ النُّورَانِي
وَعَلِمْتُ قُدْرَةَ خَالِقِ الْإِنْسَانِ
فَالْحُبُّ يَحْيِي مَيِّتَ الْوِجْدَانِ^(٢)

(١) عذاب السنين ، ص ١٠٠ .

(٢) عذاب السنين ، ص ١١٣-١١٤ .

ويردد حمد الحجي في شعره كثيرا معرفته بالحب ، وتجربته الجميلة في أفيائه ، ولكنها تزيد من آلامه ؛ لأنه فقد أيام الحب الجميلة ، ولم تعد إلا ذكرى تؤرق قلبه ، وتتعب نفسه المرهفة ، وهكذا يتميز الحب الذي يلهم عباقرة الشعراء ، ويحرك مكنون مشاعرهم ، إذ غالبا ما يكون "شقيا تعيسا بائسا ، إنه الحب الذي لا يعرف النهايات السعيدة ؛ لأنه دوما حليف المآسي ، وقرين الموت والدمار والخراب"^(١) ، ولذلك يشير إلى قصة الحب التي عاش أحداثها ، ثم تغيرت الأمور ، وانقلبت الأحوال ، حتى عصفت بعقله ، وأثرت بقلبه ، يبدو ذلك في رده على الطفل الذي وقف أمامه يسأله حتى أصبح سؤاله غصة إذ يقول:

سُؤَالَكَ الطَّفْلُ غَدَاً غُصَّةٌ رَغَمَ انْسِيَابِ الْمُنْطِقِ الْعَذْبِ

ثم يشير الشاعر إلى آثار الحب على عقله ، عندما يلمح إلى القصة ، ويطلب الطفل بالتوقف عن الأسئلة ؛ لأنه لا يعرف هذه القصة ، ولو كان كبيرا وعرف الحب لأدرك ما يفعله بالعقل ، إذ يقول:

دَعْنِي وَلَا تَسْأَلْ فِي قِصَّةٍ تَجْهَلُهَا تَجْهَلُ مَا خَطْبِي
لَيْتَكَ يَا طِفْلِي كَبِيرٌ لِكِي تُذْرِكُ عَصْفَ الشُّوقِ بِاللُّبِّ

إن مما يسترعي الانتباه في شعر حمد الحجي هو الحب الذي ينشده لكي يصل إلى السعادة ، فما هو إلا الحب الذي يذنيه من زوجة تحس به ، وتسعى إلى أن

(١) في الحب والحب العذري ، د. صادق جلال العظم ، منشورات عيون المقالات ، الدار البيضاء ، الطبعة

تحفف من آلامه ؛ إذ إن المتأمل في شعره يحس بحاجته الشديدة إلى الزوجة ؛ وتبدو هذه الحاجة ظاهرة من خلال تكراره لها في مواضع متفرقة من شعره ، وترديدها بأشكال مختلفة ، فتارة يؤكد أن بعده عنها هو المتسبب في أحزانه ، وهو الدال على شقاوته وآلامه ، كما يقول :

أُمُّ لَأَنَّ الْحَيِّبَ قَدْ فَرَّ مِنِّي أُمُّ لَأَنِّي مِنْ جُمَّلَةِ الْعُزَابِ^(١)

وتارة يشكو إلى ربه انفراده ، وانزواءه وحيدا في الليل ، ويتمنى قرب زوجة حبيبة ، تجعله يهنا بنومه ، فتقر عينه برؤيتها ، وتطمئن نفسه بصحبتها ، لكنه لا يستطيع ذلك ؛ لأن الأمور بتدبير رب العالمين لا يستطيع أن يفعل شيئا لم يرده الله - جل وعلا - فلم يعد أمامه إلا الأحزان والآلام :

إِذَا سَجَى اللَّيْلُ تَلَقَّاهُ غَدَا شَبَحًا قُدَّتْ لَهُ مِنْ دِيَاحِي هَمَّهُ بُرْدُ
يَسْأَلُ النَّجْمَ هَلْ لِلصَّبْحِ مِنْ خَيْرٍ؟ وَهَلْ يَطُولُ بَلِيلِ الْعَاشِقِ الْأَمْدُ؟
يَظُلُّ يَطْلُبُ طَعْمَ النُّوْمِ فِي هَافٍ فَمَا يَقَرُّ وَلَا تَشْفَى لَهُ كَبِدُ
كَمْ وَدَّ لَوْ كَانَ مَقْرُونًا بِصَاحِبَةٍ وَهَلْ يَنَامُ قَرِيرَ الْعَيْنِ مُنْفَرِدُ؟
لَكِنَّهُ عَاجِزٌ عَنِ نَيْلِ مَأْرَبِهِ وَمَالَهُ فِي تَدَابِيرِ الْقَضَاءِ يَدُ^(٢)

(١) عذاب السنين ، ص ٣٣ .

(٢) عذاب السنين ، ص ٨٣ .

وهكذا تتبين حاجة حمد الحجي العاطفية ؛ لقد أسس في شعره - كما اتضح من الشواهد السابقة - حاجته وأمنيته ، وآثار تحقيق هذه الحاجة ، إنها السعادة التي لا شقاوة بعدها في الدنيا ، وبناء على معرفتنا لحاجته نتبين الأثر الذي يحدثه الحرمان من تحقيق هذه الحاجة ، فقد ابتعدت عنه المرأة الحبيبة التي يطمئن إليها ، وتهدأ نفسه بقربها ؛ ولهذا تألم وبكى كثيرا على فقدانها ، فالبعد قاتل له ، ولم يعد له إلا أحلام الظلام التي تدله على محبوبته ، وتسعده بقربها ، ولكنه عند انبلاج الصباح يلقي الموت ، فيصرخ باحثا عن حبيبته التي قضى الليل معها ، فوجد عندها السعادة والاطمئنان ، يقول :

آه هَلْ تَدْرِينَ أَنَّ النُّـ
بُعْدَ لَا يَكْفِي عَزَاءَ
وَفُؤَادِي مِنْ تَبَارِيـ
حِ الْهَوَى نَزْدِمَاءَ

مِنْ جُرُوجِي

كَمْ قَضِيْتُ اللَّيْلَ مَشْدُو
دَا إِلَى آهَاتِ صَدْرِكِ
ذَاهِلًا أَحْلَمُ بِالْوَضـ
لِ وَفِي سُهْدِي وَهَجْرِكِ

وَالنُّزُوحِ

غَيْرَ أَنِي فِي صَبَاحِي
أَشْهَدُ الْمَوْتَ الزَّوَامَا
صَارِحًا أَيْنَ حَبِيبِي؟
أَيْنَ مَنْ أَحْيَا الْغَرَامَا

مِنْ صَّرِيحِ؟

غَيْرَ أَنِي آمَلُّ أَنْ سَوْفَ أَحْيَا وَأَرَاكَ
فَإِذَا مِتُّ فَأَمَّا لِي تَنَاءَتْ مَا عَدَاكَ
وَتَرُوجِي^(١)

وهكذا يكشف شعر حمد الحجي الآثار النفسية التي يؤججها إحساسه بالحرمان ، وهو الأمر الذي يثير إحساسه بالغربة النفسية ، فربما كان تنافره مع مجتمعه من أسباب الحرمان العاطفي الذي يكتبه بناره^(٢) ؛ إذ يؤكد الشاعر سرّ اعتزاله عالم الناس بأنه من هوى الحبيبة التي يعيش على ذكرها ؛ لأنه إذا انزوى وحيدا فإنها يعالج ما به من هموم ، ويجلو ما يعتريه من أحزان ، فيقول مخاطبا محبوبته :

أَهْ لَوْ أَنَّكَ أَبْصَرُ بِمَدَى عُمُقِ جِرَاحِي
وَاعْتَزَلِي عَالَمَ النَّاسِ لَكِي يَجْلُونُ نَوَاجِي
مَا بُرُوجِي^(٣)

ويؤكد الشاعر على أن مبعث شكواه هو أنه محروم من حبيبته التي ينشد لقاءها ، وينبثق من هذا الحرمان ؛ ذلك لأنّ "الحرمان والألم ينشطان الموهبة الفنية؛

(١) عذاب السنين ، ص ١٨-١٩ .

(٢) انظر قيمة الحب في التجربة الإنسانية من وجهة نظر فلسفية ، ص ٦٠ .

(٣) عذاب السنين ، ص ١٨ .

فبواسطة الإبداع الفني يعوِّض الفنان نفسه عما حرمتها منه الحياة... والفن يحل لدى الفنان محل ما حرم منه في الواقع ، فالحرمان يذكي الخيال ، كما أن الارتواء يضعفه^(١)، وقد وعى الشاعر حقيقة ألمه ، فأكد مقسماً أنه الباعث على شكواه هو بعد الحبيب ، وذلك الذي يضرم النار في قلبه إذ يقول :

أَمْ لَأَنَّ الْحَبِيبَ قَدْبَاتَ لَا يَرُ عَى ذِمَاماً حُرْمَتِي وَائْتَمَانِي
فَعَدَا أَلْهَمٌ لَزِمَماً لِفُؤَادِي وَغَدَا الشَّوْقُ آخِذاً بِنَعَانِي
أَيُّ وَرَبِّي فَذَلِكَ مَبْعَثُ شَكْوَا يَ أَعَانِي مِنْ حَرِّهَا مَا أَعَانِي^(٢)

من هنا يتبين أن شعر حمد الحجي ينطلق متأثراً بإحساسه بالحب الصادق ، فيكون حبه مثيراً مهما لإبداعه ، إذ يؤكد أن حب حبيبته سيحفظ في قلبه ، ومن ثم يكتبه شعراً رقيقاً عذبا ، حتى يصل إلى قلوب العاشقين ، وعندما يصل إلى قلوبهم سيعلمون حقيقة الألم الذي عاش فيه الشاعر ، وحقيقة المعاناة التي يعانها جراء الحب ، وهو بهذا يؤكد أن للحب أثرا واضحا في شعره لأن له أثرا واضحا في نفسه:

سَأَحْفَظُ حُبَّكَ فِي مُهْجَتِي وَأُودِعُهُ صَفْحَاتِ الْكُتُبِ

(١) علم النفس والأدب ، ص ٢٢٩ .

(٢) عذاب السنين ، ص ١١٧ .

لِيَقْرَأَهُ بَعْدَنَا الْمُغْرَمُونَ فَيَذُرُونَ مَاذَا يُلَاقِي الْمُحِبَّ^(١)

وبهذا يتضح الأثر الذي تركه الحرمان العاطفي في نفسه ، بدأ بإحساسه بقيمة الحب ، وحاجته الماسة إليه ، ثم تبين أن الشاعر يعي وعيا تاما وظيفة الحب ، كما عرّف شعره بالحببية التي يرجو لقاءها ، ثم أبان شعره عن أثر الحرمان من الحب في نفسه وفي عقله ، ليكشف الحرمان العاطفي عن نفسية مليئة بالألم ، محملة بالشجن .

(١) عذاب السنين ، ص ١٣ .

الفصل الثالث

الدراسة الفنية

المبحث الأول : البناء

المبحث الثاني : اللغة

المبحث الثالث : الصورة الفنية

المبحث الرابع : الأوزان والقوافي

البناء

العنوان :

للعنوان أهمية كبرى في فهم القصيدة ؛ إنه البوابة الأولى للدخول إلى عالمها ، كما أنه الإشارة التي قد تبعث إلى قراءة القصيدة ، أو إلى تركها وعدم الاحتفال بها، وربما حمل العنوان دلالات النفس الشاعرة ، وأفضى إلى كشف صراعها ، وحقيقة ما تحمله من شتى أنواع العواطف المتباينة .

ويعد عنوان القصيدة الحديثة من أهم عناصر البناء فيها ، ولبنة أولى من لبناتها ، ومن غير المستساغ خروج القصيدة بلا عنوان^(١)، كما أن " الحرص على وضع العنوان يدل دلالة أكيدة على أن الشاعر يعي أن تجربته تدور حول قضية ما؛ لذلك يبرزها في العنوان بشكل مباشر أو رمزي^(٢) كما سيتبين - إن شاء الله - عند دراسة أنواع العنوان في شعر حمد الحجي .

ويؤكد الباحثون على أهمية العنوان في القصيدة ، ودوره الفاعل في إضاءة

(١) انظر العنوان في الأدب العربي لنشأة والتطور ، د. محمد عويس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨ ، ص ٢٨٢ .

(٢) جماليات القصيدة المعاصرة ، د. طه وادي ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٩ م ، ص ٢٧٢ .

النص ؛ من خلال معرفة وقت كتابته " فالعنوان في القصيدة - أية قصيدة - هو آخر ما يكتب منها ، والقصيدة لا تولد من عنوانها ، وإنما العنوان هو الذي يتولد منها ، وما من شاعر حق إلا ويكون العنوان عنده آخر الحركات^(١) ؛ ولذلك فإن الشاعر يكون عالماً بكل تفاصيل تجربته فيضع العنوان الذي يتناسب معها .

وقبل أن أدلف إلى دراسة عنوان القصيدة في شعر حمد الحجي لا بد من الإشارة إلى واضح العنوان في قصائده ؛ فقد طرحت هذا التساؤل على الأستاذ محمد الشدي - جامع ديوانه - فأكد أن حمد الحجي قد وضع أكثر عناوين قصائده بنفسه ، وأما بعض القصائد - وهي قليلة - فقد وضع عنوانها الأستاذ محمد الشدي ، بناء على النظر في أبيات القصيدة ، أو المعنى العام لها^(٢) .

وقد وجدت ذلك في قصيدة له بعنوان (توسل) هكذا هو عنوانها في الديوان^(٣) ، واطلعت على هذه القصيدة منشورة بعنوان (إذا غفا الكون)^(٤) ، مع تغيير في بعض أبياتها ؛ مما يدل على أن بعض قصائد الشاعر حصل في أبياتها بعض

(١) الخطيئة والتكفير (مدخل من البنيوية إلى التشرحية) قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر ، د. عبدالله بن

محمد الغدامي ، النادي الأدبي الثقافي ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، ص ٢٦١ .

(٢) من المقابلة التي أجريتها مع الأستاذ محمد الشدي في مكتبته في جمعية الثقافة والفنون بتاريخ

١٤٢٥/٣/٢٦ هـ .

(٣) انظر عذاب السنين ، ص ٨٣ .

(٤) انظر مجلة الرائد ، السنة الأولى ، العدد السابع ، جمادى الآخرة ، ١٣٧٩ هـ ، ص ٦ .

التغيير ، أو اختيار لها عنوان غير العنوان الذي وضعه الشاعر ؛ وربما كان ذلك لاختلاف المصدر ، أو لأن الصحيفة تتصرف بالتغيير والتعديل كما هو الشأن في بعض الأحوال .

وما دام قد تأكد أن في ديوان حمد الحجي عناوين لم يخترها ، فإنه من اللازم تحري الدقة ، وتوجيه النظر إلى القصائد التي يتأكد أن الشاعر قد كتبها بنفسه ، إما عن طريق قراءة العنوان الواحد في مصدرين ، أو أن تكون القصيدة منشورة قبل ذلك في إحدى الصحف بعنوانها الموجود في الديوان .

لقد أسهمت المراحل التي مرت بها حياة حمد الحجي إسهاما مهما في اختيار عنوانه ؛ ذلك أن المتأمل يلحظ تباينا في عملية اختيار العنوان ، فلا تسير قصائده على نمط واحد ، كما أن نفسيته تتجه تصاعديا باتجاه التأزم ، ويسير هذا الخط في مضامين قصائده ، وفي شكلها الفني ، وفي اختيار عناوينها .

وليس لي بحق أن أبالغ في الحكم وأقول : إن الذي يتحكم باختيار العنوان هي حالته النفسية فحسب ، بل إن لظروفه الثقافية ، وطبيعة القصيدة - بالإضافة إلى العامل النفسي - أثرا مهما في توجيه الشاعر إلى اختيار العنوان ، يضاف إلى ذلك أن الشاعر لم ينتق ديوانه ، ولم يختار من القصائد ما يريد نشره منها^(١) ، بل جُمع كل ما قاله من الشعر في مراحل عمره المختلفة ، ولعل كل هذه الأمور تقف مع

(١) انظر عذاب السنين ، مقدمة الديوان ، بقلم محمد بن أحمد الشدي ، ص ٦ .

الشاعر عند التعرض للجانب الفني المتقلب ، ومن ذلك اختيار العنوان .
وتثبت عناوين القصائد ما أذهب إليه ، حيث يلحظ المتأمل في عناوين
قصائده الأولى أنها جاءت بإشارة إلى محتوى القصيدة ، أو باختيار كلمة أو عبارة
من عباراتها ، وذلك يكشف بساطة التفكير ، وعدم بذل الجهد المطلوب من أجل
اختيار العنوان الذي يتصف بالصفات الإبداعية .

ومن عناوين التي لا تتسم بالإبداع ، ويظهر فيها جانب السطحية ، وعدم
بذل الجهد في اختيار العنوان قصيدة (تحية الطباعة)^(١) ويشير فيه إلى فرحة عارمة
بمناسبة افتتاح مطابع الرياض ، و(صدى يوم الجزائر)^(٢) ، وفيه دعوة إلى التبرع
لأهل الجزائر بالأموال ، و(الحسن في الطائف)^(٣) لأنها أول عبارة في القصيدة ،
و(جامعة الرياض الكبرى) لأنه يشير إلى مضمون القصيدة التي قيلت بمناسبة
افتتاحها .

وتلك نماذج للعناوين السطحية المباشرة ، يختفي فيها الإبداع ، فهي لا
تعدو كونها إيماءات توضيحية لمضمون القصيدة ، وهي — بهذه الحالة — بعيدة عن
روح الشعر ؛ لأنها تفتقد " الإثارة ، وتهدر جمال الصياغة التي يطلبها القارئ

(١) افتتحت المطابع عام ١٣٧٤ هـ .

(٢) وكان يوم الجزائر هو ١٥ / ٨ / ١٣٧٧ هـ ، انظر جريدة المدينة المنورة ، العدد ٧٢١ ، الأحد

١٣ / ٧ / ١٣٧٧ هـ ، الصفحة الأولى .

(٣) وقد أبدعها عام ١٣٧٦ هـ ، انظر الشاعر حمد الحجي ، ص ٧١ ، هامش الصفحة .

والمستمع^(١)؛ وقد يفسر ذلك ببساطته في التفكير، وضعف محصوله الثقافي؛ لأنه مازال صغيراً في السن، كما أن نفسيته متزنة نوعاً ما قبل أن تتجه إلى التأزم، وتتكالب عليه الهموم.

وإذا تأمل القارئ في بعض قصائد حمد الحجي المتأخرة فإنه يلاحظ اختلاف طريقتيه في اختيار العنوان؛ إذ يلاحظ الإبداع في اختيار العنوان، ويحمل جمال الصياغة في المضمون والبناء، ويسري هذا الحكم غالباً في القصائد التأملية التي يسيطر عليها التشاؤم، وتعصف بها روح الأحزان والعذاب، ويتبين للناظر إليها من الوهلة الأولى الدقة في اختيار العنوان، والإيجاء بحالة القصيدة التي توحى بحالته النفسية.

يظهر في عناوين قصائد حمد الحجي العنوان التأملي ذلك الذي "يكون صدى لنفس قلقة أو حزينة"^(٢)، ويشف هذا العنوان عن حالة نفسية شديدة التأثير، ويستدرج المتلقي لقراءة القصيدة؛ لما يحمله من استثارة لكوامن نفسه، ويلاحظ ذلك في عدد من عناوينه، وبخاصة المتأخر منها ومن أمثلتها: (خلف

(١) العنوان في الشعر السعودي بداياته وتياراته الإبداعية، د. عبد الله الرشيد، مجلة عالم الكتب، المجلد الخامس والعشرون، العددان الثالث والرابع، ذو القعدة ذو الحجة / ١٤٢٤ هـ. محرم صفر / ١٤٢٥ هـ. ص ٢٧٩.

(٢) العنوان في الشعر السعودي بداياته وتياراته الإبداعية، ص ٢٨٢.

المنظار الأسود^(١)، (اليأس المريح)^(٢)، (إلى باعث الشكوى)^(٣)، (آهات وأشواق)^(٤).

وفي اتجاه أكثر إبداعاً يلحظ المتأمل في عناوين الشاعر العنوان الرمز ، ويشير هذا العنوان إلى شيء تتضمنه القصيدة ، وتكشف القصيدة أسرارها ، ويحمل شعر حمد الحجي - في غالبه - الذاتية المتشائمة ، ولذلك تكثر الرموز التي تعود إليه حاملة معنى التشاؤم والحزن ، إذ يقصد في بعض عناوينه نفسه أو قلبه ، وقد ظهر هذا في عناوين ، ومنها : (الدوحة الشاعرة المحتضرة)^(٥) ، و(الزورق التائه)^(٦).

ويتأمل القارئ في قصيدة حمد الحجي (الدوحة الشاعرة المحتضرة) فيلاحظ منظرين متقابلين ؛ منظر دوحة جميلة غناء ، يتيه فوقها الشاعر فرحاً منتشياً ، ويصف الشاعر هذه الدوحة وأحاسيسه وهو يتفياً ظلها ، ثم انقلاب هذه الدوحة ، وتحولها إلى منظر يجلب إلى قلبه الهموم ، ويوقد فيه شرارة الموت والارتحال .

(١) عذاب السنين ، ص ٣١ .

(٢) السابق ، ص ٤٣ .

(٣) السابق ، ص ٩٥ .

(٤) السابق ، ص ١١٩ .

(٥) عذاب السنين ، ص ١٤ .

(٦) السابق ، ص ٣٩ .

وما هذه الدوحة الغناء قديما ، والبائدة حديثا إلا الشاعر نفسه ؛ حيث يقارن بين حالته القديمة الجميلة ، وتحولها إلى منظر بائس مريع ، إن عنوان القصيدة جامعٌ تفاصيل هذه الدوحة فهي شاعرة ولكنها تحتضر ، والذي يجعل الشاعر مدركا تفاصيل قصيدته في هذه العبارة القصيرة هو كون العنوان آخر ما كتب ، وأول ما يقرأه المتلقي ؛ وكأنه نقطة الافتراق بين المبدع والنص ، ونقطة الالتقاء بين المتلقي والنص^(١).

ومن أنواع العناوين التي ظهرت في شعر حمد الحجي هو العنوان الصورة ، وهو الأقرب إلى لغة الشعر وطبيعته^(٢) ، ولكن التأمل لا يلحظ الصورة الخيالية المبدعة الجديدة ، ولكن الذي يسيطر على هذا النوع من عناوين حمد الحجي هي الصورة البسيطة التقليدية ، وجمال الصورة في العنوان يظهر في رسم تلك اللوحة الجميلة في البداية ؛ لكي يبدأ معه المتلقي بشوق ولهفة إلى القراءة ، ولكن الملحوظ هو أن العنوان الرمز أجمل عند حمد الحجي من العنوان الصورة ؛ لأن الصورة في هذا النوع تكون بسيطة تقليدية مثل (ليل الاستعمار)^(٣) ، و(شقيق الغزال)^(٤) ،

(١) انظر الخطية والتكفير ، ص ٢٦٣ .

(٢) انظر العنوان في الشعر السعودي بداياته وتياراته الإبداعية ، ص ٢٨٤ .

(٣) عذاب السنين ، ص ١٢٧ .

(٤) السابق ، ص ١٢١ .

و(ترنيمة قلب)“.

وبهذا يتضح أن حمد الحجي قد اعتنى بعناوين قصائده الأخيرة ، ولم تظهر تلك العناية في قصائده الأولى ، بل كانت بسيطة يأخذها إما من محتوى القصيدة ، أو أن تكون أول عبارة من عبارات القصيدة.

المطلع:

لقد عني الشعراء بمطالع القصائد ، و صرفوا همهم إلى الإبداع فيه ، وبلغوا في إبداع المطلع شأوا عظيما ؛ وذلك لما له من أهمية بالغة ، ولأنهم أدركوا الأثر الذي يحدثه المطلع في نفس المتلقي ، كما أدركوا قدرة المطلع على دفع السامع إلى التنبُّه والإصغاء إذا كان المطلع مؤثرا مشوقا ، وهو بعكس ذلك يدفع السامع إلى الانصراف عن القصيدة إذا كان رديئا^(١).

ونتيجة لأهمية المطلع اعتنى النقاد القدماء والمحدثون بدراسة مطالع القصائد، والحكم عليها من خلال تبين المقبول منها والمردود ، واستعراض الأسباب التي تجعل في المطلع شرطا مهما لقبول الإبداع ، وبينوا نماذج كثيرة للمطالع الجيدة ، والمطالع الرديئة^(٢).

والمأمل في أسباب هذه العناية الخاصة بالمطالع من لدن الشعراء والنقاد يلحظ أن التركيز على الجانب النفسي بارز ، سواء كان ذلك التركيز منصبا على المبدع أو ما يحدثه المطلع في نفس السامع ؛ إذ "يفسر البلاغيون ضرورة العناية بجودة الاستهلال ، بأن الانطباع الأولي للنفس يكون أقوى وأكثر فاعلية من غيره ، ولأنه من ثم سيسحب آثاره على ما يليه ، فإن كان حسنا انجذبت النفس

(١) انظر أسس النقد الأدبي عند العرب، د. أحمد أحمد بدوي ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ،

القاهرة ، د. ط ، ١٩٩٦ م ، ص ٢٩٧ .

(٢) انظر السابق ، ص ٢٩٧ .

إلى النص الذي ينقل التجربة ، وتفاعلت معه^(١).

ذلك تفسير نفسي لكيفية تلقي القارئ لمطلع القصيدة ، ولكن هناك اتجاهها آخر يؤكد بالإضافة إلى ذلك دلالة المطلع على نفسية المبدع حيث اتجهوا "إلى أن المطلع أو بمعنى أدق المقدمة كلها بما فيها المطلع هي تعبير عن وجدان الشاعر ونفسيته ، وموقفه إزاء الكون والحياة"^(٢).

وقد أولى الشاعر حمد الحجي عناية خاصة بمطالع قصائده ، إذ يلحظ المتأمل فيها حرصه على تكثيف الفكرة في مطلع القصيدة ، وكأن التجربة قد تجمعت في نفسه فانفجرت في مطلع القصيدة ؛ وذلك لكي تؤدي الغرض الذي أبدع القصيدة من أجله ، ومن ذلك يتبين عنايته بخلاصة الموقف الشعوري ؛ لأنه من أبرز العوامل في نهوض بناء القصيدة ، وذلك البيت هو الذي يسمى بيت القصيد^(٣) ، وقد ظهر ذلك البيت في مطالع قصائد حمد الحجي كثيرا .

وإذا أردنا أن نمثل لذلك فإن الأمثلة كثيرة ، ولكن من أهمها تلك القصائد

(١) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، د. مجيد عبد الحميد ناجي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، ص ٩١ .

(٢) مطلع القصيدة العربية ودلالاته النفسية ، د. عبد الحلیم حفي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، د. ط ، ١٩٨٧م ، ص ٤٩ .

(٣) انظر حركة النقد الحديث والمعاصر في الشعر العربي ، د. إبراهيم الحايي ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ص ٢١٠ .

التي تستهل بأسلوب إنشائي ؛ وبخاصة إذا كان الإنشاء آتياً عن طريق الاستفهام، ويمكن أن يقال عن ذلك بأن الاستفهام بمثابة التجربة التي حركت إبداعه ، والقصيدة التي يبدعها ما هي إلا محاولة للإجابة على هذا التساؤل المنبعث من أعماق نفسه.

إن استهلال القصيدة باستفهام يدل على حيرة شديدة تكتنف عقل الشاعر ، وأن هذه الحيرة هي التي حركت الإبداع في نفسه ؛ وهو لأجل ذلك يبحث عن إجابة شافية تريح عقله من تسلط الحيرة ، وتخلصه من هذا التساؤل المقلق الذي يعبت بعقله ، ويهدد استقرار نفسه ، وذلك يدعم القول الذي يؤكد على قدرة الشعر على الكشف عن مكنون النفس وخباياها ، وعلى أن الإبداع وسيلة ناجحة من وسائل العلاج^(١).

ومن القصائد التي استهلها حمد الحجي بالاستفهام قصيدته (في زمرة السعداء) ، إذ يتساءل في البداية عن السبب الذي يجعله يعيش في هذا العذاب المتواصل ليلاً ونهاراً ، بينما يعيش غيره من أقرانه في سرور الحياة ونعيمها ، وكفى بهذا التساؤل ألماً ، ولذلك فهو بحاجة إلى الإجابة عليه فكانت القصيدة كلها إجابة على هذا التساؤل حيث يقول في المطلع :

(١) انظر العلاج بالشعر ، فاروق شوشة ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٥م ،

أَبْقَى عَلَى مَرِّ الْجَدِيدَيْنِ فِي جَوَى وَيَسْعُدُ أَقْوَامٌ وَهُمْ نُظْرَائِي^(١)
 إن هذا المطلع يحوي الجمال ، وسر جماله إثارة دهشة المتلقي للبحث في
 أسرار هذا الحزن ، وتشويقه للإجابة عليه ؛ لأن الشاعر في النهاية استطاع أن
 يصل إلى إجابة سديدة عبرت عنها نفسه ، كما أن جماله يظهر في ملاءمة المطلع
 لمضمون القصيدة^(٢) ؛ فإن القارئ عندما يتبع القصيدة يلحظ أنها تدور في فلك
 الإجابة عن هذا التساؤل ، لا يجيد عنه ولا يخرج ، وبهذا يكون الشاعر قد كثف
 فكرته في المطلع ، وأدرك السامع معاناته من البيت الأول فواصل معه حتى
 ختمها بقوله :

أَلَا إِنَّمَا بَشُرُ الْحَيَاةِ تَفْـَـاؤُلٌ تَفَاءَلُ تَعِشُ فِي زُمْرَةِ السُّعْدَاءِ^(٣)

ولأجل ذلك تقوم متابعة معاني القصيدة بأثر فاعل ومهم في إضاءة نفسية
 الشاعر أثناء إبداع المطلع ، وتفسر ما أراده المبدع من إشارات نفسية قد تكون
 غامضة إذا فصلت عن مضمون القصيدة^(٤) ؛ إذ من الممكن أن يوجد فيها ما يزيد
 الاطمئنان إلى دلالة المطلع على نفسية حمد الحجي كما تبين من قصيدته (في زمرة
 السعداء).

(١) عذاب السنين ، ص ٣٥ .

(٢) أسس النقد الأدبي عند العرب ، ص ٢٩٧ .

(٣) عذاب السنين ، ص ٣٦ .

(٤) انظر مطلع القصيدة العربية ودلالته النفسية ، ص ٦٩ .

ويكثر الاستفهام لدى الشاعر في استهلال قصائده ؛ مما يدعم فكرة أن المثير لإبداعه هو مصارعة الحيرة ، واكتواؤه بناورها ، ولتكون أسئلته دالة على غموض يحس به ، ومصورة هذا الجانب الواضح في نفسه ، ومن أمثلة الاستفهام في شعر حمد الحجي قوله في مطلع قصيدته التي عنون لها بـ (الدوحة الشاعرة المحتضرة) :

ما للجعْفَافِ أَحَالِنِي حَطْبًا وَأَتَى عَلَيَّ وَرَقِي وَأَغْصَانِي؟^(١)

وقوله في قصيدة عنوانها (آمال وآلام):

أُغْرِقُ آلَمِي بِكَأْسٍ مَلَلْتُهَا أَمْ الصَّبْرُ أَجْدَى الْيَوْمِ مِمَّا أُحَاوِلُ؟^(٢)

وقوله في قصيدة عنوانها (أحاسيس الغرام):

ما لقلبي يلجُّ في الحَفَقَانِ؟ ولروحِي تَدُوبُ فِي هَيَّانِ؟
ولعقلي يدورُ إن سَمِعَ اللَّحْدَ — نَن تَعَالَى مِنْ مُزْهَرٍ رَنَانِ؟^(٣)

ومن الأساليب الإنشائية التي يفتتح بها حمد الحجي قصائده أسلوب النداء ، ويكثر هذا الأسلوب في استهلال قصائده ، فقد جاء النداء في مطالع قصائده ثمان عشرة مرة ؛ مما يدل على أنه يشكل نسبة تبعث إلى البحث عن سر استخدام هذا الأسلوب في مطلع القصيدة .

وإذا تأمل القارئ في المنادى الذي تفتتح فيه قصائد حمد الحجي يلحظ أن

(١) عذاب السنين ، ص ١٤ .

(٢) السابق ، ص ٥٠ .

(٣) عذاب السنين ، ص ١١٧ ، والمزهر هو العود الذي يضرب به . لسان العرب ، ج : ٦ ، ص ٩٩ .

النسبة الكبرى منها لغير العاقل ، فهو ينادي على سبيل التشخيص ، وذلك يدل على أن الشاعر يلوذ بغير العاقل ويجعله يشاركه همومه ، ويبدأ القصيدة مع ذلك الذي لا يعقل ولا يستطيع جوابا ، ولكن الشاعر يجده ملاذا يشكو إليه عندما انعدم الملاذله في هذه الدنيا .

وإذا كانت هذه الفكرة أوضح في الصورة إلا إن الاستهلال بهذه الصورة يستدعي تساؤلات تجعل الإجابة عليها تنصرف إلى الوحدة التي يعاني منها، فيلجأ إلى التخلص منها بمناجاة ما لا يعقل ؛ فالشاعر يناجي وطنه ، وبيروت ، والدهر ، والليالي ، والعيد ، والبدر ، والكوكب ... وغيرها، إذا يقول في مطلع قصيدة (الكوكب والذكريات) :

تَلَفَعْتَ يَا كوكبي بالسَّحَابِ وَلَفَعْتَنِي بِضبابِ الشُّجُونِ^(١)

ويقول في مطلع قصيدة عنوانها (مناجاة غريب):

وطني الحَبِّ أَنْتَ مَعْبَدُ نجوا يَّ وَإِنْ عَشْتُ مِنْكَ فِي تجريحِ^(٢)

ويقول في مطلع قصيدة بعنوان (يا بدر):

يَا بدرُ إِنَّكَ فِي الظَّلَامِ سَمِيرِي مَالِي سِوَاكَ مُنَاغِمٌ لَشُعُورِي^(٣)

(١) السابق ، ص ٧٦ .

(٢) عذاب السنين ، ص ٧٤ .

(٣) السابق ، ص ٦٨ .

ويقول في مطلع قصيدته (يا عيد):

يا عيدُ وَأَفَيْتَ فَالْأشْجَانُ مُرْحِيَةٌ سُدُّوْهَلْمَا، وَنَعِيمُ النَّفْسِ مَفْقُودٌ^(١)

ومع ما تحمله هذه المطالع من دلالات العزلة والتفرد، فإنها تحمل ما يشير إلى مضمون القصيدة " والغرض العام من التجربة الفنية، ودلالته عليه، فيكون بمثابة إيقاظ للسامع، ولفت لانتباهه، وتهيئته نفسياً لتلقي التجربة كاملة، والانفعال معها"^(٢)، وقد ظهر — في جميع المطالع التي سيقت — هذا الجانب واضحاً؛ فبمجرد قراءة المطلع يدرك القارئ الغرض الذي أُبدعت من أجله القصيدة، كما يفهم المعنى الشعوري الذي ينوي حمد الحجي نقله إليه^(٣).

ومما يدل على عناية حمد الحجي بمطالع قصائده حرصه على أن تكون ألفاظ المطلع ملائمة للجو النفسي، وتظهر الملاءمة من خلال أمور عديدة تبين بعضها في الشواهد السابقة، حيث أفصح مطلع قصيدة (مناجاة غريب) عن شكوى واضحة مما يلاقه في وطنه، هذا على سبيل المضمون أما على سبيل الشكل فيُشيعُ جرسُ الألفاظ ودلالاتها الإيحائية ملاءمتها للجو النفسي الذي يعيش فيه المبدع، وينتظره المتلقي^(٤)، ومن ذلك ما يظهر في مطلع قصيدته (هفوة):

(١) السابق، ص ٥٨.

(٢) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، ص ٩٩.

(٣) انظر السابق، ص ٩٨.

(٤) انظر الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، ص ٩٨.

أَفَلَتَ الْأَمْرُ مِنْ يَدِي وَتَوَلَّاهُ حُسًّا يَدِي
 قَدْ تَجَاهَلْتُ حِينَمَا لَمْ أَكُنْ بِالْمُؤَيَّدِ^(١)

بالإضافة إلى ذلك يلحظ المتأمل حرص الشاعر على التصريح في بعض قصائده ؛ لأن العناية به تدل دلالة واضحة على حرصه الشديد على أن تخرج القصيدة على الوجه الذي يتطلبه من القوة والتأثير ؛ ذلك لأن التصريح يلفت انتباه المتلقي ، ويحمل كثافة موسيقية تؤثر فيه^(٢)؛ فيقع في نفسه موقعا حسنا ، وإذا كان ذلك في البداية فإنه يدفعه إلى مواصلة القراءة ، وعدم التوقف ، يقول الشاعر في قصيدته (الربيع الفاتن في نجد):

جَاءَ الرَّبِيعُ فَمَاسَ الْكَوْنُ تَرْحِيبًا وَغَنَّتْ الْوُرُوقُ فَسَوْقَ الْأَيْكِ تَطْرِيبًا^(٣)

إن التصريح في هذا البيت قد أضفى نعمة موسيقية جميلة زادت من تأثير المطلع على نفس المتلقي ، كما أن هذا المطلع ملائم لمضمون القصيدة ، إذ يفهم المتلقي غرض الشاعر بمجرد قراءته ، وهو بما يحمله من رشاقة وجمال يجذب القارئ إلى قراءة القصيدة والاستمتاع بجمالها مع جمال الربيع .

وما يقال عن استهلال هذه القصيدة فنيا يقال عن استهلال قصيدة

(١) عذاب السنين ، ص ٥٢ .

(٢) انظر دراسات في النص الشعري ، د. عبده بدوي ، دار الرفاعي ، الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥ هـ ، ص ٢٥ .

(٣) عذاب السنين ، ص ٢٣ .

(الزورق التائه)، مع اختلاف المضمون حيث يقول في هذه القصيدة :

فِي سَكُونِ اللَّيْلِ قُدْتُ الزَّوْرَقَا قَاصِدًا شَطْرَ رَجَائِي الشَّيْقَا
مُبْحِرًا نَحْوَ الْمَدَى الْمَجْهُولِ فِي حُلْكَةٍ لَمْ أَجُلْ فِيهَا أُفُقًا^(١)

وهكذا يتضح أن المطلع قد أضاع بشكل واضح نفسية حمد الحجي ، كما اتضح حرصه على الجودة الفنية في المطلع شأنه في ذلك شأن كبار الشعراء ، ويزداد هذا الأمر وضوحاً عند مقارنة ما يرد في مطالع قصائده مع ما سبق أن أشير إليه في الفصل الأول ؛ "لأن مفتاح الفهم لأي مطلع هو معرفة الظروف المحيطة بالشاعر عند إنشاء المطلع ، فإن هذه الظروف من شأنها أن تشير إلى نفسية الشاعر حينئذ ، وبالتالي تظهر معاني المطلع وإشاراته مطابقةً لنفسية الشاعر"^(٢).

(٢) السابق ، ص ٣٩ .

(١) مطلع القصيدة العربية ودلالاته النفسية بتصرف يسير ، ص ٧٠ .

الطول والقصر :

اعتنى النقاد - أيضاً - بقضية طول القصيدة أو قصرها ، وجعلوا ذلك من المعايير المهمة التي تستحضر عند الحكم على القصيدة ، أو نَفْسِ الشاعر ، وقبل الحديث عن طول القصيدة وقصرها في شعر حمد الحجي لا بد من الإشارة إلى مفهوم الطول والقصر ، حتى يتبين الحكم على قصائد حمد الحجي ومدى ملاءمتها لنفسه .

ينهض عدد أبيات القصيدة بأهمية كبرى في معرفة طول القصيدة أو قصرها ، ولكن ذلك ليس المعيار الأول في الحكم إذ "لا يفهم من قصر القصيدة قلة عدد أبياتها ، وإنما المحك الفعلي في قصر القصيدة يتمثل في انتظامها داخل مستوى شعوري واحد ، وضمن موقف عاطفي يسير باتجاه محدد وملمس^(١)" ، وقد يكون عدد الأبيات مساعدا في معرفة انتظام القصيدة في ذلك المستوى ، إلا إن ذلك الحكم لا بد أن يعطى بعد تأمل متأن في القصيدة ، وفهم دقيق لها ، وعلى أساس ذلك الفهم يتم الحكم .

وأما طول القصيدة فلا يتوقف - أيضا - على كثرة أبياتها فحسب ، وإنما تكون الكثرة عاملا مساعدا في معرفة تعدد المواقف الشعرية ، والخبرات

(١) حركة النقد الحديث والمعاصر في الشعر العربي ، ص ٢٠٩ .

الإنسانية ، أو الفردية^(١) التي تصدح بها أبيات القصيدة ، وعلى أساس هذا التعدد يمكن أن يحكم على القصيدة بالطول المناسب للتجربة .

وبذلك يتبين أن طول القصيدة لا يعد مطلباً فنياً يحكم على القصيدة بالجمال من خلاله ، كما أن قصر القصيدة لا يعد عيباً فنياً يحكم على القصيدة بالرداءة من خلاله ، وإنما يعول في الحكم على الطول أو القصر بمدى ملاءمة أبيات القصيدة للتجربة الشعورية ، وإفصاحها عن أحاسيس المبدع .

وعندما يتأمل القارئ في شعر حمد الحجي يلحظ أن قصائده بوجه عام تميل إلى القصر ؛ إذ إنها تسير وفق تجربة شعورية محددة تنتظم أبياتها ، وبمجرد إفشاء الشاعر بها في نفسه تتوقف القصيدة .

وإذا أراد المتلقي أن يبحث عن أدلة تساعد من أجل الوصول إلى هذا الحكم فإن عدد الأبيات قد يكون مساعداً في الحكم كما تبين ، فعدد قصائد حمد الحجي ومقطوعاته التي وصلتُ إليها^(٢) اثنتان وستون قصيدة ومقطوعة) ، ويلحظ أن القصائد التي تصل أبياتها إلى العشرين فأقل تجاوزت الأربعين قصيدة، بينما عدد القصائد التي وصلت أبياتها إلى الأربعين فأكثر أربع قصائد فقط .

(١) انظر السابق ، ص ٢٠٩ .

(٢) عدد قصائد الديوان ومقطوعاته إحدى وستون ، وقد حصلت على قصيدة غير منشورة بعنوان (أديب

وإذا تأكد القارئ الكريم أن هذا الإحصاء لا يعطي حكماً قاطعاً بطول القصيدة أو قصرها بل يقرب له الحكم فإنه من المناسب أن أعرض لشواهد من القصائد التي توسم بالطول ، والقصائد التي توسم بالقصر ، ومدى إفصاحها عن نفسية الشاعر .

إن أطول قصيدة في ديوان حمد الحجي هي قصيدة (خلف المنظار الأسود)^(١) وقد تعددت فيها المواقف الشعورية ، ودلت على اضطراب متغلغل في نفسية حمد الحجي ، وعدد أبيات هذه القصيدة سبعون بيتاً ، بدأت بفكرة قلق الموت الذي يسيطر عليه فلا يدعه يهنأ بالجمال ، ولا يستمتع مع الأصحاب ، إذ يقول في هذا المقطع :

يَتَجَلَّى فِي الْمَنْظَرِ الْخَلَابِ	إِنْ نَظَرْتُ الْجَمَالَ غَضًّا طَرِيًّا
دِ اللَّيَالِي مُكَشَّرَ الْأَنْيَابِ	لَاخٍ لِي أَسْوَدُ الْمَصِيرِ كَمُسَوِّدٍ
نِ وَيَبْلَى مُمَزَّقَ الْأَسْلَابِ	فَرَأَيْتُ الْجَمَالَ يُطْوَى بِأَكْفَا
فَرَحَّتْهُ بِزَوْرَةِ الْأَحْبَابِ	وَإِذَا مَا الْحَيَاةُ قَلْبِي يَوْمًا
وَرَأَيْتُ الْوِصَالَ مِثْلَ السَّرَابِ ^(٢)	أَيَقْنَتْ نَفْسِي الْفِرَاقَ طَوِيلًا

ويعد أن يستعرض الشاعر أحاسيسه التي تشعره بالقلق من كل شيء جميل ،

(١) انظر عذاب السنين ، ص ٣١ وما بعدها .

(٢) السابق ، ص ٣١ .

يبحث عن الأسرار التي تختفي خلف هذا الشعور ، ليدرك أنه يعيش مفكراً حتى يخاله من يراه بريئاً من العقل ، ولكن ذلك التفكير هو الذي حكم عليه بالتعاسة ، ثم يخرج متسائلاً عن سر آخر يختفي خلفه هذا الألم النفسي الرهيب فيعدد الأسباب الكثيرة ؛ وذلك يدل على قلق شديد ، واضطراب نفسي مؤلم عاشه الشاعر واكتوى بناره فمن ذلك قوله :

لو تَرَانِي وَقَدْ طَحَايَ بِفِكْرِي وَأَطَارَتْ مِنِّي الشُّؤُونُ صَوَابِي
لَتَوْهَمْتَنِي بَرِيئاً مِنَ اللَّبِّ بِضَعِيفاً مُحْطَمَ الْأَعْصَابِ
ثُمَّ لَمْ تَدْرِ أَنَّنِي فِي سَمَاءِ النُّ ففِكْرٍ أَحْيَا كَعَابِدِ أَوَابِ
لَسْتُ أَذْرِي لِمَ الدُّنَا حَمَلْتَنِي مَا أَرَى الْغَيْرَ مِنْهُ خَلَوِ الوُطَابِ
أَلَا نِي قَدْ نِلْتُ بَعْضَ نَعِيمِ تُلَيْتُ كَأَسُهُ بِأَقْدَاحِ صَابِ؟^(١)

ثم ينتهي إلى جهله بسر التعاسة التي أثقلته ، وينتقل إلى موقفه من الناس ، حيث يحس أن الناس يجاربونه ، وأنهم لا يرفقون بالضعيف المسكين ، ولو علموا بضعفه فإنهم سيتولون - لا محالة - عنه :

مَا لَقَيْتُ الْأَنَامَ إِلَّا لَقُؤَا مِنْ نَبِي ابْتِسَاماً وَلَيْسَ يَدْرُونَ مَا بِي
أُظْهِرُ الْأَنْشِرَاحَ لِلنَّاسِ حَتَّى يَتَمَنَّوْا لَوْ أَنَّهُمْ فِي يَابِي
لَوْ دَرَوْا أَنَّنِي شَقِيٌّ حَزِينٌ ضَاقَ فِي عَيْنِهِ فَسِيحُ الرَّحَابِ

لَتَوَلَّوْا عَنِّي وَلَمْ يَنْظُرُونِي
فَكَأَنِّي آتٍ بِأَعْظَمِ جُزْمٍ
هَكَذَا النَّاسُ يَطْلُبُونَ الْمَنَابِئَا
لَمْ يَرْفُقُوا بِهِ حِينَ أَمْسَى
ثُمَّ زَادُوا نُفُورَهُمْ بِأَغْتِيَابِي
لَوْ تَبَدَّدَتْ تَعَاسِيَّتِي لِلصَّحَابِ
لِلَّذِي بَيْنَهُمْ جَلِيلُ الْمَصَابِ
فِي عَنَاءٍ وَالِدَهْرُ خِذْنُ انْقِلَابٍ^(١)

وبعد أن ينقل أحاسيسه المؤلمة الناتجة من تأمله في الناس تسيطر عليه آمال وأمان ، يبرز من خلالها حبه الشديد لنشر الخير ، وولعه بمساعدة البائسين الذين يعيشون في ألم وفاقه ، وهو بذلك يعكس ما يجده من الناس الذين لم يفعلوا ما تمناه ، مع أن الفرصة بأيديهم ، وقد حصلوا على ما يمكن أن يحقق الخير للبشرية ، لكنهم يكرهون الخير لها ، وفي ذلك يقول :

كَمْ تَمَنَّتْ أَنَّنِي بِسَمَّةٍ فِي
أَوْ مَنَامٍ يَمْحُو سُهَادَ الْأَيَّامِي
أَوْ ضِيَاءٍ يُنِيرُ لِلشَّعْبِ سُبُلَ الْـ
فَمِ الْبَائِسِ الْقَنُوطِ الْكَأَبِي
وَالْيَتَامَى وَالْمُبْتَلَى بِاِكْتِثَابِ
مَجْدٍ يَدْعُو إِلَى اقْتِحَامِ الصَّعَابِ^(٢)

ويختتم الشاعر هذه القصيدة الطويلة بأوبته إلى ربه - جل وعلا - ، مؤمنا به ، مدركا حقه - سبحانه وتعالى - لأنه قد ملَّ من هذه الرحلة العقلية المؤلمة ، ويدعو ربه أن يداوي جراحه من العذاب الذي يقتات منه ، ويتوسل إليه بطلب الهداية إلى الصواب ، فيقول في ذلك :

(١) عذاب السنين ، ص ٣٣ .

(٢) السابق ، ص ٣٤ .

رب آمنت بالحقيقة فاجنب — نبي متاهات أوتبي للعذاب
 ربّ إني أدركتُ حَقَّكَ فلتشُدْ — رِقْ بنفسي نُوراً يضيءُ جَنَابِي
 هَا أَنَا قَدْ مَلَلْتُ تَجَوَّالَ عَقْلِي — فِي سَحِيقِ الْفَضَا وَلُجَّ الْعُبَابِ
 أَن يَارَبِّ أَنْ أَدَاوِي جِرَاحِي — مِنْ صُنُوفِ الْآلَامِ وَالْأَوْصَابِ
 فَاهْدِنِي لِلصَّوَابِ إني مُنِيبٌ — ذُو تَسَامٍ إِلَى الْهُدَى وَالصَّوَابِ^(١)

ويمكن أن تكون هذه القصيدة من القصائد الطوال ، وذلك لأنها خرجت بعدد من المواقف الشعورية — كما تبين — التي حملتها نفس الشاعر الحزينة ، وقد خرجت هذه المواقف صادقة يحس التأمل " مع كل بيت أنه خرج من أعماق نفس الشاعر ليستقر في أعماق القارئ^(٢) ".

ومع التأمل في أبيات هذه القصيدة يتضح مقدرة الشاعر على التشكيل ، وعلى أساس هذه المقدرة اختار لها الإطار الطويل ، وذلك الإطار هو الذي يناسب تلك المقدرة ، وقد رشَّح ذلك وعي حمد الحجي بتجربته الشعورية^(٣) ، فتكاتفت مقدرته على التشكيل ، ووعيه بتجربته ، فاختار الإطار المناسب لقصيدته الطويلة .

لقد صرح الشاعر في الخاتمة — كما تبين — أن هذه القصيدة جولة طويلة

(١) عذاب السنين ، ص ٣٤ .

(٢) الشاعر حمد الحجي ، ص ٤١ .

(٣) انظر حركة النقد الحديث والمعاصر في الشعر العربي ، ص ٢٠٩ .

لعقله في مساحات واسعة من الكون الفسيح ، ولقد مرَّ في تلك الجولة المحزنة على كل ما يكدر صفو حياته ، وعلى كل ما يتألم منه في هذه الحياة ، لتتشكل هذه القصيدة الطويلة التي انتهت إلى الأوبة والعودة ، إلى المُخْلِصِ من كل هم ، والمزِيل لكل غم ، إلى الرب الرحيم الكريم الودود .

تلك إحدى نماذج القصائد الطوال في شعر حمد الحجي ، تبين من خلال استعراضها أن كثرة الأبيات تساعد في الحكم بالطول إلى إن الكثرة لا تكفي لأن ندلل على طول القصيدة ، بل إن تنوع الأحاسيس التي يحس بها الشاعر في هذه القصيدة وهي منتظمة في فكرة شعورية عامة هي التي حكمت على القصيدة بهذا الحكم ؛ إذ ربما كثرت الأبيات لكنها تقع في رخاوة وهلامية فلا تعد القصيدة حينذاك طويلة وإن كثرت أبياتها^(١) .

وتتمثل القصيدة القصيرة في قصيدة (مناجاة غريب) ؛ إذ يلحظ جانب التركيز فيها على موقف شعوري واحد يتمثل في إحساسه بالغربة في وطنه ، ويحمل هذا الإحساس كثيرا من الحزن والألم ، وتتركز القصيدة حول هذا الجانب حيث يقول :

وطنَ الحَبِّ أَنْتَ مَعْبَدُ نَجْوَا يَ وَإِنْ عَشْتُ مِنْكَ فِي تَجْرِيحِ
أَنَا لَمْ أَشْكُ عَنْكَ غُرْبَةً جَسْمِي إِنَّمَا قَدْ شَكَوْتُ غُرْبَةَ رُوحِي

(١) انظر حركة النقد الحديث والمعاصر في الشعر العربي ، ص ٢٠٩ .

بمَعَادِي مَنْ غُرْبَتِي وَنُزُوجِي
 مُكَّثَ خَلْفَ الدُّجَى فَباللهِ لَوْجِي
 أَلْهَمِينِي مَعْنَى الرَّجَا وَالطُّمُوحِ
 وَهَوَى الْقَلْبِ وَاحْتِرَاقَ الْجُرُوحِ
 عَاثَرَ الْحِظَّ مَيِّتًا فِي الضَّرِيحِ
 بِالْأَنَاشِيدِ وَالغِنَاءِ الْفَصِيحِ
 بَاقَةَ الْوَرْدِ فِي الْإِنَاءِ الْمَلِيحِ
 وَأُعْنِي هَا بِقَلْبِ جَرِيحِ^(١)

وَإِثْقًا أَنْ خَالِقِي سَوْفَ يَقْضِي
 إِلَيْهِ يَا نَجْمَةَ الصَّبَاحِ أَطْلَتِ الْـ
 وَامْنِحِي بِهِجَةَ الْحَيَاةِ فُوَادِي
 وَطَنَ الْحَبِّ إِنَّ أَحْلَامَ عَمْرِي
 هَا أَنَا فِيكَ مِثْلَ طَيْرٍ غَرِيبِ
 هَا أَنَا فِيكَ شَاعِرٌ هَامٌ شَوْقًا
 سَوْفَ أَبْقَى حَتَّى وَإِنْ ضَيَّعُونِي
 أَنْشُرُ الْعِطْرَ فِي رُبُوعِ بِلَادِي

والتأمل في هذه القصيدة يلحظ أن لحظة التكثيف الشعوري والمقصود بها "

خلاصة الموقف الشعوري أو التجربة^(٢) تتمثل في البيت الثاني ، إذ فيه يبوح الشاعر بما يعاني منه ، وبناء على شكواه التي جأر بها تأتي القصيدة كلها بمثابة بوح ظاهر بأحاسيسه ، وتنتهي القصيدة بموقف ثابت تجاه وطنه ، مبعدا أي إحساس يعترضه في سبيل خدمة وطنه ، أو حتى على الأقل حبه له مهما كانت الأسباب .

(١) عذاب السنين ، ص ٧٥ .

(٢) حركة النقد الحديث والمعاصر في الشعر العربي ، ص ٢١٠ .

الخاتمة :

يهتم النقاد بخاتمة القصيدة ؛ وذلك لأنها هي آخر ما يستقر في ذهن المتلقي ، يقول أبو هلال العسكري : "ينبغي أن يكون آخر بيت في قصيدتك أجود بيت فيها ، وأدخل في المعنى الذي قصدت له في نظمها"^(١) ، ونتيجة لذلك فقد اعتنى الشعراء أيضا بخاتمة القصيدة ، فكانوا يحرصون — في الغالب — على إنهاء القصيدة بأجود ما يكتبون .

وقد وجد بعض الباحثين أن لحظة التكثيف الشعوري — وهي لحظة مؤثرة في نفس المبدع ، وتترك تأثيرها على نفس المتلقي — أن هذه اللحظة قد تأتي في مقدمة القصيدة ، وقد تأتي في وسطها ، ولكن الغالب والمنطقي أن تأتي هذه اللحظة في خاتمة القصيدة ؛ "لأن كل جزء سابق على النهاية يُسَلَّمُ بطريقة فنية إلى الجزء الذي يليه ، وهكذا تصل القصيدة إلى لحظة تكثيف التجربة ، وإيجاد التفسير الملائم لها"^(٢) ، وذلك يجعل لخاتمة القصيدة أهمية خاصة في نظرة الناقد ، وانطباع خاص في نفس المتلقي ، وعناية خاصة حين يبديع الشاعر قصيدته .

وقد استشهدت في الحديث عن مطلع القصيدة بتلك اللحظة وقد انفجرت في مطلع القصيدة ، ولعل شعر حمد الحجي يفيض بالشواهد التي تحمل لحظة

(١) الصناعتين ، أبو هلال العسكري ، تحقيق مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ،

١٤٠١هـ ، ص ٥٠٣ .

(٢) حركة النقد الحديث والمعاصر في الشعر العربي ، ص ٢١٦ .

التكثيف الشعوري وقد جاءت في خاتمة القصيدة ؛ إذ تتمثل هذه اللحظة في خاتمة قصيدته (صداقة)^(١)، فقد بدأت القصيدة ببناء درامي لافت ، سجل الشاعر فيه حوارا جرى بينه وبين صديقه ، وقد وعده بالوقوف إلى جانبه في الظروف الحالكة، وعندما ضاقت عليه الأرض لجأ إلى ذلك الصديق الصادق ، إلا أن مواعيده ذهبت هباء وتكرر له ، وطبعي أن يحس الشاعر بالألم نتيجة هذا الموقف المعيب ؛ لأنه أحس بمهانة كبرى ، وعندما جاءت اللحظة التي يقرر فيها موقفه ، وذلك هو القرار العسير ، لينهي كل شيء ربطه بصديقه قائلاً في الخاتمة :

لَا تَلْمَنِي إِنْ قُلْتُ إِنَّا أَنْتَهَيْنَا هَلْ فَوَادِي إِلا دِمَاءٌ وَحَمٌ^(٢)

وتظهر لحظة التكثيف الشعوري ، أو خلاصة التجربة الشعورية غالباً عند حمد الحجي في النهاية ، إذ ينهي إحدى قصائده الغزلية الجميلة بما يحس به من راحة وسعادة وهو يعيش لحظات الحب الجميلة ، لينهي هذه القصيدة بخلاصة ما خرج به من هذه التجربة الجميلة فيقول في الخاتمة :

يَا مَيِّتَ الْوَجْدَانِ بَادِرٌ لِلْهَوَى فَالْحَبُّ يَجِي مَيِّتَ الْوَجْدَانِ^(٣)

وعلى الرغم من أن التشاؤم يطغى على غالب شعر حمد الحجي إلا أن النهاية في غالب قصائده تكون بخلاف ما يحس به في قصيدته ، إنه ينهي قصيدته

(١) انظر القصيدة كاملة في عذاب السنين ، ص ٧٥ .

(٢) عذاب السنين ، ص ٧٥ .

(٣) السابق ، ص ١١٤ .

بالأمل أن تتحسن الحال ، وأن تتغير الظروف التي يقع تحت تأثيرها .

وليس معنى ذلك أن الخاتمة تختلف عن موضوع القصيدة بل إنها ترتبط به ارتباطا وثيقا ، ومنسجمة انسجاما تاما مع موضوع قصيدته ؛ إذ إن الأمل الذي تنتهي به القصيدة مرتبط شعوريا بما يحس به من آلام ، وبما يثقله من هموم ، ولهذا يأمل أن تنتهي همومه ، وتزول آلامه ، ولعل الشواهد توضح هذا الترابط .

من شواهد هذا الختام ما يكشف فطرة الإنسان المسلم الذي يعلق أمله على خالقه ؛ ففي قصيدة حمد الحجي (ذكرى الطفولة) ما يشعره بمعاني القلق والحيرة ، وعدم الوصول إلى الحقيقة ، إنه يؤكد فيها جهله بكل شيء ؛ يجهل حقيقته ، يجهل مورده ، يجهل مصدره ، ولكنه مع كل هذا يوكل الأمر إلى ربه ، وينهي القصيدة بهذا التسليم ، لتكون هذه الخاتمة بمثابة إنهاء المعاناة .

لكنني رَغَمَ التَّسَاوُلِ مُؤْمِنٌ بِقُوَى الإِلَهِ وَشَاعِرٌ بِالْقُدْرَةِ^(١)
 وربما ختم الشاعر قصيدته بالرضا بقضاء الله ، ويتمثل هذا في قصيدته (ذكرى)^(٢)؛ حيث شكى الشاعر من معاناته الشديدة بسبب بعده عن الحبيبة ، وسهره الطويل في ذكراها ، وهو يتمنى أن يلتقي بها ، وأن تحمله الريح إلى منازلها ، ومع أحاسيس البعد المحزنة ينهي الشاعر القصيدة برضاه التام بما قسمه الله له ،

(١) عذاب السنين ، ص ٣٠ .

(٢) انظر القصيدة كاملة في المرجع السابق ، ص ١١٥-١١٦ .

ويتساءل عن موعد اللقاء قائلاً:

يَا رَبِّ إِنِّي رَاضٍ بِمَا حَكَمْتَ عَلَيْنَا
مَتَى يَكُونُ لِقَانَا وَالْحَبُّ بَيْنَ يَدَيْنَا؟^(١)

ومما يرتبط بذلك خاتمة قصيدته (خلف المنظار الأسود) ، فقد أنهى هذه القصيدة بإيمانه بربه جل وعلا ، والدعاء والابتهاال إليه أن يخلصه مما يحس به ، وأن يهديه إلى الأمر الصواب لأن نفسه تتسامى إليه ، وترجو أن تحصل عليه حيث يقول في خاتمة هذه القصيدة :

رَبِّ أَمَنْتَ بِالْحَقِيقَةِ فَاجْنِبْ — نِي مَتَاهَاتِ أَوْبَتِي لِلْعَذَابِ
رَبِّ إِنِّي أَدْرَكْتُ حَقَّكَ فَلْتَشْ — رِقْ بِنَفْسِي نُوراً يَضِيءُ جَنَابِي
هَذَا أَنَا قَدْ مَلَلْتُ تَجْوَالَ عَقْلِي — فِي سَحِيقِ الْفَضَا وَلُجَّ الْعُبَابِ
أَنْ يَا رَبِّ أَنْ أَدَاوِي جِرَاحِي — مِنْ صُنُوفِ الْأَلَامِ وَالْأَوْصَابِ
فَاهْدِنِي لِلصَّوَابِ إِنِّي مُنِيبٌ — ذُو تَسَامٍ إِلَى الْهُدَى وَالصَّوَابِ^(٢)

ومما يتصل بذلك - أيضاً - أن تحمل قصيدته كل أشكال التشاؤم ومعانيه ، ولكن نهايتها تكون بأمر يدعو إلى التفاؤل ، ويجعل ذلك من أسباب جلب السعادة إلى كل نفس ، حيث يقول في قصيدته (زمرة السعداء) :

(١) عذاب السنين ، ص ١١٦ .

(٢) السابق ، ص ٣٤ .

أَلَا إِنَّهَا بَشَرُ الْحَايَا تَفَاوُلُ تَفَاءَلُ تَعِشُ فِي زُمْرَةِ السُّعْدَاءِ^(١)

ومن هذا العرض يتضح أن بناء القصيدة عند الشاعر يقدم دلالات نفسية عليه ، وهو بذلك لا يغيب عن الجودة الفنية اللهم إلا بعض القصائد التي طغت عليها المناسبة ، أو كانت في أول تجاربه في كتابته للشعر .

اللغة

اللغة هي الوسيلة الأساسية للاتصال ، وهي الوعاء الذي يحمل الفكر ، ويعبر عنه ، وتعد اللغة قدرا مشتركا بين المبدعين ، ولكن تميز شاعر عن شاعر آخر يكون بمقدار تمكنه منها ، وإجادته التعبير بها .

وتحتل اللغة مكانة كبرى في قراءة العمل الإبداعي ؛ ذلك لأنها "الأداة الأساسية للشاعر - وللأديب عموما - أو لنقل إنها المادة الأولى التي يشكل منها وبها بناءه الشعري بكل وسائل التشكيل الشعري المعروفة ؛ أي إنها الأداة الأم التي تخرج كل الأدوات الشعرية الأخرى من تحت عباءتها ، وتمارس دورها في إطارها"^(١).

وليس للشعر لغة خاصة به ، بل إن اللغة مشاعة بين الفنون ؛ فيستخدمها الشاعر كما يستخدمها الناثر ، ولكن الفرق يتأتى في مسألة الاستخدام ؛ إذ يختلف استخدام الشاعر للغة عن استخدام الناثر ، ذلك أن للكلمة في الشعر عند وضعها في موضعها المناسب بريقا وسحرا"^(٢).

(١) عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، د. علي عشري زايد ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ، الطبعة الخامسة ،

١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م ، ص ٤١ .

(٢) انظر اتجاهات وآراء في النقد الحديث ، د. محمد نايل ، القاهرة ، د.ن ، د.ط ، ص ٢٨ .

ويذهب البعض إلى أن من أهم الفوارق بين لغة الشعر ولغة النثر هو أن اللغة في الشعر غاية لذاتها؛ بحيث يستحيل الفصل بين الشكل والمضمون؛ فالمشاعر والأحاسيس والأفكار وكل العناصر الشعورية والذهنية تتحول في الشعر إلى عناصر لغوية، بحيث إذا تقوض البناء اللغوي في الشعر تقوض معه الكيان النفسي والشعوري المتضمن فيه^(١)، أما في النثر فيكون المضمون متميزاً عن الشكل الذي يصب فيه؛ لأن الشكل ربما يتلاشى إذا وصل المضمون الذي يحمله^(٢).

وتتميز اللغة بطاقات هائلة، وتكتنز بإيجازات جمّة، وما القصيدة من حيث هي عمل فني إلا "تشكيلٌ خاصٌّ لمجموعة من ألفاظ اللغة"^(٣)، وبناء على ذلك تكون القصيدة مميزة بإجادة هذا التشكيل، وبدون إجادته ينعدم تأثيرها، وتفقد بريقها.

ولأجل هذا الجانب المهم في دراسة اللغة سألقي الضوء على اللغة في شعر حمد الحجي من خلال تناول بعض القضايا الأساسية فيها، كالألفاظ والأساليب والتراكيب، ويتبين من خلال هذا التناول القيمة الفنية، والأثر النفسي الذي قامت به اللغة في شعر حمد الحجي.

(١) عن بناء القصيدة العربية الحديثة، ص ٤١.

(٢) انظر السابق، ص ٤١.

(٣) التفسير النفسي للأدب، ص ٤٩.

المفردات :

تحتل الألفاظ مكانة مهمة في الشعر؛ إذ لا بد أن تكون هذه الألفاظ "منتقاة، غير مبتذلة تدل بجرسها ومعناها على ما تصور من أصوات وألوان، أو نزعات نفسية"^(١)، ولذلك لا بد من الإشارة إليها في شعر حمد الحجي؛ لمعرفة مدى دلالتها على نفسية الشاعر، وإفصاحها عن مقدرته على التعبير، وتمكنه من فنه .

ويتعامل كل أديب مع ألفاظه معاملة خاصة؛ لأنها تعد أساسا في تلقي شعره، أو قبوله في أوساط الناس، ومن ثم رضاه عنه، ولذلك فهو "يتعامل مع تشكيلاته اللفظية بيقظة وحذر يختار هذه، ويفرق تلك، فهو يوجه قدرا كبيرا من طاقته إلى الانتخاب والاختيار، والربط والحذف، والتنقيح والفحص"^(٢) إن المتأمل في شعر حمد الحجي يلحظ الحزن المسيطر عليه، والتشاؤم المفرط الذي ذهب ضحيته، وقد قامت الألفاظ بإيضاح هذا الجانب البارز في شعره، فعكست ألفاظ الشاعر نفسية متشائمة، تسيطر عليها الأحزان، وتغتهاها الكآبة والآلام .

وعند التأمل في ألفاظ الشاعر في الديوان يسترعي الانتباه بعض الأمور

(١) الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية،

القاهرة، الطبعة الثامنة، ١٩٩٠م، ص ٦٧ .

(٢) في الأدب السعودي: رؤية داخلية، ص ٤١ .

اللافتة التي يمكن أن تعد ظاهرة في شعره ، كما يمكن أن تؤكد صدق الأحاسيس التي يصرح بها في أفكاره ؛ إذ يلحظ ذلك في سيطرة الألفاظ التي تدل على الحزن والكآبة ، وتجلل الغالب الأعم من شعره .

وبنظرة دقيقة إلى ألفاظ الشاعر حمد الحجي يلحظ أن الألفاظ التي تسيطر عليها الكآبة ، وتغطيها الأحزان متنوعة ، وذلك التنوع يبرهن على نفسية حزينة ؛ حيث أراد أن يعبر عن هذا الحزن بأشكال مختلفة ، فتعددت لذلك أشكال الألفاظ كما تعددت الأفكار والصور .

ويمكن أن تصنف الألفاظ التي تسهم في كشف هذا الجانب المهم في شعره إلى ثلاثة أصناف :

- ١- الألفاظ المرتبطة بحقل العذاب والمرض .
- ٢- الألفاظ المرتبطة بحقل الحزن والكآبة .
- ٣- الألفاظ المرتبطة بحقل الزوال والفناء .

والذي يدعو إلى الاتجاه نحو هذا التصنيف هو إحساس الشاعر ؛ فشعوره بالعذاب والمرض هو ما يؤدي به إلى الحزن والكآبة ، وذلك يجعله يحس بالنهاية والفناء ، كما أن ذلك مرتبط ارتباطاً وثيقاً بما سبق أن أفصح عنه من أفكار تجلب له الحزن ، وقد بينت معالمها في الفصل الثاني من هذا البحث^(١).

(١) حيث ظهر ذلك في صدى المؤثرات النفسية في شعره ؛ فقد اتضح فيها ما يؤثر في نفسه ويبين عنه شعره ، =

إن القارئ شعر حمد الحجي يلحظ أن الألفاظ التي تحمل دلالة العذاب والمرض مثل : (الألم ، العناء ، المصاب ، الجروح ... وغيرها) وصلت إلى نسبة لافتة بالنسبة لنتاج الشاعر الشعري فقد تجاوزت هذه الألفاظ الثمانين لفظاً .

أما الألفاظ التي تحمل دلالة الحزن والكآبة مثل : (الأسى ، الحسرة ، النوح ، البكاء ... وغيرها) فقد تجاوزت ثلاثمائة لفظ ؛ وذلك يدل على أن الشاعر يعاني عناءً كبيراً من هذا المعنى ، ويعيش وقد تأصل الحزن في قلبه ، ووصل إلى أعماقه .
أما الألفاظ التي تحمل دلالة الزوال والفاء مثل : (الموت ، البلى ، الردى ، الأكفان ... وغيرها) فقد تجاوزت التسعين لفظاً ، وتلك تدل على نتيجة الحزن والكآبة ، حيث لم يعد يجد أمامه إلا الموت ملاذاً ومهرباً .

ومن خلال هذه الإحصائية يلحظ أن الحزن مسيطر على الشاعر ؛ فقد عبرت الألفاظ عن هذا الحزن الذي يحس به من جانبيين :

أولهما : كثافة نسبة الألفاظ بشكل يسترعي الانتباه ، وبخاصة إذا تبين للقارئ أن عدد الأبيات يتجاوز الألف بقليل .

وثانيهما : تنوعها مما يدل على مقدرة شعرية ، وصدق في الشعور .

إن سيطرة هذه الألفاظ على معجم الشاعر تدل على شكل من أشكال الاتساق المعجمي ، وذلك عن طريق الإلحاح على معنى معين بأشكال مختلفة

بواسطة الترادف^(١)، أو بذكر ألفاظ توحى بدلالة واحدة، وذلك يقوم بأثر دلالي ظاهر حيث يبرز المعنى، ويجلوه أشد الجلاء، ويمكن أن أمثل لهذا الشكل بأبيات من قصيدته التي عنوانها (ديواني) حيث يقول:

رَاجَعْتُ دِيوَانِي فَلَمْ أَلْقَ فِي أَوْرَاقِهِ إِلَّا أَغَانِي حَزِينٍ
قَرَأْتُهُ فَارْتَعْتُ مِنْ بُؤْسِ مَنْ سَطَّرَهُ بَيْنَ الْأَسَى وَالْأَنِينِ
مَنْ قَائِلُ الشَّعْرِ؟ وَمَنْ ذَا الَّذِي أَيَّامُهُ نَوْحٌ وَدَمْعٌ سَخِينِ
هَذَا أَنَا قَدْ هَدَّ جِسْمِي الْأَسَى وَالْقَلْبُ بَاكِ مِنْ عَذَابِ السِّنِينِ^(٢)

ومدقق النظر في هذه الأبيات الأربعة يجد سيطرة ألفاظ الحزن، ومن ثم تنوعها بحيث لا يعتمد إلى تكرار أي منها اللهم إلا لفظ الأسى، إنه بذلك يحاول أن يجمع أكبر قدر ممكن من الألفاظ التي تدل على عمق جراحه، وكثرة أحزانه، ويستخدمها للتعبير عن غاية الألم، وأشكال العذاب (حزين، ارتعت، بؤس، الأسى، الأنين، نوح، دمع، سخين، هد، باك، عذاب) وكأنه يحشد هذه الألفاظ المتنوعة يؤكد أحزانه المتنوعة؛ ها هو ذا في هذه الأبيات يعنيه المعنى دون تركيز على إعادة اللفظ.

(١) انظر لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار

البيضاء، ط ١، ١٩٩١م، ص ٢٤.

(٢) عذاب السنين، ص ١٠.

وإذا تبين أن الألفاظ بهذه الصفة تجلج شعر حمد الحجي ، وتسيطر عليه فإن المتأمل في شعره يلحظ أنها قد تتكشف في أبيات معينة مكررةً ، فتغطي البيت بحيث لا يكاد يوجد إلا هي ، وشواهد ذلك كثيرة منها قوله :

كَفَنِي يَا شَمْسُ مِنِّي هَيْكَلًا كَفَنِيهِ هَيْكَلًا مُحْتَرِّقًا^(١)

وقوله :

فَرَأَيْتُ الْجَمَالَ يُطْوَى بِأَكْفَا نِ وَيَبْلَى مُمَزَّقَ الْأَسْلَابِ^(٢)

إن الشاعر يشحن في هذين البيتين الألفاظ الدالة على الزوال والفناء: (كفني ، هيكل ، محترق ، يطوى ، يبلى ، ممزق) ، وهي توحى بنفسها فضلاً عن كثافتها ، بإحساس يشوبه الألم ، وتغويه الأحزان ، كما أن الألفاظ المعبرة عن إحساسه بالفناء متكررة أيضاً ، والتكرار وسيلة تعبيرية مؤثرة فنياً ، وكاشفة عن أعماق نفسية الشاعر .

وذلك يدعو إلى بيان وظيفة التكرار ، وأثره الذي يقوم به في بيان تجربة الشاعر ، وإفصاحه عنها ؛ إذ " يعد التكرار أحد التقنيات التي يتخذها الشاعر آلية دفاعية تستدرج حصره العاطفي ، وتستقطره ، وتنفضه كلما لفحه^(٣) " ، وهو

(١) السابق ، ص ٤١ .

(٢) عذاب السنين ، ص ٣١ .

(٣) سيكولوجية الشعر (العصاب والصحة النفسية) ، ص ٦٨ .

يقوم بدور فني جميل ؛ لأن تكرار كلمة ما في الشعر توحى "بسيطرة هذا العنصر المكرر والحاحه على فكر الشاعر أو شعوره أو لا شعوره"^(١).

وقد تناول البلاغيون والنقاد القدماء هذه الفكرة ، وأفاضوا الحديث عنها ،

إذ يمثلون لها بيتي الصمة بن عبد الله القشيري اللذين يقول فيهما :

وُنُبْتُ لَيْلَى أَرْسَلْتُ بِشَفَاعَةِ إِلَى فَهَلَا نَفْسُ لَيْلَى شَفِيْعُهُا
أَكْرِمُ مَنْ لَيْلَى عَلَيَّ فَتَبْتَعِي بِهِ الْجَاهُ أَمْ كُنْتُ أَمْرًا لَا أُطِيعُهَا^(٢)

ونجد هذا الجانب عند حمد الحجي ؛ إذ يتخذ من ليلي رمزا لامرأة يهيم بها ،

ويتوق إلى لقائها ، فتسيطر هذه المرأة على فكره ، وتحوي كل مشاعره ، فيظل

مكررا اسمها ، مستمتعا بترديده بقوله :

سَهْرْتُ أَذْكَرُ لَيْلَى عَسَى أُخْفَفُ مَائِي
فَطَيْفُ لَيْلَى مُدَامِي وَذِكْرُ لَيْلَى شَرَّابِي^(٣)

إن تكرار رمز ليلي يدل على أن حمد الحجي يستمتع به ، فهو مسيطر على

كيانه النفسي ، وهو يظهر حاجة عميقة لهذا الاسم ؛ بها يحمله من معان عميقة ،

تتخلل كيانه النفسي ، إذ ربما كانت ليلي - أو لازمها إن كانت رمزا - خلاصا له من

(١) عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، ص ١١٣ .

(٢) ديوان الصمة بن عبد الله القشيري ، جمع وتحقيق د. عبد العزيز بن محمد الفيصل ، النادي الأدبي

باليرياض ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، ص ١١٣ .

(٣) عذاب السنين ، ص ١١٦ .

آلامه وأحزانه ، وهو يصرح -بالإضافة إلى تكرار اسمها- بما يمكن أن يقدمه له تذكّر ليل ؛ فتذكرها قد يخفف ما به من أحزان ، وهو يلجأ إلى ترديده عندما يلجأ غيره إلى المدام والشراب لتخفيف أحزانهم .

ومما هو جدير بالنظر في ألفاظ حمد الحجي بداية كثير من أبياته بأدوات التأوه " وهي مشبعة بالتحسر واللهفة والتضخم الانفعالي الذي ينطوي عليه اسم الفعل (آه)^(١) ، وتطرّد هذه الظاهرة في كثير من قصائده ، لتحمل معها دلالات هذا اللفظ الأمر الذي يجعله يعيش في بكاء وحسرة وألم كبير ، وتبدأ بعض قصائده بهذا اللفظ كما بدأت قصيدته (رسالة حب) حيث يقول في مطلعها :

آه ...

مَا أَعْمَقَ الْجِرَاحَ يَا جِرَاحِي

مَا أُنْعَسَ الْعَيْشَ بِلَا آمَالٍ^(٢)

وقد كرر الشاعر اسم الفعل (آه) في قصيدته (تباريح) ثلاث مرات ،

ويحمل تكرار هذا اللفظ دلالة تأكيد المعنى الذي يحمله :

آه يَا فَاتِنُ هَلْ لِسَمَاءِ الْحُسَيْنِ مَرْقَى؟^(٣)

آه لَوْ أَنَّكَ أَبْصَرْتَ مَدَى عُمُقِي جِرَاحِي^(٤)

(١) سيكولوجية الشعر: العصاب والصحة النفسية ، ص ٦٨ .

(٢) عذاب السنين ، ص ٢٠ .

أَهْ هَلْ تَدْرِينْ أَنْ الْـ بُعْدَ لَا يَكُونُ فِي عَزَاءٍ^(٣)

وجانب لفظي آخر بارز في شعر حمد الحجي ، يبدو ذلك في دقته عند اختيار ألفاظه ، فهو يختار ما يعمق الدلالة التي يرمي إليها ؛ فعندما يكون إيجاء تنكير اللفظ أقوى في إبراز ما يريد فإنه يختار التنكير ، وعندما يكون إيجاء تعريف اللفظ أقوى في إبراز المعنى فإنه يختار التعريف .

فأما جانب التنكير فيمكن أن أستشهد له ببعض الأبيات التي تضيء هذه المسألة ، وتزيدها جلاء .

ففي قصيدته (الزورق التائه) يظل الشاعر يبكي من أحزان تلاحقه ، وحيرة تعصف به ، وتهدد عقله ، يعيش في تبعاتها ، حتى توصله تلك الآلام إلى أن يتمنى أنه لم يخلق ؛ مما يدل على أنه وصل إلى غاية الألم ، ونهاية الحيرة ، ثم يتوقف الشاعر عند مظاهر الحزن التي يعيش فيها قائلا :

أَمَلٌ يَجْبُو ، وَقَلْبِي يَرْتَمِي فَوْقَ أَشْوَاقِ الصُّنَى مُنْسَحِقًا
وَمَسَاءٌ لَيْسَ فِيهِ نَجْمَةٌ وَصَبَاحٌ نُورُهُ مَا انْدَفَقَا
وَصَحَارَى أَلْفَتْ طُولَ السُّرَى فَتَوَلَّى الصُّبْحُ عَنْهَا شَفِيقًا
لَيْسَ فِي وَجْهِ الدُّجَى إِلَّا الْأَسَى وَأَفْئَاعٌ يَسْتَطِينُ الْغَسَقَا

ظُلِّمَاتُ الْيَأْسِ مَا فِيهَا سِوَى جَمْرَةٍ مِنْهَا رَجَائِي احْتَرَقَا^(١)

ولعل المتأمل يدقق النظر في ظاهرة التنكير في هذه الأبيات ؛ لأنها - أعني ظاهرة التنكير - برزت بشكل يدعو إلى التساؤل عن سرها، والألفاظ المنكرة في هذه الأبيات هي: (أمل، مساءً، نجمةٌ، صحارى، أفاع، جمرة).

ولم يكن أثر التنكير في هذه الأبيات غائباً، فقد قام بدوره المنوط به من جانب إفادة العموم والإطلاق وعدم التحديد ؛ لأن النكرة إطلاق يراد به أصل المعنى^(٢)، وذلك ما قامت به النكرة في الألفاظ السابق ذكرها ؛ فكلمة (أمل) مبتدأ، وقد أفادت عموم معناها، وعندما جاء الخبر في جملة (نجبو) تلاشى معها كل أمل قد يتعلق به الشاعر، فالنكرة إذن قامت بإيضاح الدلالة، وكرست إيجاءتها، وزادت من تأثيرها، والدلالة نفسها أدتها كلمة (نجمة) إذ لا يصلح لها إلا التنكير، حيث فقد الشاعر كل ما هو رمز للاهتمام ؛ لتنبعث من النكرة معالم الحيرة، وتحمل نفسه عناء الضياع.

إن التنكير في هذه الألفاظ قام بإيضاح ما يقصده الشاعر، وزاد من تأثيره، وعمق إحساسه ؛ وذلك لأن في التنكير عمقاً يجعل البنية مثرية للدلالة^(٣).

(١) عذاب السنين . ص ٤٠ .

(٢) انظر دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث . ص ٥٥ .

(٣) انظر في البنية والدلالة: رؤية لنظام العلاقات في البلاغة العربية ، د. سعد أبو الرضا ، منشأة المعارف ،

الإسكندرية ، ١٩٨٧ م ، ص ١٥٣ .

وبالإضافة إلى عمق دلالة ما يحس به الشاعر ، فإن التنكير يحمل جانباً جمالياً آخر وهو الجانب الصوتي ، وقد تمثل ذلك في التنوين الذي يحدث رنيناً مؤثراً في إيقاع الكلمات ، فتجمل فيه الموسيقى الداخلية ، ويكون بذلك صدى لما تحمله نفسه ، وأدعى للتأثير في نفوس المتلقين^(١).

وأما إن كانت الحال تقتضي التعريف فإن الشاعر يستخدم هذا الأسلوب ، حيث يكون السياق بحاجة إلى كل ما يتضمن تحديد الدلالة ، والدقة في فهم رموزها^(٢)، ويتضح الجانب الفني في التعريف إذا تبين شاهده ، حيث يقول حمد الحجي:

طغت موجة الحُزنِ في خَاطِرِي فأغرقتِ الفرحَةَ الطَافِحَةَ
طَوَى الدَّهْرُ أَيَّامِي البَاسِمَاتُ وَوَأفَى بِأَيَّامِي الكَالِحَةَ

إن الألفاظ المعرّفة التي تستحق الإشارة هي: (موجة الحزن ، الفرحة ، الطافحة ، أيامي الباسمات ، أيامي الكالحة) والشاعر هنا يلجأ إلى تعريف هذه الألفاظ ؛ إذ يكون تعريفها أقوى من تنكيرها في إفادة الدلالة التي رمى إليها ، مثلما كان التنكير أقوى في إيضاح الدلالة في الشاهد السابق له.

ويظهر تأثير التعريف في هذه الألفاظ عندما يحدد ما يؤثر فيه ، وما يشتكي

(١) انظر الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي ، ص ٢٣١.

(٢) انظر البنية والدلالة : رؤية لنظام العلاقات في البلاغة العربية ، ص ١٥٣.

منه ، فهو يعيش في حزن عميق ، وألم مرير ، فاحتاج إلى تحديد هذا الحزن عن طريق تعريفه ، إن ألمه يزداد لأنه كان يعهد فرحة عاش فيها ، ومن أجل ذلك يحتاج إلى أن يحددها بأداة التعريف " أل " ، ومعرفة بها تزيد آلامه ؛ لأنها أدعى إلى عقد المقارنة بين الحزن الذي يعيش فيه حاضراً ، والفرحة التي كان يعهد بها في الماضي ، ويُلاحقُ بهذه الألفاظ ألقاظاً أخرى يعمد إلى تعريفها ، تنطوي على موازنة أخرى بين أمرين معهودين لديه يزيدان من آلامه ، فقد كان يعهد أياماً جميلة ، ويعرفها بإضافة ياء المتكلم ، ثم يصفها بأنها "باسمات" ويعرف الوصف - أيضاً - بأداة التعريف "أل" ، ثم يجعلها بإزاء أيام حزينة يعيشها الشاعر (كالحة) ، ويحتاج إلى تعريفها أيضاً ؛ لأنه يعيش فيها ، وبذلك تكون الموازنة أكثر عمقا ؛ مما يدل على أنه متأثر بها أشد التأثر .

وبذلك يتضح أن الشاعر قد أحسن توظيف ألقاظه ، وقد ألبسها القوالب التي تتطابق مع حالته النفسية ، وبذلك تكون أقوى تأثيراً في نفوس المتلقين ، وقد أبانت الشواهد عن ذلك ، وهي في شعره كثيرة ، لكنني اقتصر على الشواهد التي تضيء الظاهرة وتجلوها .

التراكيب :

إن نجاح الشاعر وقدرته على التأثير مربوط بعنائه بتراكيبه ؛ لأنها هي التي تبين عن المقدرة على التأليف بين الألفاظ ، وبمقدار جودة تركيب اللغة وانتظامها تتبين مقدرة الشاعر البيانية ، فإن "التراكيب اللغوية بالغة التعقيد والخصوبة حين تفيض بها النفوس الحية ؛ وذلك لأن كل ما في النفس من قلق ونبض ، وكل ما تحسه الروح ، ويفوز به القلب ، لا يجد له مسرباً إلا هذه الكلمات وهذه التراكيب، وكل ما في هذه الأحوال النفسية من خفاء والتباس منعكس لا محالة على هذه التراكيب"^(١)

ويلحظ من يطيل النظر في شعر الحجي تركيز الشاعر على الجمل الفعلية في شعره ، ولا أبالغ إذا قلت : إن استخدام الجملة الفعلية تعد ظاهرة تستحق البحث والتفسير ، ولا غرابة في ذلك إذا أدركنا أن " الفعل يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء"^(٢) ؛ لأنه تبعاً لذلك يقتضي أيضاً "تجدد الانفعال وحركتيه ، وانخفاض درجة الاتزان العقلي"^(٣).

(١) دلالة التراكيب : دراسة بلاغية ، د. محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الثانية ،

١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ص ٢١ .

(٢) انظر دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمود شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ودار المدني ،

جدة ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .

(٣) سيكولوجية الشعر : العصاب والصحة النفسية ، ص ٧٥ .

والذي يدعو إلى ذلك القول هو ارتباط الفعل بالزمن وتحولاته ؛ "فالفعل الماضي مقيد بالزمن الماضي ، والمضارع مقيد بزمن الحال أو الاستقبال في الغالب ، لذلك وصفت بالتجدد والتغير وهذا يعطيها حيوية ونشاطاً"^(١) .
ولكي يتضح ما قامت به الجملة الفعلية من إيضاح لتجربة الشاعر ، وتصوير دقيق لما يحس به من معاناة وألم ، يجدر التأمل في هذا المقطع من قصيدة (الليل والهوى) حيث يقول:

سَلَكْتُ إِلَى الْفَجْرِ كُلَّ الدَّرُوبِ	أَمْزَقُ سِتْرَ الدُّجَى بِالنُّوْحِ
وَكَفَنْتُ جُرْحَ الْأَسَى فِي الْغُرُوبِ	لَأَدْفِنَهُ فِي ضِيَاءِ الصَّبَاحِ
فَمَا أَبْتُ إِلَّا بِمَا قَدِ يُؤُوبُ	بِهِ تَائِهٌ فِي الصَّحَارَى الْفِسَاحِ
تُغْلَفُ نَفْسِي صُنُوفَ الْكُرُوبِ	وَيَنْزُو بِقَلْبِي شَهِيدُ الْجِرَاحِ" ^(٢)

ولعل المتأمل يلحظ أن الجملة الفعلية تغطي هذه الأبيات ، بل لا يوجد فيها جملة اسمية واحدة ؛ وذلك لكي يبيث الحركة في النص مما يؤدي إلى إبراز المعاناة بشكل أوضح ، كما أنها تحكي ما يتطابق مع حالته النفسية التي يعيش فيها . إن هذه الجمل الفعلية تدل وبشكل واضح على تجدد المحاولات وتعدددها

(١) البنى الأسلوبية في النص الشعري ، د. راشد بن حمد الحسيني ، درا الحكمة ، لندن ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٤م ، ص ٢٤٧ .

(٢) عذاب السنين ، ص ٢٧ ، والنزو : الوثبان ، ويقال : نزوت على الشيء - أنزوا نزوا إذا وثبت عليه . لسان العرب ج : ٤ ، ص ١١٤ .

في سبيل الوصول إلى السعادة والراحة ، وتعدد هذه المحاولات توحى بالمشقة الشديدة التي تحصل لنفسه من تطلب السعادة ، وبنفس تعدد تلك المحاولات تعدد النتائج السلبية ، وكلها تؤدي إلى الإخفاق الذريع ، وانتهاء هذا الطريق الطويل بالخيبة والخسارة الفادحة ، وذلك الأمر يجعل معاناة الشاعر أظهر ، وإحساسه بالألم أبين .

ولو حاولنا وضع الجملة الاسمية مكان الجملة الفعلية في هذه الأبيات لما أدت إلى النتيجة التي سبق ذكرها ؛ إذ لو قال - من غير نظر إلى الوزن - " أنا سالك إلى الفجر كل الدروب " لم يتضح جهده المضني ، ولم تتضح محاولاته الكثيرة بل سيظهر أنه مستمر في هذا الطريق بمحاولة واحدة ، وتلك لا تظهر المعاناة كما تظهرها الجملة الفعلية ، فضلاً عن أنه يصف مشهداً متحركاً يستدعي شيوع الجمل الفعلية^(١).

وعند تتبع ديوان الشاعر حمد الحجي يلحظ المتأمل فيه حضور الجملة الفعلية بالنسبة للجملة الاسمية ، ويختلف الزمن ويتعدد ؛ مما يدل على أن الشاعر يبت الحركة في أبياته عن طريق استحضار الجملة الفعلية ، ومن أمثلة ذلك قوله في بعض قصائده ، ولك أن تتأمل أثرها في الكلام :

(١) انظر اللغة والبلاغة ، عدنان بن ذريل ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، د. ط ، ١٩٨٣ م ،

صَبْرْتُ فَحِينَ لَمْ يُجِدِ اضْطِبَارِي نَفَضْتُ مِنَ الْهَوَى كِلْتَا يَدَيَا^(١)
 أَنْكَرْتُ نَفْسِي حِينَ جَنَّ الْأَسَى بِهَا وَأَغْفَى حِلْمُهَا النَّامِي^(٢)
 إِذَا ذُكِرْتُ نَجْدٌ ذَكَرْتُ بِهَا الصَّبَا فَأَرْسَلْتُ دَمْعَ الْعَيْنِ يُجْرِي عَلَى خَدَيَا^(٣)
 مَاتَ حِلْمِي الْكَبِيرُ وَارْتَطَمْتُ أَمَا لُ نَفْسِي بِالصَّخْرَةِ الْجُلْمُودِ^(٤)

وتتعدد الأبيات التي تشيع فيها الجملة الفعلية التي بدورها تبث الحركة في النص ، وليس معنى ذلك الأمر إلغاء الجملة الاسمية ، بل إنها تكون حاضرة عندما تكون الحاجة إليها أدهى ، والتعبير بها أوفى ؛ لأن اختيارها لا بد أن يكون مطابقاً للمعنى في نفس المبدع .

وقد أحسن حمد الحجي توظيف الجمل الاسمية في شعره ؛ لأنك عندما تقرأ شعره تجد أن الجملة في موضعها المناسب الذي يكون مطابقاً لأحاسيسه ومشاعره ، ولكي تزداد الفكرة جلاء أشير إلى بعض الأبيات التي أبانت عن توظيف جميل للجملة الاسمية:

هَذَا أَنَا قَدْ هَدَّ جِسْمِي الْأَسَى (وَالْقَلْبُ بَالِكٍ) مِنْ عَذَابِ السَّنِينِ^(٥)

(١) عذاب السنين ، ص ٤٣ .

(٢) عذاب السنين ، ص ٥٧ .

(٣) السابق ، ص ٦٣ .

(٤) السابق ، ص ٦٧ .

(٥) عذاب السنين ، ص ١١ .

(أنا في شَبَابِي بَائِسٌ) ما في يَدِي إلا الدموعُ تحَدَّرَتْ من مُقَلَّتِي^(١)
 أنا ما حَيِّتُ (فإنني لك وامقٌ) فإذا فَيِّتُ هوأي ليس بفانٍ^(٢)
 ومدقق النظر فيما بين القوسين يلحظ أن الجملة الاسمية هي الأنسب في
 هذا الموضوع ؛ وذلك لأنها قررت حقيقة يعيش فيها ، ويعاني من وطأتها وإمعاناً في
 تأكيدها اختار لها قالب الجملة الاسمية التي أفادت الدوام والاستمرار^(٣)، مع
 الثبوت والتحقيق.

لقد أبانت الجملة الاسمية في قوله : (والقلب باكٍ) وقوله : (أنا في شبابي
 بئس) عن وجود حقيقة يعيش فيها ، هما بكاء القلب ، وبؤس الشباب ، و
 أضافت الجملة الاسمية دلالة استمرارهما ، وأما جملة (فإنني لك وامقٌ) ، فإنها
 دلت على استمرار الحب ، وأضافت إلى هذه الدلالة توكيده عن طريق حرف
 التوكيد (إنَّ) .

ولكي تزداد القضية جلاء ووضوحاً أعرض شاهداً من شعر حمد الحجي
 استخدم من خلاله الجملة الاسمية والجملة الفعلية ؛ وذلك لمعرفة دقة الشاعر في
 اختيار تراكيبه ، ومقدرته الفنية في التعبير عن عواطفه وأفكاره حيث يقول :

(١) عذاب السنين ، ص ٣٠ .

(٢) السابق ، ص ١١٢ .

(٣) انظر البنى الأسلوبية في النص الشعري ، ص ٢٤٤ .

أيا روضةً قد كنتُ أرتادُ نبعَهَا
 عهدتُ بكِ الأغصانَ مالتَ بها الصَّبَا
 فتغسلُ يأسَ النَّفسِ تلكَ الجَدَاوُلُ
 وعَنَّتْ عذارى اللحنِ فيها البلايِلُ
 فمَالِكِ أَمْسى الجَدْبُ فيكَ مُحَيِّمًا
 وربِّكَ أينَ النَّبعُ؟ أينَ الخَمائلُ؟
 وها أنتِ لا ظلُّ لَدَيْكَ ولا جنى
 فطيرِكَ محزونٌ، وزهرُكَ ذَابِلٌ^(١)

ففي هذه الأبيات ينوع الشاعر بين الجمل ؛ إذ يستخدم الجملة الاسمية عندما تكون الأقدار على إبراز إحساسه ، ويستخدم الجملة الفعلية عندما يكون التعبير بها هو الأنسب ؛ ففي أول بيتين يلحظ المتأمل فيهما قدرة الجملة الفعلية على التعبير عما يريد (أرتاد نبعها ، فتغسل يأس النفس تلك الجداول ، مالت بها الصبا ، غنت عذارى اللحن فيها البلايل) ، وتلك الجمل تملأ النص بالحركة والحيوية لارتباطها بالزمن ، أما الفعل المضارع فقد أضاف إلى ذلك إفادة التجدد والحدوث ، فقد كان سابقاً يكرر العودة إلى هذه الروضة ، ويتكرر معها محو اليأس من قلبه ، وعندما انقلبت الأمور ، وأصبح الحزن مهيمنا عليه ناسب أن يترك الجملة الفعلية ، واختار الجملة الاسمية التي أفادت الثبوت والاستمرار (ها أنت لا ظلُّ لَدَيْكَ ، طيرِكَ محزون ، زهرُكَ ذَابِلُ)

وهكذا يتبين أن الشاعر يختار من الجمل ما يشف عن نفسه ، وما يحتاجه لإبراز ما يريد ؛ مما يدل على أنه ينتقيها بعناية فائقة ، ويلبسها اللباس الأقدر على

إظهارها بمظهر معبر قادر أن ينقل التجربة بكل تفاصيلها .

ومن مظاهر عناية الشاعر حمد الحجي بتراكيبه عنايته الفائقة بصياغتها على الوجه الذي يتطابق مع حالته ومشاعره ، بدا ذلك في مظهر مهم يقتضي توافقاً مع الحالة النفسية الانفعالية التي يحس بها الشاعر^(١)، وتظهر بلاغة المبدع من خلال هذا الترتيب التركيبي ، والقدرة على البيان مثل تقديم الخبر على المبتدأ أو تقديم المفعول به على الفاعل أو غير ذلك^(٢)، و"ذلك يتضمن أبعاداً نفسية ... فقد يعمد المبدع إلى هذا الضرب من الأسلوب في التعبير ، فيرتب الألفاظ على غير ما يقتضيه ترتيبها ووجودها الذهني ، وذلك من أجل تحقيق أبعاد نفسية معينة ، تنبع من طبيعة التجربة الشعورية"^(٣).

ولقد أبان شعر حمد الحجي عن هذه الظاهرة ، وكانت معبرة عن أحاسيسه بشكل واضح ، ولعلي أستشهد بشواهد مختلفة من ديوانه تضيء هذا الجانب في تراكيبه ، فمن ذلك قوله : "في سكون الليل قدت الزورقا"^(٤)، و"كان حولي دورق

(١) انظر دلائل الإعجاز ، ص ٤٩ .

(٢) انظر جدلية الأفراد والتركيب في النقد العربي القديم ، د. محمد عبد المطلب ، مكتبة لبنان ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٥ م ، ص ١٦٣ .

(٣) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، ص ١١٢-١١٤ .

(٤) عذاب السنين ، ص ٣٩ .

النور^(١)، و"ومساء ليس فيه نجمة"^(٢)، و"إن للحب علينا جبروتا"^(٣)، و"إن للشوق لظاه"^(٤)، و"لهم من ذل أمتنا اقتدار"^(٥)، و"لنا في غابر الأزمان ملك"^(٦).

إن أصل التركيب في المثال الأول هو: (قدت الزورق في سكون الليل) لأن شبه الجملة وهي المتعلقة يتأخر عن الفعل في الأصل^(٧)، ولكن الشاعر قدم المتعلقة وهو الجار والمجرور هنا؛ وذلك لأهميته بالنسبة للشاعر، إذ يؤدي تقديمه بعدا نفسيا، ويكشف عن إحساسٍ يحسه الشاعر، ويتبين ذلك إذا عرفنا أن هذه الجملة هي أول عبارة في قصيدته (الزورق التائه)، وبها ابتداء قصيدته؛ فالذي يشغله، ويحتل جزءا كبيرا من تفكيره هو وقت قيادة الزورق ولأجل ذلك قدم (في سكون الليل)، لأن هذا أدمى إلى التأثر؛ فالليل موطن الخوف والوحشة، لأنه يحوي الظلمة التي تقض مضجع الشاعر، وتجمل أحاسيسه وتملأه بالخوف، وذلك التقديم أيضا يلقي بظلاله على نفسية المتلقي؛ لأن النفس تتطلع إلى الأمر

(١) السابق، ص ٤٠.

(٢) عذاب السنين، ص ٤٠.

(٣) السابق، ص ٤٥.

(٤) السابق، ص ٤٥.

(٥) السابق، ص ٧٣.

(٦) السابق، ص ٧٣.

(٧) انظر البنى الأسلوبية في النص الشعري: دراسة تطبيقية، ص ٢٣٧.

الذي يعينها فإذا جاء مقدما اطمأنت إليه ، كما أن لدى المبدع "أمورا مهمة تترتب عليه، فحينئذٍ - ولكي يكون التعبير أكثر قدرة وقابلية على التأثير والإثارة - يقدم فيه ما انعقد القلب به ، وإن كان حقه الرتبي من حيث الوجود الذهني التأخير"^(١).

وقد أبانت الشواهد الأخرى عن أثر التقديم أيضا ؛ حيث أبرزت جانبا مهما في التعبير ، وكشفت عن نفسية الشاعر الحزينة ، إما بسبب الحيرة وعدم الاهتمام (ومساء ليس فيه نجمة) ، أو بسبب الحب وشدة الشوق (إن للحب علينا جبروتا) ، أو بسبب ضعف الأمة ، وقلة حيلتها ، وسيطرة المستعمر عليها (لهم من ذل أمتنا اقتدار) .

وإذا كانت تراكيب الشاعر قد أبانت عن مقدرة فنية محلقة ، وصدق في الأحاسيس والمشاعر ، وكشفت — بتآزرها مع الجوانب الفنية الأخرى — عن نفسية مليئة بالحزن ، محملة بالألم ، فإن جانبا آخر في التركيب يضيف إليها ، ويدعمها ألا وهو جانب تكرار التركيب ، وذلك ملمح أسلوبى يدل إحساس صادق بما تعانیه النفس المبدعة من المعنى المكرر ، كما أنه يؤدي إلى "تلاحم النص؛ فهو يدخل في نسيجه لحمه ، ويشد أطرافه بعضها إلى بعض ، ويعطي شكله نوعا من الحركة ، يدور فيها الكلام على نفسه ، ويتكرر دون أن يعيد

(١) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، ص ١١٧ .

معناه^(١)، هذا بالإضافة إلى ما يقوم به التكرار من إلحاح على المعنى المكرر ،
وتثبيته في ذهن المتلقي .

وقد ظهر هذا الملمح الأسلوبي في قصيدته (ليل الاستعمار) ، إذ يركز
الشاعر على لازمة أسلوبية يعمد إلى تكرارها ، وهي (يدعو على المستعمرين) ،
ويؤخذ من تكراره لها المعاناة التي يعانيتها من جراء إحساسه ببشاعة الظلم الذي
يقع على المسلمين من قبَل أعدائهم ، وقد تكرر هذا التركيب أربع مرات وفي المرة
الخامسة يأتي بتركيب مشابه له ، ولعلي أستشهد بهذا المقطع حتى يتبين أثر تكرار
الجملة في النص :

وسمعتُهُ والليلُ يعلوهُ السُّكونُ
والظلمةُ السوداءُ جَلَّتِ السُّهولُ معَ الحُرُونِ
يَدْعُو عَلَيَّ الْمُسْتَعْمَرِينَ
ويُضَمِّدُ الجرحَ العميقَ بِصَدْرِهِ
ويقاتلُ المُتَحَكِّمِينَ بِأَمْرِهِ
وَيَرُدُّ الصَّيْحَاتِ ..
صَيْحَاتِ طِوَالِ فِي خُفُوتِ

(١) الأسلوبية وتحليل الخطاب ، د. منذر عياشي ، مركز الإنهاء الحضاري . الطبعة الأولى ، ٢٠٠٢ هـ .

لكنَّ ذاك الصوتُ يُخَنِّقُهُ السُّكُوتُ

وبقيتُ أستجدي النُّعاسُ

وإذا بأخَرَ سَاهِرٍ

في الليلِ يصرخُ يا أناسُ

ففزعْتُ منها " يا أناس "

ماذا يُريدُ بـ " يا أناس "؟

وإذا به يدعُو عَلَيَّ المُستعمِرينَ

ويُريدُ أن ندعو عَلَيَّ المُستعمِرينَ

لكنَّ ذاك الصَّوتَ أيضاً قد تَوَارَى في الظَّلامِ

وظننتُ أني سوفَ أنعمُ بالمنامِ

لكنني ما إن غفوتُ

حتَّى صحوْتُ على صياحِ

قد خَلَّتْهُ وَقَعَ السَّلَاحِ

وَوَقَفْتُ مَدْعُوراً عَلَيَّ قَدَمِيَّ: ...

" ما هَذَا الصَّياحِ؟ "

وإذا به يدعُو عَلَيَّ المُستعمِرينَ

ويَقُولُ: " أينَ الحقلُ ضيَّعَهُ الخُؤُونُ؟ "

الفَاجِرُ الملعونُ ...
 يعبثُ بالنُّفوسِ وبالعُقُولِ
 ويريدُ تضليلَ العُقُولِ!!^(١)

إن تكراره لهذا التركيب لم يأت عبثاً ، بل قام بأثر كبير في إيصال حقيقة المعاناة التي يعانيها الشاعر ، كما أنه يربط أجزاء النص ببعضها ؛ لأن هذا التركيب جملة محورية تدور حولها كل الأحداث التي عُلقت في عقل الشاعر في ليلة أخذ يتأمل فيها بأحوال شديدة التأثير في نفسه ، وكلُّ ما يسمعه دعاءً متواصل على المستعمرين وإن اختلفت المواقف .

كما أن التكرار بهذا الشكل يلح على الفكرة الرئيسة التي تسلط على الشاعر كما تقول نازك الملائكة : "فالتكرار يضع بين أيدينا مفتاحاً للفكرة المتسلطة على الشاعر ، وهو بذلك أحد الأضواء اللاشعورية التي يسلطها الشعر على أعماق الشاعر فيضيئها بحيث نطلع عليها"^(٢)

وهكذا يتضح أن الشاعر يختار اللباس المناسب لمعانيه ، فإذا ناسب اختيار الجملة الفعلية فإنها تكون وسيلته في التعبير ، وإذا كان المقام يستدعي الجملة الاسمية فإنه يجلبها في شعره ، كما أنه بالإضافة إلى ذلك يختار الترتيب المناسب

(١) عذاب السنين ، ص ١٢٧-١٢٨ .

(٢) قضايا الشعر المعاصر ، نازك الملائكة ، دار العلم للملايين ، الطبعة الحادية عشرة ، ٢٠٠٠م ، ص ٢٧٦-٢٧٧ .

لمعانيه ، وكلها تكشف وبجلاء عن ما يحس به ، وتضطلع بدورها في التأثير على نفوس المتلقين .

الأساليب :

ينوع الشاعر بين أساليبه ، ويختار القالب الذي يناسبها ، وكلها - فيما بعد - تتآزر في الكشف عن نفسيته، وتضيء تجربته الشعورية ، ولعلي في هذا المقام أن أسلط الضوء على أهم الأساليب التي يمكن أن تدخلنا إلى أحاسيس الشاعر ، ونفسيته التي يشوبها كثير من التعقيد.

إن التأمل في شعر حمد الحجي يلحظ سيطرة أسلوب الاستفهام على جل قصائده ؛ فقد ظهر هذا الأسلوب في ثمانية مطالع من قصائده^(١)، فضلا عن حضوره في أكثر القصائد ، بل ربما كان هذا الأسلوب هو الغالب على قصيدة كاملة ، وشيوع هذا الأسلوب يدعو إلى التساؤل عن سرّ حضوره - غير العادي - في شعره كما سيتبين ذلك من الشواهد بمشيئة الله تعالى .

لقد أبانت دراسة صدى المؤثرات النفسية في شعره أن الشاعر يعاني من حيرة قاتلة ، وأنه لا يفهم كثيرا من الأمور التي يتأمل فيها ، ولذلك فإن من أهم

(١) انظر عذاب السنين ، القصائد التالية : (وطني) ص ١٢ ، و(فتنة) ص ١٣ ، و(الدوحة الشاعرة المحتضرة) ص ١٤ ، و(تباريح) ص ١٨ ، و(في زمرة السعداء) ص ٣٥ ، و(آمال وآلام) ص ٥٠ ، و(أحاسيس الغرام) ص ١١٧ ، و(بيني وبينه) ص ١٢٢ .

أساليب صياغة هذه الحيرة التي تعصف به هو أسلوب الاستفهام^(١)؛ فهو دليل الحاجة إلى الفهم ، وهو دليل الطلب حتى وإن كان يخرج - في الغالب - عن معناه الحقيقي إلى معانٍ أخرى تفهم من السياق .

ويبني حمد الحجي حيرته الكبرى ، وأحاسيسه المؤلمة التي تنبعث من هذه الحيرة ، في قصيدته (في زمرة السعداء) ويجعل من أسلوب الاستفهام وسيلة تعبيرية كاشفة عن أحزانه العميقة التي تتابيه ، والمتأمل في القصيدة يلحظ أن هذا الأسلوب حاضر في كثير من أبيات القصيدة ، إذ تتكون القصيدة من عشرين بيتاً، ويحضر الاستفهام في تسعة أبيات ، فيقول في قصيدته تلك :

أَبْقَى عَلَى مَرِّ الْجَدِيدِينَ فِي جَوَى وَيَسْعُدُ أَقْوَامٌ وَهُمْ نُظْرَائِي؟
 أَلَسْتُ أَحَاهِمُ قَدْ فَطَرْنَا سُوِيَةَ؟ فَكَيْفَ أَتَانِي فِي الْحَيَاةِ شَقَائِي؟
 أَكَانَ لِسَانِي إِنْ نَطَقْتُ مُلْعَمًا؟ وَكَانُوا إِذَا نَاجَوْا مِنَ الْفُصْحَاءِ؟
 وَهَلْ كُنْتُ إِذَا مَا أَشْكَلَ الْأَمْرُ عَاجِزًا؟ وَكَانُوا لَدَى الْجُلَى مِنَ الْحُكَمَاءِ؟
 وَهَلْ لَهُمْ جُودٌ بِيَّ فِي أَكْفِهِمْ؟ وَإِنِّي مَدَى عُمْرِي مِنَ الْبُخْلَاءِ؟
 وَهَلْ كُلُّهُمْ أَصْحَابُ فَضْلِ وَمِنَّةٍ؟ وَكُنْتُ أَنَا الْمَفْضُولَ فِي الْفُضْلَاءِ؟
 وَهَلْ ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا؟ وَكُنْتُ مَلَّتْ الْيَوْمَ طَوْلَ ثَوَائِي؟

(١) انظر البني الأسلوبية في النص الشعري : دراسة تطبيقية ، ص ٢١٥ .

وَهَلْ كُلُّهُمْ أَوْفَوْا بِكُلِّ عُهُودِهِمْ؟ وَمَنْ بَيْنَهُمْ قَدْ غَاصَ مَاءً وَفَائِي؟^(١)
 إن تكثيف الاستفهام في هذه القصيدة يوحي بـ "الخيبة والشكوى وغلبة الوجد"^(٢)، ويتحمل هذا الأسلوب العجب والدهشة مما يراه مناقضا للحقيقة التي ينبغي أن يعيش فيها، لذلك اتخذ الاستفهام وسيلة معبرة عما يحس به .
 وتزداد الخيرة لدى الشاعر، ويعبر عن عنفوانها، عندما يعمد إلى انتقاء أدوات الاستفهام، انتقاء واعيا مقصودا لكي يبرز حجم الخيرة بدلالة الأداة، فالأصل أن أداة الاستفهام "ما" أن يسأل بها عن غير العاقل، أما أداة الاستفهام "مَنْ" فيسأل بها عن العاقل^(٣)، ويتقصد الشاعر اختيار "ما" في استفهامه عن العاقل عندما يقول:

وَأَتَيْتُ أَسْأَلُ عَنْ حَيَاتِي كُلِّهَا أَنَا؟ مَا أَنَا؟ مَا وَالِدِي وَإِخْوَتِي؟^(٤)

إن الشاعر يمعن في حيرته، ويؤكد جهله الصريح بطبيعته، وطبيعة من يحيط به، وإذا كان الاستفهام وحده كفيلا بإبراز هذا الجهل، فإنه لا يقف عن هذا الحد فقط بل يبحث عن ما ينقل جهله بشكل مبالغ فيه، عندما ينتقي الأداة التي يستفهم بها؛ إذ لو أنه اختار الأداة التي تناسب المستفهم عنه "مَنْ" لما حصل

(١) عذاب السنين، ص ٣٥.

(٢) دلالة التراكيب: دراسة بلاغية، ص ٢٢٤.

(٣) انظر السابق، ص ٢٠٥.

(٤) عذاب السنين، ص ٢٩.

اختلال في وزن القصيدة ، ولكنه انتقاء مقصود كشف وبجلاء عن حيرة كبرى يحس الشاعر بوطأتها ، ويكتوي بنارها.

لقد كشفت تلك الاستفهامات المتوالية عن حزنه الشديد بسبب هذه الحيرة، وهو يتقصد تكثيف الاستفهام عندما يحس بالألم ، فتنبعث منه المعاناة الصادقة ؛ فالتأمل في شعر حمد الحجي يلحظ أن أسلوب الاستفهام حاضر عندما يحس بالمرارة ، ويكون حضوره بشكل مكثف ، ثم إنه بالإضافة إلى ذلك يقوم بتوجيهه إلى من لا يحسن جوابا ؛ وبذلك يحمل مع عبارات الاستفهام الإحساس بالوحدة ، وهو إحساس فظيع استطاع الشاعر أن يعبر عنه بكل دقة ونجاح ، ويمكن أن أستشهد لذلك بمقطع من قصيدته (الليل والهوى) ، إذ يقول مخاطبا الروضة :

وَيَارَوْضَةً كُنْتُ أَرْتَادَهَا	إِذَا مَا اكَتَوَيْتُ بَلْفَحِ الْهَجِيرِ
عَهْدُتْكَ بِالْحَسَنِ مُحْتَالَةً	يَرِفُ عَلَيْكَ الشَّبَابُ النَّضِيرِ
فَأَيْنَ ظِلَّالُكَ ؟ أَيْنَ الْجَنَى ؟	وَأَيْنَ الْبَلَابِلُ ؟ أَيْنَ الْعَبِيرِ ؟
وَأَيْنَ جَدَاوِلُكَ الْهَارِبَاتُ ؟	لَأَغْسَلَ يَأْسِي ، وَأَيْنَ الطُّيُورُ ؟ ^(١)

إن الشاعر ينادي الروضة في البداية ، متذكرا معها الأيام الجميلة ؛ عندما كان يأوي إليها كلما أحس بألم وعناء ، ولكنه يصطدم بواقع مختلف ، لقد انقلبت

تلك الروضة الجميلة رأسا على عقب ، فزال جمالها ، لتعلن عن مفاجأة صعقت الشاعر ، وعندها ناسب أن يكشف الشاعر أسلوب الاستفهام ، فتتوالى ستة استفهامات في بيتين كاشفة عن معاناته الحقيقية ، وبذلك يكون الاستفهام قد أسهم في الكشف عن نفسيته الحزينة .

ومن مواطن الجمال التي تظهر في أسلوب الاستفهام هو تكراره ، ويبدو ذلك في تلك الاستفهامات التي يوجهها إلى البدر ، ويلح من خلالها على فكرة معينة ، وتحمل هذه الفكرة البرم الشديد مما يشاهده على الأرض فيقول :

هَلْ فِيكَ نَبْعٌ ضَاكٌ مُتَرَقِّقٌ	يَنَسَابُ بَيْنَ جَدَاوِلٍ وَصُخُورٍ؟
هل فيك جنات تغنى طيرها	وتموجت بنسائم وعطور؟
هَلْ فِيكَ كُوْحٌ لِلْفَقِيرِ مُرَقِعٌ	يَبْدُو ضَيْلًا نَحْتَ قَصْرِ أَمِيرٍ؟
هَلْ فِيكَ أَصْحَابُ الْمَلَائِينَ الْأُولَى	حَكَّمُوا عَلَى الْمَخْرُومِ بِالتَّقْتِيرِ؟
هَلْ فِيكَ شَعْبٌ يَسْتَنِيمُ إِلَى الْمَنَى	وَيَعِيشُ نَحْتِ الظُّلْمِ وَالتَّدمِيرِ؟
هَلْ فِيكَ كُفَارٌ وَأَهْلٌ عَقِيدَةٌ	يَسْمُونَ دُونَ النَّاسِ يَوْمَ نُشُورِ؟
هَلْ فِيكَ نَسْرٌ تَائَةٌ بِمُخَالِبِ	مَغْسُولَةٌ بِبِرَاءَةِ الْعُصْفُورِ؟ ^(١)

ومن الأساليب التي تكشف عن نفسية الشاعر حمد الحجى أسلوب التمني ، ويتبين الأثر الشديد الذي يحمله هذا الأسلوب بمعرفة دلالة الأداة التي تستخدم

لإفادته ؛ لأن "ليت" تستخدم في تمني الأمر الذي لا يتوقع حصوله ، أو ما يستحيل حصوله^(١)، ومن ذلك تظهر حالة اليأس التي تغطي الشاعر ، وحالة القنوط التي يحس بها حمد الحجبي .

ويدرك الشاعر معنى هذه الأداة عندما يؤكد أن كل ما يجيء بعدها من أمنيات ما هي إلا ضرب من القول ، ينطق به لسانه ، وتتحرك به نفسه ، أما تحققها على الواقع فهو بعيد كل البعد ، وعند هذا الإحساس يبدو اليأس ماثلاً :

لَيْتَ! لَكِنَّ لَيْتَ لَمْ تَبْقِ إِلَّا نَعْمًا ظَلَّ وَاهِيَّ الْأَسْبَابِ^(٢)

وإذا كان الشاعر فقد كثيرا من الأمور التي يحتاج إليها ، فإنه ظل يؤكد يأسه من استعادتها بأساليب كثيرة وعلى رأسها التمني ، فقد كشف أسلوب التمني هذا الإحساس بجلاء ؛ فالشاعر افتقد المرأة التي تحسسه بالحب والحنان ، فتمنى قربها، ولشدة حاجته إلى ذلك قدم أداة التنبيه واللفت "ألا" قبل التمني^(٣)، ولكن إحساسه يؤكد له استحالة هذا الأمر فيقول :

أَلَا يَا لَيْتَ مَنْ أَهْوَى قَرِيبٌ يُحْفَفُ وَطَاءَ آلامِي وَحُزْنِي^(٤)

ومن الأساليب التي أبانت عن تجربة حمد الحجبي أسلوب التضاد ، وهو

(١) انظر دلالة التراكيب ، ص ١٩٤ .

(٢) عذاب السنين ، ص ٣٤ .

(٣) انظر دلالة التراكيب ، ص ١٩٦ .

(٤) عذاب السنين ، ص ٣٨ .

أسلوب مؤثر يكشف عن المعنى ، ويعمق دلالاته في نفس المتلقي ؛ لأن " التضاد حين ينتقل بالنفس من الضد إلى الضد ، ومن النقيض إلى النقيض ينتج المعاني ، وتمكن تلك المعاني في النفس"^(١) .

وغالبا ما يلجأ حمد الحجي إلى هذا الأسلوب ، فبين وبجلاء عن إحساس صادق ، تتحرك معه المشاعر ، ولقد أبانت الشواهد السابقة عن قيمة هذا الأسلوب ؛ ومن أهمها قصيدته (في زمرة السعداء) ، وفيها تعاونت الأساليب في إبراز التجربة التي يمر بها الشاعر، وأسلوب التضاد بارز فيها ؛ حيث بنى قصيدته على مقارنة بينه وبين أقرانه فاتضح النتيجة متضادة ، حيث بقي في شقاء، وعاشوا هم في سعادة ، كما أنه يختار هذا الأسلوب للتأكيد على أنه مثلهم ، لا يختلف عنهم في شيء بواسطة الاستفهامات المتكررة التي تفيد النفي^(٢) .

ويستخدم حمد الحجي هذا الأسلوب كثيرا ، ويحمل معه تكريسا لحالة الحزن التي يعيشها عن طريق عقد مقارنة بين ماضيه الجميل ، وحاضره التعيس ، وبتلك المقارنة يزداد الإحساس بالألم ؛ لأنه عَلم حياة جميلة فارقتها ، تحولت هذه الحياة إلى الضد ، وانقلبت رأسا على عقب ، ويتكرر ذلك التشبيه الذي يجعل حياته السابقة كالروضة المثمرة الخضراء ، وحياته الحالية بعد أن زالت نضارتها

(١) انظر البنى الأسلوبية في النص الشعري : دراسة تطبيقية ، ص ١٧٥ .

(٢) انظر قصيدة في زمرة السعداء ، عذاب السنين ، ص ٣٥/٣٦ .

كما يقول :

أَنَارُ وِضَّةٍ مَا كَانَ أَنْضَرَهَا وَالْمَاءُ عَنْهَا الْيَوْمَ مُنْحَسِرٌ
 قَدْ كَانَ لِلْأَطْيَارِ شَقِيقَةً فِيهَا كَمَا يَسْتَرْنُمُ الْوَتْرُ
 بَاتَتْ لَهَا الْأَزْوَاحُ قَاصِفَةً تَتَسَاقَطُ الْأُورَاقُ وَالثَّمَرُ
 لَا غُرُوَّ أَنْ ذَبَلَتْ نَضَارَتُهَا فَلَقَدْ ذَوَى زَهْرُ الرَّبَا الْعَطِرُ^(١)

إن اعتماده على هذا الأسلوب كما أبانت الشواهد يعمق من إحساس الشاعر بالألم ، وينتقل تأثيره إلى المتلقي ، ولذلك فهو يكثر في شعر حمد الحجي ولعلي أن أستشهد بشواهد متفرقة في ديوانه تؤكد سيطرة هذا الأسلوب على شعره ومن ذلك قوله : "ويحيني لأنني في ممت^(٢)" و "ويبدلني رؤى خوفي بأمن^(٣)" و "ويجعل وحشتي أنسا^(٤)" مات النهار وجاء يخلفه ليل^(٥) .

(١) عذاب السنين ، ص ٩٤ .

(٢) عذاب السنين ، ص ٣٨ .

(٣) السابق ، ص ٣٨ .

(٤) السابق ، ص ٣٨ .

(٥) السابق ، ص ٥٥ .

المعجم الشعري :

يمتاز الشاعر الأصيل بأسلوب معين يعرف به ، ويسير هذا الأسلوب وفق ما يحس به ، أو وفق ما يؤمن به من أفكار ومعتقدات ومبادئ ، ومن جوانب هذا الأسلوب المعجم الشعري الذي يستقي منه ألفاظه ، ويعد هذا المعجم أبرز الخواص الأسلوبية التي تميز المبدع ، وتضع بصمته عليه^(١).

إن الإشارة إلى المعجم الشعري عند حمد الحجي تختلف عن الحديث في مفرداته التي سبقت الإشارة إليها في أول هذا المبحث^(٢)، إذ ليس المقصود به جميع مفردات شعره ، بل إن المقصود هو ما يتكرر في شعره بشكل ملموس ، وذلك يشير إشارات نفسية يحس بها القارئ الحصيف .

والمأمل في شعر حمد الحجي يلحظ تميز أسلوبه ببعض الألفاظ التي تنشأ من باعث نفسي ، وتلك الألفاظ تجعل القارئ يتساءل عن سرّ ترديدها بهذا الشكل اللافت ، حيث تتكرر كلمة (الزورق) بشكل بارز في شعره ، وليس الأمر متوقفاً على قصيدة واحدة ؛ إذ لو كان كذلك لأمكن القول : إن الشاعر مرّ بتجربة معينة تتناسب مع تكراره ، ولكن ذلك التكرار يرد في مواضع متعددة من ديوانه ، بحيث يجعلنا نبحث عن سر سيطرة هذا اللفظ على معجم الشاعر ،

(١) انظر في النص الأدبي : دراسات أسلوبية إحصائية . د. سعد عبد العزيز مصلوح ، عالم الكتب ، القاهرة .

الطبعة الثالثة ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م ، ص ٨٩ .

(٢) انظر ص ٢٦٣ وما بعدها من هذا البحث .

ويضاف إلى ذلك أنها ترد في عناوين قصائده كما جاءت في (الزورق التائه)^(١)، و(في زورقي)^(٢).

وكما يضع الشاعر هذه المفردة في عناوين القصائد، فإنه يستخدمها في معجمه الشعري بشكل متكرر، ومن أمثلة ذلك قوله:

فِيَا زَوْرَقِي قَدْ طَوَّانِي الْمَسَاءَ وَلَمْ يَيْدُلِي شَاطِئِي طَيِّبٌ^(٣)
وقوله:

زَوْرَقِي فَوْقَ مِيَاهِ عَصَفَتْ عَادَ مَجْنُونًا، وَبَاتَتْ زُبُقًا^(٤)
وقوله:

يَا زَوْرَقِي لَا تَنْطَلِقْ إِنِّي تُخِيفُنِي أَشْبَاحُ الْأَمِي^(٥)
وقوله:

رَبِّ تَاهَتْ سَفِينَتِي فِي ثَنَائَا الْيَمِّ مِ فَارْتَعْتُ مِنْ رُؤَى الْأَكْرَابِ^(٦)
وينشأ تركيز الشاعر على خطاب هذا الزورق، وترديده في شعره بشكل

(١) عذاب السنين، ص ٣٩.

(٢) السابق، ص ٥٧.

(٣) السابق، ص ٢٦.

(٤) السابق، ص ٣٩.

(٥) السابق، ص ٥٧.

(٦) السابق، ص ٣٣.

لافت من شعوره الحزين بالوحدة ، وإحساسه المؤلم بالعزلة ؛ لان مكان الزورق هو البحر ، والبحر في معجم الشاعر - كما سيأتي - موطن الضياع ، ومكان الهلاك ، ويحس الشاعر أن لا نجاة له إلا بتمسكه بهذا الزورق ، ولذلك يخاطبه ، ويشكو إليه ؛ ولم يفعل الشاعر ذلك إلا من إحساس صادق بأن فيه الأمان الذي ينشده ، أو أنه الأمل الوحيد الذي بقي له ، وليس له مفر من التعلق به .

وفيما هو وثيق باللازمة المعجمية في شعره يلحظ تكرار (البحر) ، وذلك ينبع من إحساسه بالضياع وعدم الاهتداء ، إذ يرمز في هذا اللفظ إلى ذلك المعنى ، ولأنه يحس بالضياع يقدم البحر بشكل آخر غير ما عرف به ، إنه - في معجم الشاعر - موطن الهلاك ، وموئل الخوف ، ويبدو ذلك في كل ما هو لازم للبحر :

طغت موجة الحزن في خاطري فأغرقت الفرحة الطافحة^(١)
وقوله :

خدعتني براءة الموج في الشط ط ولم أدر ما يضم الخضم^(٢)
وقوله :

أغالب بخيري ولكنة إذا ما علا موجه يغلب^(٣)

ويلحظ المتأمل في شعر حمد الحجي أن ألفاظه التي تحمل معنى الطبيعة أو ما

(١) عذاب السنين ، ص ٢٦ .

(٢) السابق ، ص ٧٥ .

(٣) عذاب السنين ، ص ٢٦ .

يدور في فلكها تكثر في شعره ، ولكنها - في الغالب - تحضر لتحمل رمزا يقصده الشاعر ، ويُفهم هذا الرمز من تجميع دلالات الطبيعة ؛ ويستطيع شعره تفكيك الرموز التي يشير الشاعر إليها ، وغالبا ما يستخدم الشعراء ألفاظا محورية يدور حولها التشكيل الرمزي^(١) ، ولعلي أمثل لذلك بمثال واحد يخص الطبيعة ، لكي ندرك كيف أبان شعره عن دلالة الرمز اللفظي .

يلحظ القارئ المتأمل في شعر حمد الحجي تكرار مفردة (الروضة) أو (الدوحة) أو (الربوة) ، أو غيرها من الألفاظ التي تحمل هذه الدلالة ، وهذه الروضة الناضرة التي يكررها حمد الحجي إنما تدل على نفسه ، وتعود إلى ذاته ، ثم ما تلبث هذه الروضة أن تنقلب وتتحول إلى أرض يباب ، تغيرت معالمها الجميلة ، فلم تعد كما كانت ، ولقد أبانت الشواهد التي ذكرت في هذا المبحث عن هذه الروضة المكررة فلا داعي لتكرارها ، من مثل ما ورد في عنوان إحدى قصائده (الدوحة الشاعرة المحتضرة)^(٢) ، أو قوله : (ويا روضة كنت أرتادها)^(٣) أو قوله : (أيا روضة قد كنت أرتاد نبعها)^(٤) ، أو قوله : (قد صَوَّحَ الروض)^(٥) أو

(١) في الأدب السعودي : رؤية داخلية ، ص ٨٥ .

(٢) عذاب السنين ، ص ١٤ .

(٣) عذاب السنين ، ص ٢٦ .

(٤) السابق ، ص ٥١ .

(٥) السابق ، ص ٥٧ .

قوله : (لا الروض يجدي)^(١) أو غير تلك الألفاظ التي تشير إلى الطبيعة .
والشاعر عندما يشير إلى الروضة فإنه في الغالب يرمز بها إلى نفسه ، فقد
صرح بذلك في إحدى قصائده مؤكداً أنه الربوة الغناء الناضرة ، التي انقلبت
نضرتها ، وزال جمالها وذلك في قصيدة (ليلة مع الآمال) حيث يقول :
أنا روضةٌ ما كان أنضرها والماء عنها اليوم مُنحَسرٌ^(٢)
وهكذا تقوم المفردة التي تسيطر على معجم الشاعر بإيضاح الدلالة التي
تحملها ، إذ لا تحمل دلالتها اللغوية المعروفة ، بل تتسع هذه الدلالة لتشمل
أحاسيس كثيرة جداً ، يفصح عنها الشاعر المبدع ، ويتلقاها القارئ وقد فهم ما
يرمي إليه المبدع .

(١) السابق ، ص ٥٨ .

(٢) السابق ، ص ٩٤ .

الصورة الفنية

اعتنى النقاد قديماً وحديثاً بالصورة الفنية في الشعر ، بل إنهم جعلوها أحد الأركان الأساسية التي لا ينهض الشعر إلا بها ؛ حيث يؤكد الجاحظ بأن الشعر "صياغة ، وضرب من النسيج ، وجنس من التصوير"^(١) ، وهو بذلك يقصد من توظيف هذا المصطلح التركيز على تشخيص المعنى للمدركات الحسية^(٢).

وعند البحث في أهمية الصورة في الشعر عند النقاد القدماء يلحظ الجانب النفسي الموجه إلى المبدع أولاً ، ثم تأثيرها على المتلقي ثانياً ؛ فهي "قوة نفسية محسوسة سواء ما كان منها من جهة التشبيه أم من جهة الاستعارة"^(٣) ، ومن ذلك تتخذ الصورة أهمية قصوى تظهر في تشكيلها لنفسية المبدع ، ودالتها عليه .

ويبدو أثر الصورة في تشكيل نفسية المبدع في التفسير النفسي للاستعارة مثلاً ؛ فإن كل ما يمر بذهن الشاعر في لحظات إبداعه الشعري يكون ذا دلالة على ما يحس به في داخله ؛ "فعندما يقول : إن الأطلال حزينة يراها حزينة فعلاً ،

(١) الحيوان ، الجاحظ ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مطبعة الباي الحلبي ، القاهرة ، الطبعة الثانية ،

١٣٨٩ هـ ج : ٣ ، ص ١٣٢ .

(٢) انظر الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي : دراسة ، ٣١٩ .

(٣) السابق ، ص ٣٦٧ .

وعندما يقول رأيت البراري ضاحكات فقد رآها هكذا فعلاً^(١)، ومن هذا المنظور يمكن تفسير الصور البيانية التي تظهر في شعر حمد الحجي ، ويمكن معرفة كيف يرى الشاعر الأشياء الخارجية في داخله .

وفي النقد المعاصر يلحظ الاعتناء بجانب الصورة من ناحية دلالتها على نفسية مبدعها ؛ فهي " جوهر القصيدة كلها ، من حيث كونها تتعدى المحسوس إلى الحدس ، في ارتباط أشكال هذه الصورة بالأجواء النفسية الكامنة في ذات المبدع ، وهنا يؤدي الخيال دوره في نقل التجربة الشعورية التي تصاحب الحدث ، وتتأثر به من أجل تشكيل وحدة كاملة تنتظم في داخلها وحدات متعددة هي ما يطلق عليها بـ(لبنات القصيدة) في بنائها العام ، وكل لبنة من هذه اللبنات هي صورة"^(٢).

وتسهم الصورة إسهاما مباشرا في الكشف عن نفسية المبدع ، بل إن هناك فكرة تتردد تؤكد أهمية الصورة في إضاءة الجانب النفسي ، تقول هذه الفكرة : "إن الصورة كشف نفسي لشيء جديد بمساعدة شيء آخر ، وأن المهم هو هذا الكشف لا المزيد من معرفة الشيء المعروف"^(٣)

(١) الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة ، ص ٢٩٩ .

(٢) الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي : دراسة ، ص ٣٦٧ .

(٣) التفسير النفسي للأدب ، ص ٨٨ .

مصادر الصورة :

لقد تبين في أجزاء هذا البحث ولع الشاعر حمد الحجي بالطبيعة ، وأثرها الكبير على نفسه ؛ فهو يلجأ إليها في الغالب لإحساسه الأليم بالوحدة ، وشعوره الدائم بالانفراد والانزواء ، ومن هذا المنطلق كانت الطبيعة الساكنة من أهم المصادر التي ألهمت حمد الحجي ، فقد كان يستقي صورته منها ، ووجود تلك الصور تدل على آثار نفسية ساشير إليها عند الحديث عن شواهدا.

ولقد كان الشعراء يتخذون الطبيعة مادة ملهمة لتشكيل صورهم ، فيرسمون منها لوحات جميلة مؤثرة^(١)، ولكن إحساس الشاعر بالطبيعة مختلف عن الآخرين ، وبذلك يكون لكل شاعر خاصيته التي تميزه عن غيره ، وتشكل أسلوبه بما يتواءم مع طبيعته وأحاسيسه الداخلية ، ومن هنا فإن لحمد الحجي أسلوبه الخاص الذي أملاه عليه إحساسه بالألم ، وشعوره بالعذاب.

والشاعر حمد الحجي عندما يتخذ من الطبيعة مصدرا أساساً لصوره الشعرية فإنه لا ينقلها بصورتها المعروفة دائما ، وإنما يمتزج بها ، ثم يخضعها للحاجات التي تتحرك بها نفسه ، ويتلاعب بها وفقا لتصوراته الخاصة ، وبهذا الشكل يكون قد عبر عن نفسه تعبيرا صادقا^(٢)، وقدم إلى المتلقي شيئا جديدا يؤثر

(١) انظر البنى الأسلوبية في النصوص الشعرية: دراسة تطبيقية ، ص ٢٨٣ .

(٢) انظر التفسير النفسي للأدب ، ص ٥٧ .

فيه .

ويؤكد حمد الحجي في شعره أن للطبيعة أثراً كبيراً فيه ، وأنها هي التي تلهمه الشعر ، وتحرك خياله فيبدع القصائد الجميلة الرائعة ، إذ يقول بعد أن وصف طبيعة لبنان ، وجمال ربواتها ، وروعة شواطئها :

أَسْعَدَتْ أَمْوَاجُهُ الْجَزْدُ لِي خَيْالاً شَاعِرِيّاً^(١)

ويقول بعد أن أثاره جمال الربيع في نجد ، وفتنه جمال رباهها ، وروعة

خضرتها:

لَوْ أَوْتِي الطَّيْرُ إِفْصَاحاً وَمَعْرِفَةً لِرَاحٍ يَنْظِمُ فِيهَا الشَّعْرَ تَشْبِيّاً^(٢)

وفي غير موضع من شعره يؤكد أن جمال الطبيعة يحمله على الإبداع ، مما يدل على إحساسه بالجمال ، وتأثره به ، ولذلك فقد اتخذ من مناظر الطبيعة الرائعة مصدراً يمدّه بتصوير أحاسيسه ، وإيضاحها للمتلقين .

ويلحظ المتأمل في شعر حمد الحجي أنه يلجأ - غالباً - إلى الطبيعة ، ويمتزج

بها كما يفعل شعراء الرومانسية من أجل الفرار من الفساد الذي يرونه في مجتمعهم ، وما يعترهم من ظلم وشرور^(٣) ، وبهذا الشكل يلجأ الحجي إلى الطبيعة ،

(١) عذاب السنين ، ص ٤٦ .

(٢) السابق ، ص ٢٥ .

(٣) انظر عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، ص ٧٦ .

ويبث فيها الحياة كما ظهر ذلك عندما جعل البدر في شكل إنسان ، وأصبح يوجه له الخطاب ليقاسمه المرارة ، ويشاركه العذاب :

يا بدرُ سِرِّ في أُفُقِكَ الزَّاهِي وَلَا تَحْفَلُ بِأَنْسَانٍ وَلَا بِطُيُورٍ
 إنْ جَاءَ إِنْسَانٌ إِلَيْكَ فَارُدَّهُ نَحْوَ التُّرَابِ بِخَيْبَةِ الْمُقْهُورِ
 أوْ أَقْبَلِ الصَّارُوخُ نَحْوَكَ فَاتِحاً فَادْفَعْ أَدَاهُ بِنَفْخَةٍ فِي الصُّورِ
 هُمْ أَفْسَدُوا هَذَا الشَّرَى وَتَطَايَرُوا لَكَ كِي تَمُورَ بِفِتْنَةٍ وَشُرُورٍ^(١)

هاهو ذا حمد الحجي يشخص البدر ويخاطبه ؛ لإحساسه الأكيد بأنه يسمعه ويدرك ما فيه ، ويستغل هذا المظهر الطبيعي الجميل لبث أحاسيسه الصادقة تجاه كل الناس الذين يحيطون به ، ثم إنه يجعله وسيلة مهمة لإبراز جراحه في نظر الناس ، فيرسم لنا صورة في غاية الإبداع يحس معها المتلقي بما يحمله من ألم وتعاسة ، إذ يؤكد أن ابتعاد البدر عن الأرض جعل شكله صغيراً ، ولكنه على وجه الحقيقة كبير جداً ، ثم يستغل ذلك لإبراز حجم جراحه العميقة ؛ إذ يؤكد أنها مع عمقها تبدو للناس ضئيلة ؛ لبعدهم عنه ، وعدم اكترائهم به :

فِي مَسْبِحِ الْأَفْلَاقِ جِرْمُكَ دَائِرٌ يَبْدُو صَغِيرًا وَهُوَ جِدُّ كَبِيرٍ
 وَكَذَلِكَ فِي قَلْبِي الْجِرَاحُ تَضَاءَلَتْ لِلنَّاسِ وَهِيَ عَمِيقَةٌ بِضَمِيرِي^(٢)

(١) عذاب السنين ، ص ٦٩-٧٠.

(٢) السابق ، ص ٧١.

وإذا كان البدر من مظاهر الكون التي أمدت خيال الشاعر بالصورة المحلقة؛ فبث فيها الحياة، فإن الشمس من المظاهر الطبيعية التي أثارَت الصورة عند حمد الحجي، فأمدت الشاعر بفكرة خاصة تحمل أحاسيسه، يعرضها ليبرهن على قدرة الحب، وإن كان الكثير يستهين بهذه القدرة استكباراً وتيهاً، فهو يقول في هذا المعنى:

أَنْتُمْ أَهْلُ الْهَوَى مِنْ تَيْهِكُمْ تَصْعَدُونَ الشَّمْسَ بِالْحُبْلِ الرَّقِيقِ
تَحْسَبُونَ الشَّمْسَ - وَالنَّارَ بِهَا - طَلَعَتْ كَمَا تُؤَافِي بِالشُّرُوقِ
كَفَرَّاشَاتٍ أَنْتَ وَاسْتَبَشَّرَتْ تَطْلُبُ النُّورَ فَعَشَّاهَا الْحَرِيقُ^(١)

ويلوّن حمد الحجي هذه الصورة بلون مشاعره التي يحس بها من تجربة الحب الحزينة؛ فقد جعلته هذه التجربة يرى الأشياء الخارجية من خلال أحاسيسه الداخلية^(٢)، فالشمس التي هي رمز النور والاهتداء، ودلالة الإشراق والضياء تنقلب وتتغير - بسبب نظرتة المتشائمة - لتصبح ناراً محرقة، وأمل خابٍ ضائع، وموطن هلاكٍ واحتراق، وهو الأمر الذي جعله يسعى إلى تغيير النظرة التي تتردد عند العشاق؛ إذ تقودهم أحاسيسهم إلى أن طلوع الشمس علامة أمل

(١) عذاب السنين، ص ١٠٥.

(٢) انظر التصوير الشعري: رؤية نقدية لبلاغتنا العربية، د. عدنان حسين قاسم، مكتبة الفلاح الكويتية،

الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ص ٨١.

وإشراق.

وكما أبانت الصورةُ الحركةَ التي تموج بها نفسه من جراء تجربته الحزينة ، فإنها - أيضا - جَلَّت المعنى ، وكشفت عنه ؛ لأنه استخدم مظاهر الطبيعة المناسبة في إيضاح فكرته ، ورسم أبعادها ، فالشاعر لم يقف على مظهر الشمس فقط ، بل رسم لنا مشهدا حركيا بديعا استوحاه من الطبيعة ، يتمثل في منظر الفراشات التي رأت النار ، فاستبشرت فِرْحَةً بالنور والضياء ، فتسابقت إليها ، وتكالت عليها ، فاحترقت بناورها.

ومنظر آخر من مناظر الطبيعة يرتمي الشاعر في أحضانه ، ويؤكد هذا التصوير الاضطراب العميق الذي يحس به الشاعر ، وعدم الاستقرار النفسي الذي يعاني منه ، بدا ذلك جليا في مخاطبة الكوكب ؛ ويبدو في تضاعيف الصورة الإشارات النفسية التي ترسلها ؛ إنه يجعل الكوكب على شكل أنيس صادق ، ليعكس ذلك عدم الصدق الذي يلقاه ممن يُفترض به أن يكون أنيسا ، ويبدو ذلك في الصفات التي يتصف بها الكوكب ، من حملة لعينين يبهر الشاعر بهما ، ثم تذكر الأيام الجميلة التي قضاها معه ، والسخرية التي يوجهها هذا الكوكب إليه ، ثم طلب العودة إلى عينيه الجميلتين :

رَسَوْتُ عَلَى الشَّاطِئِ السَّاجِرِ

سَبَحْتُ زَمَانًا بِعَيْنَيْكَ حَتَّى

أَهْوَمْتُ كَالْحُلْمِ الشَّاعِرِ

وَطَفْتُ بَعِيدًا أَرْوَمُ النُّجُومِ

أَتَسْخَرُ مِنِّي وَهَلْ كُنْتُ يَوْمًا أَيَا كَوَكَبِ الْحُسْنِ بِالسَّاخِرِ؟
أَعِدُّنِي إِلَى بَحْرِ عَيْنَيْكَ إِنِّي مَشُوقٌ إِلَى مَوْجِهِ الْهَادِرِ^(١)

ويلحظ أن الشاعر قدّم صورة أخرى للكوكب ؛ فقد رآه بإحساسه ، وتلك الرؤية تختلف جملة وتفصيلا عن الحقيقة المعروفة عن الكوكب ، كما يلحظ أيضا أنه استغل الصور الجزئية في تشكيل صورة الكوكب من خلال الزاوية التي يراها فيه ، والتأمل في هذه الصورة يكشف أحاسيس حمد الحجي .

ومن مظاهر الطبيعة التي يوظفها حمد الحجي في صوره ، منظر الأزهار

والربا ؛ حيث يتخذها وسيلة للتعبير عن جمال محبوبته ، حيث يقول في ذلك :

تَذَكَّرْتُ خَدَيْكَ عِنْدَ الْوَرُودِ فَهَاجَ الْفُؤَادُ أَسَىً وَاضْطَرَبَ
وَمَا لَ بِيَسْتَانِنَا الْغُصْنُ غَضًّا فَوَأْفَى بِقَدِّكَ لِمَا انْقَلَبَ
وَهَبَّ النَّسِيمُ بِعَطْرِ الزُّهُورِ فَجَاءَ بَرِيًّا لِي حِينَ هَبَّ
وَمَا نَفْحَةٌ مِنْ شَذَاكِ الْحَبِيبِ كَنَفْحِ الزُّهُورِ ، وَعَطْرِ الْعَلْبِ^(٢)

إن هذه الأبيات تعكس نفسا نبض فيها الحياة ، إذ تتخذ صور الطبيعة

مظهرًا يذكره بالجمال ، ويثير مشاعره التي تغلغل الحب فيها ، فالورد يذكره بخدود محبوبته ، فيخفق القلب لذكرها ، والغصن يذكره بقوامها ، والنسيم

(١) عذاب السنين ، ص ٧٦ .

(٢) عذاب السنين ، ص ١٣ .

الجميل يجلب له عقب رائحتها ؛ فيضيء قلبه سعادة ، ويغمر نفسه السرور ، ولكن الحال قد تنقلب فلا يرى في الورود شيئاً جميلاً ، ولا يحرك الزهر فيه أيّ كامن من كوامن الحب ، أو معنى من معاني السرور ، بل ربما انقلب الجمال ضاراً به ، ولم يعد يكتسب منه إلا الألم والعذاب ؛ مما يدل على أن تصوره للطبيعة خاضع لتجربته التي يعيش فيها ، إنه يقول :

لا أرى حُمْرَةَ الْوَرُودِ ، وَيُدْمِي شَوْكُهَا أَنْمُلِي كَحَدِّ الْحِرَابِ^(١)
ويقول كذلك :

أَتْرُكُ الزَّهْرَ فِي الرَّوَابِي وَأَرْنُو نَحْوَ جَائِي الصُّخُورِ تَحْتَ الرَّوَابِي^(٢)

ويوظف الشاعر مظاهر الطبيعة من أجل التصوير بالحقيقة ؛ ذلك التصوير الذي "يعتمد على رسم مشهد متحرك ، في شكل قصصي ، أو حوار درامي تتجه أحداثه ، وتسير خطوطه ، وتتقدم نحو اكتمال رسم الشريط القادر على تجسيد إحساسات الشاعر"^(٣) ، يبدو ذلك ظاهراً في صورة حقيقية يتذكرها الشاعر ؛ يرسم فيها جمال الربا وهي تحتويه مع محبوبته ، ثم كيف ينتقلان منها إلى الجبال ، وكيف يسيران معاً بين البساتين ، فيستمتعان برائحة الأزهار الفواحة ؛ وإذا تأمل

(١) عذاب السنين ، ٣٢ .

(٢) السابق ، ص ٣٢ .

(٣) التصوير الشعري : رؤية نقدية لبلاغتنا العربية ، ص ٢٤١ .

القارئ في هذه الصورة يلحظ أن ذلك الرسم يتشكل بأحاسيس الشاعر ونزعاته النفسية ؛ لأن جمال الطبيعة لم يكن يعنيه بقدر إحساسه بهذا الجمال وهو مع امرأة يحبها ، إذ يقول:

كَمْ خَلَوْنَا بَيْنَ الرَّبَا فَاسْتَرَحْنَا وَصَعَدْنَا مِنَ الْجِبَالِ ذُرَاهَا
وَمَشِينَا بَيْنَ الْبَسَاتِينِ خَطْوًا وَنَشَقْنَا مِنَ الزُّهُورِ شَذَاهَا
كُلُّ هَذَا وَالنَّاسُ فِي عَقْلَةٍ عَنَّا نَا وَعَيْنُ الْحَسُودِ تَشْكُو قَذَاهَا^(١)

ومما هو داخل في التصوير الحقيقي تلك اللوحة الجميلة التي رسمها للربيع الأسر في نجد ، إذ صور هذا الجمال بأجمل مظهر ، فتنشق من كلماته أمارات الإعجاب ، وعلامات السعادة والسرور ، إنه يصور إبداع الخالق - جل وعلا - لهذه الربوات الغناء ، وذلك النسيم الذي ضاع حاملاً أجمل الروائح ، فتنقل إشعاعاتها إلى نفسه ، فتشفي صدره من الهموم ، وتحارب كل ما يعتره من أسقام وغموم ، يقول :

انظُرْ إِلَى الرَّبَوَاتِ الْفِيحِ قَدْ خَلَعَتْ يَدُ الْجَلَالِ عَلَيْهِنَّ الْجَلَابِيَا
وَانشَقْ شَذَا عَرْفِهَا الْفَوَاحِ فِي دَعَةٍ وَشَمَّ فِيهَا نَسِيمًا يَحْمِلُ الطَّيْبَا
فَمِنْ خُزَامَى إِلَى رُنْدٍ يَصُوعُ بِمَا يَشْفِي الصُّدُورَ وَيَقْصِي الهمَّ مُحْرُوبَا^(٢)

(١) عذاب السنين ، ص ١١٩ / ١٢٠ .

(٢) السابق ص ٢٤ .

ومن المصادر التي يلجأ إليها الشاعر لبناء صورته الطبيعة المتحركة ؛ إذ يلجأ الشاعر إليها متخذاً الرمز — في الغالب — وسيلة لبث أحزانه ، أو ربما يتخذ منها مصدراً ليضيء فكرة تدور في نفسه ، شأنه بذلك شأن كثير من الشعراء الذين شكلوا من صورة الحيوان مشاهد كثيرة ترسم عليها مشاعرهم ، أو تعكس نظرة مجتمعاتهم^(١).

وعند التأمل في ما يحمله هذا المصدر بعد استحضار صورته بوجه عام نجد أنه قد يتجه إلى رمزين نفسيين ؛ فهو إما أن يرمز إلى الخير والسعادة ، كما يتبين ذلك في الحمامة أو الغزال أو غيرها ، وإما أن يشير إلى الشر والشقاوة كما نجد ذلك في رمز الأفعى والغراب وغيرها ، ولكن هذه الإشارة ليست على إطلاقها ؛ لأن المبدع هو الذي يشكل هذا الرمز بما أوتي من مقدرة فنية ، كما أن فهم التجربة الشعورية هي التي تقودنا إلى تفكيك الرمز ، وفهم مراد الشاعر منه .
ولعلّ المناسب أن أتوقف عند بعض الشواهد من شعر حمد الحجي ، ليتبين من خلال التأمل فيها كيف شكّل الشاعر أحزانه من خلال الصورة التي يرسمها ، وكيف أبانت عن آلامه ، إذ يقول في قصيدته (الزورق التائه):

(١) انظر انترولوجية الصورة والشعر العربي قبل الإسلام : قراءة تحليلية للأصول الفنية ، د. قصي الحسين ،

الأهلية للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م ، ص ٢١١ / ٢١٠ .

لَيْسَ فِي وَجْهِ الدُّجَىٰ إِلَّا الْأَسَىٰ وَأَفْئَاعٌ يَسْتَطِيبْنَ الْغَسَّاقَا^(١)

لقد تبين مما سبق أن القصيدة نتيجة معاناة حقيقية ؛ إذ كان الخوف يملأ قلبه، فقامت الصورة بدورها في الإفصاح عن ما يحمله من مشاعر ؛ فهو يسير في ليل مظلم ، لا يكاد يبين عن شيء ، ولشدة خوفه في هذا الليل البهيم يحس بالأفاعي وهي تتحرك ذات اليمين وذات الشمال ، لتزيد من وحشته ، وتعمق من خوفه وألمه ؛ وذلك لأن "الأفعى تحولت في اللاشعور الجمعي إلى حائل منيع يقف بين الإنسان والخلود ، أو بينه وبين التآلف المنشود مع الحياة ، ولذا فقد أصبحت رمزا لكل ما هو سلبي وعدواني"^(٢).

ومن أمثلة الصورة التي استحضر فيها الشاعر صورة خارجية للطبيعة المتحركة تحمل دلالة الشؤم ، وتدل على عميق الألم ، صورة الغراب ، إنه يصطبغ بلون الأحزان ، وقد وصل ذلك إلى الشاعر بسبب تغلغل هذه الدلالة في التراث العربي^(٣) ، إذ يقول :

إِنْ تَغَنَّتْ حَمَامَةٌ مِلْتُ عَنْهَا ثُمَّ أَرْهَفْتُ مَسْمَعِي لِلْغُرَابِ^(٤)

ويأتي منظر الذئب ليقدم لنا صورة الناس كما يراها حمد الحجي ، وهي نظرة

(١) عذاب السنين ، ص ٤٠ .

(٢) رمز الأفاعي في التراث العربي ، ثناء أنس الوجود ، مكتبة الشباب ، د.ط ، ١٩٨٤م ، ص ٩٦ .

(٣) انظر التصوير الشعري : رؤية نقدية لبلاغتنا العربية ، ص ٢٤٢ .

(٤) عذاب السنين ، ص ٣٢ .

متشائمة استغل فيها صفات الطبيعة المتحركة ليكشف من خلالها عن الصورة التي يحتفظ بها في قلبه للناس ؛ فهم يتصفون بصفات الدناءة واللؤم ، وتلك الصفات تملأه بالأسى ، وتقتله حسرة وألماً ؛ وينبع ألمه ذلك من جراء عدم الثقة بهم ، وعدم الاطمئنان لهم ، والركون إليهم :

أَمْ لَأَنِّي أَرَى الْأَنَامَ بِأَجْسَا مِ تَوَارَتْ فِيهَا نُفُوسُ الذَّنَابِ^(١)

وإذا كان الذئب في نظر حمد الحجي رمزا لتلك الصفات البغيضة ، فإنه يُعَيِّبُهُ في مشهد الطبيعة الجميلة ؛ ليؤكد أنه قد تناسى هذا المنظر ، ولم يعد يكثرث به ، وذلك عندما صوّر منظر الغزلان وهي تمرح في الربا الجميلة ، وتستمتع بمناظرها الخلابه ، إنها في طبيعة فائقة الجمال ، أنستها أي شيء يعكر صفوها ، من رجل يحاول اقتناصها ، أو ذئب يسعى إلى افتراسها ، وكأنه بإبداع هذا المشهد الجميل يرمز إلى نفسه ؛ لقد افتتنت بجمال الطبيعة ، ولم تعد تخش الناس الذين يحملون نفوس الذئاب :

وَمَنْ مَغَانٍ بِهَا الْأَرَامُ وَائِيَّةٌ يَرْتَعْنَ مَا خَفْنَ قَنَاصاً وَلَا ذِيبَا
يَنْشَقْنَ نَوْرَ الرُّبَا الْحَضْرَاءِ فِي جَدَلٍ وَيَتَّحِينَ لُجَيْنَ الْمَاءِ مَشْرُوبَا^(٢)

هاهو ذا حمد الحجي يختار من مناظر الحيوان ما يشف عن نفسه ، وما يبين

(١) السابق ، ص ٣٣ .

(٢) عذاب السنين ، ص ٢٤ .

عن أحاسيسه ؛ فلقد كان منظر الآرام معبرا عن نفسية مليئة بالحياة ، مفعمة بالتفاؤل ، كارهة التشاؤم ، وكل ما يدعو إليه ، وهي نظرة مخالفة تمام المخالفة لمنظر الأفعى والغراب والذئب ؛ تلك المناظر التي شفت عن نفسية مليئة بالحزن ، غارقة في التشاؤم .

وتسهم صورة الطبيعة المتحركة أيضا في تفصيل ما يحس به الشاعر ، ويبدو ذلك في رؤيته الدقيقة لكيفية تلقى النفس مشاهد الطبيعة ؛ لأن النفس تتلقى الطبيعة بحسب أحوالها وحاجاتها ؛ فإن كانت مسرورة رأت في مناظرها السرور ، وإن كانت مهمومة تبتد من مناظرها الأحزان والهموم :

تُغْنِي عَلَى الدَّوْحِ الوَرِيْقِ حَمَامَةٌ فَيَحْسَبُهُ المَحْزُونُ حُزْنَ بُكَاءٍ
وَتَبْكِي عَلَى الغُصْنِ الرَّطِيْبِ يَظُنُّهَا حَلِيْفُ الهَنَاءِ تُشْجِي الوَرَى بِغِنَاءٍ^(١)

لقد أكد الشاعر إحساسه بمنظر الحمام وهو يغني ؛ لأنه يعيش في فرحة وسرور ، وبدا ذلك عندما رأى أفعال الأبطال الذين وقفوا في وجه الأعداء ، لقد أحس بالزهو ، وشعر بالفخر ، فرقص فؤاده طربا ، وعند ذلك صَوَّرَ الآثار النفسية لأصوات الحمام ، إنه يغني ولا يمكن - والحالة تلك - أن يبكي ؛ بسبب سعادة الشاعر وغبطته :

غَنَى الحَمَامُ عَلَى نَحِيْلِ الوَادِي فَهَهَا الفُؤَادُ لَدَلِكِ الإنْشَادِ

(١) عذاب السنين ، ص ٣٦ .

عَنِّي وَرَدَدَدِي فِي الْفُرُوعِ لِحُوتِهِ
 إِيهِ حَمَامِ الدَّوْحِ غَنِّ فَإِنِّي
 فَلَقَدْ رَأَيْتُ مَعَ الصَّبَاحِ مَوَاكِبًا
 دَرَجَتْ عَلَى دَرْبِ الْحَيَاةِ وَحَدَقَتْ
 هَبَّتْ مِنَ النَّوْمِ الْعَمِيقِ مَرْوَعَةً
 فَإِذَا الْهَوَى وَالسَّحْرُ مِلْءُ فُوَادِي
 فِي فَرْحَةٍ تَزْهُو عَلَى الْأَعْيَادِ
 سَارَتْ عَلَى نَعْمَاتِ صَوْتِ الْحَادِي
 تَرُنُّو إِلَى الْأَمَالِ وَالْأَجْمَادِ
 فَأَبَّتْ حَيَاةً فِي حِمَى الْأَوْغَادِ^(١)

ومن المصادر التي أمدت خيال الشاعر ، وأسهمت إسهاما مباشرا في رسم مشاعره وتصويرها ، الموروث الثقافي ؛ فقد أضاء حمد الحجي صورته بما يحمله من محصول ثقافي ، وقدم صورته بالاستفادة من هذا المصدر أجمل تقديم ، ومن أهم مصادر ثقافته القرآن الكريم ؛ فقد رسم حمد الحجي صورة بديعة كشفت جانبا بارزا من نفسيته الحزينة المتألمة ، ظهرت في قصيدته (تباريح) ، إذ يقول فيها :

أَيْنَ تِلْكَ الْجَنَّةُ الْخَضْرَاءُ
 لَكُنَّا نِيَّيْنِ أَدَمَ أَهْمًا
 رَاءُ قَطَفَتْ جَنَاهَا
 بِطُ مِنْ عَالِي دُرَاهَا
 لِلسُّفُوحِ
 آه يَافَاتِيْنُ هَلْ
 إِنِّي بَيْنَ رُغَابِي
 لِسَّمَاءِ الْحُسْنِ مَرْقِي
 كَغَرِيقٍ بَيْنَ غَرْقِي
 قَوْمِ نُوحٍ^(٢)

(١) السابق ، ص ٧٨ .

(٢) عذاب السنين ، ص ١٨ .

إن القارئ لهذه الأبيات يلحظ لأول وهلة أن هناك انفصالا بين الصورتين، ولكن عند إمعان النظر في هذه الصورة يتأكد أن الصورة الثانية تنمى للأولى، والأمر الذي يثير المتلقي هو قدرة الشاعر على توظيف الحدث التاريخي الذي استلهمه من القرآن الكريم؛ حيث وظف الشاعر حدثين قديمين قصهما القرآن الكريم، يتعاون هذان الحدثان لإبراز تفاصيل الحالة النفسية الكلية التي يعيش فيها الشاعر، إنها يتوحدان ويجمعان بتوظيف الشاعر لهما ليخدما الدلالة، وليكرسا من ألم المعاناة التي انغرست في نفس الشاعر.

وتبدأ الصورة من إحساس الشاعر بأنه يعيش في جنة خضراء وارفة، تتدلى ثمارها فيقطف من جناها، ويتمتع بظلالها، ولكن تلك الحال لا تدوم، فقد ترك هذه الجنة الخضراء، وخرج منها، وهنا يستلهم الحادثة التاريخية الأولى، ويسقطها في النص، ومعها يستحضر ما حصل لآدم - عليه السلام - عندما خرج من الجنة، فتحضر كل أحداث هذه القصة التاريخية المحزنة، لأنه يستحضر مع هذه الحادثة - أيضا - أحزان آدم عليه السلام بعد أن هبط من الجنة، كما أنه يستحضر البون الشاسع بين حالتي آدم عليه السلام: حالته عندما كان يعيش في الجنة، وحالته بعد أن هبط إلى الأرض.

إنه مع استلهم هذا الحدث، يكشف عن نفسية في غاية الحزن، وقمة الألم؛ لأن كتب التفسير التي أفاضت بتفصيل هذه الحادثة لا بد أن تشير إلى الأحزان

التي ملأت قلب آدم عليه السلام بعد أن فارق الجنة ، وهبط إلى الأرض"، وذلك الأسف الشديد ، والحزن العظيم الذي يملأ قلب حمد الحجي يبسطه بالإشارة إلى أحزان آدم عليه السلام .

ولا تتوقف الصورة عند هذه النقطة ، بل تتواصل مشاعره الحزينة التي تسبب بها خروجه من تلك الجنة الخضراء ، فيتمنى العودة إلى هذه الجنة بواسطة أداة استفهام تفيد التمني"، ويستعيد آلامه التي تكاد تعصف به مستلها حادثه تاريخية أخرى ، تتمثل فيما حصل لقوم نوح بعد أن جرفهم الطوفان ، إن آلامه تزداد إذا تذكر الروضة الغناء التي قطف جناها ، ثم خرج منها ، مشبها نفسه بأحد العرقى الذين داهمهم الطوفان ، فأهلكهم ولم يبق منهم باقية ، وهو بذلك التشبيه يستجمع كل المشاعر النفسية للذين غرقوا بفعل الطوفان المخيف ، ليكشف حالته الحزينة التي يعيش فيها بعد أن فقد خضرة الجنة التي سبق أن تفيأ ظلها .

ذلك مثال على نوع من أنواع الثقافة التي يتمتع بها حمد الحجي ، وهي التي أسهمت في إضاءة الصورة ، وإبانة المشاعر التي تحملها نفسه ، كما أسهمت قراءته

(١) انظر على سبيل المثال تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، الطبعة

الخامسة ، ١٤١٦هـ ، ١٩٩٦م ، ج ١ ، ص ٧٧ .

(٢) انظر دلالة التراكيب : دراسة بلاغية ، ص ٢٠١ .

واطلاعه في تلوين صورته ، وكشف مشاعره ، ولكنها أقل تأثيراً من سابقتها ؛ ربما لأنها في شعره القديم الذي أبدعه في سنوات إبداعه الأولى ، حيث لم يصل إلى النضج الفني بعد.

وتتمثل الصورة تلك بتوظيف شخصيات أو أحداث غير عربية في قصيدته ، وهي كثيرة في شعره إلا أن تأثيرها أقل من سابقتها ، ربما كان ذلك بسبب ثقل الألفاظ الأعجمية في الشعر العربي ، وربما كان هدف حمد الحجاجي إبراز حجم ثقافته بعيداً عن ملامسة هذه الصور لما يحس به ، ولكنها - مع ذلك - لا تلغي سعة ثقافته واطلاعه ، ويمكن أن أستشهد على بعضها ، بقوله مثلاً :

لا يفصحُ الإنسانُ عن حُبِّهِ لَوْ هُوَ (لَا مَرَّتَيْنِ) أَوْ أَشْعَرُ^(١)

أو قوله في نفس القصيدة :

مَتَى؟ مَتَى؟ النَّارُ فِي مُهَجَّتِي بُرْكَانُ (فِي زُوفَ) إِذَا يَزْفُرُ^(٢)

(١) عذاب السنين ، ص ٨١ ، ولامارتين Alphonse de Lamartine هو الفونس دي لامارتين ، شاعر فرنسي ، ولد سنة ١٧٩٠م بياكون ، وتوفي سنة ١٨٦٩م ، نشر أول شعره الوجداني تحت عنوان تأملات شعرية سنة ١٨٢٠م فطارت شهرته ، ومن أشهر ما نشر " انسجامات شعرية ودينية " سنة ١٨٣٠م ، و " انهيار ملك " سنة ١٨٣٨م . Larousse, P 1344.

(٢) عذاب السنين ، ص ٨١ . وبركان فيزوف يقع جنوب نابولي بإيطاليا ، وأدت أشهر ثوراته التي حدثت إلى إفناء المدن التي حوله ، ثم ثار مرة أخرى فقتل ما يزيد على ثمانية عشر ألف شخص .

أو قوله :

إِنَّ لِلْحُـبِّ عَلَيْنَا جَبْرُوتًا هَيْلِيًّا^(١)

وتأتي الألوان لتشكّل مصدرا مهما من مصادر الصورة عند حمد الحجي ، وليس الأمر مقصورا على حقيقة اللون بما يضيفه على الصورة من جمال وحيوية بقدر أهميته في الدلالة على ما يحس به^(٢)؛ إذ تأتي بعض الألوان معبرة عن حالة نفسية يوحي بها اللون المختار ، ليشكّل الأحزان باللون الذي يناسبها ، وليشكّل الأفراح كذلك بلون حسي يتطابق معها ، وكأنه بهذا الشكل يعبر عن لون معنوي تشكّل به دواخله ومشاعره .

ويأتي اللون الأسود ليشكّل مظهرا بارزا في الصورة الخارجية التي يراها ، وما ذاك إلا لأنّ هذا اللون يغطي نفسيته الحزينة المتألّمة ، ويرتبط ذلك اللون بدلالة الغموض وعدم المعرفة ، كما يرتبط بدلالة الحزن والألم ، وهو أمانة من أمارات التشاؤم ، أو الخوف ، وتشكّل اللون الأسود بأشكال الصور التي يكثر منها في شعره ، كصورة الغراب ، أو صورة الليل التي توحى بالضبابية وعدم الاهتداء ، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك ، وربما يأتي هذا اللون صراحة لكشف

(١) عذاب السنين ، ص ٤٥ ، هتلر Adolf Hitler هو أدولف هتلر رجل دولة أمانى ولد في النمسا سنة

١٨٨٩م من أسرة نمساوية متوسطة وتوفي ببرلين سنة ١٩٤٥م. Larousse. P 1289.

(٢) انظر البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر ، ص ٢٢٦.

حقيقة إحساسه بما يتخلل كيانه النفسي ، والشواهد التي يستحضر فيها الشاعر اللون الأسود كثيرة ومنها قوله :

لَا حَ لِي أَسْوَدُ الْمَصِيرِ كَمُسْوَدِّ
دِ اللَّيَالِي مُكَشَّرِ الْأَنْيَابِ^(١)
أو قوله :

أَسْعِدِينِي فَإِنِّي فِي مَمَاتٍ
وَلَيَالٍ مِنَ الْمَصَائِبِ سُودِ^(٢)
أو قوله :

فَادْعُوا بِحَقِّ الْهَوَى أَنْ تَلْتَقِيَ بِكُمْ
فِي أَيَّامِنَا مِنْ بَعْدِكُمْ سُودِ^(٣)
أو قوله :

كَمْ سَهَرْتُ اللَّيْلَ عَقْلِي
هَائِمٌ فِي كُلِّ أَفْقٍ
وَأَسْوَدَاذُ اللَّيْلِ مِنْ حَوْ
لِي شَدِيدٌ مِثْلَ شَوْقِي
وَطُمُوجِي^(٤)

وحضور اللون الأسود في صور العالم الخارجي بعين حمد الحجي كثيرة ، بل إن ذلك اللون هو السائد في شعره ، ويكثر بشكل يمكن أن يشكّل ظاهرة مهيمنة على صورته ، وتقل الألوان التي تحمل دلالة مغايرة بالرغم من وجودها كاللون

(١) عذاب السنين ، ص ٣١ .

(٢) السابق ، ص ٦٧ .

(٣) السابق ، ص ٥٨ .

(٤) عذاب السنين ، ص ١٩ .

الأخضر الذي يدل على السعادة والفرح والحب ، كما تؤخذ هذه الدلالة من قول
حمد الحجي :

وَصَارَتِ الْأَرْضُ مَخْضَرًا جَوَانِبُهَا بِالنَّبْتِ تَلْقَاهُ مَفْرُوشًا وَمَنْصُوبًا^(١)

أو قوله :

مِنْ دِيلِهَا الْأَخْضَرُ فِي كَفِّهَا يَا حَبْدًا مِنْ دِيلِهَا الْأَخْضَرُ^(٢)

وهكذا تشترك مصادر الصورة المتنوعة لتشف وبكل وضوح عن أحزان
حمد الحجي وأفراحه ، وهو في الغالب يوظف الصورة توظيفاً دقيقاً لخدمة
أحاسيسه الداخلية ، وبذلك تصل مؤثرة في نفوس المتلقين .

(١) السابق ، ص ٢٣ .

(٢) السابق ، ص ٨٠ .

الصورة الكلية :

تنبع الصورة بشكل عام من الخيال ، وتمدنا الصورة الكلية بإدراك قدرة الشاعر على الإبداع والتخيل ، وذلك لأن "الرؤية الشعرية ، والقدرة على رؤية القديم بطرائق جديدة ، أو رؤية الجديد بطرائق قديمة تعتمد إلى حد كبير على التفكير من خلال الصور ، وعلى عمليات الخيال"^(١) .

وللصورة الكلية أثر كبير في بناء النص الشعري ، ولها قيمة كبرى في كشف ما يحس به الشاعر ؛ إذ يرسم فيها الشاعر "مشهدا طويلا يستقضي فيه خصائص ما يعتمل في نفسه"^(٢) ، ويقصد بالصورة الكلية أن تنبع الصورة من الصورة ، وتترابط فيما بينها ترابطا وثيقا يعين على توضيح الغرض وتعميقه ، وقد تتشكل الصورة الكلية من مجموعة صور جزئية ، تجتمع أجزاءها ، وتتلاءم عناصرها لتشكل صورة كلية"^(٣) .

وعند التأمل في شعر حمد الحجي يلحظ ما تقوم به الصورة الكلية من أثر كبير في التعبير عن أحاسيسه ، وقوتها في الإبانة عنه ، ولعلي أن أتناول الصورة

(١) علم نفس الإبداع ، ص ٢٦٣ .

(٢) جماليات الأسلوب : الصورة الفنية في الأدب العربي ، د. فايز الداية ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م ، ص ١٠٢ / ١٠٣ .

(٣) انظر البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر ، د. علي علي صبح ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، د.ط ،

الكلية من خلال عدد من المظاهر التي يبين عنها شعره ، وتكثر بشكل يدعو إلى التساؤل عن أسرارها ، ومدى إبانها عما يعتمل في نفسه .

ومن أهم أساليب الصورة الكلية التوليد؛ ويقصد به أن تتوالد الصورة الكلية من مجموعة من الصور الجزئية ، وتشكل من خلال الصور الجزئية صورة كلية عامة ، "تضامت أجزاءها، وتلاءمت عناصرها في أقوى رباط ، يشد ما تتطلبه الصورة من خواطر ومشاعر وعواطف ، وتنأى بعيدا عن الغريب عنها"^(١).

وتبدو الصورة الكلية التي تتكامل بواسطة التوليد بارزة في مقطع من قصيدة حمد الحجي (الزورق التائه) ، إنها تسهم إسهاما مباشرا في تجلية أحاسيسه، وتنبع من أعماق نفسه المرهقة الحزينة ، يقول الشاعر في هذا المقطع :

قَاصِدًا شَطَّ رَجَائِي الشَّيْقَا	فِي سَكُونِ اللَّيْلِ قَدْتُ الزَّوْرَقَا
حُلْكَةٍ لَمْ أَجُلْ فِيهَا أَفْقَا	مُبْجِرًا نَحْوَ الْمَدَى الْمَجْهُولِ فِي
لَاهِبِ الْعَصْفِ مَغِيضًا مُحْنَقَا	كَمْ يُتَوْرُ الْبَحْرُ حَوْلِي مُزْبَدَا
رَعَقَاتُ الدُّعْرِ مِمَّنْ غَرَقَا	حَمَلْتُ أَمْوَاجُهُ مِنْ قَاعِهِ
فَارْحَمِ اللَّهُمَّ عَقْلِي الْمُرْهَقَا	رَبِّ ضَلَّ الرُّوحُ فِي غَيْهَبِهِ

(١) انظر البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر ، ص ١٩٥ .

زُورَقِي فَوْقَ مِيَاهِ عَصَفَتْ عَادَ مَجْنُونًا ، وَبَاتَتْ زُبُقًا^(١)

وإذا كانت لغة الشاعر قد أسهمت في الإبانة عن المشاعر الحزينة التي يحملها عقل حمد الحجي ، فإن الصورة الكلية تتآزر مع لغته في كشف أحاسيسه وآلامه ، إذ تتكامل أجزاء الصورة لترسم لنا حجم المعاناة التي يكتوي الشاعر بناورها ، ويشرب من عذابها ؛ لأن القصيدة "تعد ارتباطا بين مجموعة من الرؤى والصور والأفكار المندمجة في وحدة مفردة خلال حالة نفسية تربط بينها"^(٢).

وتبدو أجزاء الصورة من خلال البعد الزماني (الليل) ، والبعد المكاني (البحر والزورق)^(٣) ، وشخصية الشاعر ، كما تشترك الصورة السمعية والبصرية في إضاءة الصورة وتكميلها ؛ إذ يلحظ المتأمل الصورة البصرية في سواد الليل وظلمته ، وبياض الزبد الذي يخرج من أمواجه العاتية العالية ، والصورة السمعية التي تتضح من خلال الأصوات المنبعثة من قاع البحر ، وأصوات الأمواج التي تتلاطم عن يمينه وشماله وهو في هذا الزورق الصغير .

وإذا أدركنا أجزاء الصورة الكلية في هذا المقطع فإنه يقوم بترتيبها حسب ما يحس به ، لتقوم كل جزئية من أجزائها بتكميل الجزء السابق لها بناء على ما يحس

(١) عذاب السنين ، ص ٣٩ .

(٢) التفسير النفسي للأدب ، ص ٦٦ .

(٣) انظر الأدب العربي عصوره وفنونه وقضاياها ومختارات مدروسة من نصوصه : في الأدب العربي

السعودي وفنونه واتجاهاته ونهاج منه ، ص ٢٢٩ .

به من مشاعر ، وما يكتنف قلبه وعقله من حيرة وضبابية .

وتبدأ الصورة باختيار الشاعر للزمن ، إنه سكون الليل حيث الهدوء وعدم الحركة ، ولكنه أحد مواطن الخوف والوحشة ، كما أن الشاعر يقود الزورق باختياره وإرادته ، قاصدا شاطئاً شيقاً جميلاً لا يعرفه ، باحثاً عن النهاية السعيدة ، لا يدري أين تكون؟! ذلك هو هدفه ، وتلك هي وجهته ، ويستمر الشاعر في الإبحار ولكنه يجهل المكان الذي سينتهي إليه ، كما أن الزمن الذي يتحرك فيه لا يساعده على الرؤية ، ولا يكشف له الطريق ، وهنا تبدأ الأحداث بالتطور ؛ فقد بدأت أمواج البحر بالحركة الشديدة ، وأصبح يرى زبد البحر بسببها ، وتلك الرؤية تزيده فزعاً وخوفاً ، وتصل الأزمة قمتها ، ويشتد الخوف ، ويزداد الفزع ، ويصل إلى منتهاه عندما تحمل الأمواج من قاع البحر بكاء المذعورين الخائفين الذين غرقوا في لججه ، وهنا تتوقف الصورة ؛ لتدل على أن الشاعر وصل إلى قمة العذاب النفسي وليس له إلا اللجوء إلى الله — جل وعلا — شاكياً باكياً ، داعياً أن يرحمه من رَهَقِ العقل ، وظلمة الروح ، ولكنه بعد ذلك يعود ليكمل الصورة التي أوقفها ، فالزورق لا زال فوق الأمواج العاصفة ، وأصبح لذلك مجنوناً ، وأما المياه "فقد تحولت إلى زئبق رجراج يعقل حركة هذا الزورق ... ويسهم في تعقيد أزمته ، ويغذي اضطرابه"^(١).

(١) انظر الأدب العربي عصوره وفنونه وقضاياها ومختارات مدروسة من نصوصه: في الأدب العربي

لقد كشفت تلك الصورة الكلية التي رسمها الشاعر حجم المعاناة التي يحس بها ، وأبانت عن نفسية حائرة مرهقة ، ذلك أن كل ما يحاول أن يصوره لا يقصد به الصورة الطبيعية المشاهدة ، وإنما يرمي إلى إيجاد المعادل الرمزي ؛ فكل شيء يرسمه على الطبيعة يعكس ما في نفسه من مشاعر ؛ فالليل شديد الظلمة ، تنعدم فيه الرؤية ، ويحجبه عن الإبصار ، ومن ثم الاهتداء يكشف الحيرة التي تكتنف عقله ، والضياع الذي يرهق نفسه ؛ وتلك ظلمة نفسية تحجبه عن الوصول إلى المعرفة ، وهو حين يصور لنا ثورة البحر الحقيقية فإنه يرمي بذلك إلى ثورة داخلية يحسها توج في نفسه ، وتتحرك بها مشاعره ، والصرخة التي أثارته في نفسه الرعب ، ونشرت في قلبه الذعر ما هي إلا أصوات تتعالى من داخله جراء حيرة العقل ، وغياب المعرفة^(١).

ومن الأساليب التي رسم فيها الشاعر صورته الكلية أسلوب التقابل ؛ وذلك بأن يركب الشاعر صورة كلية ، ثم يأتي بصورة كلية أخرى مضادة لها ، وتشرف هذه الصورة عن الأثر الكبير الذي ينطوي في نفس الشاعر ؛ لأن في هذا التقابل تقابل أبعاد نفسية عميقة تعمق أحاسيس الشاعر بحجم معاناته ، وتنقل

(١) انظر الأدب العربي عصوره وفنونه وقضاياها ومختارات مدروسة من نصوصه: في الأدب العربي

السعودي وفنونه واتجاهاته ونماذج منه ، ص ٢٣٠.

أحاسيسه تلك إلى المتلقي^(١) ؛ ذلك لأنه يبني صورته على موازنة بين منظرين متقابلين ، وتقوم هذه الموازنة بإثارة مشاعره ، وتعميق إحساسه بحجم المعاناة التي يعيش فيها ، وقد ظهرت هذه الصورة المركبة في قصيدته (الدوحة الشاعرة المحتضرة) حيث يقول :

وَأَتَى عَلَى وَرَقِي وَأَغْصَانِي	مَا لِلجَنَافِ أَحَالِنِي حَطَبًا
وَكَأَنَّهُ مَا كَانَ يَهْوَانِي	الْبُلبُلُ الصَّدَاحُ غَادَرَنِي
وَحَنَا عَلَى قَلْبِي بِالْحَنَانِ	كَمْ هَزَنِي بِغِنَائِهِ طَرَبًا
تَحْتِي لِيَنْسِجَ مِنْهُ أَكْفَانِي	هَذَا الحَرِيفُ مُكَدِّسٌ وَرَقِي
وَتَهْدِي مَشْدُودَ بُنْيَانِي	وَالرِّيحُ تَلَطُّمُنِي عَوَاصِفَهَا
وَرَأَى الفَنَا حَطْبِي فَنَادَانِي	نَضَبَتْ حَيَاتِي بَعْدَ نُضْرَتِهَا
غُصْنِي يُرْوِيهِ بِتَحَنَانِ	أَوَاهُ كَمْ هَطَلَ النِّعِيمُ عَلَيَّ
يَلْهُو الرَّدَى فِي هَيْكَلِي الفَانِي	وَاليَوْمَ كَالْعَدَمِ المَرِيرِ أَنَا
زَارَتْ وَأَصْفَقَهَا بِأَيَّامِي	قَدْ كُنْتُ أَهْزَأُ بِالْعَوَاصِفِ إِن
وَالزَّهْرُ تَحْتَ نَدَاهُ يَلْقَانِي	وَأَتِيهِ فَوْقَ المَاءِ ضَاحِكَةً
فِي أَلْفِ شَرِيَانٍ وَشَرِيَانِ	وَالمَاءُ يَجْرِي فِي مُتَشَشِيًّا
مِنْ نُورِهَا أَخْتَارُ أَلْوَانِي ^(٢)	وَعَلَى فُرُوعِي الشَّمْسُ سَارِحَةً

(١) انظر لغة الشعر في الشعر العربي ، د. السعيد الورقي ، دار المعرفة الجامعية ، د. ط ، ٢٠٠٠ م ، ص ١٥١ .

(٢) عذاب السنين ، ص ١٤ .

تشكل أبيات القصيدة كاملة صورة كلية تنبعث منها مشاعر الألم ، وتشع فيها أمارات الأحزان والسَّقم ، وتمثل الصورة الكلية في منظرين متقابلين ؛ أولهما منظر الدوحة بعد أن فقدت الحياة ، وثانيهما منظرها عندما كانت ناضرة جميلة ، وهو بهذا - أيضا - يحاول أن يوجد المعادل الرمزي ؛ فإما هذه الدوحة إلا الشاعر نفسه كما سيأتي .

ويبدو تأثير الصورة وجمالها من خلال مقابلة حالة الدوحة الجميلة الناضرة - بكل ملاحظتها - بحالة الدوحة الكئيبة - بكل ملاحظتها أيضا - ومن خلال هذه المقابلة "تبرز فداحة المفارقة ، ويتجاوز إبحاؤها في كل من الطرفين مدى ما كان يستطيع أن يصل إليه كل طرف منفردا ؛ لأن كلا الطرفين في المفارقة يلقي بظلاله على الآخر ، فيبرز ملاحظته ، ويزيدها وضوحا وجلاء ، ومن خلال التفاعل بين ملامح الطرفين تغني إحياءات القصيدة ، ويعمق عطاؤها"^(١)

وقد بدأت الصورة الكلية باستفهام الدوحة عن سر التغير ، لقد غير الجفاف معالمها فأصبحت مجموعة من الحطب اليابس الذي لا حياة فيه ، وأسقط كل أوراق الأشجار وأغصانها الجميلة الآسرة ، أما البلبل فلم يعد يريد الاستمرار فيها فقد غادر الدوحة ، وكأنه لم يغرّد فيها ، ولم يتنقل بين أشجارها ، ثم يرسم صورة أوراق الخريف المتساقطة وقد تكدست تحته لتنسج منه الأكفان ،

(١) عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، ص ١٣٦ .

وتشتد الريح اشتدادا عظيما ، وتزداد قوتها لتسقط كل شيء في هذه الروضة ، وتهد كل ما بناه وشيده ، ثم يجثم منظر الروضة البائدة بإطلالة حزينة على حياته التي نضبت بعد أن كانت تسر الناظرين ، ويشخص الموت على شكل إنسان يناديه بعد أن رأى خطوبه وآلامه .

ثم يرسم الشاعر صورة كلية أخرى مقابلة للصورة السابقة ، ورسم هذه الصورة يعمق من آلامه ، لأنه بذلك يتذكر نعيها عاش فيه ، ويوازن بينه وبين ما يحس به الآن ، فيزداد الألم ، ويعظم المصاب والسقم ، ويصور الشاعر في الصورة المقابلة جمال الروضة قبل أن تصبح يابا ، تبدأ باسم فعل يدل على التحسر على ذهاب الماضي ، وتقلب الأيام "أواه" ، متذكرا الأيام التي ترتوي فيها الروضة من ماء النعيم ، وعلى آثار ذلك ترتوي الأغصان ، وتعم فيها الحياة ، فلا تأبه بكل ما يعترضها من عواصف أو رياح ، بل كانت ساخرة بها ؛ بسبب ما تحويه من جمال وإبداع ؛ فالماء يجري منتشيا في هذه الروضة الجميلة الناضرة ، ويتسمم الزهر والندى في هذه الروضة الجميلة الغناء ، والشمس ترسل أشعتها إلى أفيائها .

والتأمل في هذه الصورة يلحظ أمرين بارزين :

الأول : أبان الشاعر منظرين متقابلين لهذه الروضة ، ولكن التأمل يلحظ أن الشاعر يتوحد مع الدوحة في شكلها المتقابلين ؛ فالعنوان "الدوحة الشاعرة المحتضرة" ، وبداية القصيدة هو حديث الدوحة عن نفسها ، لكن هذا الحديث لا يستمر لها بل يدخل في جوانب الصورة ما يرمز إلى الشاعر نفسه فيتوحدان في

المنظر الذي يصوره .

الثاني : إذا كان الشاعر قد لجأ إلى الصورة الكلية في الإشارة إلى هذه الروضة ، فإنه يعتمد إلى تكوينها من مجموعة من الصور الجزئية ، وهو بذلك يسبغ عليها قوة التأثير ، وأمثلة ذلك كثيرة منها تشخيص الموت في الروضة البائدة ، واستعارة الأسد للعواصف في الروضة الغناء الناضرة .

ومن أساليب بناء الصورة الكلية الأسلوب الدرامي ، ويقوم بأثر مهم في بناء الصورة الكلية ، ويساعد على كشف جوانب مختلفة في نفسية المبدع ، وهو لا يظهرها صراحة بل يقوم الحدث بالإشارة إلى ما يحس به ، أو ما يتألم منه ، بذلك تؤدي الصورة الكلية الهدف الذي رسمه الشاعر ، وأراد الوصول إليه .

وقد ظهرت هذه الصورة بشكلها البسيط في عدد من المواضع منها قصيدته (ليل الاستعمار)^(١)، و(فدائي تائر)^(٢)، وأبانت هذه الصورة عن مشاعره وأحاسيسه ، كما ظهرت في قصيدته (صداقة) التي أبانت عن علاقة بين طرفين ، بدأت بشكل وانتهت بشكل آخر مغاير جمع فيها بين أجزاء العمل الشعري ؛ من صورة جزئية ، وحوار ، وصراع^(٣) ؛ مما أضفى على قصيدته تأثيراً عميقاً ، إذ يقول

(١) انظر عذاب السنين ، ص ١٢٧ .

(٢) انظر السابق ، ص ٥٥ .

(٣) انظر الصورة الكلية مفهوم وإنجاز : دراسة في الشعر العربي الحديث بين الحريين العالميتين ، فائز الشرع، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، د.ط ، ٢٠٠٤م ، ص ١٦٨ .

في قصيدته :

قَالَ إِنِّي صَدِيقُكَ الْفَرْدَ فَأَقْصُدْ
وَبَدَا لِي مِنْهُ الْوَفَاءُ فَأَصْبَحُ
وَأَتَى الدَّهْرُ حَامِلًا كُلَّ رُزْءٍ
فَتَوَجَّهْتُ نَحْوَهُ أَبْتَغِيهِ
خَدَعْتَنِي بَرَاءَةُ الْمَوْجِ فِي الشَّطِّ
يَا صَدِيقِي إِلَيْكَ أُبْعَثُ سُكْرِي
أَنْتَ عَلَّمْتَنِي احْتِمَالَ الْمَآسِي
أَنْتَ لَقَنْتَنِي كَدَّهِرِي دُرُوسًا
يَا صَدِيقِي الْقَدِيمَ إِنَّ جَبِينِي
لَا تَلْمِزْنِي إِنْ قُلْتُ إِنَّا انْتَهَيْنَا
نِي إِذَا حَلَّ حَادِثٌ مُدْهَمٌ
نَنَا أَبُونَا الْإِخَاءُ وَالصَّدْقُ أُمَّ
فَتَسَاءَلْتُ : يَا تُرَى مَنْ أُوِّمٌ؟
فَإِذَا الْوَعْدُ وَالْمَوْدَةُ حُلْمٌ
طِ وَلَمْ أَذِرْ مَا يَصُصُّمُ الْخِصْمُ
فَلَقَدْ جَدَّ لِي اضْطِبَارٌ وَعَزْمٌ
وَالرَّرَايَا وَجَاءَنِي مِنْكَ عِلْمٌ
هِيَ عِنْدِي وَإِنْ خَسِرْتُكَ غُنْمٌ
بَاذِخْ كَالسَّمَا وَأَنْفِي أَشْمٌ
هَلْ فُؤَادِي إِلَّا دِمَاءٌ وَلَحْمٌ؟^(١)

وعند التأمل في هذه الأبيات نجد معالم الحدث الدرامي واضحة ، كما يتبين إسهامها الكبير في الكشف عن صادق أحاسيسه تجاه صديقه ، إذ يقوم البناء الدرامي على الحدث ، الذي تصنعه الشخصيات^(٢)؛ فالشخصيات تبدو في شخصية الشاعر ، وشخصية صديقه الغادر ، والحوار ظاهر فيما دار بينهما.

وتبدأ أحداث الصورة الكلية بحديث شخصية الصديق ، ووعده القاطع

(١) عذاب السنين ، ص ٧٥ .

(٢) انظر الصورة الكلية مفهوم وإنجاز: دراسة في الشعر العربي الحديث بين الحريين العالميتين ، ص ١٦٩ .

بالوقوف معه عند الحوادث المدهمة ، وتُصدِّق شخصية الشاعر هذا الوعد ببراءة ، فجمع بينهما الصدق والوفاء اللذان لم ينفكا عن هاتين الشخصيتين ، واستمر على تلك الحال حتى جاء موعد الاختبار ، وحلت على شخصية الشاعر مصيبة كبرى ، خارت لديها قواه ، ولم يعد يستطع التفكير ، ولم يبرق أمامه إلا وعد صديقه الوفي ، فتوجه نحوه ، وشكا إليه ، فتبخرت وعود الصديق ، وأصبحت كالأحلام ، ثم أتبعها بحالته النفسية تجاه هذا الموقف غير المتوقع ، لقد تبين له أن صديقه مخادع وتلك نتيجة سلبية ، لا بد أن تؤثر في نفسه ، وكانت النتيجة أن ظهر حديث الشخصية المغدور بها ، ثم انتهت الدراما بانتهاء الصداقة ، لوجود معوقات استمرارها .

الصورة الجزئية :

أحدثت الصورة الجزئية أثرا واضحا في تجلية أحاسيس حمد الحجي ، وكشفت عن نفسيته ، وهي بذلك تتآزر مع الجوانب الفنية الأخرى في القيام بالدور المنوط بها ، ولقد أبانت الشواهد المتعددة المتناثرة في أجزاء هذا البحث من شعره هذا الجانب ، وإذا كان الأمر كذلك فلعلي أن أستشهد بشواهد لم يسبق الإشارة إليها.

بدا إسهام الصورة الجزئية في البناء الفني لشعر حمد الحجي في جانبين مهمين :

الجانب الأول : كان لها الأثر الواضح في تشكيل الصورة الكلية في شعره ؛ إذ إن الشاعر يبني صورته الكلية - في الغالب - من خلال مجموعة من الصور الجزئية المتوالية ، وعليه فكل واحدة منها تضيف لبنة من لبنات الصورة الكلية ، وبهذا تتكامل الصورة الكلية ويزداد تأثيرها .

وقد استشهدت أثناء الحديث عن الصورة الكلية لهذا الجانب ، وظهر في قضية التقابل والبناء الدرامي للصورة الكلية^(١) ؛ وما دام الأمر كذلك فإن الشاعر يعتمد على الصورة الجزئية لتكون أساسا مهما في كشف ما يشعر به ، والإبانة عن مكنونات قلبه ، وصادق أحاسيسه .

(١) انظر تفاصيل ذلك في الحديث عن الصورة الكلية وتبدأ من ص ٣٢٤.

الجانب الثاني : أن الصورة الجزئية قد تنفرد في الكشف عن نفسية حمد الحجي ، وهذا هو الذي ساركرز عليه في هذا المقام ، وقد بدا ذلك من خلال جوانب الصورة وأهمها التشبيه والاستعارة .

ولقد أبانت الصورة الجزئية بأشكالها المختلفة عن أحاسيس حمد الحجي ؛ حيث قامت الصورة التشبيهية ، والاستعارية ، بأثر مهم في كشف أحاسيس الشاعر ، ولهذا فيمكن أن أتناول الصورة الجزئية من هذين الشكلين .

وتعد الصورة التشبيهية من أهم الملامح التي يحكم من خلالها على التجربة الشعورية لدى الشاعر ؛ وذلك لأنها لا تخرج من نفس المبدع إلا بعد تأمل طويل ، وإذا خرجت منه فإنها "تكون عوناً له في كشف مكونات صدره"^(١) ، وقد أضاءت هذه الصورة التشبيهية البسيطة بوضوح أحاسيس حمد الحجي في عدد من المواضع ، وكشفت لنا جانبا بارزا في شخصيته .

يلحظ المتأمل من خلال ما سبق إعجاب الشاعر بطبيعة لبنان ، وافتتانه الشديد بما حوته من جمال الطبيعة ، أو ما تحمله أرضها من طيب الثمار ، وعميم الخيرات ، وعندما يتأمل المتفحص ما في شعر حمد الحجي من صور يلحظ أن هذا الإعجاب يصوره بطريقة عفوية ، ويكون ذلك في مجال غير مجال الإعجاب بها ، ولقد بدا ذلك جليا في أن جعلها أصلا في الجمال ، فإذا أثاره جمال في نجد فإنه

(١) جماليات الأسلوب : الصورة الفنية في الأدب العربي ، ص ٩٤ .

يشبهه بالجمال الأصل الذي يخترنه الشاعر في أعماق نفسه ، ولذلك فهو يقول :

يا نَجْدُ عِنْدِي لَسْتُ غَيْرَ حَمِيلَةٍ مِنْ أُرْزِ لُبْنَانٍ وَحُورِ الشَّامِ^(١)
أو قوله :

فنجدُ لُبْنَانَ فِي فَصْلِ الرَّبِيعِ لِيَدَا أَمْسَى الْجَمَالَ لِنَجْدِ الْيَوْمِ مَنْسُوبًا^(٢)

وإذا كان الجمال منسوباً إلى نجد في المثالين فإن هذه الصورة تشف عن أصل

الجمال الذي يقاس عليه عند حمد الحجي ، فأصله لبنان ، وأما نجد فقد أشبهتها في

فصل الربيع ، ولقد كشفت الصورة البسيطة من طرف خفي الإعجاب الشديد

الذي تخترنه نفس حمد الحجي بهذا البلد.

وفي جانب آخر يلحظ المتأمل في شعر حمد الحجي أن الشاعر يختار - في كثير

من صورهِ - المشبه به الملائم للحالة النفسية التي يحس بها ، حتى وإن كان التشبيه

بسيطاً ، وهذا ما سماه بعض النقاد التشبيه النفسي^(٣)؛ إذ يحمل التشبيه الدلالة التي

يرمي الشاعر إلى إيضاها، ولا يتوقف عند ذلك بل يتعداها إلى جعل المشبه به

ملائماً للحالة النفسية التي يشعر بها ، وقد تمثل ذلك في قوله :

دعني صغيري لا تقف دائماً كالشوكة الرعناء في دربي^(٤)

(١) عذاب السنين ، ص ١٢ .

(٢) عذاب السنين ، ص ٢٤ .

(٣) انظر التصوير الشعري : رؤية نقدية لبلاغتنا العربية ، ص ٨١ .

(٤) عذاب السنين ، ص ٤٨ .

ومما هو داخل في ذلك التوظيف - أعني توظيف الصورة الجزئية لكشف أحاسيسه مع الوفاء بالدلالة - تشبيه دموعه بدموع الثكالي ، ودمائه بدماء الشهيد ، وقد جاءت في قصيدته (حيرة فكر) حيث يقول :

فَدُمُوعِي تَحْكِي دُمُوعَ الثَّكَالِي وَدِمَائِي تَحْكِي دِمَاءَ الشَّهِيدِ^(١)

إن اختيار المشبه به في كلتا الحالين يشف عن حالة نفسية متمكنة في قلبه ، مسيطرة على جميع مشاعره ، فعندما نتأمل التشبيه نلاحظ القدر الكبير من الحزن الذي يحمله وتلك هي الدلالة الأولى التي رمى إليها الشاعر ، ولكن اختياره لدموع كل امرأة تكلى تدل على أن حالته كحالتها أيضاً في فقدان شيء غال ، وقد تبتت في موت حبه الذي كان يعيش من أجله ، ومن هنا أصبح يشبه الشهيد في حالته أيضاً لسمو العمل الذي يقوم به ، ويتضح هذا الأمر في البيت الذي يليه مباشرة حيث يقول :

مَاتَ حُبِّي الْكَبِيرُ وَارْتَطَمَتْ آ مَالُ نَفْسِي بِالصَّخْرَةِ الْجُلْمُودِ^(٢)

وتقوم الصورة الاستعارية الجزئية بأثر بيّن في أداء المعنى ، وتشف بكل وضوح عن أحاسيس حمد الحجي ؛ لما تحمله الاستعارة من أهمية قصوى في البناء الفني للقصيدة ، إذ تعد لبنة جوهرية يحكم بالنبوغ للشاعر إذا أجادها ، وأحسن

(١) عذاب السنين ص ٦٧ .

(٢) السابق ، ص ٦٧ .

استغلالها^(١)، ولهذا فقد كثرت عند الشعراء الوجدانيين أمثال حمد الحجي؛ "لما فيها من تكثيف عاطفي، وما يستدعيه ذلك من خيال، لتحقيق أغراضهم النفسية تحقيقاً جمالياً"^(٢)

ويؤدي التشخيص وظيفه فنية ونفسية، إذ يقوم بإبراز أحاسيس المبدع، ويحمل تبعاً لذلك التأثير في نفسية المتلقي، ويثير انفعاله، ويحرك أحاسيسه^(٣)؛ ذلك لأنه يأتي بطريق تشخيص المعاني المجردة، وقد أحسن الشاعر استغلال هذا الأسلوب؛ فقد بث عن طريقه أحزانه، وبدا ذلك من خلال توظيفه لإقامة وحدة نفسية واحدة، مما يدل على اضطراب نفسي عميق؛ لأنه يستدعي صوراً متباعدة لا يجمع بينها رابط ثم يشكل منها أحزانه، من مثل قوله:

أَهْ لِرُوحِي مِنْ صَجِيجِ الْمُنَى صَخَابَةٌ تَقْتُلُ إِلَهَامِي
يَا زَوْرَقِي لَا تَنْطَلِقْ إِنِّي تُخَيِّفُنِي أَشْبَاحُ آلَامِي^(٤)

أو قوله في القصيدة نفسها:

(١) انظر الصورة الأدبية، د. مصطفى ناصف، دار الأندلس، للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د. ط.

د. ت، ص ١٢٤.

(٢) التصوير الشعري: رؤية نقدية لبلاغتنا العربية، ص ١٠٧.

(٣) انظر الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، ص ١٧٧.

(٤) عذاب السنين ص ٥٧.

أَنْكَرْتُ نَفْسِي حِينَ جَنَّ الْأَسَى بِهَا وَأَغْفَى جِلْمَهَا النَّامِي^(١)
 إن التأمل في هذه الأبيات يلحظ أثر التشخيص في نفسيته ، ويدرك سبب
 لجوء الشاعر إليه ، وسر التعبير به ، لقد ظهر التشخيص في بث الحياة في
 المعنويات، وتشخيصها على أشكال متعددة تتحرك وتفعل الأفعال المؤثرة ، فهو
 يشخص المنى ويجعل له أصواتا صاحبة ، تؤثر في نفسه ، وتقتل إلهامه ، والإلهام
 مقتول فهو إذن يشخصه أيضا ، كما يشخص آلامه بأشكال أشباح مخيفة ، تهدد
 حياته وتجعله يعيش في رعب وذعر ، ويشخص أحلام نفسه على شكل إنسان
 ينام.

وليس الأمر متوقفا عند معرفة كيفية التشخيص ، ولكن التساؤل الذي
 ينبغي أن يطرح : ما أثر هذا الأسلوب في كشف إحساسه والإبانة عن نفسيته؟
 وتظهر الإجابة عن ذلك بمعرفة أهمية الجانب الحسي في الصورة إذ يؤكد البعض
 على أن " مهمة الفن أن يجسم آراءنا ومشاعرنا بأشكال حسية توحى بها نافذا من
 وحدة الوجود التي عن طريقها نرى ذاتنا"^(٢).

وتلك الأبيات مختارة من أبيات كثيرة مليئة بالتشخيص الذي يقوم على بث
 الحياة في المعنويات؛ إن المعاني التي لا حركة لها ولا فعل تتشكل بسبب خيال

(١) السابق ، ص ٥٧ .

(٢) الصورة الفنية في النقد الشعري : دراسة في النظرية والتطبيق ، د. عبد القادر الرباعي ، دار العلوم

الشاعر ، فتكون لها فاعلية سلبية مؤثرة في نفسه ، وهو يشخصها على أشكال معينة ؛ لأنها بتلك الأشكال موجودة في أعماق نفسه لها صورتها ، ولها فعلها المؤثر، وهي تحاصره بصورتها الخيالية حتى لا يستطيع التفكير أو التركيز .

ومما يلحق بذلك فيدخل ضمن الصور الجزئية التجسيد ؛ وهو "إكساب المعنويات صفات محسوسة مجسدة"^(١)، وحمد الحجي يكسبها الصفات التي يراها تتطابق مع ما يشعر به في داخله تجاهها ، مما يقدمها بشكل واضح ودقيق ، ولكي تتضح النظرة يمكن أن نتأمل الشكل الذي صور به الأسي والبلي في قوله :

أَمْطَرْتَنِي الْأَسَى هَاطِلَاتُ الدَّيْمِ
وَكَسْتَنِي الْبَلَى حَالِكَاتُ الظُّلْمِ^(٢)

إن إحساس الشاعر بفضاعة ما يعانیه جعله يتصور شكلاً معيناً للأسي ، وقد ظهر ذلك الشكل مطراً متواصلاً لا يتوقف ، وأما البلي فإنه يستحضره في خياله على شكل كساء يلف به جسده فلا يبقى منه شيئاً ظاهراً ، ويكمل ذلك بوضع شكل الظلام ليدل على هذا الأمر ، وأمر آخر وهو اللون الذي يتغلغل في داخله ويعكس ما في نفسه ، والشاعر بإثارة تلك الأشكال يؤكد عمق إحساسه بالألم ، وشعوره الواضح بالمعاناة .

(١) التصوير الشعري رؤية نقدية لبلاغتنا العربية ، ص ١٥٢ .

(٢) عذاب السنين ، ص ١٥ .

وكل تلك الصور التي تُتصور بها الأشياء المعنوية، أو الصور التي تقدم فيها الأشكال المحسوسة بأشكال أخرى غير حقيقتها ليست مخالفة للواقع الداخلي الذي يحس به حمد الحجي، فعندما شكّل البدر بسمير يسامره، ويخفف عنه عناءه فإنه يراه من داخله بهذا الشكل، وعندما صور الشاعر الإلهام والآلام والمني فلأنها تعيش في داخله بالشكل الذي يصورها به، كما أن الأسي والبلى يراه في داخله بهذا الشكل ويصوره بما يراه، وعلى الخيال أن يشكل الصورة التي يراها وينقلها من خلال الشعر^(١).

وهكذا تتضح قيمة الصورة الفنية في قياس إحساس حمد الحجي بما يتعرض له في حياته، وموقفه من كل ما يراه على الطبيعة، كما تبين الصورة الفنية مظاهر الجمال الفني الذي يغطي كثيرا من جوانب شعره، وتأمل دقيق أيضا للصورة نلاحظ أنها تأتي لتكمل الجوانب الفنية الأخرى، فلا تنفرد وحدها بالإبانة عن مشاعره، بل تتآزر الوسائل التعبيرية لتقديم نفسية حمد الحجي وأحاسيسه المختلفة.

(١) انظر لمزيد من التفصيل: الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة، من ص ٢٩٧ إلى ٣٠٠.

الأوزان والقوافي

ترتبط الأوزان والقوافي بالإيقاع ، وهو عنصر من أهم عناصر الشعر ؛ لأن الشعر يتميز به عن النثر ، فإن للشعر إيقاعا خاصا يعرف به ، ويتميز من خلاله ، وليس معنى ذلك أن الشعر لا يختص إلا بهذا العنصر ، بل إن له عناصر أخرى يتميز بها ، ولكن الإيقاع من أهم تلك العناصر .

ولقد أكد كثير من الدارسين على قيمة الأوزان والقوافي ، وعلى المعنى الذي تقدمه للدلالة على نفسية المبدع من حيث إثارة الانفعال المناسب لها ، حيث يؤكد بعض الشعراء أنه لا يكتب الشعر كتابة ، وإنما يبدعه غناء^(١) ، وفي ذلك ما فيه من دلالة الإيقاع على نفسية المبدع ، ومن ثم يأتي أثر الشعر في نفس متلقيه ؛ لأن "الكلام الموزون ذا النغم الموسيقي يثير فينا انتباها عجيبا ؛ وذلك لما فيه من توقع لمقاطع خاصة ، تنسجم مع ما نسمع من مقاطع ؛ لتتكون منها جميعا تلك السلسلة المتصلة الحلقات ، التي لا تنبو إحدى حلقاتها عن مقاييس الأخرى ، والتي تنتهي بعدد معين من المقاطع بأصوات بعينها نسميها القافية"^(٢) .

(١) انظر الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة ، ص ٣٣٧ .

(٢) موسيقى الشعر ، د. إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، الطبعة السابعة ، ١٩٩٧ م .

وإذا كان للأوزان دلالات على نفسية المبدع فإن بعض النقاد قد بالغ في الإشارة إلى تلك الدلالات ، فأكد بعضهم أن الأوزان تعكس - وحدها - الأجواء النفسية الكامنة في ذات المبدع ؛ وذلك بأن أشاروا إلى أن لكل بحر جوا نفسيا خاصا به ، وعلى ذلك يتميز كل بحر بميزة ، ويتلاءم مع موضوع القصيدة ، أو مع ما يحتاج الشاعر أن يعبر عنه^(١).

والناظر في الشعر العربي يلحظ أن بعض موضوعاته تختلف اختلافا تاما ، ومع اختلافها فإنها تتحد في الوزن ، وفي شعر حمد الحجي يلحظ مثل هذا الاختلاف في الموضوعات مع الاتحاد في الوزن ، وإذا كان الأمر كذلك فإنه يدعو إلى القول إن الأوزان وحدها ليس لها خصائص تجعلها تنفرد بأداء موضوعات بعينها ، ولا تبين دلالاتها النفسية إلا بعد أن يأتي الإبداع ، ويخرج الشعر إلى الوجود^(٢).

ويحسن - عند ذلك - التأكيد على أن البحر الشعري ، أو التفعيلة التي يلتزمها الشاعر ، تؤتي دلالتها النفسية ، وتدل - بتأزرها التام مع جوانب الإيقاع الأخرى - على ما يعتمل في نفس الشاعر ، وتؤثر في متلقي الشعر ، ولكن ذلك

(١) انظر تفاصيل هذا الرأي : أصول النقد الأدبي ، أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة

الثامنة ، ١٩٧٣ م ، ص ٣٢٢ - ٣٢٤ .

(٢) انظر التفسير النفسي للأدب ، ص ٧٠ .

التأثير ، وتلك الخصائص التي يتميز بها هذا البحر ، أو تلك التفعيلة يكون بعد إبداع القصيدة ليس قبل ذلك .

وبنظرة مجملة في شعر حمد الحجي يلفت الانتباه تركيز الشاعر — للتعبير عن أحاسيسه — على الأوزان الشعرية الموروثة ؛ حيث وصل من شعره اثنتان وستون قصيدة ومقطوعة ، التزم الشاعر بأوزان الشاعر الموروثة في تسع وخمسين قصيدة منها ، وخالف في ثلاث قصائد فقط؛ حيث جاءت قصيدتان على شعر التفعيلة ، وقصيدة ينحو فيها نحو الموشحات ، وإن كان بناؤها الإيقاعي مشابهاً — إلى حد ما — التجديد الذي جاء به المهجريون^(١)، ولعلي أن أشير إلى الأوزان الخليلية التي استخدمها الشاعر من خلال البداية بالأكثر استخداما عنده ، مع الإشارة إلى النسبة المئوية لاستخدام كل بحر من مجموع القصائد التي وصلت إليها من شعره ، ثم أعود إلى دلالاتها :

م	البحر	استخدامه	النسبة المئوية
١ .	الكامل (تام)	١٢	٪ ١٩.٣٥
٢ .	الطويل (تام)	٨	٪ ١٢.٩٠
٣ .	الخفيف (تام)	٨	٪ ١٢.٩٠

(١) انظر موسيقى الشعر ، ص ٣١١ .

م	البحر	استخدامه	النسبة المئوية
٤.	البيسط (تام)	٧	٪ ١١.٢٩
٥.	السريع	٧	٪ ١١.٢٩
٦.	الوافر (تام)	٦	٪ ٩.٦٨
٧.	المتقارب (تام)	٣	٪ ٤.٨٤
٨.	الكامل (مجزوء)	٢	٪ ٣.٢٣
٩.	الرمل (تام)	١	٪ ١.٦١
١٠.	الرمل (مجزوء)	١	٪ ١.٦١
١١.	المجتث	١	٪ ١.٦١
١٢.	المديد	١	٪ ١.٦١
١٣.	المتدارك (مشطور)	١	٪ ١.٦١
١٤.	الخفيف (مجزوء)	١	٪ ١.٦١

وعند إنعام النظر في الجدول السابق يتبين أن حمد الحجي يطمئن إلى الأوزان الموروثة في الشعر العربي ، فهي الأوزان التي مكنته منها ثقافته التراثية ، واطمأنت إليها نفسية الشاعر - في الغالب - من أجل التعبير عن أحاسيسه ، والإبانة عما يشعر به ، وقد قامت هذه الأوزان بوظيفتها الإيقاعية ، وأحدثت أثرا واضحا في

إيصال الدلالة ، والتعبير الصادق عما يدور في نفسه .

وبدت وظيفة الوزن من خلال جانبين :

الجانب الأول : الجانب الجمالي ؛ وذلك بأن يؤثر المظهر الخارجي للموسيقا بتناسب الوزن مع الأصوات التي تنطلق من العبارات الشعرية ، فيجلب المتعة إلى المتلقي ، ويحس عند تلقيه بارتياح وسعادة ، وهذا الجانب يرتبط بما يحدثه النغم من أثر جميل في الأذن^(١).

الجانب الثاني : الجانب النفسي ؛ وذلك بأن تنبعث من الوزن الذي يبدع عليه الشاعر قصيدته المشاعرُ الدالةُ على نفسه ، وبهذا يقوم الوزن بوظيفة إيحائية ؛ إذ إن "الإيقاع في اللغة الشعرية ... ينمو مع الجانب النفسي في علاقة النبر بالجوانب الوجدانية"^(٢).

وتؤكد الشواهد المتناثرة في شعر حمد الحجي هذه الوظيفة ، ولعلي أن أستشهد بعدد من الشواهد لكي يتبين مدى إسهام الوزن في تفصيل الحالة النفسية التي يحس بها الشاعر ، ومدى تأثير الإيقاع الذي يتخذه الشاعر في متلقي شعره . وأول أمر يمكن أن أتوقف عنده لبيان إسهام الوزن في الكشف عن ما يحس به حمد الحجي هو أن تجربته تقوده لاختيار الأوزان التامة بكثرة ، إذ تشكل

(١) انظر في الأدب السعودي : رؤية داخلية ، ص ١٢٧ .

(٢) الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي : دراسة ، ص ٤٥٢ .

الأوزان التامة نسبة لافتة في شعره حيث وصلت إلى (٨٣.٨٦٪) من مجموع قصائده ، وهذه النسبة تجعل النفس تطمئن إلى القول : إن الشاعر وجد في هذه الأوزان ما يستطيع أن يشف أحاسيسه .

وقد قادت التجربة الشعورية حمد الحجي لاستخدام البحور التامة على نمطين :

النمط المركب : وذلك باستخدام أكثر من تفعيلية في الشطر الواحد^(١) ، وقد شكلت نسبة استخدام هذا النمط عند الشاعر (٤٨.٣٨٪) .

النمط البسيط : هو الذي تتكون "وحدة إيقاعه من تفعيلية واحدة تتكرر على امتداد البيت"^(٢) ، وقد شكلت نسبة استخدام هذا النمط (٣٥.٤٨٪) .

إن تردد هذين النمطين يشكل النسبة الكبرى في شعر حمد الحجي ، ولأجل ذلك سأختار من الشواهد على النمطين لكي تتضح دلالتها ، وقيمتها في التعبير عما يحس ، أو ما يريد التعبير عنه ، ولا يمكن أن أضع صفات للبحور تتميز بها أو تعبر عنها ، بل تستنتج الدلالة من خلال القصيدة ؛ ذلك أن المتأمل في شعره يلحظ موضوعين مختلفين عبرت تجربة الشاعر عنهما من خلال بحر البسيط (مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن) ، ففي قصيدته (الربيع الفاتن في نجد) تُلحظ

(١) انظر البنى الأسلوبية في النص الشعري : دراسة تطبيقية ، ص ٣٧ .

(٢) السابق ، ص ٣٤ .

السعادة الغامرة التي يتمتع بها الشاعر إذ يقول من هذه القصيدة :

وَرُحْتَ تَنْظُرُ تَضَعِيداً إِلَى أَفْقٍ نَاءٍ وَطَوْرًا إِلَى الْأَشْجَارِ تَصْوِيبًا
وَأَبْصَرْتَ عَيْنَكَ الْغُدْرَانَ صَافِيَةً تَضَطَّفَتْ مِنْ حَوْلِهَا الْأَزْهَارُ تَرْتِيبًا
لَأَنْتَ نَشْوَانُ رَحْبِ الصَّدْرِ حِينَ تَرَى وَجَهَ السَّمَاءِ بِوَجْهِ الْأَرْضِ مَقْلُوبًا^(١)

وفي قصيدته (يا عيد) عبّر عن حزنه العميق ، وألمه المرير الذي أحس به بسبب غربته ، وبعده عن وطنه وأهله ، فخرجت من هذه القصيدة إيجاءات الألم ، ودلالات الحزن والأسى على البعد والفراق ، واستطاع بحر البسيط — أيضاً —

أن يعبر عن كل ما يحس به الشاعر ، إذ يقول في هذه القصيدة :

نَعَمْ شَرِبْتُ كُؤُوسَ الْهَمِّ مُتْرَعَةً حَتَّى كَأَنِّي مِنَ الْأَوْصَابِ عَزِيدُ
كَأَنَّنِي شَبَّخَ فِي اللَّيْلِ مُتَّصِبُ أَرْعَى النُّجُومَ وَحِلْمُ النَّفْسِ مَوْوُودُ
الْغَيْدُ حَوْلِي زُرَافَاتُ أَطَالِغُهَا لَكِنِّي بَعْدَكُمْ لَمْ تُسَلِّنِي الْغَيْدُ
لَمَّا أَتَى الْعَيْدُ أَبْكَانِي وَهَيَّجَنِي فَلَيْتَنِي بَعْدَكُمْ مَا مَرَّ بِي عَيْدُ^(٢)

وعندما يتأمل القارئ القصيدتين يلحظ أن الشاعر قد أبان عن مشاعره فيها ، واستطاع من خلال استخدامه الوسائل التعبيرية أن يبين عما يتغلغل في قلبه ، وما يتلجلج في نفسه ، فقد تآزرت الوسائل التعبيرية للإبانة عنها ،

(١) عذاب السنين ، ص ٢٣-٢٤ .

(٢) السابق ، ص ٥٩ .

وساندت بعضها للكشف عن أحاسيسه ، والوزن وسيلة من الوسائل التي تكشف تجربة الشاعر ، وأداة يستخدمها في الإبانة عن مكونات نفسه .

وقد كشف صدق تجربة حمد الحجي في القصيدتين المشاعر المتمكنة من قلبه؛ وذلك بأن يُحمّل الوزن الواحد الإبانة عن تجربتين مختلفتين ، فأضاء هذا الوزن ما باح به الشاعر ، وأبان عن تجربته الصادقة في الحالتين المتناقضتين ، وصار "لكل قصيدة نغمتها الخاصة التي تتفق وحالة الشاعر النفسية"^(١) ، ومن هنا يتبين أن الشاعر لا يختار وزنه اختيارا واعيا ، بل إن عاطفته وتجربته الشعورية هي التي تقوده لاختيار الوزن الذي يتناسب معها^(٢).

لقد ناسب حالة الشاعر بحرٌ طويلٌ يفسح له المجال للتعبير عن أحاسيسه ؛ ذلك أنه في كلتا الحالتين في موقف التأمل ، ففي القصيدة الأولى يرى جمال الربيع فيستهويه ، ويملك قلبه هذا الجمال الأخاذ ، فتسيطر عليه التجربة ، ويحس بالجمال وهو يسري في كل جزء من أجزاء جسده ، فيقوده هذا الإحساس الصادق إلى البحر الذي يعطيه حرية التأمل ، وفي القصيدة الثانية ، يأتيه العيد ، فيجلس وحيدا في الغربة ، ويتذكر الأيام الجميلة التي يقضيها مع أهله وأصحابه ، فتسيطر عليه التجربة ، وتقوده إلى اختيار البحر الذي يفسح له المجال للتأمل والتذكر ،

(١) التفسير النفسي للأدب ، ص ٧١.

(٢) انظر الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي : دراسة ، ص ٤٦٢.

فيأتي هذا البحر ليكون "أكثر انسجاما مع تلك الحالة الشعورية ؛ حيث تناسب العاطفة مع إيقاعاته انسياباً"^(١).

وهكذا تبين أن صدق الإحساس بالتجربة هو الذي يقود الشاعر إلى اختيار البحر ، وقد تبين ذلك من خلال أنموذج لاختيار النمط المركب من الأبحر الطويلة ، والأمثلة لهذا النمط كثيرة ، كما أن التجربة تقود الشاعر لاختيار النمط البسيط ، لما يحمله هذا النمط من صفات وخصائص تتناسب مع إحساس الشاعر.

ومن أهم الخصائص ما في بعض الأبحر التي تنضوي تحت لواء هذا النمط من مواعمة بين التجربة والإيقاع ، عن طريق الهمس ، وذلك لأن "العلاقة بين الموضوع الشعري وبين التشكيل أو التنوع الصوتي علاقة وثقى"^(٢) ، وقد بدا ذلك في قصيدة حمد الحجي (شقيق الغزال) حيث يقول فيها :

بِاللهِ هَدَيْتُ وَطَأْتُكَ الْعَالِي فِيفِي	قَلْبِي مِنْ الْأَلَمِ الْعَمِيقِ سَعِيرُ
o/o/o/o/ o/o/o/o/ o/o/o/o/	o/o/o/o/ o/o/o/o/ o/o/o/o/
ذَكَرْتَنِي عَهْدًا مَضَى ، أَيَّامُهُ	فَرَحٌ وَهَمْسٌ مَحَبَّةٍ وَسُرُورُ
o/o/o/o/ o/o/o/o/ o/o/o/o/	o/o/o/o/ o/o/o/o/ o/o/o/o/

(١) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، ص ٥٩.

(٢) الهمس في الشعر الحديث ، أ.د. عبد الرحمن بن عثمان الهليل ، مطبعة النرجس ، الطبعة الأولى ، الرياض .

أَيَّامٌ يَضْحَكُ لِي الْحَيِّبُ فَأَنْتَنِي طَرَبًا ، كَأَنِّي فِي الْأَنَامِ أَمِيرٌ^(١)
 ٥//٥// ٥//٥//٥/ ٥//٥// ٥//٥// ٥//٥// ٥//٥//٥/

إن سامع هذه الأبيات يطمئن إلى الإيقاع الهامس الذي يتناسب مع إحساس الشاعر بالحب وحلاوته ، والتجربة التي يمر بها أملت عليه اختيار بحر الكامل ذي النمط البسيط (متفاعلن متفاعلن متفاعلن) فهو المناسب مناسبة تامة لهذا الموقف ، كما يلحظ المتأمل أن تفعيلة (متفاعلن) يدخلها الإضمار - في الغالب - وهو إسكان الثاني المتحرك ، وذلك من الزحافات المستحسنة في بحر الكامل^(٢) ، والإيقاع الهامس يتناسب مع هذا الزحاف ؛ لأن الشاعر يبحث في مثل هذا الموقف عن الإسكان ، ليتناسب مع إحساسه بالتجربة الشعورية التي يحس بها ، وذلك مبرر الزحافات والعلل التي وردت كثيرا في الشعر ، إذ يؤكد البعض أنها جاءت من أجل أن " يوفق الشاعر بين حركة نفسه والإطار الخارجي"^(٣).

ومن جوانب الهمس ما يلحظ في شعر حمد الحجي من أوزان راقصة تتناسب مع حركة النفس الداخلية ، ويلحظ المتأمل هذا الإيقاع في كثير من قصائد حمد الحجي لعلي أستشهد بواحدة منها ليظهر من خلالها هذا الإيقاع

(١) عذاب السنين ، ص ١٢١ .

(٢) انظر العروض وموسيقا الشعر ، د. محمد رضوان الداية ، مطبعة طربين ، د. ط ، ١٤٠٧ / ١٩٨٧ م ،

ص ٥٥ .

(٣) التفسير النفسي للأدب ، ص ٧٢ .

المتناسب مع أحاسيس الشاعر ، يقول الشاعر حمد الحجي في قصيدته (فتنة):

وَإِنْ قَالَ قَوْمٌ : قَلِيلُ الْمَتَاعِ يَنْوِبُ عَنِ الْجُلِّ وَقَتَ النُّوبِ
فَإِنَّ الزُّهُورَ وَنَجْوَى الطُّيُورِ وَصَوْتَ الْمُغْنَى وَنَبْتَ الْعِنَبِ
أَرَاهَا لَدَيَّ فَلَمْ تَكْفِنِي لِأَنَّ فُرَادِي إِلَيْكَ انْجَذَبُ
فَقُولِي لِضُنَاكِ : أَيَّنَ الطَّرِيقُ؟ وَأَيَّنَ حَدِيثُ الْهَوَى قَدْ ذَهَبُ^(١)

إن اختيار بحر المتقارب "يعطي الشاعر فرصة مد النفس بالآهات"^(٢) ، كما

أن إيقاعه الراقص يتناسب مع تموجات نفسه^(٣) ، مما يدل على أن تجربة الشاعر قادته إلى اختيار الوزن الذي يكشف عن نفسه ، ويبين بصدق عن مشاعره .

وإذا كانت تجربة الشاعر تطمئن إلى البحور التامة كما أبانت الشواهد والإحصائيات فليس معنى هذا أن الأبحر المجزوءة لم تقم بأثر في الإفصاح عن تجربته ، والإبانة عن أحاسيسه ، بل إن البحر المجزوء يتناسب مع حاجات الشاعر النفسية وبخاصة إذا كان إحساسه سريعاً ، وتوتره بالتجربة شديداً ، إذ تلك الأبحر المجزوءة تتناسب مع الإيقاع السريع الذي تتسارع معه نبضات القلب ، لسرعتها في الأداء ، وبذلك توفر جواً من الإحساس بالتجربة الشعورية . ويمكن أن أستشهد لهذا النوع بشاهد من شعر حمد الحجي يؤكد ذلك ، فقد

(١) عذاب السنين ، ص ١٣ .

(٢) الهمس في الشعر الحديث ، ص ١١٠ .

(٣) انظر السابق ، ص ١١٠ .

تبين في قصيدته (ألم وحرمان) إذ يقول فيها :

عُمُرِي الْمُنْصَرِمَ	هَـفَفَ نَفْسِي عَـلَى
خَاطِرِ مُضْطَرِمَ	زَارَكَ الطَّيْفِ فِي
مُبْقِيَةِ أَلِي النَّدَمِ	وَأَنْتَنِي رَاجِعَآ
شِقْوَةِ مَحْتَمِ	لَمْ يَدُمْ لِي سِوَى
لَيْتَهَا لَمْ تَدُمْ	أَحْتَسِبِي كَأَسْهَا
غَيْرُ حُزْنِ الْعَدَمِ ^(١)	لَيْسَ فِي مَسْمَعِي

والتأمل في هذه الأبيات يلحظ سيطرة الحزن ، والاضطراب الشديد الذي يحس به الشاعر ، واهتدى بعد ذلك إلى الوزن الذي عبر عن ما يحس به ، فقد "توصل إلى هذا الاستخدام غير المشهور في التراث لهذا الوزن (مشطور المتدارك) محولا للتفعيلات القصيرة فيه إلى آهات متسارعة ، وتنهيدات متلاحقة^(٢)" ، يحس بها المتلقي ، وينفعل معها ، ويتأثر بها ، فقام هذا الإيقاع القصير السريع "بعكس ذبذبات حركته الشعورية المحتممة المتأججة المتلاحقة^(٣)" ، وهو الأمر الذي يدل على أن الأبحر القصيرة أسهمت في إبراز تجربة الشاعر ، والكشف عن أحاسيسه ،

(١) عذاب السنين ، ص ١٥ .

(٢) الاتجاه الابتداعي في الشعر السعودي الحديث إلى بداية التسعينات الهجرية : دراسة موضوعية وفنية ،

ج : ١ ، ص ٦٣ .

(٣) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، ص ٥٩ .

ولم يكن الأمر متوقفا على البحور الطويلة.

ومن المظاهر التي تشترك فيها الأوزان التامة المجزوءة ظاهرة التدوير، والبيت المدور هو الذي " اشترك شطراه في كلمة واحدة ، بأن يكون بعضها في الشطر الأول ، وبعضها في الشطر الثاني"^(١) وقد ظهر ذلك في شعر حمد الحجي كثيرا ، ويمكن أن يكون ظاهرة موسيقية لازمة ، ولعلي أن أمثل له بشاهد ، إذ يقول في قصيدة (متهمكم):

أَنْتَ الْجَبَّانُ فَلَمْ تَكُنْ	فِي وَقْدَةِ الحَطَبِ المَثِيرِ
إِلَّا هَيُوبَ أَرَاغِ خَلْـ	فَ مَنَاكِبِ النَّدْبِ الجَسُورِ
يَا مُسْتَخِفًّا بِالْإِخَا	ءِ الصَّرْفِ بِالْقَلْبِ الكَبِيرِ
عَنَّفَتْنِي وَنَسِيَتْ أَنْ	نَكَ بَاعِثُ الأَلْمِ المَرِيرِ
أَنَا لَنْ أَلُومَ وَلَنْ أَعْنُ	نِفَ إِنْ تَفَاقَمَتِ الأُمُورُ
مِنْ أَيْنَ لِلرَّخِمِ الكَسِيـ	حَةِ فِي المَفَاوِزِ والقُبُورِ
شَمُّ النُّسُورِ المَشْرَبِ	بَةِ وَأَنْتِ فَاصَاتُ الصُّقُورِ؟
مَهْمَا تَهَكَّمِ جَاهِـ	أَوْ رَاحِ يَنْطَحُ لِلصُّخُورِ
هِيَ هَاتِ يَنْجَحُ سَعْيِيهِ	وَيَهْدُ مِنْ عَزَمِ الصَّبُورِ" ^(٢)

والتأمل في هذه القصيدة يلحظ أن ظاهرة التدوير تكاد تكون عامة

(١) قضايا الشعر المعاصر ، ص ١١٢ .

(٢) عذاب السنين ، ص ٤٤ .

فيها، حيث جاءت في غالب أبيات القصيدة ، ولم يسلم منها إلا ثلاثة أبيات فقط ، ونستشف من ذلك علاقة الاتصال التي تربط بين شطري البيت ؛ حيث "إن سكتة العروض يعرض لها نوع من الخفاء من خلال ظاهرة التدوير ، التي تحدث تآزرا بين الشطر الأول والشطر الثاني"^(١).

لقد أملت تجربة الشاعر المريرة عليه اختيار مجزوء الكامل للتعبير عن إحساسه بالألم تجاه تهكم هذا الصديق ؛ لأن "توتر الشاعر النفسي حادا ، وانفعاله شديدا حين العملية الإبداعية ، فكانت ذبذبات حركته الشعورية المحتمدة المتأججة المتلاحقة ، أكثر انسجاما مع البحر الشعري ذي الإيقاع القصير السريع"^(٢)، ثم لجأ إلى التدوير حتى لا يتوقف بين شطري البيت ، بل يصلهما ببعضهما لشدة انفعاله ، وعميق إحساسه بالمعاناة ، بذلك أسهم الجانب الجمالي للتدوير في كشف ما يحس به الشاعر .

وإذا كان حمد الحجوي اطمأن إلى الأبحر الموروثة في التعبير عن أحاسيسه فإنه لم يقف عندها بل وجد في شعره قصيدتان من شعر التفعيلة ، وقصيدة أشبه ما تكون بالموشحات ، والظاهر أنه تأثر بالمهجريين فيها ، حيث يلتزم بيتين من

(١) التدوير في الشعر : دراسة في النحو والمعنى والإيقاع ، د. أحمد كشك ، دار غريب للطباعة والنشر

والتوزيع ، القاهرة ، د.ط ، ٢٠٠٤م ، ص ١١ .

(٢) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية بتصرف يسير ، ص ٥٩ .

مجزوء الرمل بقافية واحدة ، ثم يقفل هذين البيتين بتفعيلة واحدة فيها قافية القصيدة^(١).

وتشكل نسبة هذا الخروج عن النظام التقليدي للقصيدة العربية (٤.٨٤٪) من مجموع قصائده ، استطاع فيها الشاعر أن يعبر عن أحاسيسه ، وإذا كان حمد الحجي قد تبع الشعراء في التجديد للإيقاع الموسيقي فإنه يسبغ روحه عليه ، ويتميز تشكيله للموسيقا بإحساسه ، شأنه بذلك شأن الشاعر الأصيل ، ولقد عبر هذا التجديد عما يحس به.

لقد تآزرت الوسائل التعبيرية مع التشكيل الإيقاعي في قصيدته (رسالة حب) ؛ حيث عبر الشاعر عن " قمة حبه الصافي الذي يكشف عن نفس تترأى لنا ديبب خلجاتها بوضوح ، وبخاصة حين يلوذ بالطبيعة (شمس ، قمر ، ربيع ، زهور) التي يجد عندها كل ما حرمته منه الحبيبة ، ولكم تمنى لو كانت مثلها في الرأفة والضياء والظهور"^(٢) ، وتكون إيقاعات القصيدة متوائمة مع أحاسيسه التي يحس بها إذ يقول :

لَيْتِكَ كُنْتُ كَالطَّيْبَةِ الْخُرْسَاءِ
كَالشَّمْسِ حِينَ تَمِيلُ لِلْغُرُوبِ

(١) انظر قصيدة تباريح ، عذاب السنين ، ص ١٨ - ١٩ .

(٢) الشاعر الراحل حمد الحجي : الجرح الإنساني الكبير ، وعذاب السنين ، محمود رداوي ، المجلة العربية ،

كَالْقَمَرِ السَّابِحِ فِي السَّمَاءِ
 قَدْ تَسْقُطُ الْأَوْرَاقُ فِي الرَّبِيعِ!
 قَدْ تَدْبُلُ الزُّهُورُ
 قَدْ تَكْشِفُ الشَّمْسُ وَيُخْصِفُ الْقَمَرَ
 لَكِنْ يَعُودَانِ إِلَى الظُّهُورِ
 مَتَى تَعُودِينَ إِلَى الظُّهُورِ وَالْإِشْرَاقِ وَالْإِنَارَةَ^(١)

وإذا كانت الأوزان قد عبرت بصدق عن أحاسيس حمد الحجي فإن للقوافي أثرها البارز في الإبانة عن مشاعره ، والكشف عن أحاسيسه الصادقة تجاه ما يمر به ، وعند التأمل في القوافي التي تتردد في شعر حمد الحجي يلحظ تناسبها مع تجربته التي يريد أن يجلوها ؛ ذلك أن حمد الحجي أبدع قصائده في تجارب مختلفة ، وكل تجربة تتلبس بظروف معينة وهي التي تملي عليه القافية ؛ إذ نجد الشاعر تارة يبني قصيدته على قافية واحدة بالطريقة الموروثة في الشعر العربي ، وتارة تملي عليه التجربة الشعورية نهج المربعات ؛ بحيث ينهي أربعة أبيات بقافية واحدة ، ثم يعدل عنها إلى قافية جديدة ، وتارة تأتي القافية متنوعة في حروفها كما جاءت قصيدته في شعر التفعيلة .

وتحمل القافية قيمة صوتية تتصل بالجانب الجمالي ، ويكون ذلك بما تقدمه

(١) عذاب السنين ، ص ٢١ .

للمتلقي من متعة ، وإحساس بالنشوة والارتياح النفسي ، ويأتي هذا الجانب بما تقوم به القافية من دلالة على نفسية المبدع ، وتأثيرها الواضح في نفسية المتلقي ، لذا أفاض النقاد في الحديث عن الجانب النفسي الذي تتضمنه القافية في الشعر العربي^(١).

ويبدو الجانب النفسي في قافية القصيدة التي يلتزم فيها الشاعر حمد الحجي بحرف الروي في جميع أبيات القصيدة وثيق الصلة بالترداد ؛ إذ إنه يلح على حرف معين ويكرره باستمرار ، وتعكس الصفات التي يتميز بها هذا الحرف أحاسيس الشاعر ، ولكن هذا الأمر ليس على إطلاقه ؛ لأن صفات هذا الحرف لا تشكل إلا من خلال البناء العام للقصيدة ، والتأزر الذي يحس به المتلقي بين الجوانب الفنية الأخرى ، فمن خلال ذلك كله يتسلط الإحساس ، ويكون للتكرار وقع رهيب حتى يصل بالمتلقي إلى قمة التأثير.

ومن المواضع المتصلة بالأثر النفسي لحرف القافية ما يلحظه المتأمل في

قصيدة حمد الحجي في رثاء عبد الوهاب عزام ، يقول في هذه القصيدة :

فَوَاهَبَ نَفْسِي إِنْ تَنَاءَتْ وَفَاتُهُ وَمَرَّ حَرِيفٌ بَعْدَهَا وَرَبِيعُ
وَقِيلَ : أَمِنْ سَهْمٍ يَقُومُ مَقَامَهُ؟ وَأَيْنَ فَتَى لِّلْمَكْرَمَاتِ جُمُوعُ؟

(١) انظر لمزيد من التفصيل : موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور ، د. صابر عبد الدايم ، مكتبة

الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٣ / ١٩٩٣ م ، ص ١٦١ .

وَصَّاعَ سُؤَالِ النَّادِبِينَ كَأَنَّهَا خَلَّتْ مِنْ جَمِيعِ النَّابِغِينَ رُبُوعٌ^(١)
 لقد أبانت القصيدة الأثر الكبير الذي أثاره هذا الحدث في نفس حمد
 الحجي، وتأمل في النتائج التي ستحدثها وفاة عبد الوهاب عزام، فعاش مرارة
 التجربة وأبان عن صادق الإحساس، فقاده إحساسه الصادق إلى اختيار حرف
 العين لما " في جرس العين من مرارة وتعبير عن الوجد والجزع والفرع والهلع"^(٢)؛
 فالتأمل في صوت العين يلحظ تناسبه مع صوت البكاء الشديد، وهي التجربة
 المريرة التي يعبر عنها الشاعر صوتا ودلالة .

وتتنوع القوافي التي تتردد في شعر حمد الحجي بين الإطلاق والتقييد، وفي
 كلتا الحالتين تحمل صفةً القافية الدلالةً على أحاسيسه، وتكشف بجلاء ما يشعر
 به، وتكون متوائمة مع تجربته الشعورية، نجد ذلك في القافية المقيدة الهامسة في
 قصيدته (ديواني) التي "تشد القارئ إليها شدا بمضامينها الموجهة، ومآسيها
 المؤلمة، ولغتها الهادئة المحملة بالكثير من الأناث والآهات التي لا تحتاج إلى من
 يفسرها أو يترجمها، وقد أشعل جذوة الهمس فيها قافيتها المقيدة، مع التزام
 حرف الياء قبلها"^(٣)، إذ يقول الشاعر في هذه القصيدة :

(١) عذاب السنين، ص ١٢٦ .

(٢) موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور، ص ١٦١ .

(٣) الهمس في الشعر الحديث، ص ٨٦ .

يَا نَفْسُ إِنَّ كَانَ رَبِيعِي ضَنَى
يَا مُقَلَّتِي إِنَّ لَمْ تَرِي فِي الضُّحَى
يَا أُذُنِي لَا اللَّحْنَ يُشْجِي وَلَا
يَا قَدَمِي أَدْمَاكِ عُسْبُ الْفَلَا
فَمَنْ خَرِيفِ الْعُمْرِ مَا تَأْمَلِينَ؟!
شَيْئًا فَمَاذَا فِي الدُّجَى تُبْصِرِينَ؟!
هَمْسُ الْهَوَى يُشْجِي فَهَلْ تَطْرِينَ؟!
فَهَلْ عَلَى الشُّوكِ إِذْنٌ تَخْطُرِينَ؟!^(١)

ويقدم التقييد في القافية دلالات نفسية ، وإضاءات صادقة لدواخل حمد الحجي كما تبين في هذه القصيدة ، وقصيدة (ألم وحرمان) التي ذكّرت بعض أبياتها عند الحديث عن الوزن ، إذ إن قافية القصيدة حرف الميم ، ومعروف أن هذا الحرف من الأحرف السهلة ، ولكن تقييده بالسكون أسهم إسهاما واضحا في إظهار نبرة ثقيلة^(٢)، تبين عن ثقل واضح يحمله في قلبه ، ويعبر عنه من خلال تلاؤم الصوت مع الدلالة ، إذ يقول في مقطع من هذه القصيدة :

لَا تَلْمُ يَا أَخِي
فِي يَمِينِي يَارَا
كَانَ لِي سَلْوَةٌ
مَلَّ طَوْلَ السُّرَى
كَانَ يُهْدِي الْخَلِي
اتِّئِدْ لَا تَلْمُ
عْ يَمْجُ السَّامُ
دَمْعُهُ الْمُنْسَجِمُ
فِي الدُّجَى فَانْحَطْمُ
لَيْنِ أَحَلَى نَعْمُ

(١) عذاب السنين ، ص ١٠ .

(٢) انظر الاتجاه الابتداعي في الشعر السعودي الحديث إلى بداية التسعينات الهجرية : دراسة موضوعية

وفنية ، ج : ١ ، ص ٦٤ .

لَمْ يَكُنْ سَاخِرًا عَايِشًا بِالْقَيْمِ^(١)

وإذا كان التقييد في القافية يعطي الدلالات النفسية ، فإن ذلك مرتبط بما يحس به الشاعر ، وليس المراد أن عدم التقييد في القافية أقل شأنًا من التقييد ، ولكن التجربة التي يمر بها الشاعر هي الكفيلة بإيضاح المجرى المناسب للقافية ، ويلحظ المتأمل في شعر حمد الحجي كثرة إطلاق حرف القافية ، وهو يقدم — أيضا — إشارات واضحة إلى صدق تجربة حمد الحجي عند إبداع أي قصيدة .
ويتمثل صدق العاطفة ، والتعاشيش مع الإحساس في قصيدته (الزورق التائه) ، فقد كان رويُّ القصيدة القاف المشبعة بحركة الفتح ، وقد التزم الشاعر بهذا الحرف في قصيدته ، والقارئ لهذه القصيدة يتفاعل معها ، لصدق تجربته الشعورية ؛ فقد أثرت في نفسه ، ثم صبها صباً في هذه القصيدة لتؤثر في نفوس المتلقين .

وقد تبين في أجزاء متفرقة من البحث كيف أبانت الوسائل المختلفة في هذه القصيدة عن نفسه ، ولعلي هنا أن أبين مدى إسهام القافية في إيصال الدلالة ، والتعبير عن صادق الإحساس ، فحرف القاف حرف مجهور شديد ؛ " لأنه يحجز الهواء خلفه حتى ينقطع نفس الشاعر من شدة الحزن"^(٢) ، وتلك الصفة التي

(١) عذاب السنين ، ص ١٥-١٦ .

(٢) البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر ، ص ٢٥٦ .

يتصف بها هذا الحرف تؤكد أن إحساس الشاعر الصادق قاده إلى إنهاء كل بيت بهذا الحرف ، كما أنه حرف منفتح وذلك يدل على أنه متأثر بالأحداث التي يشاهدها أمام ناظريه ولا يملك إلا أن يسترخي فاغرافاه، ومن صفاته أيضا أنه حرف مقلقل ؛ لأن الألم أقلقه^(١)، وأنهاك قواه فاضطرب لما يشاهده أمام ناظريه من أحداث ، فعبر عن ذلك باختيار صوت يتناسب مع حالته النفسية التي يحس بها ، ولا يقف الشاعر عند هذه النقطة بل يطلق ألفا بعدها تنطلق منها آهات الشاعر وآلامه ، فتنبعث منه مشاعر الحسرة والحيرة والاضطراب ، يقول حمد الحجي في هذه القصيدة :

عَشْتُ بِالْأَنْجُمِ مِنْ إِيْمَائِهَا	أَجْتِي الضَّوَاءَ وَأُطْفِي الْحَرَقَا
ثُمَّ غَابَتْ فَسَمَائِي صَخْرَةً	يَيْسَتْ بَعْدَ كَرِيمِ الْمُسْتَقَى
كَانَ حَوْلِي دَوْرُقُ النُّورِ فَمُدُّ	أَنْ سَجَى اللَّيْلُ افْتَقَدْتُ الدَّوْرَقَا ^(٢)
فَدَعُونِي يَا رِفَاقِي وَاذْهَبُوا	وَأَمْضُغُوا الْأَحْلَامَ حَتَّى الْمُتَّقَى ^(٣)

ولا أدعي أن التأثير في هذه القصيدة جاء من القافية وحدها بل إن القصيدة كلها تشكل وحدة متكاملة تنضم الجوانب الفنية بعضها إلى بعض ، ويساعد بعضها بعضا ، حتى يتم هذا العمل ، فالملاحظ عند التأمل أن الموسيقى الداخلية

(١) انظر السابق ، ص ٢٥٦ .

(٢) الدورق : مقدار لما يشرب يكتال به ، فارسي معرب . لسان العرب ج : ٤ ، ص ٣٣٣ .

(٣) عذاب السنين ، ص ٣٩-٤٠ .

تسعى إلى إيصال القارئ إلى القافية ؛ ليحدث هذا الحرف أكبر قدر من التأثير ، ويمكن أن تكشف هذه الأبيات الأثر الذي قامت به ؛ حيث اتضح الترابط الوثيق الذي يجمع بينها عن طريق أسلوب العطف بحروفه (الواو ، ثم ، الفاء) ، وعن طريق تقسيم الجمل الذي اتضح في قوله : (أجتلي الضوء وأظفي الحرقا) وعن طريق الإشارة إلى كلمة القافية في قوله (كان حولي دورق النور...) لتسير سيرا حثيثا إلى الحرف المكرر ، فيحدث هذا الحرف صوتا مؤثرا مهّدت له الأصوات المنبعثة من داخل الأبيات ، وبهذا يكون وقع القافية أشد ، وتأثيرها أقوى .

وشكل آخر من أشكال القافية عند حمد الحجي ، ولكنه لم يظهر كظهور القافية بشكلها الموروث ، ويوسم هذا القالب بالمرعبات ؛ ذلك بأن ينوع حمد الحجي في قوافيه ، بحيث يقسم القصيدة إلى مقاطع ، كل مقطع يتكون من أربعة أبيات تجمعها قافية واحدة^(١) ، وربما جاء المقطع في بيتين تجمعهما قافية واحدة ، وقد ظهرت هذه الأشكال في شعر حمد الحجي ولكن لم تكن كثيرة ، فظهر الشكل الأول في قصيدتين هما (الليل والهوى)^(٢) و(الكوكب والذكريات)^(٣) ، وظهر

(١) انظر في العروض والقافية : د. يوسف بكار ، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة

الثانية ، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م ، ص ١٨٦ .

(٢) انظر عذاب السنين ، ص ٢٦ .

(٣) انظر السابق ، ص ٧٦ .

الشكل الثاني في قصيدة (ذكرى)^(١).

وإذا كان الشاعر ينوع في القوافي فإن ذلك لا يقطع الصلة الوثيقة التي تربط بين أجزاء القصيدة ؛ مما يدل على أنه يقع تحت وطأة تجربة مريرة جدا ، فأراد أن يعبر عنها بطرق مختلفة ، وكل هذه الطرق توصل إلى المعاناة المتجذرة في أعماق نفسه ، وتبدو تلك في قصيدة (الكوكب والذكريات) إذ يقول فيها:

وَلَفَعْتَنِي بِضَبَابِ الشُّجُونِ	تَلَفَعْتَ يَا كَوْكَبِي بِالسَّحَابِ
وَقَلْبِي يُقْبَلُ شَوْكَ الْمُنُونِ	وَبِتَّ تُقْبَلُ زَهَرَ الْحَيَاةِ
وَحَدْيِي يُرَوِّنُ دَمْعِي الْهَتُونِ	عُلاكَ يُرَوِّنُ نَفْحَ الْجَمَالِ
وَأَبْقَى أَسِيرَ ظَلَامِ الشُّجُونِ	تَسِيرُ إِلَى حَيْثُ شِئْتَ طَلِيقًا
رَسَوْتُ عَلَى السَّاطِئِ السَّاحِرِ	سَبَحْتُ زَمَانًا بِعَيْنِكَ حَتَّى
أَهْوَمُّ كَالْحُلْمِ الشَّاعِرِ	وَوَطِفْتُ بِعَيْدَا أَرْوَمِ النُّجُومِ
أَيَا كَوْكَبِ الْحُسْنِ بِالسَّاحِرِ	أَتَسْخَرُ مِنِّي؟ وَهَلْ كُنْتُ يَوْمًا
مَشُوقٌ إِلَى مَوْجِهِ الْهَادِرِ ^(٢)	أَعِدُنِي إِلَى بَحْرِ عَيْنَيْكَ إِنِّي

إن المتأمل في الأبيات لا يجد انقطاعاً بينها ، بل إن الشاعر مستمر في البوح إلى الكوكب ، وإن تغيرت القافية فإن هذا التغير يدفع التجربة إلى الأمام ، وكأنه بذلك يحاول أن ينوع في الأداء ، ويجدد في العطاء ، فهو بالإضافة إلى التنويع في

(١) انظر السابق ، ص ١١٥ .

(٢) عذاب السنين ، ص ٧٦ .

حرف الروي ، ينوع في حركتها ونوعها إذ تبدو القافية في المقاطع الأولى مقيدة عن طريق الإسكان ، وملتزم فيها بحرف المد (الواو) ، فجاءت هامة لترابط بين نفسه المتأزمة وكوكبه ، وفي المقطع الثاني يغير نوع القافية حيث جاءت بحرف الراء المكسورة ، المتناسبة مع انكسار نفسه لتذكره زمنا جميلا قضاه مع جمال الكوكب ، وفي طياتها طلب العودة إلى ذلك الزمن .

ومن هنا يتأكد ما تقرر من أن إحساس الشاعر يملي عليه اختيار الأسلوب الذي يتناسب مع حالته النفسية ، وأن تجربته الصادقة هي التي تحدد الحرف الذي يختاره للقافية ، ولهذا فقد جاءت قصيدتان للشاعر تحرر فيهما من التقييد بحرف الروي ، كما تحرر من التزام عدد معين من التفعيلات ، ولكن هذا التحرر النسبي يلجئه إلى قافية تتناسب مع الإيقاع الذي يغطي القصيدة ، وليكون لهذا الحرف الأثر الكبير - مع الجوانب الفنية الأخرى - في إبراز معاناة الشاعر ، وتفصيل أحاسيسه :

أَوْقَدْتُ مِصْبَاحِي الصَّغِيرُ
وَأَخَذْتُ دِيوَانًا عَلَى رَفِّ حَقِيرُ
وَقَرَأْتُهُ حَتَّى انْتَهَيْتُ بِهِ إِلَى الشَّطْرِ الْأَخِيرُ
فَإِذَا بِهِ يَشْكُو أَدَى الْمُسْتَعْمِرِينَ
وَالْحَاقِدِينَ الْمَاكِرِينَ
مِسْكِينَةً تِلْكَ الرَّوُّوسُ

قَدْ كَانَ يَغْمُرُهَا الظَّلَامُ
 قَدْ كَانَ يَحْشُوهَا غِذَاءٌ..
 مِنْ خَرَافَاتٍ وَسُوسٍ
 لَكِنَّهَا وَالشَّمْسُ قَدْ طَلَعَتْ لَتُشْرِقَ فِي النُّفُوسِ
 قَدْ أَبْصَرَتْ دَرْبَ الْحَيَاةِ تُضِيئُهُ تِلْكَ الشَّمُوسُ
 تِلْكَ الشَّمُوسُ الطَّالِعَاتُ..
 مِنْ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ
 مِنْ كُلِّ شَمْسٍ فِي الْوُجُودِ
 مِنْ كُلِّ شَمْسٍ فِي الرُّمُوسِ^(١)

وعند التأمل في الأصوات التي تنبعث من الأسطر الشعرية في القصيدة يلحظ أنها تقود المتلقي إلى الإحساس بالقافية ، وفي نهاية كل سطر يحس المتلقي بتأثر شديد لما يحدثه هذا الحرف من نغمة متناسبة مع الموضوع ، ترتاح لها الأذن ، وتناسب مع إحساس الشاعر ، وقد حصل ذلك في الأحرف المقيدة (الراء، النون، السين).

إن الشاعر لا يختار واعيا الوزن الذي يراه — من خلال شعوره — متناسبا مع موضوع قصيدته ، بل إن التجربة الشعورية نفسها هي التي تدفع الشاعر إلى

(١) عذاب السنين ، ص ١٢٨ - ١٢٩ .

كيفية تشكيل الموسيقى في قصيدته ، ويقدر إحساسه بالتجربة أثناء الإبداع يكون الأثر الذي يتركه الإبداع في نفوس متلقيه ، كما يكون عاكسا بصدق ما يشعر به ، وما يتغلغل في أعماق نفسه .

ثم إن هذا ما يدعو إلى القول : إن الشعر ليس وزنا وقافية فقط ، بل إنه إحساس صادق بما يثيره ويحرك وجدانه ، وتأزر وتساند بين الجوانب الفنية المختلفة ، لا يتخلف جانب عن جانب ، وعند هذه النقطة يفترق الشعر عن النظم ، ويتبين الشاعر المبدع من الناظم الذي يسير على أوزان وقواف ، وحسبه من الشعر ذلك .

الغائمة

تم بعون الله وتوفيقه هذا الكتاب ، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وقد تبين في ثناياه أن الشعر ما هو إلا مرآة تعكس أحاسيس المبدع ، ويحتاج إلى مزيد من التأمل من أجل الوصول إلى أسرارهِ ، وكشف خفاياه ، وقد سرتُ في هذا البحث وفق منهج يكفل الوصول إلى النتائج التي تراد منه ، أفدت فيه من الدراسات النفسية التي تعينني على معرفة أسرار إبداع حمد الحجي .

وقد خلصت من هذه الدراسة المتواضعة إلى بعض النتائج ومن أبرزها :

أولاً: أن مسيرة حمد الحجي الشعرية مرت بثلاث مراحل تتضح من خلالها

مسيرته الإبداعية وعراقيلها :

المرحلة الأولى: قبل المرض ، وفيها بداياته الإبداعية ، ولم يكن شعره في هذه

المرحلة بالشكل اللافت من الجانب الفني ، ربما كان ذلك بتأثير البدايات ، وربما

لأنه لم يعانِ بعد المعاناة المؤلمة في حياته .

المرحلة الثانية: أعراض المرض وإرهاصاته ، وهي مرحلة إبداعية لافتة ؛ لما

يحمّله شعره من مضامين ودلالات تعكس واقعه الداخلي ، وقد بلغ في هذه

المرحلة قمة توهجه الفني .

المرحلة الثالثة: تمكن المرض منه ، وفي هذه المرحلة توقف الشاعر عن

الإبداع ، ولم يكتب إلا أبياتاً قليلة جداً ، بل إنه يرفض أن ينسب إليه قول الشعر .

ثانيا: يمكن أن يقيم إبداع حمد الحجي الأدبي بناء على النظر في هذه المراحل الثلاث التي مرَّ بها ؛ ذلك أن شعره يعلو فنيا في المرحلة التي أحس فيها بالألم ، وعايش المعاناة حقيقة واقعة في حياته فعبر عنها شعره .

ثالثا: عند التأمل في المراحل الثلاث نصل إلى نتيجة مهمة وهي أن الإبداع ليس بسبب المرض النفسي بل وليد المعاناة ؛ ذلك أن توهج شعره في الفترة التي كان يعاني منها ، نتيجة حساسيته الشديدة ، وانفعاله السريع ، ولم يكن مصابا بالمرض آنذاك ، وعندما تمكن منه المرض فإنه توقف عن الإبداع ، ولم يستطع أن يكتب إلا النزر اليسير ، وذلك في أوقات صحوته بسبب العقاقير المهدئة التي يأخذها في المستشفى ، ثم إن شعره في هذه المدَّة — على قلته — ليس بإزاء شعره في المدَّة التي سبقت مرضه .

رابعا: أشار كثير من علماء النفس إلى إرهاصات الفصام ، وأن على الإنسان أن يحذر عندما يصاب بها ، وقد وُجِدَتْ هذه الأعراض عند حمد الحجي في المرحلة التي سبقت مرضه ، كما أن شعره قد صور بعض هذه الأعراض تصويرا دقيقا ؛ وذلك يدل على صدق عاطفته، وأن شعره يعكس ما يحس به من ألم نفسي، ومعاناة صادقة .

خامسا: من خلال ذلك يمكن أن نقول : إن المنهج النفسي يمكن أن يطبق على شعر بعض الشخصيات التي يظهر أن إبداعها يعكس بصدق ما تحس به ،

وذلك من خلال تتبع مراحل حياتها ، وفهم حاجات هذه الشخصيات ، وأما البعض الآخر من المبدعين فربما لا يناسبهم تطبيق هذا المنهج عند دراسة شعرهم ؛ لأن شعرهم يكون قناعا يغطون فيه ذاتهم ، لا مرآة عاكسة لما يحسون به . وفي الختام أرجو أن يكون هذا البحث قد قدم إضافة جديدة للأدب في هذا البلد العزيز ، ولا أدعي أنني قدمت كل شيء فيه ، بل إن حالي حال الإنسان الذي يعتره النقص ، فما فيه من صواب فمن الله ، وأما النقص فمن نفسي والشيطان . والله تعالى أعلى وأعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

ملحق

أهم القصائد المستشهد ببعض

أبياتها في ثنايا الكتاب

أديب اليوم^(١)

أقول لصاحبي والدمع بادٍ بمقلته يحاول أن يصبوا
 أترجو أن يكون لنا خطيب وأنت ترى الجمود خطيباً
 أطلب أن يكون الفكر حياً وأنت ترى بمنهجه الندوبا
 أقول له الصباح أطلّ فانظر فيرخي الجفن يستجلي الغروبا

إذا ما شئت أن تشقى بأرض كأرضي فلتكن فيها أديبا
 سترمي بالدواهي من بينها وتقضي العمر منبوذاً غريباً
 ويغشاك الأذى إن كنت حراً يرى في كل بادرة رقيباً
 فلو أمسيت ذا قلب شفيق يفرُّ من الأذى سموك ذيباً
 وإن تك بلبلا غنى لحوناً ترقق بانطلاقتها القلوباً
 تكن في فرع دوحهم غراباً ويصبح شدوك السامي نعيماً
 وإن تك فيلسوفاً ذا كمال تفض بثاقب الرأي الغيوباً
 دعوك الملحد الزنديق فاعجب من الغوغاء تنتقص النجيباً

(١) هذه القصيدة لم تنشر، وقد تسلمتها مباشرة من الأستاذ محمد الشدي.

إذا حمل المعنى كل غم
 على فمه قيود من حديد
 سأرفع مشعلي حتى يراه
 لكل الناس في الدنيا نصيب
 ويا ويح الفتى المسكين مما
 يراعي كل تقليد سخيف
 يُحَارَبُ أن شدا لحناً طروباً
 يغلف كل معنى ذا دهاء
 فكم يهوى الصعود لكل أفق
 فلو عن قلبه كشفوا غطاء
 فأولى للجوانح أن تذوبا
 تسد أمام منطقته الدروباً
 أخو جهل يحاول أن يثوباً
 وما لقي الأديب بهانصيباً
 يلاقيه إذا أضحى غضوباً
 لكيلا يصبح الرجل المعيباً
 فقد شاء واله اللحن الكئيباً
 ولا يلقى له أفقار حيباً
 وترسل عينه الدمع الصيباً
 لما وجدوا به الا الكروباً

إذا غفا الكون^(١)

يارب من لا مرىء صاقت مسالكه وليس يدري بما في نفسه أحد
 يبدو مع الناس ممراحاً به طرب وأن يكن وحده يظفر به الكمد
 إذا غفا الكون في يوم غدا شبها قدت له من دياجي شوقه برد
 يظل يطلب طعم الغمض في لهف فما يقر ولا تشفى له كبـد
 يسائل النجم: هل للصبح من خبر؟ وهل لهذا الدجى يا مسعفى - أمد؟
 تغلغل الحب في أحشائه فله بين الضلوع ضرام بات يتقد
 معذب روحه عنه مسافرة وهل يقيم بلا روح به - جسد؟
 قد صاحب الناس في شتى مواطنهم فما رأى واجداً مثل الذي يجد
 أيامه السود قد ولت ببهجته فما تجيء بها أيامة الجدد
 كم ود لو كان محفوفاً بصاحبه فيات وهو بنعمى الدهر منفرد
 لكنه عاجز عن نيل ماريه وماله في تدابير القضاء يد

(١) مجلة الرائد السنة الأولى العدد السابع جمادى الآخرة ١٣٧٩ هـ ص ٦.

يا بدر^(١)

يا بدر أنك في الظلام سميري مالي سواك مناغم لشعوري
 أرنو إليك وملء نفسي وحشة فأعود موسوم المنى بالنور
 أجمل بضوئك! يخنق الأظلام في حلكات يأسى أن دجى ديجوري
 أهواك إن هبطت ذكاء فإن تغب أمسى هواى لكوكب مسحور

يهتز في الليل البهيم كأنما مرآه مرآى راعش مقرور
 عيني تناجي القلب أنك مرتع الأفلاك بين مزاهر وزهور
 هل فيك نبع ضاحك مترقرق ينساب بين جنادل وصخور؟
 هل فيك جنات تغنى طيرها وتموجت بنسائم وعطور؟
 والحب! قل لي! ما الذي تدريه من أمر الهوى؟ إن كنت جد خبير
 ألدك «قيس» مات من شوق إلى «ليلي» ولم يك وصلها بيسير؟
 هامت بك الشعراء قدما حينما وجدوا ليدك علاله الموتور
 ورأوك نهراً من لجين خالص سألت حواشيه بكل نمير

(١) مجلة اليامة العدد ١٩٩ بتاريخ ٦/٦/١٣٧٩هـ.

رَوَى العوالم - منذ كان - بفائض
 يا بدر هل بك مثلها بالأرض من
 هل فيك كوخ للفقير مرقع
 هل فيك أرباب الملايين الالى
 هل فيك شعب يستنيم إلى المنى
 هل فيك -كفار- وأهل عقيدة
 هل فيك نسرٌ تائهٌ بمخالبٍ
 أم أنت ميدان الملائكة الألى
 شاعت محبتهم ومات غرورهم
 يا بدر سر في أفقك الزاهى ولا
 إن أقبل الصاروخ نحوك فاتحاً
 أو جاء انسان إليك فرده
 هم أفسدوا هذا الثرى وتطايروا
 نظروا إليك فشمروا عن عزمة
 ما عندهم إلا الاذى ومكائد
 من عسجد يجتاز كل أثر!
 فتن تشب كموقد مسجور؟
 من فوقه يجتال قصر أمير؟
 حكموا على المحروم بالتقتير؟
 ويعيش تحت الظلم والتدمير؟
 يسمون دون الناس يوم نشور؟
 مغسولة ببراءة العصفور^(١)؟
 لم يعرفوا درب الخنا والزور
 وتنعموا بمسرة وحبور
 تحفل بنزوة جاهل مغرور
 فادفع أذاه بنفخة في الصور
 نحو التراب بخيبة المقهور
 لك كي تمور بفتنة وشور
 عرفت بسوء القصد في التشمير
 لا يستقل بعدها تعبيري

(١) من ديوان عذاب السنين.

فاكبح جماحهم فانهم أبوا إلا الفساد بسائر المعمور
واسمق وكن كالشمس في عليائها واصمت ولا تبعث لهم بسفير

يا بدر إني في الحياة معذب أحياء على هذا الثرى كأسير
من لي - بمنطاد- يجنح بي على هذى الجواء بعيثي الميسور
لا ألتقى بالحي في أرجائها أبداً ولا آسى على المقبور
إني سئمت من الأنام ومكرهم ورأيت روحى في حشا تنور
إيه طيور النحس في أرضى قفى فإذا شخصت إلى السماء فطيرى

يا سورة الأشواق رفقا بي فقد صيرتني في هيئة المخمور
خليتني أمشي وحيداً يائساً قيثار عمرى شهقتى وزفيرى
من لي باخراجى من السجن الذي ما فيه إلا الصمت.. صمت قبور
قد حاطنى سور الظلام برعبه هيا افتحى ثقباً بهذا السور
قسرا حملت جحيم حبى باكيا ما يصنع الإنسان بالمقدور
أملى هوى - كالجسر - في لج الردى أكذا نهاية درب كل صبور؟
رباه.. لا تجعل مصير أحبتى أن تلحق الأولى بهم كمصيري

يا بدر قاسمني المرارة والاسى
 في مسبح الأفلاك جرمك سابح
 فلقد تكون من الأنام نصيرى
 يبدو صغيراً وهو جد كبير
 وكذلك في قلبي الجراح تضاءلت
 للناس وهي عميقة بضميرى
 أنى لا عذر أن سكتت ولم تجب
 مادمت في هذا الظلام سميرى

ديواني^(١)

راجعت ديواني فلم ألق في
 فرأته فارتعت من بؤس من
 من قائل الشعر ومن ذا الذي
 هذا أنا قد هد جسمي الأسي
 ماذا تبقى لي سوى غاية
 يا نفس إن كان ربيعي ضنى
 يا مقلتي إن لم تري في الضحى
 يا أذني لا اللحن يشجي ولا
 يا قدمي أدماك عشب الفلا
 لا غرو إن جف معين الصبا
 أوراقه إلا أغاني حزين
 سطره بين الأسي والأنين
 أيامه نوح ودمع سخين؟
 والقلب باك من عذاب السنين
 تضيء أيامي بنار الحنين؟
 فمن خريف العمر، ما تأملين؟
 شيئاً فماذا في الدجى تبصرين؟
 همس الهوى يشجي فهل تطربين؟
 فهل على الشوك إذن تحظرين؟
 وفاتني في العيش طيب ولين

* * *

(١) هذه القصيدة وما بعدها من ديوان عذاب السنين.

دعاء

روحاً تتوق إلى الكمال	يا رب أنت وهبتي
شعواء في طلب المعالي	روحاً تشن حروبها
لا يقاوم في النزال	وهبتي جسماً ضعيفاً
ويجور في أدنى كلال	ينهدم من بعض العنا
فلا يوفق في النضال	يهفو إلى ساح النضال
إلى حد الهزال	يقضي عليه الحزن يعصره

أرواح تقاوم كالجبال	كم قد شهدت ضعاف
بأجسام بسؤال	ورأيت أرواحاً قويات
الطموح بلا نضال	حيث لعمرى تقتل النفس

عجبي لروح كالذبال	إني عجبت وإنما
لو حقت هالي الليالي	إني تناعيني المنى
الجسم من بعض الرجال	أن ينزع الله اكتمال
ذوي التطلع والفعال	وينيله للعاملين

فتنة

أيافتنة العاشق المستهام
أظنك لست من الانس بل
وإن كنت حورية في الجنان
أترضين لي سيء المنقلب؟
ملاك يسير يشق الحجب
فكيف أتيت، ومم الهرب؟

تذكرت خديك عند الورود
ومال بيستاننا الغصن
وهب النسيم بعطر الزهور
وما نفحة من شذاك الحبيب
فهاج الفؤاد أسى واضطرب
غضا فوافي بقدك لما انقلب
فجاء برياك لي حين هب
كنفح الزهور وعطر العلب

وإن قال قوم قليل المتاع
فإن الزهور ونجوى الطيور
أراها لذي فلم تكفني
فقولي لمضناك أين الطريق؟
ينوب عن الجل وقت النوب
وصوت المغني ونبت العنب
لأن فؤادي إليك انجذب
وأين حديث الهوى قد ذهب؟

وأودعه صفحات الكتب
فيديرون ماذا يلاقي المحب

سأحفظ حبك في مهجتي
ليقرأه بعدنا المغرمون

الدوحة الشاعرة المحتضرة

ما للجفاف أحالني حطبا
 البلبل الصداح غادرني
 كم هزني بغنائه طربا
 هذا الخريف مكدس ورقى
 والريح تلطمني عواصفها
 نضبت حياتي بعد نضرتها
 وأتى على ورقى وأغصاني
 وكأنه ما كان يهواني
 وحناء على قلبي بألحان
 تحتي لينسج منه أكفاني
 وتهدي مشدود بنياني
 ورأى الفنا خطبي فناداني

أواه كم هطل النعيم على
 واليوم كالعدم المير أنا
 قد كنت أهزأ بالعواصف إن
 وأتبه فوق الماء ضاحكة
 والماء يجري في متشيا
 وعلى فروعي الشمس سارحة
 غصني يرويه بتحنان
 يلهو الردى في هيكلي الفاني
 زارت واصفقاها بايامي
 والزهر تحت ندهاء يلقياني
 في ألف شريان وشريان
 من نورها اختار ألواني

ألم وحرمان

هـ اطـلات الـديـم	أمـطـرتـنـي الأـسـى
حـالـكـات الـظـلـم	وـكـسـتـنـي الـبـلى
غـيـر كـأس الـألم	مـا سـقـتـنـي الـدنا

عـمـري الـمنـصـرم	هـُـفـَ نـفـسـي عـلى
خـاطـر مـضـطـرم	زـار كـالـطـيـف في
مـبـقـيـاً لـي الـنـدم	وأنـثـى راجـعـاً
شـقـوة تـحـتـدم	لـم يـدـم لـي سـوى
لـيـتـهـا لـم تـدم	اـحـتـسـي كـأسـهـا
غـيـر لـحـن العـدم	لـيـس في مـسـمـعي

اتـد لـا تـلم	لـا تـلم يـا أخـي
يـمـجُّ الـسـأم	في يـمـيـنـي يـراع

كان لي سـلوة
 ملّ طول السرى
 كان يهدي الخليين
 لم يكن ساخراً
 دمعة المنسجم
 في السدجى فانحطم
 أحلى نغم
 عابثاً بالقيم

المقـادير في
 عينها ترصد الكون
 داؤها دائها
 وتهـد القـوى
 ثم تخطو كما الغول
 كهفها لم تنم
 منذ القدم
 أن تهـز الأمام
 وتـدك القمم
 فـوق الرمم

لا تـلم يا أخي
 من يـرد الـردى
 فأنا ليس لي
 إن رضيت الـنقم
 من يطيق الحمم؟
 غير هذا القلم

دمعة على الصغير

وصليت العشاء على صبي
 قد اختار الاله له ارتياحا
 أقول له ودمعي فوق خدي
 كمثل السيل في رديّ ساحا
 هنيئا بالردى وافى مساء
 فإنك داخل عدنا صباحا

تباريح

أين تلك الجنة الخضراء قطفت جناها
لكأني آدم أهبط من عالي ذراها
للسفوح

آه يافاتن هل لساء الحسن مرقى
إنني بين رغابي كغريق بين غرقى
قوم نوح

آه لو أنك أبصرت مدى عمق جراحي
واعتزالي عالم الناس لكي يجلو نواحي
ما بروحي

كم سكبت الدمع لكن ليس يجديني بكائي
وأمامي طيفك الزاهي تراءى كالضياء

في المليح

آه هل تدرين أن البعد لا يكفي عزاء
وفؤادي من تباريح الهوى نز دماء
ما بروحي
كم قضيت الليل مشدودا إلى آهات صدرك
ذاهلاً أحلم بالوصل وفي سهدى وهجرك
والنزوح

غير أني في صباحي أشهد الموت الزؤاما
صارخاً أين حبيبي أين من أحيى الغراما
من ضريح؟
غير أني آمل أن سوف أحيى وأراك
فإذا مت فأما لي تناءت ما عداك
وتروحي
كم سجدت الليل عقلي هائم في كل أفق
واسوداد الليل من حو لي شديد مثل شوقي
وطموحي

الربيع الفاتن في نجد

جاء الربيع فماس الكون ترحيبا وغنت الورق فوق الأيك تطريبا
 وصارت الأرض مخضرا جوانبها بالنبت تلقاه مفروشا ومنصوبا
 فلو نظرت ضحى نحو الرياض وما فيها من الحسن مبثوثا ومسكوبا
 وطالعت عينك الأزهار باسمه والطيير صادحة والماء مصوبا
 أيقنت أن الربيع الغض مؤتلقا مغنى من الخلد لكن ليس محجوبا
 ثم ارتمت عنك آلام الحياة كما قد أسعد الأمل المحبوب مكروبا

فهل غدوت إلى أعشاب مشجرة كيما ترى بكمال العيش مصحوبا؟
 ورحت تنظر تصعيدا إلى أفق ناء وطورا إلى الأشجار تصوبا
 وأبصرت عينك الغدران صافية تصطف من حولها الأزهار ترتيبا
 لأنت نشوان رحب الصدر حين ترى وجه السماء بوجه الأرض مقلوبا

قل للذي زار لبنان وجنته فبات من عقله المخدوع مسلوبا
 لا تذهبن بك الذكرى مجنحة وترتقي بك فوق السحب منهوبا
 فنجد لبنان في فصل الربيع لذا أمسى الجمال لنجد اليوم منسوبا
 انظر إلى الربوات الفيح قد خلعت يد الجلال عليهن الجلابيا
 وانشق شذا عرفها الفواح في دعة وشمَّ فيها نسيمًا يحمل الطيبا
 فمن خزامى إلى رند يצוע بما يشفي الصدور ويقصي الهم محروبا
 ومن مغان بها الأرام واثبة يمرحن ما خفن قناصا ولا ذيبا
 يقطفن نور الربى الخضراء في جذل ويتتحين لجين الماء مشروبا
 مفاتن تدع الأشجان نافرة من القلوب وتكسو النفس تهذيبا
 لو أوتي الطير افصاحا ومعرفة لراح ينظم فيها الشعر تشبيبا
 فاجعل لها ساعة وانعم بمشهدها إن كنت تلمس في دنياك تعذيبا
 وخلص النفس مما قد أضربها ما دمت من نفحات الحسن موهوبا

تلك الطبيعة فانهل من مناهلها وقف بها كي ترى فيها الأعاجيبا
 يعلو بك الفكر في تمجيد مبدعها من أحسن الخلق تكويننا وأسلوبا
 حتى بروح لسان الحال منطلقا بين التلال رفيع الصوت مرعوبا
 يا ملبس الكون أثوابا مصبغة من الجمال سهولا أو أهاضيبا
 ريع الشتاء فولى مدبرا وبدا وجه الربيع ضحوك الثغر محبوبا
 وماتروق لنا أصناف روعته حتى يزول بلفح الصيف منكوبا
 جعلت أيامنا نوعين منك فذا يبدو رهيبا ويبدو ذاك مرغوبا

الليل والهوى

طغت موجة الحزن في خاطري
 طوى الدهر أيامي الباسمات
 بلوت ملوحة هذي الحياة
 فلست أعيش ببعض الرجاء
 فاغرقت الفرحه الطافحة
 ووافى بأيامي الكالحة
 ولم تك من قبل بالمالحة
 ولا صفقتي في الهوى رابحة

نشرت شراع المنى في الضحى
 وطفنت به في رحاب الحياة
 أغالب بحري ولكنّه
 فيازورقي قد طواني المساء
 يغازلني أمل مخصب
 لعل أماني تعشوشب
 إذا ما علا موجه يغلب
 ولم يبدي شاطئ طيب

أيا نجمة الصبح هذا الهوى
 ومالي سوى الزفرات الحرار
 أريقي اتلاقك يا نجمتي
 ولوحي يبشرى الصباح الجديد
 يكبلني في الدجى قيده
 على أمل هديني بعده
 على مدنف شفّه وجدّه
 لمضني ينادمه سهده

إذا ما اكتويت بلفح الهجير
يرف عليك الشباب النضير
وأين البلابل أين العبير؟
لا غسل يأسى وأين الطيور؟

وياروضة كنت أرتادها
عهدتك بالحسن مختالة
فأين ظلالك أين الجنى
وأين جداولك الهاربات

أمزق ستر الدجى بالنواح
لأدفنه في ضياء الصباح
به تائه في الصحارى الفساح
وينزو بقلبي شهيد الجراح

سلكت إلى الفجر كل الدروب
وكفنت جرح الأسى في الغروب
فما أبت إلا بما قد يؤوب
تغلف روحي صنوف الكروب

ذكرى الطفولة

زمن به نفسي تفيض وداعة أنعم بعيش في ظلال وداعتي
 يبدو لعينيّ الوجود كلجّة لم أدر ما تحويه غير سفيتي
 ولقد جهلت سفيتي وسفيتي «أنا» غير أني قد جهلت حقيقتي
 وأتيت أسأل عن حياتي كلها أنا ما أنا ما والدي وأخوتي
 ما الشمس تطلع في الصباح منيرة وإذا أتى وقت الغروب تولت

لم أدر ما طعم الهموم ولونها وأرى الجمال فلا أصاب بحرقه
 أغفو وقلبي ليس فيه صباة تدع المنام محرماً في ليلتي
 وأنام ملء الجفن ما امنيتي الا - عسى - في الصبح القى لعبتي
 إن حن شيخ للشباب فإنما قلبي يحن إلى زمان طفولتي
 أنا في شبابي بائس ما في يدي إلا الدموع تحدرت من مقلتي
 ذكرى الطفولة ما تمر بخاطري إلا ذكرت بها نعيم الجنة

ما كنت في زمن الطفولة حافلا بمبادئ أو أمة أو فكرة
 بل لم أكن أدري صواب شريعة خصت بها دون البرية أمتي
 كل انتفاضاتي تذوب بريئة حول الغدير وظل أحني دوحه
 من أين جئت؟ وأين أذهب؟ أنني في هذه الدنيا أعاني حيرتي
 لكنني رغم التساؤل مؤمن بقوى الإله وشاعر بالقدرة

من أعماق نفسي
(خلف المنظار الأسود)

إن نظرت الجمال غضا طريا
لاح لي أسود المصير كمسود
فرأيت الجمال يُطى بأكفان
وإذا ما الحياة قلبي يوما
أيقنت نفسي الفراق طويلا
وإذا ما الكؤوس صفت أمامي
واحتساها قوم وغنى المغني
صرت وحدي الباكي يظن بأن
واجتنبت الطلا ولم أسمع اللحن
وتناهى لمسمعي صوت كف
ومحت آية السرور وأبقت
وتراءى لي الندامى وقد صاروا
هكذا كنت في حياتي عجابا
ألحظ القاتم المرير من العيش
يستجلى في المنظر الخلاب
الليالي مكشر الأنياب
ويبلى ممزق الأسلاب
فرحته بزورة الأحباب
ورأيت الوصال مثل السراب
يتراقصن من مصفى الشراب
بلحون تطيح بالألباب
الدمع دمع السرور لا الأوصاب
ولم أدر عن فتون الشباب
عصفت بالشراب والأكواب
حزنا حل - أسود الجلباب
حطاما في حزمة الخطاب
يا لقلبي من هول ذاك العجاب
وأبكي على الضياء الخابي

قلت: يا دهر ليس ذا من حسابي
 بتُّ منه في موقف المرتاب
 في عناء، وللشقا ذو نصابي
 وبأذني بكاء رعد السحاب
 نحو جاثي الصخور تحت الروابي
 ثم أرهفت مسمعي للغراب
 شوكتها أنملي كحد الحراب
 أين مني ما يزدهي في الهضاب؟
 كل خفيّ مجنح منسابٍ
 رحّت أرنو نحو المعاني الكوابي
 وأطارت مني الشئون صوابي
 ضعيفا محطم الأعصاب
 — أحيّا كعابد أوّاب
 بعيد أو نظيرة في كتاب
 بأزهي الأسماء والألقاب
 فسكوتي عن الجواب جوابي
 ما أرى الغير منه خلو الوطاب

وإذا لاح لي البهاء وضيئنا
 وإذا أعجب الأنام بشيء
 هكذا أصحاب الحياة: فؤادي
 لا أرى البرق في السحاب ضحوكا
 أترك الزهر في الروابي وأرنو
 إن تغنت حمامة ملت عنها
 لا أرى حمرة الورود ويدي
 لا أرى في الهضاب إلا وحوشا
 واشتياقي على الدوام إلى
 فإذا ما استبان وجه لأمر
 لو تراني وقد طحابي فكري
 لتوهمني بريئاً من اللبّ
 ثم لم تدر أنني في سماء الفك
 هكذا عيشتي رحيل مع الفكر
 أو بقاء مع الشقاء أناديه
 وإذا ما سألتني لم هذا؟
 لست أدري لم الدنيا حملتني

ألأني قد نلت بعض نعيم
 أم لأني أسرح الفكر في الكون
 أم لأن الدهر الغدور قد اجتاح
 أم لأن الجمال يصمي فؤادي
 أم لأن الحبيب قد فرمني
 أم لأني أرى الأنام بأجسام توارت
 بين نذل وخائن وعدو
 لست أدري سر التعاسة إلا
 ربّ تاهت سفيتي في ثنايا اليم
 يا إلهي إليك أشكو انقباضي
 تقرع الحادثات بابي ولم أبصر
 ما لقيت الأنام إلا لقوا مني
 أظهر الانسراح للناس حتى
 لو دروا أنني شقي حزين
 لتولوا عني ولم ينظروني
 فكأنني آت بأعظم جرم
 هكذا الناس يطلبون المنايا

تليت كأسه بأقداح صاب؟
 وفي الخلق في ذرى محرابي؟
 بروجا شيدتها من رغباي؟
 بسهام العيون والأهداب؟
 أم لأني من جملة العزاب؟
 فيها نفوس الذئاب؟
 وحسود وصاحب ذي كذاب؟
 أنني تهت في دجى سردابي!
 فارتعت من رؤى الأكراب
 واعتزالي وخلوتي وانتحابي
 سرورا يوما يمر بيابي
 ابتساما وليس يدرون مابي
 يتمنوا لو أنهم في ثيابي
 ضاق في عينه فسيح الرحاب
 ثم زادوا نفورهم باغتيابي
 لو تبدت تعاستي للصحاب
 للذي بينهم جليل المصاب

في عناء والدهر خدن انقلاب
أنهم من صروفه في اجتناب
جهلوا أن عودهم للتراب
خلقوا منه: بئس ذا من مآب

لم لم يرفقوا به حين أمسى
هل تلقوا من الزمان عهدا
أم تعاملوا عن الحقيقة حتى
سيؤوبون للثرى مثلها قد

فم البائس القنوط الكابي
واليتمى والمبتلى باكتئاب
.. يدعو إلى اقتحام الصعاب
بالخرافات والأذى والعباب
نحو الأموال والآراب
يهوي مثل انقضاض الشهاب
أو معنّى بالفكر والآداب
نغما ظل واهي الأسباب
وتساميت في الشعاع المذاب
أو ذبت في كثيف الضباب
دافق النور ناضر الأعشاب
ظلمة الليل ساطعاً في اضطراب

كم تمنيت أنني بسمة في
أو منام يمحو سهاد الأيامي
أو ضياء ينير للشعب سبب المجد
لبناء الأجداد تسمو وتودي
لدخول الحياة من بابها الفضي
لانقضاض الحق الصريح على الباطل
كي نرى الشعب بين ساع دؤوب
ليت لكن: ليت لم تبق إلا
لو ملكت القوى لرحت بعيدا
أو توجهت نحو خالقي الأعظم
أو غدوت الحقل الجميل تبدى
أو صحبت النجم اللموع جلته

وازجيت للمعالي ركابي

لو ملكت القوى لحققت آمالي

متهات أوتبي للعذاب

رب آمنت بالحقيقة فاجنبني

بنفسي نوراً يضيء جنابي

رب أني أدركت حقك فلتشرق

في سحيق الفضا ولج العباب

ها أنا قد مللت تجوال عقلي

من صنوف الآلام والأوصاب

آن يارب أن أداوي جراحي

ذو تسام إلى الهدى والصواب

فاهدني للصواب إني منيب

في زمرة السعداء

أبقى على مر الجديدين في جوى ويسعد أقوام وهم نظرائي؟
ألست أخاهم قد فطرنا سوية فكيف أتاني في الحياة شقائي؟
أرى خلقهم مثلي وخلقهم مثلهم وما قصرت بي همتي وذكائي
يسرون في درب الحياة ضواحا على حين دمعي ابتل منه ردائي
أكان لساني أن نطقت ملعثما وكانوا إذا ناجوا من الفصحاء؟
وهل كنت إما أشكل الأمر عاجزا وكانوا لدى الجلى من الحكماء؟
ولست فقيرا أحسب المال مسعدا وليسوا - إذا فتشتهم - بشراء
وهل لهمو جود بما في أكفهم وإني مدى عمري من البخلاء؟
وهل أصبحوا في حين أمسيت مانعا يجودون بالنعى على الفقراء؟
وهل كلهم أصحاب فضل ومنّة وكنت أنا المفضول في الفضلاء؟
وهل ضربوا في الأرض شرقا ومغربا وكنت مللت اليوم طول ثوائي؟
وهل كلهم أوفوا بكل عهودهم ومن بينهم قد غاض ماء وفائي؟
بلى أخذوا يستبشرون بعيثهم سواي فقد عاينت قرب بلائي

لقد نظروا في الكون نظرة عابر
 وأصبحت في هذي الحياة مفكرا
 ومن يُطل التفكير يوما بما أرى
 ومن يمش فوق الأرض جذلان
 تغني على الدوح الوريق حمامة
 وتبكي على الغصن الرطيب يظنها
 ألا إنما بشر الحياة تفاعل
 يمر على الأشياء دون عناء
 فجانبست فيها لذتي وهنائي
 من الناس لم يرتح ونال جزائي
 بشاشته يَمُرُّ بكل رواء
 فيحسبه المحزون لحن بكاء
 حليف الهناتشجي الوري بغناء
 تفاعل تعش في زمرة السعداء

قسوة

تجن علي بالغ في التجني
ومس بالقد منتشيا كغصن
وأسمعني حديثك إن روعي
كأن الله أولاك افتنانا
أكاد إذا سمعت النطق منه
فهيأرسل شعاع اللحظ أني
أصوغ مناغيا للناي لحنا
تهش له مسامع من أناجي
فمتى كملت خلائقه وفاقت
فلا تبخل علي بحسن صوت
فاسمعني لحون الطير تشدو
ولا تبخل علي بسحر قول
وينفح بالشذا نفسي وقلبي
فمن ألم الجوى استوحيت فني
جميل في اعتدال أو تثني
يمور به صدى صوت المغني
فمازج فاك بالوتر المرن
يضيع الفكر والوجدان مني
من الطرف الجميل أصوغ لحني
شرودا رائقاً في كل أذن
ويرضاه أبو موي ومعن
جميع الناس من جنس ولون
يميت تعاستي ويقر عيني
وجاذبني الترنم والتغني
حلاوته تزيل الهم عني
كأن في ذرى جنات عدن

ويجيني لأني في ممات وفي قيد وفي إظلام سجن
فكم من ليلة أرسلت شعرا يمني النفس لو نفع التمني
ألا ياليت من أهوى قريب يخفف وطء آلامي وحزني
ويغمرني بفيض النور منه ويدلني رؤى خوفي بأمن
ويجعل وحشتي أنسا وبراً ويتركني أنام بملاء جفني

الزورق التانة

في سكون الليل قدت الزورقا قاصدا شطّ رجائي الشيقا
 مبحرا نحو المدى المجهول في حلقة لم أجُلّ فيها أفقا
 كم يثور البحر حولي مزبدا لاهب العصف مغيظا محنقا
 حملت أمواجه من قاعه زعقات الذعر ممن غرقا
 رب ضل العقل في غيبه فارحم اللهم عقلي المرهقا

زورقي فوق مياه عصفت عاد مجنونا وباتت زنبقا
 كان في كاسي بقايا صحوة أهرقت في الترب فيما أهرقا
 عشت بالأنجم من إيائها أجتلي الضوء وأطفي الحرقا
 ثم غابت فسماي صخرة يبست بعد كريم المستقى
 كان حولي دورق النور فمذ أن سجي الليل افتقدت الدورقا
 فدعوني يا رفاقي واذهبوا وامضغوا الأحلام حتى الملتقى

يا إلهي أظلم الكون فلم تر عيني في دجاء ألقا
 في حياتي ما الذي أعددت لي؟ كان أولى لي ألا أخلقها
 أمل يخبو وقلبي يرتمي فوق أشواق الضنى منسحقا
 ومساء ليس فيه نجمة وصباح نوره ما اندفقا
 وصحاري الفت طول السرى فتولى الصبح عنها شفقا
 ليس في وجه الدجى إلا الأسى وأفاع يستطن الغسقا
 ظلمات اليأس ما فيها سوى جرة منها رجائي احترقا

أعشق الشمس ويا ويح فتى في بلادي للضحى قد عشقا
 سوف يجيأ في صراع والمنى والردى عن دربه ما افترقا
 يا لعيني من تصاديف النوى يا لروحي من تباريح الشقا
 كفني يا شمس مني هيكلًا كفنيه هيكلًا محترقا
 وادفيه جانب النهر فقد يتلقى الصبح غصنا مورقا
 لا يريد العيش قلبي وهو في قيده نحو الضيا ما انطلقا
 سوف أغفو يا نداماي فإن طلع الفجر فحيوا المشرقا

واسكبوا في حفرتي من نوره
 واسفحوا من دمكم أو دمكم
 يا رفاقي قد دعاني مبدأي
 يا حياتي ما الذي فيك يُرى
 لا تقولي كيف حطمت الصبا
 كيف حطمت الشباب الريقا

إيه دنياي ابسمي أو فاعبسي
 سوف أبقى في يباب موحش
 سوف أطوي صفحة العمر فما
 استطع العيش عبدا موثقا

اليأس المريح

يئست من الغرام فلا وصال أرجّيه ولا أمل لديّا
 صبرت فحين لم يجد اصطباري نفضت من الهوى كلتا يديا
 وإن مات الهوى في عمق صدري أعود بموته بشرا سويا
 كبير النفس أخلق بالتسامي وتعرفني الدنا رجلا أيبا
 إذا أنما لم أحطم قيد روعي فلست بك أنفا حميا
 يعز عليّ أني عشت دهرا يكبل غل جبي ساعديا
 نهاري مثل ليلي لا جديد سوى الأوصاب جائمة عليا
 وأطياب الهوى تبدي بريقا يعلل بالمني صبا شقيا
 يشب بخافقي شوقي ومالي سوى دمع يجول بمقلتيّا
 خبرت الصحب في سر وجهر فلم أر واحدا فيهم وفيّا

ليالي جبل لبنان

أذكرى صبا شقيا
 جبروتها هتليها
 وسيبقى أبديا
 يترك الشيخ صبيا
 لم يعد بعد غيبا

أيه بيروت اذكريني
 إن للحب علينا
 حل فينا أزليا
 إن للشوق لظاه
 وإذا والى غيبا

أثقل الغل يديا
 ساحة البرج مليا
 تلتقي خلا وفيها
 لم يعد يعرف شيا
 ويظن الميت حيا
 شق أمس عاطفيا
 ن انبرى طلق المحيا
 ربواته ردي عليا

يارفريقي لا تلمني
 أه لو كنت معي في
 لسباك الحسن حتى
 من تصباه جمال
 فيخال الحي ميتاً
 من أتى بيروت لا يعد
 أين مني سفح لبنا
 ياليلي الصيف في

لا تخافوا لا تراءعوا
 و امرحوا في جانبيها
 قد رضيت الدهر عنكم
 فاقطفوا العيش طريا
 فإذا أعوزكم شئ
 سيء فهو زوارحتيها
 فهما مهدي الغواني
 وهما نبع المحيا

لو نظرت السهل قد جلد
 لبردت العسجديا
 خلته سجادة ألب
 هت عن النسك تقيها
 فتراه يطلع النر
 جس والزهر الشذيا
 يطرده الآلام عن قلب
 بك والدمع العصيا

آمال وآلام

أغرق آلامي بكأس مللتها أم الصبر أجدى اليوم مما أحاول؟
ألا دع ملامي أيها الخدن انني سئمت من القول الذي أنت قائل
فاني بما عندي من الشوق عالم وأنت بما عندي من الشوق جاهل
رُميت بسهم للهوى ضل نصله يمزق أحشائي فما أنا فاعل؟
لقد كنت أرجو أن أذوق صباية ولم أدر أن الحب للمرء قاتل
أفاتنتي رفقا بمهجة مغرم ينازل من أشواقه ما ينازل
يسائل عنك البدر والشمس عسى أن يزيل الهم عنه التساؤل
أطال هواكم والعذاب تشاؤمي فهل سوف يبدو لي قريباً تفاؤل؟
تشاغت عنكم بالقريض وأدمعي فلم يطفىء الأشواق هذا التشاغل
يصارع آلام الغرام كأنها يقاتله في جانحيه مقاتل
ويبكي دما حتى يناديه قلبه اتبكي دما والذكريات موائل
أيا روضة قد كنت ارتاد نبعها فتغسل بأس النفس تلك الجداول
عهدت بك الأغصان مالت بها وغنت عذارى اللحن فيها البلابل

فما لك أمسى الجذب فيك مخيماً؟ بربك أين النبع؟ أين الخمائل؟
وها أنت لا ظل لديك ولا جنى فطيرك محزون، وزهرك ذابل
لعلك إذ أبصرتني في تعاسة عبست، أيرضى بالكآبة عاقل؟
ألا فيكم والشوق في القلب عاصف ولكنني رغم التياغي أجامل
وأبدو ضحوك السن حتى يظنني خليلي خلي البال والعقل ذاهل

هفوة

أفلت الأمر من يدي
 قد تجاهلت حينها
 لا تلومني حبيتي
 واتركيني لحيرتي
 أنت وسدتني سوا
 لم أحن حبك الفتى
 ستعودين لي سرياً
 أنت لو رحت تسكيني
 إن لي من شائلي
 شيمة ترفض الزما
 فتحاشي بأن أرى
 رغم شوقي وصبوتي
 إنني انتشي بنجو
 وتولاه حسدي
 لم أكن بالمؤيد
 ووداعاً إلى غد
 وفؤادي المسهد
 عدك اللدن فاشهدي
 بي فداري تمرد
 عاً بخد موزد
 من شواظ التنهد
 وطموح وسؤدي
 ن خضوعي لفرقد
 جائع الطرف أجتدي
 وكياني المبدد
 اي كنجوى مغرد

لم يخنني تجلدي

ئي وعزمي الموطد

بيبان مجود

فجر بالزنبق الندي

وجنايات حسدي

إن تخونني مودتي

سوف أحيا بكبريا

شاديا في انتفاضتي

سوف تأتين لي مع الـ

حين تبدو برأعتي

فدائي تائر

يا موطني روحي الفداء فإن
 إن لم ترؤي مهجتي وطني
 إن لم تردّ لليت رمقا
 وطني فديتك أي مقبرة
 وأريتهم طي التراب وها
 تاريخك المخضر جانبه
 أرض النبوة كم رفعت سنا
 فإذا العدالة شرعه عصفت
 هبت من الصحراء مشرقة
 دكت حصون الظلم فاندثرت
 فإذا العبوديات تخنقها
 وإذا البسيطة بعد غيرها
 بالأمس كان الجور يمضغنا
 واليوم يا أرض النبوة كم
 تسلم أغسن اليوم أشعاري
 مزقتها وقطعت أوتاري
 ما أنت يا قيثار قيثاري
 للطامعين حفرت في الدار
 جرح الأباء يتيه بالغار
 مهوى نهى وحديث سمار
 يسري على خفقاته الساري
 وأضاءت الدنيا بإصرار
 ومشت شهابا عبر أبحار
 بعد الشموخ العاصف الضاري
 حريّة وثبتت بأحرار
 روض يرف وجدول جاري
 في مهد كفار وفجار
 من موطن بالشّر موار

ليل بلا نجم وأقمار
 وقبور موتى تحت أزهار
 ودماءؤهم نهبٌ لجزار
 فإذا الحمى مأوى لأشجار
 بالأمس تدفن كل جبار
 ما حركتها كف أعصار

مات النهار وجاء يخلفه
 ماذا نرى غير الركام به
 أطفاله أجسادهم مزق
 دار الزمان شنيع دورته
 وإذا البطولات التي انتفضت
 تغفو وتكسوها السنين بلى

جيلا يحطم كل غدار
 تبني الفخار بالسن النار
 بالموت في أعماق هدار
 ولو انتحاه ألف تيار

يا موطني تلد النساء غدا
 وتهب يا وطني جحافلنا
 تلج المعامع غير حافلة
 وتقابل التيار تخمده

في زورقي

حيران من ثورة آلامي
 من ضجة الشوق بروحي وما
 آثار أقدام هوى راحل
 شبت صباباتي ولا مورد
 الجدول الرقراق ماتت به
 قد صوح الروض وكم وقفة
 والأنجم الزهر بعليائها
 والنهر قد جف كأن لم يكن
 قد كنت بالأمس إذا ما الأسى
 آه لروحي من ضجيج المنى
 يا زورقي لا تنطلق إنني
 البحر مجنون بأواجهه
 الجدول الجاري ولم كان لي
 تبخرت أمواهه فانبرى
 انكرت نفسي حين جن الأسى
 من عصفة الدهر بأحلامي
 أرى سوى آثار أقدام
 يبكي عليه الخافق الدامي
 يظفي جحيم المدنف الظامي
 أمواهه فاعتل قدامي
 فيه تولت غسل أسقامي
 لم تشتعل في سحرها الهامي
 يعرفني في غر أيامي
 فاض جرت أنهار أنغامي
 صخابة تقتل إلهامي
 تخيفني أشباح آلامي
 وأنت مشحون بأوهام
 مواسيا يلثم أقدامي
 كالقبر ملحودا بأحام
 بها وأغفى حلمها النامي

يا عيد

يا عيد وافيت فالأشجان مرخية
 لا الأهل عندي ولا الأحباب جيرتهم
 العين ترنو وطول البين فاجعها
 تجري دموعي دماء في محاجرها
 أمسي وأصبح والأحزان تحدق بي
 أوري اشتياقي أني في نوى وجوى
 يا فرحة القلب والآلام تعصره
 يا ساكني نجد أنا بعد بينكم
 فادعوا بحق الهوى ان نلتقي بكم
 يا ليتكم تبصرون الصب عن كذب
 إذا ذكرتكم أمسيت مرتعشا
 أنا المتيم والأحداث شاهدة
 أني غلام ولكن حالتي عجب
 سدولها ونعيم الروح مفقود
 حولي فقلبي رهين الشوق مفؤود
 حسرى وإنسانها بالأفق معقود
 على وسادي لها صبع وتسهد
 لا الروض يجدي ولا القيثار والعود
 وأنني بقيود الهمم مصفود
 لو أنه بلقاء الأهل موعود
 كأنما قد شوى الأضلاع سفود
 فأن أيا مننا من بعدكم سود
 حتى يبين الذي يلقاه معمود
 كأنني في مهب الريح أملود
 من الهموم علت وجهي تجاعيد
 أرى كأنني في السبعين مولود

لم أشرب الكأس والأشواق تشربني
 نعم شربت كؤوس الهم مترعة
 ولم أغرد ومن حولي الأغاريد
 كأنني شبح في الليل منتصب
 حتى كأني من الأوصاب عرييد
 الغيد حولي زرافات أطلعها
 لكنما عنكم لم تسلني الغيد
 فليتني بعدكم ما مربي عيد
 لما أتى العيد أبكاني وهيجني
 لما تعالت بدنياي الزغاريد
 وذكرتكم وسخين الدمع منهمر
 وعيد الغريب سقام وانبعث أسي
 ودمعته إن شدا الشادون تغريد

* * *

في زورقي

طال ليلى حتى تمنيت لو كنت
فدموعي تحكي دموع الشكالي
ست مقيما في ظلمة الملحود
مات حبي الكبير وارتطمت أما
ودمائي تحكي دماء الشهيد
ل نفسي بالصخرة الجلمود

يا منى النفس أين منى أصيل
أين تلك الأيام أيام كنا
فيه أرنو إلى جمال الخدود؟
أين أحلامنا العذاب تولت
في ظلال الهوى وعرس الوجود؟
وذوت مثل يابس الأملود؟

يا زمان الوصال صاحبك السعد
أنت صيرتني بوعد صيبا
وعاداك يا زمان الصدود
يا حياتي إليك عني فإني
يتباهى بكاذبات الوعود
أنا أهوى النعيم لكنّ روعي
لست أسطيع عيشة في القيود
أين منى تلك البروق اللواتي
حرمت من نعيمها المنشود
أعقبتها رنات هذي الرعود؟
أيه يا نجمة الصباح اذكريني
وابعثنى لي بشرى النهار الجديد
في صراع مع الحياة شديد
ناولينى كأس الصبابة أني

أنا في حبك العنيف أسير
واسعديني فانني في عذاب
أثقلتني أغلال قلب عميد
وليال من المصائب سود

* * *

أيها الشباب

رشاد والعسير هو الرشاد
 إلى الغايات والداء الرقاد
 ومجد باذخ ولنا جهاد
 وحيثنا بأندلس النجاد
 نسود العالمين ولا نساد
 تحطم ذلك المجد المشاد
 وديدنا التراحم والسداد
 بنا الأرزاء واستشرى الفساد
 علينا اليوم والأوغاد سادوا
 ومن خيراتها نهب وزاد
 وأشراف الرجال لهم عباد
 فحقتك أن تقود ولا تقاد

شباب العرب كيف يراد منا
 وكيف نروم مجداً أو طموحاً
 لنا في غابر الأزمان مُلكُ
 لقد جبنا صحاري الصين فتحا
 وقد كنا الأباة لكل ضيم
 فهل بادت أسود العرب حتى
 كتاب الله كان لنا منارا
 فلما أن تفرقنا استبتت
 فلا عجا إذا عَدَّت الضواري
 لهم من ذل أمتنا اقتدار
 وآفاق البلاد لهم مراح
 فيا نشء العروبة كن أيما

شباب العرب كم لي من شجون
 فهذي القدس قد صارت مقاما
 وفي الوطن السليب لنا أسود
 فمن بالمال ضحى فهو شهم
 وآلام يضيق بها الفؤاد
 لصهيون وطاب لها المعاد
 تروم الموت أو تُفدي البلاد
 ومن بالروح جاد هو الجواد

مناجاة غريب

ي وإن عشت منك في تجريح
إنما قد شكوت غربة روعي
بمعادي من غربتي ونزوعي
كث خلف الدجى فبالله لوعي
والهميني معنى الرجا والطموح

وطن الحب أنت معبد نجوا
أنا لم أشك عنك غربة جسمي
واثقاً أن خالقي سوف يقضي
أيه يا نجمة الصباح أطلعت المـ
وامنحي بهجة الحياة فؤادي

وهوى القلب واحتراق الجروح
عائر الحظ ميثا في الضريح
بالأناشيد والغناء الفصيح
باقية الورد في الاناء المليح
وأغني لها بقلب جريح

وطن الحب إن أحلام عمري
ها أنا فيك مثل طير غريب
ها أنا فيك شاعر هام شوقا
سوف أبقى حتى وإن ضيعوني
انثر العطر في ربوع بلادي

صداقة

قال إني صديقك الفرد فاقصد
وبدالي منه الوفاء فأصبح
وأتى الدهر حاملاً كل رزء
فتوجهت نحوه أبتغيه
خدعتني براءة الموج في الشط
ني إذا حل حادث مُدْهم
سنا أبونا الأخاء والصدق أم
فتساءلت: يا ترى من أؤم؟
فإذا الوعد والمودة حلم
ء ولم أدْرِ ما يضم الخضم

يا صديقي إليك أبعث شكري
أنت علمتني احتمال المآسي
أنت لقتنتني كدهري دروسا
يا صديقي القديم إن جيني
لا تلمني إن قلت أنا انتهينا
فلقد جدي اصطبار وعزم
والرزايا وجاءني منك علم
هي عندي وإن خسرتك غنم
باذخ كالسما وأنفي أشم
هل فؤادي إلا دماء ولحم؟

الكوكب والذكريات

ولفعتني بضباب الشجون
 وقلبي يقبل شوك المنون
 يرون دمعي الهتون
 وأبقي أسير ظلام السجون

تلفعت يا كوكبي بالسحاب
 وبت تقبل زهر الحياة
 علاك يرون نفح وخدي
 تسير إلى حديث شئت طليقا

رسوت على الشاطئ الساحر
 أهوّم كالحلم الشاعر
 أيا كوكب الحسن بالساخر
 مشوق إلى موجه الهادر

سبحتُ زمانا بعينيك حتى
 وطفقت بعيداً أروم النجوم
 أتسخر مني وهل كنت يوماً
 أعديني إلى بحر عينيك أني

يعطر دنيائي بالذكريات
 فما عدت أذكر أمسي الموات
 لأشرب منه رحيق الحياة
 ولا بعتّه بسخي الهبات

أنا هنا المس الأمس وردا
 والمبح مستقبلي زاهيها
 أحوم على الزهر مثل الفراش
 أنا الشاعر الخصب ما خنت فني

حنوت على وتري علّيه
 وناشدته مستغيثا فما
 فألقيته جانبا والأسى
 هل الدهريا وتري مثلما
 يذيب عذابي بأهاته
 تنفس عن حلواته
 يحرق قلبي بجمراته
 دهاني دهاك بويلاته؟؟

لقد كنت أهرب بالنفس من
 وقلت لنفسي لا تطلبي
 وعودي كما كنت شفافة
 فليس الهناء الذي تطلبين
 هواها إلى الأفق الأرحب
 محالا من الناس أو تتعبي
 إلى العالم المزهر المخصب
 يُراود بالسفر المرعب

ليلة مع للأمال

والكون في الدير منذر
 قد راعها كالشر ينتشر
 يا حذا التريل والسور
 يهوي كما تهوي به الزهر
 قد عز بعد المورد الصدر
 والجيد منه ازدان والنحر

الليل بالاطلام معتكر
 قد نامت الأحياء فيه كأن
 وبقيت بعد مرتلا سورا
 أبكي بجوف الليل لي أمل
 أي أدمعي ما أنت راخصة
 أو اه خر العقيد منفرطا

آمال نفسي مسني الضجر
 في أن يزول الهم والسهر
 يرضى بعيش كله كدر؟
 كالنار منها يقفز الشرر
 كأسى وفيها الحزن والفكر
 مثل الزجاجه حين تنكسر؟

آمال نفسي صرت منقبضا
 آمال نفسي اليوم لي أمل
 قد رنقت صفوي الحياة فمن
 تتطاير الآمال في أفقي
 يا أيها الآمال قد فهقت
 أو تذهبين ولست راجعة

أنا ربوة ما كان انضرها
 قد كان للأطيار شقشقة
 باتت لها الأرواح قاصفة
 لا غرو أن ذبلت نضارتها
 والماء عنها اليوم منحسر
 فيها كما يترنم الوتر
 تتساقط الأوراق والثمر
 فلقد ذوى زهر الربى العطر

وبدا الصباح بنوره فغدا
 وسرى الضيا في الكون منبثقا
 ودفنت آمالي بمقبره
 ورأيت أفواج الأنام مشوا
 فنسيتها ومشيت مندفا
 عنه الظلام وكان يجتضر
 فإذا الحياة جميعها صور
 لكنها في القلب تحفر
 كل له في صحبه وطر
 لكنني لليل منتظر

إلى باعث الشكوى

أيا باعث الشكوى بنفسي ألم يحن لقاء لكيلا تستبد بي الشكوى؟
بكيك ولو أني على الصبر قادر كتمت ولكني على الصبر لا أقوى
لقد ذقت منك الحب مرا مذاقه وإني لأرجو أن تصيره حلوا
ألست إذا ما عنّ أمر لخاطري أتيت الذي تهوى وجانبت ما أهوى؟
فإن كنت للذنب الجليل مقارفا فآمل منك اليوم عما مضى عفوا
فلو أن جسمانا تقطع بالجوى لما أبقت الأشواق مني ولا عضوا
وكم قلت للوهان دع من توده فإن كبير النفس أخلق بالسلوى
ولكن قلبي كان للشوق طيعا فلم يلتفت لي بل أطاحت به الأهوا
سكنا بقروى والحبيب جوارنا فله مغنى قد سكنناه في «قروى»
شربنا به كأس الصبابة والهوى وحلني - يا ويحه - أعظم البلوى
وكننت أظن الوجد شيئاً ميسراً فأمسي بروحي عاصف الوجد قد

ذكرى لبنان!

النازح العاني طواه ضنائه فبكى دماء حين طال نواه
 وجفا المربع إذ تذكر فتية غرا شجاهم في الحياة شجاه
 هم رفقتي بالشام لا أنا واجد بعد الوجوه الزهر من أرضاه
 بيض الوجوه كأنها أخلاقهم نشر الخزامى قد علاه نداءه
 ذبحوا الأسي وتخضبوا بدمائه فالكل منهم همه ليلاه
 كم ليلة حمراء في أكنافهم كادت تعيد لذي المشيب صباه
 قاسمتهم متع الحياة جميعها الكأس كأس والشفاه شفاه^(١)

وسري قوم ذبت فيه مودة فلقيته يا جذا لقياه
 هو من ترى؟ هو صاحب القول الذي يبقى على مر الزمان صداه
 لو كان يرضى بالمديح مدحته وذكرته لكنه ياباه

(١) هذا البيت والذي قبله من كتاب الشاعر حمد الحجي، أ. د. محمد بن سعد بن حسين.

قلبت طرفي السراة فلم أجد بين السراة محنكا جاراه
 ساروا وسار مع الليالي فاهتدى بالنجم يخفق في سماه وتاهوا
 لم يحن جهته لغير الله إذ حنيت لأغراض الحياة جباه
 ولكم يقال: له شبيه في العلى فأقول هذا ماله أشباه
 خلق إلى علم إلى وطنية هذا الذي لم يجتمع لسواه
 ايه أبا «مي» إليك تحية من شاعر قاسمته بلواه
 لم أنس قرب البحر مجلسنا وقد نشر الظلام فكنت أنت سنه

لبنان يا بلد الطبيعة والهوى والشعر في أدناه أو أقصاه
 أهوى الجداول والصخور، إذا جرت عند الأصيل على الصخور مياه
 أهوى الحسان إذا مشين تدافعا كالبان غضا قد علاه صباه
 يضحكن أو يغمزن من لا قينه يا ويح قلبي من لحاظ ظباه
 أني لثمت خدودهن فلا تلم قلبي إذا مالج في شكواه

إني أموت على مصيف في ربي لبنان لا راع الزمان رباه
لكنني خالي الوفاض ومثله بلد جديب للفقير متاه
ما حله إلا أمير أو أخو مال ومثلي قد يعار رداه
يا صاحبي هل للمعنى رجعة نحو السفوح الخضر في مغناه
هل للمشوق إلى الصنوبر عودة ندي إلى قلب المشوق مناه
فيعب من بلد الهوى وروائه كأسا تطف ما جنت دنياه

لله لبنان وضاحك شطه وربيوع واديه وشمه زراه
أرض كما رسم الخلود لعابد يبست لطول صلاته قدماه
جنباته غرقى بضافي حسنه هرم الزمان وحسنه أعياه
اني لا ذكر فيه أياما خلت فتكاد تُدمي حافقي ذكراه

ترنيمة قلب

يا فؤاداً عبث الوجد به
 ان سرّاً للهوى مستودع
 لا ترجع لحنك الماضي كما
 واسل يا قلب وودع صاحباً
 لا تعلل بالجوى يذكي اللظى
 آه من رفاقة الخطو التي
 أزمعت هجرأ ولكن الهوى
 إذ أغنيها بصوت أسر
 فتغنيني بشعر مثله
 شاقني من صوتها إبداعه
 أين ذاك الأنس إذ أهوبه
 بين أشجار البساتين التي
 تلك من عمري أويقات زهت
 أنا ما عشت فلن أنسى التي
 أنتم أهل الهوى من تيهكم
 شفك الحب فهلا تستفيق
 في حنايا الكون في المعنى العميق
 غنت الورق على الغصن الوريق
 جبه أصبح كالقيد الوثيق
 فكبير النفس بالسلوى خليق
 أضرمت ناراً بقلبي كالحريق
 عود الليل على البوح الأنيق
 لئن الأعطاف بالشعر الرقيق
 يسلب اللب ويستهوى العشيق
 وثنايا صقلت ذات بريق
 هو والله صبوحى والفيوق
 نقطف الريحان منها والشقيق
 يازماني هل إليها من طريق
 كملت بالحس والقدر الشيق
 تصعدون الشمس بالحبل الرقيق

طلعت كيما توافي بالشروق	تحسبون الشمس والنار بها
تطلب النور فغشاها الحريق	كفراشات أتت واستبشرت
كنت لي خير رفيق وصديق	قلت يا صاح أتجفوني وقد
فتراءت كرؤى الأفق السحيق؟	أين أيام الأمانى نزحت

سحر الهوى

لم أدر ما سحر الهوى وفتونه حتى ابتليت بساحر فتان
 علق الفؤاد بحسنه وجماله وأذابه بالصد والحرمان
 اني سكبت مشاعري في حب من سكب العذاب بمهجتي وجناني
 وعشقت من أمسي يجازيني على عشقي له بالبعد والهجران

أنا يا حبيب كما عهدت مكلف بهواك رغم توجعي وهواني
 هذا هواك الصعب أوردني الردى وأثار أحزاني وهد كياني
 ياليت أني كالذين إذا ابتغوا خلاي صد، تحولوا للثاني

أنا ما حييت فإنني لك وامق فإذا فنيت، هواي ليس بفان
 أواه هل بعد الفناء نعيش في دنياها تتعانق الروحان؟
 في عالم لا يعرف الإنسان هل يجاب به في طبعه الإنساني؟
 أم يستحيل إلى الطهارة والسنا ويكون مثل ملائكة الرحمن؟

إن أنس لن أنسى الوقوف عشية
 أرنوا إلى البدر المنير وأنثي
 وتهزني عيناك من سحرها
 وتميس بالقد الرشيق كأنها
 وتمد كفك للتحية مسرعاً
 ما أسعد الأحباب يجمع شملهم
 يتسابقون إلى الصباية والهوى
 يسقون من خمر الهوى ورحيقه
 عند العيون على ربي البستان
 طربا كفعل الشارب النشوان
 ويروقني خداك والشففتان
 يحكي دلالك أغصن الرمان
 كي لا يراك مخداع ويراني
 في عزلة عن كاشح أو شاني
 كالخيل قد ركضت بدون عنان
 ويبددون الهيم بالنسيان

قلبت طرفي في الوجود وكل ما
 ونظرت للأفلاك في دورانها
 وسمعت تغريد البلابل في الضحى
 ورأيت أفواف الجمال بأرضنا
 وعقلت هذا كله لكنه
 حتى عرفت الحب دفاق الضيا
 تحويه دنيانا من الألوان
 تجري ولا تضنى من الدوران
 في الدوح تشدو أعذب الألحان
 وسمائنا وجوانب الأكوان
 في خاطري متشابه متداني
 يغشى الفؤاد بفيضه النوراني

وهناك أدركت الجمال وكنهه وعلمت قدرة خالق الإنسان
يا ميّت الوجدان بادر للهوى فالحب يجي ميّت الوجدان

ذكري ترنيمه قلب

ذكرت ليلي وعهدا
يا دهر سلها وقل لي
مضى ففاضت دموعي
متى يكون رجوعي

يا رب إني لأشكو
أنا علىل مُعنى
من حادثات الليالي
وهاجري لا يبالي

لا لا أريد لقاء
فقد صحبت أنا سا
اني أود ارتحالا
لا يفهمون الجالا

رأيت في النوم ليلي
وفي الصباح افترقنا
فطارحتي الغراما
وشب قلبي ضراما

وهمننا ومنانا
وهم نفسي ارتيادا
أن ندرك العيش غضا
للكون طولا وعرضا

عسى أخفف ما بي
وذكر ليلي شرابي

سهرت أذكر ليلي
فطيف ليل مدامي

إلى من أزل ليلي
لن تشتكي منه ثقلاً

ياريح هيا احميني
جسمي خفيف نحيل

بما حكمت علينا
والحب بين يدينا؟

يارب إني راض
متى يحين لقائنا

شقيق الغزال

يا سائراً في الدرب مثل غزالة
 بالله هدىء وطئك الغالي ففي
 أبصرت وجهك إذ بدا فحسبته
 ذكرتني عهداً مضى، أيامه
 أيام يضحك لي الحبيب فانشني
 والله لن أنسى الحبيب وعهده
 يا صاحباً فارقته لا مبغضاً
 يا كفه ما كان ألطف لمسها
 برزت من الشجر الكثيف تسير
 قلبي من الألم العميق سعير
 قمراً يحف به السنا والنور
 فرح وهمس محبة، وسرور
 طرباً كأنني في الأنام أمير
 ولو احتوتني في الفلاة قبور
 لكن مع الأقدار نحن نسير
 مازال منها في يديّ عبر

* * *

ثبت المصادر والمراجع

أولاً: الكتب:

- آفاق جديدة في دراسة الإبداع ، د. عبد الستار إبراهيم ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، د.ط ، د.ت.
- اتجاهات وآراء في النقد الحديث ، د. محمد نايل ، القاهرة ، دن ، د.ط .
- الاتجاه الابتداعي في الشعر السعودي الحديث إلى بداية التسعينات الهجرية ، محمد بن حمود بن محمد حبيبي ، إصدارات مهرجان الوطني للتراث والثقافة ، د.ط ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .
- الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي (دراسة) ، د.عبد القادر فيدوح ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م
- الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي أصوله وقضاياه ، د. سعد أبو الرضا ، مكتبة المعارف ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م
- الاعتكاف عودة إلى الذات ، أنطوني ستور ، ترجمة : يوسف ميخائيل أسعد ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع
- الاغتراب في الشعر الأموي ، د. فاطمة حميد السويدي ، مكتبة مدبولي ، الطبعة الأولى ١٩٧٩م
- الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري ، د. سميرة سلامي ، دار

- الينابيع ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٠م ،
- الاغتراب في شعر بدر شاكر السياب ، أحمد عودة الله الشقيرات ، دار عمار ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ،
 - الاغتراب والإبداع الفني ، د. محمد عباس يوسف ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، د.ط ، ٢٠٠٤م ،
 - الاغتراب وبعض متغيرات الشخصية "دراسة مقارنة" ، د. رشاد صالح دمنهوري ، سلسلة البحوث التربوية ، جامعة أم القرى ، د.ط ،
 - الأدب الحديث تاريخ ودراسات ، أ.د. محمد بن سعد بن حسين ، مطابع الفرزدق التجارية ، الطبعة الخامسة ، ١٤١١هـ ،
 - الأدب العربي عصوره وفنونه وقضاياها ومختارات مدروسة من نصوصه " في الأدب العربي السعودي وفنونه واتجاهاته ونماذج منه " ، د. محمد صالح الشنطي ، دار الأندلس للنشر والتوزيع ، حائل ، الطبعة الثانية ، ١٤١٨هـ ،
 - الأدب والجنون ، د. شاعر عبد الحميد ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٨م ،
 - الأرواح الحائرة ، ديوان شعر ، نسيب عريضة ، تقديم حبيب إبراهيم كاتبه ، مطبعة جريدة الأخلاق ، نيويورك ، ١٩٤٦ ،
 - الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، د. مجيد عبد الحميد ناجي ،

المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الأولى ،
١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

■ الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة ، د. مصطفى سويف ،
منشورات جماعة علم النفس التكاملي ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثالثة ،
١٩٦٩م

■ الأسلوب : دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية ، أحمد الشايب ،
مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثامنة ، ١٩٩٠م

■ الأمراض العصابية والذهانية والاضطرابات السلوكية ، د. فيصل محمد خير
الزراد ، دار القلم ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٤م .

■ الإبداع وتنميته من منظور تكاملي ، د. مصري عبد الحميد حنورة ، سلسلة
علم النفس الإبداعي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ،
٢٠٠٢م .

■ الإسلام والقومية الإسلام والأمية ، د. عبد الله سلوم السامرائي ، دار الحرية
للطباعة ، بغداد ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

■ الإنسان يبحث عن المعنى (مقدمة في العلاج بالمعنى . التسامي بالنفس) ،
فيكتور فرانكل ، ترجمة : د. طلعت منصور ، دار القلم ، الكويت ، الطبعة
الأولى ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

- البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر ، د. علي علي صبح ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، د.ط ، ١٤١٦ هـ ، ١٩٩٦ م .
- البنى الأسلوبية في النص الشعري ، د. راشد بن حمد الحسيني ، درا الحكمة ، لندن ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٤ م .
- البنية والدلالة: رؤية لنظام العلاقات في البلاغة العربية ، د. سعد أبو الرضا ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٨٧ م .
- التجربة الإبداعية : دراسة في سيكولوجية الاتصال والإبداع ، إسماعيل الملحم ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، د.ط ، ٢٠٠٣ م .
- التحليل النفسي لحالة انتظار الموت ، سمير عبده ، دار الكتاب العربي ، دمشق — القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م .
- التحليل النفسي وقضايا الإنسان والحضارة ، د. فيصل عباس ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩١ م .
- التدوير في الشعر : دراسة في النحو والمعنى والإيقاع ، د. أحمد كشك ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، د.ط ، ٢٠٠٤ م .
- التصور الإسلامي للوجود ، د. حسن الحيارى ، دار البشير للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩ هـ .
- التصوير الشعري : رؤية نقدية لبلاغتنا العربية ، د. عدنان حسين قاسم ،

- مكتبة الفلاح الكويتية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .
- التفاؤل والتشاؤم ، يوسف ميخائيل أسعد ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، د.ط ، د.ت .
 - التفسير النفسي للأدب ، د. عز الدين إسماعيل ، مكتبة غريب ، القاهرة ، الطبعة الرابعة .
 - التكيف الاجتماعي للأطفال ، بول هـ . لانديس و جون هاير ، ترجمة السيد محمد عثمان ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثانية .
 - التمرد والغربة في الشعر الجاهلي ، د. عبد القادر عبد الحميد زيدان ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، الإسكندرية ، د. ت .
 - الجمالية ، ر.ف . جونسن ، ترجمة د. عبد الواحد لؤلؤة ، موسوعة المصطلح النقدي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٣ م .
 - الحب والفاجعة ، د. هاني يحيى نصري ، مؤسسة بحسون للنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م .
 - الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، د. بكرى شيخ أمين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨٦ م .
 - الحكمة الضائعة : " الإبداع والاضطراب النفسي والمجتمع " ، د. عبد الستار إبراهيم ، سلسلة عالم المعرفة ، الرقم : ٢٨٠ المجلس الوطني للثقافة والفنون

والآداب ، الكويت.

- الحيوان ، الجاحظ ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٩ هـ.
- الخطيئة والتكفير (مدخل من البنيوية إلى التشریحية) قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر ، د. عبدالله بن محمد الغدامي ، النادي الأدبي الثقافي ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
- الدوافع والانفعالات ، د. عبد اللطيف محمد خليفة ، ود. معتز سيد عبد الله ، مكتبة المنار الإسلامية ، الكويت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م.
- الرؤية الرومانسية للمصير الإنساني لدى الشاعر العربي الحديث ، طلعت عبد العزيز أبو العزم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨١ م.
- الرحلة والرحالة دراسة إنسانية ، د. حسين محمد فهيم ، ندوة الثقافة والعلوم ، دبي ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧ م.
- الشاعر حمد الحججي ، أ. د. محمد بن سعد بن حسين ، مطابع الفرزدق التجارية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ هـ.
- الشخصية العربية بين صورة الذات ومفهوم الآخر ، السيد ياسين ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣ م.
- الشخصية العربية بين صورة الذات ومفهوم الآخر ، السيد ياسين ، مكتبة

- مدبولي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣ م.
- الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية خلال نصف قرن (١٣٤٥ - ١٣٩٥ هـ) ، د. عبد الله الحامد ، دار الكتاب السعودي ، الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤١٣ هـ.
 - الصداقة من منظور علم النفس ، د. أسامة سعد أبو سريع ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، الكتاب : ١٧٩ .
 - الصناعتين ، أبو هلال العسكري ، تحقيق مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١ هـ.
 - الصورة الكلية مفهوم وإنجاز : دراسة في الشعر العربي الحديث بين الحربين العالميتين ، فائز الشرع ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، د.ط ، ٢٠٠٤ م.
 - الطفل الموهوب في المدرسة العادية ، مريان شيفيل ، ترجمة عزيز حنا وعماد الدين سلطان ، مكتبة النهضة المصرية ، د.ت.
 - العبقرية والجنون ، يوسف ميخائيل أسعد ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠١ م.
 - العروض وموسيقا الشعر ، د.محمد رضوان الداية ، مطبعة طربين ، د.ط ، ١٩٨٧/١٤٠٧ م.
 - العصاب ، قاسم هادي العوادي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، الطبعة

الأولى، ١٩٩٢م.

- العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي، شرح وضبط وترتيب أحمد أمين، إبراهيم الإبياري عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي، بيروت.
- العلاج بالشعر، فاروق شوشة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٩٩٥ م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، حققه وفصله وعلق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
- العنوان في الأدب العربي لنشأة والتطور، د. محمد عويس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- الفصام، د. وليد سرحان، مكتبة مجدلاوي، د.ط، د.ت.
- الفصام دراسة في اضطرابات الشخصية والتفكير والسلوك، د. سعيد حافظ يعقوب، دار الحدائث، دمشق، د.ط، ١٩٨١م.
- الفصامي كيف نفهمه ونساعده، سيلفانو أريتي، ترجمة د. عاطف أحمد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، الكتاب: ١٥٦، جمادى الأولى، ١٤١٢هـ، ديسمبر ١٩٩١م.
- الفقر والبيئة: الحد من دوامة الفقر، ألن ب درننج، ترجمة د. محمد صابر،

- الدار الدولية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، الطبعة العربية الأولى ، ١٩٩١ م.
- اللغة والبلاغة ، عدنان بن ذريل ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، د. ط ، ١٩٨٣ م.
 - الموت العبقريّة ، عبد الرحمن بدوي ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ودار القلم ، لبنان ، د. ط ، ١٩٤٥ م.
 - النقد الأدبي الحديث ، د. محمد غنيمي هلال ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٦ م.
 - النقد الأدبي ومدارسه الحديثة ، ستانلي هايمان ، ترجمة د. إحسان عباس ود. محمد يوسف نجم ، دار الفكر العربي ، القاهرة.
 - الوجود والقيمة ، سامي خرطيل ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٠ م.
 - انترولوجية الصورة والشعر العربي قبل الإسلام : قراءة تحليلية للأصول الفنية ، د. قصي الحسين ، الأهلية للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م.
 - آفاق جديدة في دراسة الإبداع ، د. عبد الستار إبراهيم ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، د. ط ، د. ت.
 - أدب الرحلة في المملكة العربية السعودية ، عبد الله حامد ، نادي أمها الأدبي ،

د. ط، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .

- أزومات النفس في الأدب المعاصر ، نوري يوسف سلامة ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٦م .
- أسرار النفس وخفائها مع فيضها الإيماني ، د. أحمد رفعت جبر ، د. ط ، د. ت .
- أسس النقد الأدبي عند العرب ، د. أحمد أحمد بدوي ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، د. ط ، ١٩٩٦م .
- أصول علم النفس في الأدب العربي القديم ، د. زهدي جار الله ، بيروت ، ١٩٧٨م .
- أطفال بلا أسر ، د. أنسي محمد أحمد قاسم ، مركز الإسكندرية للكتاب ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨م .
- أفكار لأزمة الحرب والموت ، سيغموند فرويد ، ترجمة سمير كرم ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٧م .
- تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .
- جدلية الأفراد والتركيب في النقد العربي القديم ، د. محمد عبد المطلب ، مكتبة لبنان ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٥م .
- جماليات الأسلوب : الصورة الفنية في الأدب العربي ، د. فايز الداية ، دار

الفكر المعاصر ، بيروت ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الثانية ،
١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م .

■ جماليات القصيدة المعاصرة ، د. طه وادي ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة
الثانية ، ١٩٨٩م .

■ حديقة الصداقة والصديق في لزوميات أبي العلاء المعري ، إلياس سعد
غالي ، د.ن ، دمشق ، ١٩٨٢م .

■ حركة النقد الحديث والمعاصر في الشعر العربي ، د. إبراهيم الحاوي ، مؤسسة
الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

■ دراسات في الشخصية الإسلامية والعربية وأساليب تنميتها ، د. عبد الرحمن
عيسوي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، د.ط ، ١٩٩٠م .

■ دراسات في النص الشعري ، د. عبده بدوي ، دار الرفاعي ، الرياض ،
الطبعة الثانية ، ١٤٠٥هـ .

■ دراسات في علم النفس الأدبي ، حامد عبد القادر ، المطبعة النموذجية ، د.ت ،
د.ط .

■ دراسات نفسية في الإبداع والتلقي ، د. مصطفى سويف ، الدار المصرية
اللبنانية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، رمضان ، ١٤٢٠هـ ، يناير ٢٠٠٠م .

■ دراسات نفسية في التذوق الفني ، د. شاكر عبد الحميد و د. معتز سيد عبد

- الله و د . د . جمعة سيد يوسف ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة .
- دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمود شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ودار المدني ، جدة ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .
 - دلالة التراكيب : دراسة بلاغية ، د . محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
 - ديوان الجداول ، إيليا أبو ماضي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة السابعة عشرة ، ١٩٨٦ .
 - ديوان الصمة بن عبد الله القشيري ، جمع وتحقيق د . عبد العزيز بن محمد الفيصل ، النادي الأدبي بالرياض ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .
 - ديوان أبي النجم العجلي ، صنعه وشرحه علاء الدين آغا ، النادي الأدبي بالرياض ، رمضان ١٤٠١هـ - يوليو ١٩٨١م .
 - رسالة التوابع والزوابع ، ابن شهيد الأندلسي ، تصحيح وتحقيق وشرح وتبويب بطرس البستاني ، دار صادر ، بيروت ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .
 - رمز الأفاعي في التراث العربي ، ثناء أنس الوجود ، مكتبة الشباب ، د.ط ، ١٩٨٤م .
 - سيكولوجية الإبداع في الفن والأدب ، يوسف ميخائيل أسعد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، د.ط ، د.ت .

- سيكولوجية الشعر العصاب والصحة النفسية ، د. محمد طه عصر ، عالم الكتب ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- سيكولوجية النمطية والإبداعية ، يوسف ميخائيل أسعد ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، د.ط ، ١٩٩١م.
- شرح ديوان المتنبي ، وضعه عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، د.ط ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.
- عذاب السنين ، حمد الحججي ، جمع محمد بن أحمد الشدي ، دار الوطن للنشر ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ .
- علم الجمال نظرية وتطبيق في الموسيقى والمسرح والفنون التشكيلية ، د. غازي الخالدي ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، د.ط ، ١٩٩٩م.
- علم النفس والأدب ، د. سامي الدروبي ، منشورات جماعة علم النفس التكاملي ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ، ١٩٨١م.
- علم نفس الأدب ، د. مصري عبد الحميد حنورة ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٥م ، القاهرة .
- علم نفس الإبداع ، د. شاكر عبد الحميد ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٥م ، القاهرة .
- عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، د. علي عشري زايد ، مكتبة الرشد للنشر

- والتوزيع ، الطبعة الخامسة ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م .
- فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام ، صالح بن عبد الله العبود ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض ، د.ط ، ١٩٨٢م .
 - فلسفة الحب عند العرب ، عبد اللطيف شرارة ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، د.ط ، د.ت .
 - في الحب والحب العذري ، د. صادق جلال العظم ، منشورات عيون المقالات ، الدار البيضاء ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٧م .
 - في العروض والقافية ، د. يوسف بكار ، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م .
 - في النص الأدبي : دراسات أسلوبية إحصائية ، د. سعد عبد العزيز مصلوح ، عالم الكتب ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م .
 - قراءات متعددة للشخصية علم نفس الطباع والأنماط دراسة تطبيقية على شخصيات نجيب محفوظ ، د.روز ماري شاهين ، قدم له : د. محمد أحمد النابلسي ، دار ومكتبة الهلال ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٥م .
 - قضايا الشعر المعاصر ، نازك الملائكة ، دار العلم للملايين ، الطبعة الحادية عشرة ، ٢٠٠٠م .
 - قلق الموت ، د. أحمد محمد عبد الخالق ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني

- لثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، الكتاب : ١١١ ، رجب : ١٤٠٧ هـ.
- قيمة الحب في التجربة الإنسانية من وجهة نظر فلسفية ، د. محمد محمد بالروين ، مطابع الشام ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٨ م.
 - كنز الأنساب وجمع الآداب ، حمد بن إبراهيم الحقييل ، مطابع الفرزدق التجارية ، ط : ١١ ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
 - كيف تتغلب على القلق ؟ المشكلة والحل ، د. لطفي عبد العزيز الشربيني ، دار النهضة العربية ، د. ط ، د. ت .
 - لبنان والنهضة العربية الحديثة ، جبران مسعود ، بيت الحكمة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٧ م.
 - لسان العرب لابن منظور ، مؤسسة التاريخ العربي ودار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٣ م.
 - لسانيات النص : مدخل إلى انسجام الخطاب ، محمد خطابي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الدار البيضاء ، ط ١ ، ١٩٩١ م .
 - لغة الشعر في الشعر العربي ، د. السعيد الورقي ، دار المعرفة الجامعية ، د. ط ، ٢٠٠٠ م.
 - لمحات من الثقافة في سوريا ولبنان ، علي المصري ، مجلة المنهل ، العدد ٤٤٥ ، السنة ٥٢ ، المجلد ٤٧ ، شهرا شعبان ورمضان ، عام ١٤٠٦ هـ / ١٩٦٨ م.

- مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر بن عبد القاهر الرازي ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى.
- مخطوط ديوان عذاب السنين ، الأستاذ محمد بن أحمد الشدي .
- مشكلة الفن ، د. زكريا إبراهيم ، دار مصر للطباعة ، د.ط ، د.ت.
- مطلع القصيدة العربية ودلالاته النفسية ، د. عبد الحلیم حفي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، د.ط ، ١٩٨٧ م.
- معالجة الوجود في شعر ابن الرومي في كتاب "ابن الرومي في الصورة والوجود ، د. علي شلق ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م.
- معجم مصطلحات التحليل النفسي ، جان لابلاش وج . ب . بونتاليس ، ترجمة د. مصطفى حجازي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.
- مفهوم الإبداع في الفكر النقدي عند العرب ، د. محمد طه عصر ، عالم الكتب ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٢ م.
- من شعراء البؤس ، أ.د. محمد بن سعد بن حسين ، دار عبد العزيز آل حسين للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ.
- مناهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق ، ديفيد ديتسيش ، ترجمة د. محمد

- يوسف نجم ، مراجعة د. إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٧ م.
- موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور ، د. صابر عبد الدايم ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٣ / ١٩٩٣ م.
 - هرم الوجود دراسة تحليلية لعلم الوجود المقارن ، د. مهدي الحائري اليزدي ، ترجمة محمد عبد المنعم الخاقاني ، دار الروضة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م.
 - وجه لبنان في معالمه الحضارية والثقافية والسياحية والاقتصادية والاجتماعية ، للمهندس بولس فارس بولس ، مكتبة القرية ، بيروت ، د.ط ، ١٩٨٦ م.

* * *

ثانياً: المقابلات الشخصية:

- مقابلة شخصية أجريتها مع الشيخ إبراهيم الناصر في منزله بالرياض يوم الجمعة ٢٤/١٢/١٤٢٥ هـ .
- مقابلة شخصية أجريتها مع أخت الشاعر هيلة بنت سعد الحجري في منزل ابنها دعيج بن محمد الدعيج يوم الاثنين ١٣/٨/١٤٢٥ هـ.
- مقابلة شخصية أجريتها مع سعد بن ناصر الجريان ، أخصائي نفسي ، في مكتبه بمركز التأهيل الشامل للإناث بالملز ، يوم الثلاثاء ١٢/٢/١٤٢٦ هـ .
- مقابلة شخصية أجريتها مع الأستاذ فهد بن عبد الله التويجري ، مدير أحد فروع وزارة الشؤون الاجتماعية ، ومدير دار الرعاية الاجتماعية سابقاً ، في مكتبه يوم السبت ٩/٢/١٤٢٦ هـ .
- مقابلة شخصية أجريتها مع الأستاذ محمد الطيار رئيس تحرير مجلة المسافر ، وأحد المزمانيين للشاعر ، أجريت المقابلة في مكتبه في المجلة يوم الأربعاء ٦/٢/١٤٢٦ هـ .
- مقابلة شخصية أجريتها مع الأستاذ الدكتور محمد بن سعد بن حسين في منزله بالرياض بتاريخ ١٣/٣/١٤٢٥ هـ.
- مقابلة شخصية أجريتها مع الأستاذ محمد بن أحمد الشدي ، مدير جمعية الثقافة

- والفنون ، في مكتبه بالجمعية ، بتاريخ ٢٦ / ٣ / ١٤٢٥ هـ.
- مقابلة شخصية أجريتها مع الشاعر إبراهيم بن محمد الداغ في منزله بالقصيم، يوم الخميس ٢٣ / ٨ / ١٤٢٥ هـ.
 - مقابلة شخصية أجريتها مع دعيج بن محمد الدعيج ابن أخت الشاعر في منزله بمرات يوم الاثنين ١٣ / ٨ / ١٤٢٥ هـ.
 - مقابلة شخصية أجريتها مع الشاعر عبد الله بن إدريس في منزله بالرياض ، يوم الاثنين ، بتاريخ ١١ / ٢ / ١٤٢٦ هـ.

ثالثاً: الدوريات :

- الحججي .. لم يبق منه غير الشعر ، عبد القادر حميدة ، مجلة الحرس الوطني ، جمادى الأولى ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م .
- العنوان في الشعر السعودي بداياته وتياراته الإبداعية ، د. عبد الله الرشيد ، مجلة عالم الكتب ، المجلد الخامس والعشرون ، العددان الثالث والرابع ، ذو القعدة ذو الحجة / ١٤٢٤ ، محرم صفر / ١٤٢٥هـ .
- حمد الحججي الرحيل ومأزق الانتكاس ، خالد البنيان ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٩٠١ ، وتاريخ ١٥ / ٤ / ١٤٠٩هـ .
- حمد الحججي الشاعر البائس ، عبد الله بن ادريس ، جريدة الرياض ، العدد ٧٤٥٠ .
- زاوية مع الشعراء ، مجلة اليمامة ، العدد ١٩٩ .
- لقاء أجري مع الشاعر في جريدة اليوم ، العدد (٥٢٠١) ، بتاريخ ١٨ / ١ / ١٤٠٨هـ .
- لقاء أجري مع فهد التويجري مدير دار الرعاية الاجتماعية بالرياض ، أجرى اللقاء محمد الوعيل ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٤٨٢ ، ٩ / ٢ / ١٤٠٨هـ ، زاوية ضيف الجزيرة .

- لقاء بعنوان : شاعر مناجاة العقل ، ومرافقة البؤس ، ومصاحبة الشقاء ، ورحلة عمرها ١٢ سنة في البحث عن علاج ، جريدة الجزيرة العدد ٥٤٨٢ .
- لقاء بعنوان رحلة في عقل الشاعر حمد الحجري ، جريدة اليوم ، العدد ٥٢٠١ .
- إذا غفا الكون ، مجلة الرائد ، السنة الأولى ، العدد السابع ، جمادى الآخرة ، ١٣٧٩هـ .
- الشاعر حمد الحجري نجم النادي الأدبي قبل ثلاثين عاما ، د. محمد بن سعد بن حسين ، مجلة الحرس الوطني ، ربيع الأول ، ١٤٠٦هـ .
- هل من أمل في شفاء هذا الشاعر ، د. محمد بن سعد بن حسين ، مجلة الحرس الوطني ، جمادى الأولى ، ١٤٠٨هـ .
- حمد الحجري الشاعر البائس ، عبد الله إدريس ، جريدة الرياض ، العدد ٧٤٥٠ .
- هل الغربة النفسية قرين الإبداع ؟ د. جواهر بنت عبد العزيز آل الشيخ ، المجلة العربية ، العدد ١٨٥ ، جمادى الآخرة ١٤١٣هـ .

* * *

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٥	تقديم.....
٩	المقدمة.....
١٥	التمهيد:.....
١٧	بين الألم النفسي والإبداع.....
٤٣	<u>الفصل الأول</u> : العوامل المؤثرة في شعر الحجي.....
٤٥	المبحث الأول: طفولته.....
٥٧	المبحث الثاني: تعليمه وثقافته.....
٦٩	المبحث الثالث: علاقته بالمجتمع.....
٨٣	المبحث الرابع: مرضه.....
٩٥	المبحث الخامس: رحلاته.....
١٠٧	المبحث السادس: صفاته.....
١٢١	<u>الفصل الثاني</u> : صدى المؤثرات النفسية في شعره:.....
١٢٣	المبحث الأول: الغربة والعزلة.....
١٤٧	المبحث الثاني: الشعور بالظلم.....
١٦٥	المبحث الثالث: رؤيته للوجود.....
١٩١	المبحث الرابع: علاقته بأقرانه.....
٢١٣	المبحث الخامس: تأمله في الواقع.....
٢٣٣	المبحث السادس: مؤثرات نفسية أخرى.....
٢٣٣	♦ أولاً: الخوف من الموت.....
٢٤٧	♦ ثانياً: الحرمان العاطفي.....

الصفحة	الموضوع
٢٥٩	الفصل الثالث : الدراسة الفنية.....
٢٦١	المبحث الأول: البناء.....
٢٦١	♦ العنوان.....
٢٦٩	♦ المطع.....
٢٧٨	♦ الطول والقصر.....
٢٨٦	♦ الخاتمة.....
٢٩١	المبحث الثاني : اللغة.....
٢٩٣	♦ المفردات.....
٣٠٤	♦ التراكيب.....
٣١٦	♦ الأساليب.....
٣٢٤	♦ المعجم الشعري.....
٣٢٩	♦ المبحث الثالث : الصورة الفنية.....
٣٣١	♦ مصادر الصورة.....
٣٥٠	♦ الصورة الكلية.....
٢٦١	♦ الصورة الجزئية.....
٣٦٩	المبحث الرابع : الأوزان والقوافي.....
٣٩٥	♦ الخاتمة.....
٣٩٩	♦ ملحق بأهم القصائد.....
٤٧٣	♦ ثبت المصادر والمراجع.....
٤٩٥	♦ فهرس الموضوعات.....